جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة

يحررها نخبة من أساتذة الكلية

العدد ٢٢

يشرف على تحريرها

أ. د. علي البدري
عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد

أ. د. عزيز نافع
وكيل الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد أفضل من نطق بالعربية ، بل هو أفصح العرب لهجة ، وأبلغهم حجة ، وأعذبهم كلماً ، وأغزرهم حكماً ، وأوجزهم عبارة ، وأعلمهم بلغات العرب ، والذى شرفه الله بجوامع الكلم ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ... ،

فقد نزل القرآن الكريم بلغة الضاد (اللغة العربية) والتى حكم المولى عز وجل بخلودها على مرّ الدهور والأعوام ، وحفظها من الانقراض والفناء ، فهى لغة خالدة خلود القرآن الكريم ، وهى لغة باقية ما بقيت السماوات والأرض ، ولما كان القرآن الكريم – وهو كلام رب العالمين – نثراً فنياً فى أعلى درجات البلاغة والفصاحة والإعجاز ، تحدى به العرب قاطبة على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم ، وقد سمعه البلغاء فسجدوا لبلاغته ، والفصحاء فأذعنوا لفصاحته ، وهو حبل الله المتين ومنهاجه القويم ، تخشع له القلوب ، ويأخذ اللبّ والجنان ، ويستولى على الفؤاد ، وتسجد لجلاله وروعته وهيبته النفوس المستعصية ، وتخرّ أمامه الجباة المتأبية ، أنشأ أمة من العدم ، وجعل لها بين الخافقين صولة وجولة ، فعاشت به منيعة الجانب نافذة الكلمة قوية السلطان .

وقد أحدث القرآن الكريم فى لغة العرب علوما شتى منها علم التفسير والفقه والتوحيد ، وعلم اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان

والبديع والأدب ، وغيرها من العلوم الدينية والعربية والتاريخية ؛ التي صارت أساساً للحضارة الإسلامية الزاهرة . ويكفي شرفاً للغة العربية أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في شأنها : "أحب العربية لثلاث : لأني عربيّ والقرآن عربيّ ولسان أهل الجنة في الجنة عربيّ" وكلية اللغة العربية بأسيوط ، وهي إحدى قلاع جامعة الأزهر الشريف ، تخدم هذه العلوم العربية بالدرس والبحث والتحصيل ، وتؤدي دورها الفعّال في إرساء دعائم اللغة العربية ، والعمل على النهوض بها ، وتحرص على الحفاظ عليها من كيد الكائدين وعبث العابثين .

ولغتنا العربية تتميز باللآلئ والفوائد والكنوز والدرر من جواهر العلم والمعرفة في الأدب والشعر واللغة والبيان ، ولله در شاعر النيل حافظ إبراهيم يتحدث بلسان اللغة العربية فيقول :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحرُ في أحشائه الدّر كامنٌ فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي ؟

وها هي حولية كلية اللغة العربية بأسيوط ترفل في ثوبها القشيب ، وتختال في أبهى الحلل وأجمل الثياب ، وتحتوي على بحوث قيمة في الأدب والنقد والبلاغة واللغويات وأصول اللغة ، وهي بحوث علمية محكّمة حازت رضى محكّميها من اللجان العلمية المتخصصة ، وتسهم في إثراء المكتبة العربية في مختلف أفرع اللغة العربية .

وأحب أن أقول في النهاية : إن باب العلم واسع ، وبحره زاخر ، وهو حياة النفوس وغذاء الأرواح ، ونور الأبصار والعقول ، وهو سبب الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة ، وحسب العلماء العاملين ثواباً عند

المولى عز وجل : (إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء) ، وحسبهم قول الحق سبحانه وتعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وقول الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم (مَنْ سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

أ.د/ على محمد طلب
عميد كلية اللغة العربية بأسيوط

دراسة نقدية
في نص شعرى للشَّنْفَرَى الأزدى

للأستاذ الدكتور

على محمد طلب

أستاذ الأدب والنقد

وعميد كلية اللغة العربية بأسيوط

٣

دراسة نقدية
فى نص شعرى للشَّنْفَرَى الأزدى

للأستاذ الدكتور

على محمد طلب

أستــاد الأدب والنقــد

وعميد كلية اللغة العربية بأسيوط

التعريـف بالشـاعر وشــعره(١):

هو الشّنفرى من بنى الأواس بن الحجْــر بــن الــهنء بــن الأزد ابن الغوث ، ونشأ فى منطقة الســراة ، وهــى منطقــة جبليــة بيــن مكة والمدينة ، والشّنفرى اسمه ، وقيــل لقــب لــه ومعنــاه عظيــم الشفة ، وهو ابن أخت (تابط شرا) ، وكان أحـــد العدائيــن الثلاثــة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكـــان أحدهــم يعــدو مســرعا ،

---

(١) انظر فى التعريف بالشاعر : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٦٢/٢١ وما بعدها ، والمفضليــات للمفضل الضبى تحقيق الأستاذين / أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، صـــ ١٠٨ ط دار المعارف بالقاهرة ، ومهذب الأغانى للشيخ محمد الخضرى ٩٥/١ ومــا بعدهــا ط مصــر بالقاهرة ، والشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صــ ١٠ وما بعدهـــا ط الهيئــة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، ١٩٨٩م ، وشعر الصعاليك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صـــ ١١٤ وما بعدها ط الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٦م ، وتـــاريخ الأدب العـــربى لبـــر وكلمان ١٠٠/١ وما بعدها ط دار المعارف بالقاهرة ، ومقالات فى [illegible] الأدب [illegible] الجاهلية للدكتور / محمد أحمد [illegible] ، صـــ ٨٠ وما بعدها وغير ذلك من الكتب

فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، وضرب المثل به في العدو فقيل : (أعدى من الشّنفرى) ، وأُخذ الشّنفرى أسيرا في بني سلامان بن مفرج وهو غلام صغير ، فنشأ فيهم ، وذلك أن قبيلته بني الأواس بن الحجْر من الأزد دخلت في قتال مع بني شبانة بن فهم فقُتل أبوه وأُسر الشّنفرى ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان رجلاً من بني شبانه بن فهم ، ففدته بنو شبانة بالشّنفرى ، وكان في بني سلامان لا تحسبه إلا واحدا منهم ، وعلي ذلك فقد نشأ الشّنفرى في حجر الرجل السلامانى ، وهو يعتقد أنه أبوه ، وكان للسلامانى ابنة تسمى (قعسوس) تعرف حقيقة الشّنفرى ولا تنكر عليه حينما يناديها بأخته ، لأن أباها كان يوصيها خيرا به ، لما يلحظه عليه من أمارات الرجولة المبكرة ، والفتوة والبطولة منذ فجر الشباب ، إلى أن كان يوم خرج فيه (أبو قعسوس) بعيدا عن الديار ، تاركا إياهما في المرعى ، فطلب الشّنفرى منها أن تغسل له رأسه ، فعدّت ذلك إهانة لا تغتفر ، ولطمته على وجهه ، وأغلظت له في القول ، وعيرته برقّه وعبوديته لأبيها ، فثارت ثائرة الشنفرى ، وأصرّ على أن يفاتح أباها في شأن نسبه ، وعرف من أبيها أنه ينتمي إلى بني الأواس بن الحجْر ، فقال الشّنفرى يفتخر بقومه ويستجمع مشاعر السيادة والعزة التي تمتلئ بها نفسه :

ألا ليت شعري والأماني ضلة ... بما ضربت كفّ الفتاة هجينها

وقد علمت قعسوس أنساب والدى ... ووالدها ظلت تقاصر دونها
أنا ابن خيار الحجْر بيتا ومنصبا ... وأمى ابنة الأحرار لو تعرفينها

ولكن أبا قعسوس كان داهية أريبا فأخذ يهدئ من ثائرة الشّنفرى ويستل سهام غضبه ويروّح عنه قائلا : لا عليك يا بنى ، فقد كنت أريد أن أزوجها لك ، قال الشّنفرى وقد سكنت أضغانه وهدأت ثائرته فى لهفة : وما يمنعك إذن ؟ قال : أخشى أن يقتلنى قومى ، قال الشّنفرى : والله لئن قتلوك لأقتلن مائة رجل فى دمك ، فأطمأن الرجل وعرف أن بجانبه أسدا هصورا، وبطلا قوى المراس ، وزوّجه (قعسوس) فما كان من بنى سلامان إلا أن استقبحوا أن يصهر إليهم دخيل كالشّنفرى ، وبعد زواجه من (قعسوس) قتلوا أباها فعلا ، فأخذ الشّنفرى يغذّ نفسه ليبر بقسمه ، ويصنع النبال لذلك ، وظلت (قعسوس) تلحّ عليه فى الوفاء بقسمه بأن يقتل مائة رجل فى أبيها ، وبعد رحيل الشنفرى عن بنى سلامان كوّن جماعة من الصعاليك ، وجعلوا قصارى همهم السلب والإغارة على بنى سلامان والاحتماء منهم فى فجاج الجبال وكهوفها[1] .

وظلّ الشنفرى يقتل منهم ، إلى أن وصل عدد القتلى تسعة

---

(1) انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ٨٦ وما بعدها ، وانظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٢ وما بعدها .

وتسعين رجلا ، وكان ممن قتل منهم رجل يسمى (حرام بن جابر) قتله بمنى ، وهو قاتل أبيه،وذكر الشّنفرى المكان الذى قتل فيه ، وأشار إلى أخذه بثأره جزاء وفاقا ، وذلك فى التائية المشهورة ، التى ذكرها صاحب المفضليات ، حيث يقول :

قتلنا قتيلا مهديا بملبد ... جمار منى وسْط الحجيج المصوّت
جزينا سلامان بن مفرج قرضها ... بما قدمت أيديهم وأزلت[1]

وفى الحقيقة أن هذه الرواية قد بالغت فى ثأر الشّنفرى لأبى (قعسوس) وأن هذا الأمر لا يصدقه عقل ، ولا يقبله منطق.

ويشير الدكتور / عبد الحليم حفنى فى كتابه عن (الشّنفرى الصعلوك) إلى نهاية الشّنفرى ، فيذكر أنه لما حانت منية الشّنفرى قُدر لأعدائه أن يظفروا به ، فقد ترصد له ثلاثة من أعدائه ذات ليلة هم : خازم اللخمى ، وأسيد بن جابر السلامانى، وابن أخ له لم تسمه الروايات التى روت حادث

---

(١) انظر : المفضليات للمفضل الضبى ، صـ ١٠٨ ، وما بعدها (مهديا : محرما ساق هدى. بملبد: بمحرم لبد رأسه أى جعل فى رأسه شيئا من الصمغ ليتلبد شعره ، جمار منى : أى عند الجمار ، المصوّت : الملبى ، سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء ، ومنهم حرام بن جابر قاتل أبيه . أزلت : قدمتْ) .

مصرع الشّنفرى ، فمر عليهم الشّنفرى فأحس بهم ، وكان لا يحسّ خطرا ولا يرى سوادا إلا رمى بالنبل صوبه ، فأصاب ذراع ابن أخى أسيد إلى عضده ، فلم يتأوه ، واستمر فى سيره حتى أصبح على رأس الرصد ، وكانوا منبطحين على الأرض، فلما دنا منهم طلب أسيد من خازم أن يسلل سيفه ، ولكن الشّنفرى كان إلى سيفه أسرع ، فأهوى به إلى خازم ، ولكنه لم يصب منه غير أصبعين من يده ، وما لبثوا إلا وقد أطبقوا عليه ولكن الشّنفرى استطاع أن يصرع اثنين منهم تحته وهما : خازم وابن أخى أسيد ، وجاء أسيد فنزع سلاح الشّنفرى منه ، وحين استطاع أسيد أن يجرده من سلاحه أصبح فى قبضتهم ، ولكنه لم يستسلم ، وحاول أن يتخلص منهم ، وما لبثوا أن قبضوا على الشّنفرى ، ونقلوه إلى قومهم ، وأرادوا أن يشفوا نفوسهم المتأججة بالنقمة عليه ، فبدأوا بتعذيبه نفسيا وجسديا ، فقالوا له : أنشدنا ، فقال : (إنما النشيد على المسرّة) فذهبت مثلا ، ثم ضربوا يده فأصيبت ، ولم تنفصل عنه ، ثم رماه أحدهم فى عينه ، ثم قالوا : أين نقبرك ؟ فإذا هو يستنكر أن يقبروه ، وهو يعلم إنهم لابد أن يجتزوا رأسه ويفصلوها عن جسده ، لتكون راحة لنفوسهم وشفاء لقلوبهم ، فيقول لهم فيما

يشبه السخرية العميقة : إن ما يبقى بعد رأسه ليس له شأن ولا يستحق الاهتمام به[1]

وذلك في قوله[2] :

لا تقبروني إنّ قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثمّ سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سمير الليالي مُبْسلا بالجرائر[3]

ثم أجهزوا عليه فقتلوه ...

إلا أنه من العجب العجاب أن يذكر أبو الفرج الأصفهاني في هذه الراوية والتي مؤداها أنه أقسم ليقتلن مائة رجل ، وأنه قتل قبل موته تسعة وتسعين رجلا ، وأصرّ في راويته العجيبة أن تكون جمجمة الشنفرى سببا في قتل أحد رجال بني سلامان، وبذلك تمت المائة التي أقسم عليها حيث يقول : "فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاما أو عامين مصلوبا ، وعليه من نذره رجل، فدخل رجل منهم كان غائبا فمرّ به ، وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيه عظم من رأسه فعلّت عليه فمات منها ، فكان ذلك

---

(١) انظر : الشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفني ، صـ ٧٣ ، وما بعدها .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبه ١/٨٠ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٣) أم عامر : كنية الضبع وهي من آكلي الجيف ، الملتقى : مكان الموت ، سمير الليالي : طوال الليل ، مُبْسلا بالجرائر : يعني مرهونا بالجرائم .

الرجل تمام المائة[١]» .

وكان الشّنفرى من الشعراء الصعاليك المجيدين ، بل كان أبرز الصعاليك في شاعريته وجودة شعره ، ومعظم شعره سجّل فيها حياته في الصعلكة وما عاناه فيها من متاعب ومصاعب ، كما سجّل فيها صراعه فى الحياة وقتله قاتل أبيه ، فشعره صورة من حياته القلقة غير المستقرة ، وقد أشار العينى فى كتابه (شرح الشواهد الكبرى) أن للشّنفرى ديوانا ، ولكن لم يبق إلى عصرنا هذا منه إلا القليل ، ويكفيه فخرا أن لاميته المشهورة (بلامية العرب) تعدّ من عيون الشعر الجاهلى وقد أكبّ عليها النقاد والأدباء والعلماء فقاموا بشرحها ، لما فيها من معان قيمة ثمينة ، وألفاظ جزلة رصينة ، وتصوير رائع ، فقد شرحها المبرد ، وكان أول من شرح لامية العرب ، ثم شرحها أبو بكر بن دريد ، ثم شرحها بعده أبو على القالى ، ثم شرح بعض أبيات اللامية أبو هلال العسكرى ، ثم شرح بعض أبيات لامية العرب أبو العلاء المعرى ، ثم قام الزمخشرى بشرح لامية العرب فى كتابه المطبوع (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ، ثم شرح اللامية بعده عبد الله بن الحسين العكبرى ،

---

[١] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٢١/١٦٤ .

ثم أعجب ياقوت الحموى فقام بشرح بعض أبيات لامية العرب، ويذكر (بروكلمان) بعض العلماء الذين قاموا بشرح لامية العرب للشّنفرى غير هؤلاء الأعلام ، فذكر منهم : شرح محمد بن القاسم بن زكور المغربى ، ويوجد مخطوط لهذا الشرح فى (برلين) وفى مكتبة الدحداح ، وشرح عطاء الله بن أحمد المصرى ، ويوجد منه مخطوط فى القاهرة ، وشرح يحيى بن عبد الحميد الحلبى ويوجد منه مخطوط فى (الأسكوريال) ، وشرح ثعلب ، وتوجد مخطوطة له فى (الفاتيكان) ، وشرح التبريزى ويوجد منه مخطوط فى (برنستون) وغير ذلك من الشروح .

وهذا يدل على اهتمام العلماء والأدباء والنقاد بلامية العرب للشّنفرى الأزدى ، ويدل على قيمة هذه اللامية ، وعلى صياغتها ، وعلى ما فيها من تصوير بديع ، حاز الرضا والإعجاب لدى سائر النقاد والأدباء .

ويذكر (بروكلمان) أنه قد تم طبع ديوان الشّنفرى فى (الطرائف الأدبية[1]) .

(1) انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان [illegible] وما بعدها ، وانظر : الشنفرى الصعلوك ، ص [illegible] وما بعدها .

جـو النـــص :

لقد كان منهج الشّنفرى فى حياته مقاومة الصعاب مهما اشتدت ، وشعره خير دليل على حياته القلقة غير المستقرة . وقد سجّل الشّنفرى كل جوانب معاناته وكل خلجات نفسه . كما سجّل صراعه فى الحياة ، وكل ما صوره من قيم ومثل عليا فى قصيدته (لامية العرب) ، وتحدث عن الوحوش فى الصحراء ، وعن الحر والبرد ، وعن النمل والطير ، وعن الجوع والفقر ، وعن الصبر والألم ، وعن أشياء كثيرة ، لا ارتباط بينها لذاتها ، فإذا هو يجعلها شديدة الارتباط ، وكأنها موضوع واحد ، وهو ما يميز شعر الصعاليك ، فكان شعره أشبه (بالمذكرات الشخصية) ، ولقد استطاعت شاعريته الفذّة أن تجعل منها معرضا ضخما متنوعا من اللوحات الأدبية البالغة الروعة والإبداع ، ولا يبدو من حديثه حتى وإن ساق الشعر فخرا ، أنه يقصد الفخر لذاته ، وإنما يسوق آلاما يراها الناس فخرا ، ويتحدث عن حياة لم يألفها الناس ، فيرى الناس فى ذلك موضعا للفخر وما يشبه الفخر ، وكل ذلك جعل المجتمع الجاهلى يزيد للصعاليك إكبارا وإعجابا واهتماما ، فهو فى شعره يعبر عن الأنفة وإباء الضيم والنفور من الذل ، ويصور الخلق الإجتماعى ، وما انفرد به من وصف عفة المرآة وغضّها من بصرها وصونها والحفاظ عليها ، وكل هذه

الأخلاق إنما يحبها العربى ويحرص عليها .

إذن فموضوع القصيدة نوع من (السيرة الذاتية) أو (المذكرات الشخصية) وقد سجّل فيها الشاعر حياته فى الصعلكة ، وما عاناه فيها من مصاعب ومتاعب لا حصر لها[1]، وفيها الأنفة والإباء والحفاظ على الكرامة والبعد عن الدنايا ، وإكبار النفس ووضعها فى مكانها الصحيح .

النص :

يقول الشّنفرى من قصيدة (لامية العرب) مفتخرا بإعتزازه بنفسه ومصورا معاناته فى حياته :

١- أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل
٢- فقد حُمت الحاجات والليل مقمر وشُدت لطيات مطايا وأرحل
٣- وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزل
٤- لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
٥- ولى دونكم أهلون سِيدٌ عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
٦- وإن مُدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
٧- وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم وكان الأفضل المتفضل
٨- ولست بمهياف يعشّى سوامه مجدعة سقبانها وهى بهّل
٩- أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
١٠- واستف ترب الأرض كيلا يرى له علىّ من الطوْل أمرؤ متطول
١١- ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب يُعاش به إلا لدىّ ومأكل
١٢- ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى على الذأم إلا ريثما أتحول
١٣وأطوى على الخمص الحوايا كما أنطوت خيوطة مارى تغار وتفتل

---

(١) انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ٣٩ وما بعدها .

١٤- وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلّ تهاداه التنائف أطحل
١٥- وتشرب أسآرى القطا الكدر بعدما سرت قربا أحناؤها تتصلصل
١٦- هممتُ وهمتْ وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارط متمهل
١٧- فوليت عنها وهى تكبو لعقره يباشره منها ذقون وحوصل
١٨- وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سناسن قحّل
١٩- وأعدل منحوضاص كأن فصوصه كعاب دحاها لاعب فهى مُثّل
٢٠- فإن تبتئس بالشّنفرى أم قسطل لما اغتبطت بالشّنفرى قبل أطول
٢١- طريد جنايات تياسرن لحمه عقيرته لأيها حُمّ أول
٢٢- تنام إذا ما نام يقظى عيونها حثاثا إلى مكروهه تتغلغل
٢٣- وإلف هموم ما تزال تعوده عيادا كحمى الربع أو هى أثقل
٢٤- فإما ترينى كابنة الرمل ضاحيا على رقة أحفى ولا أتنعل
٢٥- فإنى لمولى الصبر أجتاب بزه على مثل قلب السّمع والحزم أنعل
٢٦- وأعدم أحيانا وأغنى وإنما ينال الغنى ذو البُعدة المتبذل
٢٧- فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيل
٢٨- وليلة نحس يصطلى القوس ربها وأقطعه اللاتى بها يتنبل
٢٩- فأيمت نسوانا وأيتمت إلدة وعدت كما أبدأت والليل أليل[1]

شرح المفردات :

١ ـ **المطىّ** : المطايا ويقصد بها الإبل ، **وإقامة صدورها** : كناية عن الإستعداد للرحيل .

٢ ـ **حُمت** : بالبناء للمجهول : تهيأت ، **مقمر** : مضىء بالقمر ، **طيات** : حاجات مطلوبة فى النفس مخبأة ، **أرحل** : جمع رحل ، وهو ما يوضع فيه المتاع فوق الراحلة .

---

[1] أعجب العجب فى شرح لامية العرب للإمام الزمخشرى ، ص ٦ ، وما بعدها ، ط١ ، طبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٠ هـ .

٣ ـ **المنأى** : مكان النأى وهو البعد ، **الكريم** : ذو الكرامة والخلق الأصيل ، **الأذى** : يعنى الذل والهوان ، **القِلى** : الترك والنبذ عن بغض وكراهية ، **المتعزل** : بصيغة اسم المفعول مكان العزلة .

٤ ـ **لعمرك** : أسلوب قسم يحلف به ، **السُّرى** : السير فى الليل خاصة ، **راهبا** : من الرهبة وهى الخوف .

٥ ـ **السِّيد** : بكسر السين المشددة : الذئب وقد يسمى به الأسد، **العملس** : بفتح العين والميم واللام المشددة : القوى السريع، **الأرقط** : النمر ، **الزهلول** : الأملس ، **العرفاء** : طويلة العنق ، **الجيأل** : بفتح الجيم وسكون الياء : الضبع وأصله جيأل عرفاء ، فقدمت الصفة على الموصوف .

٦ ـ **الجشع** : النهم وشدة الحرص والإستزادة .

٧ ـ **البسطة** : السعة ، **والتفضل** : إسداء الفضل إلى الغير .

٨ ـ **المهياف** : الشخص التافه الذى لا يحسن تدبير شئ ، **السوام** : الماشية التى ترعى ، **مجدعة** : سيئة الغذاء ، **السقبان** : جمع سقب وهو الذكر الصغير من ولد الناقة ، **بُهَّل** : بفتح الهاء المشددة جمع باهل وهى الناقة بدون راع يرعاها .

٩ ــ **أديم** : من المدوامة والاستمرار ، **المطال** : من المماطلة ، ضرب عن الشئ ، **صفحا** : أعرض عنه ، **الذهول عن الشئ** : تركه ونسيانه .

١٠ ــ **استف الشئ** : تناوله يابسا غير معجون ، **الطَّوْل** : بفتح الطاء ، **المنّ** : المتطول بصيغة اسم المفعول : النعمة التى يمن بها صاحبها على المنعم عليه .

١١ ــ **الذأم والذام** : بمعنى واحد وهو العيب ، **ألفاه** : وجده .

١٢ ــ **مُرة** : أبية صعبة ، **الذأم** : العيب الذى يذم به ، **الريث** : الوقت اليسير .

١٣ ــ **الخمص** : بفتح الخاء وهو الجوع ، **المخمصة** : المجاعة، **الحوايا** : جمع حوية وهى الأمعاء ، **الخيوطة** : الخيوط ، **مارى** : قيل اسم لرجل مشهور بصناعة الحبال وفتلها ، **تُغار** : يحكم فتلها .

١٤ ــ **القوت** : الطعام اليسير الذى يقتات به ، **الزهيد** : القليل ، **أزلّ** : صفة للذئب القليل اللحم فى فخذيه وعجزه كناية عن جوعه ، **تهاداه** : تتناقله ، **التنائف** : جمع تنوفة وهى المفازة فى الصحراء ، يعنى أنه كلما خرج من مفازة دخل فى أخرى ، **أطحل** : لونه بين الغبرة والبياض .

١٥ ـ **الأسآر** : جمع سؤر وهو بقية الشراب ، **القطـــا** : نـــوع مـــن الطير صغير الحجم ، **الكـــدر** : يعنـــى اللـــون بيـــن الســـواد والبياض ، **السُّـــرى** : الســـير فـــى الليـــل ، **القَـــرَب** : بفتـــح القاف والراء : السير مسافة ليلـــة ، **الأحنـــاء** : جمـــع حِنـــو بكسر الحاء : وهـــو الجـــانب ، **تتصلصـــل** : يصـــدر منـــها صوت معين نتيجة للعطش الشـــديد .

١٦ ـ **همت** : التاء فيها تعود على القطا ، يعنى اســـتعد كـــل منّـــا للسباق إلى الماء ، **ابتدرنا** : يعنى ســـباق كـــل منّـــا الآخـــر ، **الإسدال** : إرخاء الثـــوب إلـــى الأرض ، والمـــراد : أرخـــت القطا أجنحتها ، وهـــذا يكـــون عندمـــا يبلـــغ الطـــير أقصـــى سرعته فـــى الطـــيران ، **شـــمّر** : اســـتعد للجـــد ، **الفـــارط** : المتقدم ، **متمهل** : يعدو على مهل يعنى أنه لـــم يســـتخدم كـــل سرعته فى العدْو ، ومع ذلك ســـبق القطـــا .

١٧ ـ **تكبو** : تسقط إلى أمام ومنه المثـــل المعـــروف (لكـــل جـــواد كبوة) ، **العقر** : بفتح العين وسكون القـــاف : مكـــان الســـاقى من الحوض ، والضمير فـــى يباشـــره للحـــوض ، والضمـــير فى (منها) للقطا ، **الذقن** : ما تحت حلقومـــها وحلوقـــها .

١٨ ـ **آلف** : من الإلف وهو التعـــود ، **الأهـــدأ** : يعنـــى ظـــهره ، **تنبيه** : ترفعـــه ، **السناســـن** : بمعنـــى السلاســـل ، والمـــراد

فقار الظهر وهى المعروفة بالعمود الفقـــرى ، **قحّــل** : جمـــع قاحل وهو اليابس الجـــاف .

١٩ ـ **أعدل** : أتوسد ، **المنحوض** : الـــذى ذهـــب لحمـــه ، وفعلـــه نُحض بالبناء للمجهول ، يعنى بـــالمنحوض ذراعـــه ، ويعنـــى بالتوسد أنـــه يتخـــذ ذراعـــه وســـادة ، **فصوصـــه** : مفـــاصل عظامه ، أى عظام ذراعـــه ، **الكعـــاب** : مـــا بيـــن الأنبوبيـــن من القصب . ولكنه يعنى نوعا كانوا يلعبـــون بـــه ، **دحاهـــا** : بسطها وسواها ، وهى الكعوب ، **مُثّل** : جمـــع مـــاثل وماثلـــة : أى منتصبـــة .

٢٠ ـ **تبتئس** : تحـــزن مـــن البـــؤس ، **القســـطل** : الغبـــار ، وأم قسطل كنية الحرب لأنها تثـــير الغبـــار ، **اغتطبـــت** : فرحـــت ، وابتئاس الحرب به معناه حرمانها منـــه أى مـــن مشـــاركته فيها .

٢١ ـ **طريد** : أى مطرود يعنـــى يطـــارده أعـــداؤه ، **الجنايـــات** : جمع جناية وهـــى التـــى جناهـــا بصفـــة خاصـــة ، **تياســـرن لحمه** : تقاسمن لحمه عن طريق ســـهام الميســـر ، **عقيرتـــه** : جثته وأصلها للناقة المعقورة أى المذبوحـــة ، **حُـــمّ** : نـــزل ، ومنه حُمّ القضاء أى نزل ، والمراد نزول المـــوت بـــه .

٢٢ ـ **تنام** : يعنى الجنايات ، **نـــام** : المـــراد نفســـه ، **يقظـــى** : أى

عيونها متيقظة ، **حثاثا** : سـراعا ، **مكروهـه** : يعنـى موتـه ، **تتغلغل** : تتوغل وتتعمـق .

٢٣ ـ **الإلف** : بكسر الهمزة أى التعـود ، **تعـوده عيـادا** : العيـادة هى زيارة المريض ، **حمى الربـع** : بكسـر الـراء وسـكون الباء : نوع من الحمى يصيب صاحبه يومـا ويتركـه يوميـن وهكذا ، وتسمى الحمى الراجعـة أو المتقطعـة .

٢٤ ـ **ابنة الرمل** : الحية الرقطاء ، **ضاحيـا** : أى بـارزا ، يقـال ضحيت للشمس : تعرضت لها وهو المـراد ، **علـى رقـة** : يعنى رقة الحال وهى الفقر ، **أحفـى** : أمشـى حافيـا بـدون نعل.

٢٥ ـ **موال الصبر** : صاحبه ومالكه الـذى يتحكـم فيـه ، ويعنـى بالصبر : الشجاعة وقوة الإرادة ، **أجتـاب** : ألبـس ، **البزّ** : الفاخر من الثياب ، والضمير فى (بـزه) للصـبر ، **السّـمع** : بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب مـن الضبـع ، **أنعـل** : اتخذه نعلا ، يعنى أنه يتحكم فـى الحـزم كأنـه نعـل فـى قدميه .

٢٦ ـ **العَدَم** : بفتح العين والدال ، أو ضم العيـن وسـكون الـدال: الفقر ، **البُعدة** : بضم الباء وكسرها : اسم للبعـد بمعنـى بعـد الهمة ، والمراد سعة الآمـال وكـثرة المطـامع فـى السـعى

وراء المال ، **المتبذل** : الذى يبذل كرامتـــه ولا يصونـــها .

٢٧ ــ **الجزع** : عدم الصبر عند المكروه ، **الخلـة** : بفتـح الخـاء : الفقر والحاجة ، **المتكشـف** : الـذى يظـهر فقـره وحاجتـه للناس ، **المرح** : المبالغة فى الرضا عن النفـس إلـى درجـة الغرور ، **أتخيل** : مـن الخيـلاء وهـى التكـبر والإعجـاب الشديد بـالنفس .

٢٨ ــ **وليلة** : مجرور بمحذوف على تقديـر ورب ليلـة ، **نحـس** : بـرد شـديد ، وفـى القـرآن الكريـم (فـى يـوم نحـس مستمر)[1] بمعنـى شـديد البرودة ، **يصطلـى** : يسـتدفئ ، **ربـها** : صاحبـها، **يصطلـى القـوس** : المـراد يحطمـها ليستدفئ بها ، **الأقطع** : جمـع قِطـع بكسـر القـاف ، وهـو نصل السهم ، **يتنبل** : يتخذ منها النبل ، للرمـى بالسـهام .

٢٩ ــ **الأيم** : مَنْ لا زوج لها من النسـاء ، وكذلـك مـن الرجـال مَنْ لا إمراة له ، **وأيمت المـرأة** : جعلتـها تفقـد زوجـها ، **أيتمت** : جعلتهم يتامى بفقد آبائـهم ، **إلـدة** : أولاد ، **أبـدأت** : بدأت ، **أليـل** : شديد الظـلام[2] .

---

[1] سورة القمر ، الآية ١٩ .

[2] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١١٦ ، وما بعدها ، وانظر :شعر الصعاليك للدكتور / عبد=

الأفكار التى يدور حولها النص

١ ــ الإسراع بالرحيل لأن فى الأرض متسعا للجميع .

٢ ــ إلتجاء الشّنفرى إلى عالم الوحوش .

٣ ــ تمسك الشاعر بالأخلاق الكريمة .

٤ ــ معاناة الشّنفرى في حياة الصعلكة .

٥ ــ صعوبة الحياة مع الجوع والعطش والبرد والمطاردة والهموم .

٦ ــ تقلب الحال بالشاعر من الفقر إلى الغنى .

٧ــ من شيم الشاعر : الحزم والعزم والحفاظ على الكرامة.

المعنى العام :

لقد وضّح الشّنفرى خواطره وأحداث حياته منذ فكر فى الصعلكة ، ففى مطلع القصيدة (المسماة بلامية العرب) يبين أنه كره حياة الناس ، وأخذ يفكر فى الرحيل عنهم إلى مجتمع الوحوش الضارية فى الصحراء المقفرة ، وأنه صمم وعزم على ذلك ، وأنهم يتهمونه بالتسرع والانفعال ، فيقول لهم : إنى لم أصدر هذا عن إنفعال وقتى ، وإنما فكرت فيه على مهل ، وفى ضوء القمر لا فى صخب النهار ، وما قد ينتج عنه من ثورة وإنفعال ، ولا فى ظلام الليل وما قد ينشأ عنه من مخاوف

=الحليم حفني ، ص ١٧٤ ، وما بعدها ط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

وأوهام ، وكل كريم النفس يجد فى الأرض الواسعة مكانا يبعده عن الذل والهوان ، بل يُقْسم بأن الأرض لا تضيق بأى إنسان يرحل فيها ، سواء أكانت له آمال يرغب فى تحقيقها أم كان خائفا يريد أن يبتعد عن مصدر خوفه ، ثم استطرد بعد ذلك يبين مَنْ هم هؤلاء الأهل الذين سيرحل إليهم ؟ إنهم الوحوش الضارية حيث يسكن ويأنس إلى الذئب والنمر والضبع وغيرها من الوحوش .

ثم تحدث عن أخلاقه وهو أنه قنوع عفّ ، وأنه حين يكون مع آخرين على الطعام ، فإنه يلتزم بالآداب الفاضلة ، وألا يتعجل فى مدّ يده إلى الطعام قبل غيره ، وينفى أن يكون تأخره فى مدّ يده إلى الطعام سببه أى شئ ، غير أنه يريد أن يكون صاحب فضل على الآكلين معه ، ويسوق فى هذا حكمة مؤداها أن الذى يتفضل على الناس يكون دائما أفضلهم .

ثميتحدث عن نفسه فيقول : لست من التافهين الذين يعود الواحد منهم بماشيته وأولادها جياع ، ولا من المهملين الذين يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشراف عليها أو توجيه لها .

ويتحدث عن معاناته الدائمة مع الجوع ، فمن شأن الصعلوك مقاومة الجوع ، فهو يصور الجوع فى صورة دائن يطالب بالوفاء بديْنه ، فأخذ الشاعر يماطله ، واستمر فى

المماطلة ، حتى يئس الجوع وانصرف ، ولـم يعـد فكأنـه مـات ، ونرى العزيمة فى مغالبة الجوع ، فإذا غلبه الجـوع واشـتد ، فإنـه يستف التراب سفًا ، فهذا أهون عنده من الالتجـاء إلـى أى إنسـان ليعطيه الطعام ، ولولا حرصه على كرامتـه وعـزة نفسـه لوجـد كل أنـواع المتعـة ، ومثلـه فـى شـاعريته وشـجاعته يمكـن أن يتنافس ذوو الشأن على إصطناعه وإسـتعباده بعطائـهم وصلتـهم ، وهو يعلم ذلك جيدا ، ولكنه ينفر منه ، ونراه يتحـدث عـن أمعائـه فى خلوها من الطعام ، وتعودها الجـوع والحرمـان حتـى يبسـت وصارت صلبة دقيقة يلتف بعضها حـول بعـض ، كأنـها الحبـال الشديدة الفتل ، ومـن ثَـمّ فـالصعلوك لا يدخـر طعامـا لأنـه لا يستطيع أن يستقر فى مكان واحد ، ولا يحمل معـه طعامـا يثقلـه، وهو لابد أن يكـون مـهيأ للـهروب والتنقـل دائمـا ، فـهو مثـل الوحش يبحث عن طعامة مرة فمرة ، أما عـن الشـرب فقـد سـبق القطا وشرب قبله ، وترك له سؤره ، وهـذا يتضمـن أنـه أسـرع من القطا ، على الرغم من أن القطـا كـان شـديد العطـش ، ولـم يستخدم الشاعر كل سرعته ، ومع ذلك سبق القطـا ، فـهو يصـف المباراة بينه وبين القطا ، ويصـف تفوقـه فـى ذلـك ، وبعـد أن شرب رجع عن القطا وهى تنزل إلى صـدر الحـوض الـذى فيـه الماء ، وصدر الحوض يباشر ذقون القطـا وحواصلـها .

ويتحدث بعد ذلك عن معاناتــه للنــوم لأن جســمه لا يســتريح ، ولا يستقر حتـــى يضعـه علــى الأرض ، وهــذا بســبب نحافتــه الشديدة ، فيصور لنا أنه حيــن ينــام علــى ظــهره لا يســتقر ولا يستريح لأن فقار ظــهره (العمــود الفقــرى) بــارزة ، فــهى التــى تصل إلى الأرض ، وتجعل بقيـــة جســمه مرتفعــا لا يصــل إلــى الأرض ، وحين يتعبه هذا الوضـــع ينقلــب علــى جنبــه ، فيضــع ذراعه كالوسادة تحت رأســـه ، فــإذا ذراعــه قطــع عظــم جافــة صلبه، لا يستطيع أن يستقر فى نومه فوقها ، وهـــو مطبــوع علـــى حب الصـــراع والمجازفــة والجــرأة ، فيســعده أن يــزاول هــذه الهواية فى الحروب ، ولكن عزلتـــه فـــى حيـــاة الصعلكـــة تحرمـــه من هذه المتعة ، فيشعر نتيجة لذلك بالـــهم والابتئـــاس والاكتئـــاب ، وبدلا من أن يقول : إننى مبتئـــس لحرمـــانى مـــن المشـــاركة فـــى الحروب، يقول : إن الحرب هى التى تشـــعر بالابتئـــاس لحرمانـــها منى .

ولا يترك الشعور بالمطاردة ، وهو بحكـــم عملــه فـــى الســـلب والنهب والسطو والثارات التـــى عليــه ، فلابـــد أن تكــون القبيلـــة كلها معادية له أشدّ العداء ، متربصـــة بـــه أشـــد الـــتربص ، فـــهو طريد جنايات يتنافسون على أيهم يناله ، ويتمكـــن منـــه أولا عندمـــا ينزل به الموت ، ومـــن متـــاعب الشّـــنفرى ومعاناتـــه فـــى حيـــاة

الصعلكة : العرى والحفاء ، فهو يتخيل إمرأة يخاطبها مشعرا إياها بقيمته الحقيقية ، طالبا منها ألا تغتر بمظهره السيئ من عريه وحفائه ، وما ذكره قبل ذلك من الجوع وغيره ، وكأنه يقول لها : إن الإنسان لا يقاس بمظهره ، ولكن بجوهره ، فإذا كان مظهره سيئا هيّنا فهو يحمل ما يعتز به من الشجاعة وقوة الإرادة والحزم ، ومن معاناة الشاعر تقلب الأحوال المعيشية ، فهو أحيانا يكون غنيا ، ولكن فى أحيان أخرى يكون معدما ومع ذلك كله لا يتغير فهو ثابت الخُلق ، لا يتقلب مهما تقلبت أحواله، فإذا كان فى فقر فلا يجزع منه ، بل لا يطلع أحدا على فقره ، فيظل مستورا غير متكشف ، وكأنه لا يعانى فقرا ، وإذا كان فى غنى يظل أيضا ثابت الخُلق لا يتغير ، ولا يشعر بخيلاء أو غرور ، أو إعجاب بالنفس والغنى ، فأحواله تتغير ، ولكنه لا يتغير ، بل يظل كما هو ثابتا معتدلا .

ومن معاناة الشاعر فى مناخ الصحراء ، أنه لا يجد ما يتقى به البرد أو الحرّ فلا غطاء ولا فراش لمثله فى البرد ، ولا مقر أو مأوى يأوى إليه فى الحرّ ، بل ليس على جسمه ملبس يقيه قشعريرة البرد أو لسعة الحرّ ، ورب ليلة بلغت من شدة بردها أن يحطم صاحب القوس قوسه ، ونصال سهامة ليستدفئ بها ، حيث يشعل النار فيها ، ومعنى ذلك أنه يعرض نفسه لفتك

الأعداء به ، وعلى الرغم من ذلك البرد القارس القاتل ، وعلى الرغم من الظلام والمطر ، وعلى الرغم من الجوع والارتعاش، فقد نفذ غارة على أعدائه ، وقتل رجالا أصبحت زوجاتهم أرامل وأصبح أولادهم يتامى ، ورجع من الغارة فى جنح الليل المظلم[1]

دراسة وتحليل ونقد :

١ ـ صاحب هذا النص هو الشّنفرى الأزدى ، وهو أحد الصعاليك الشجعان الأقوياء الأشداء ، وكان أحد العدائين الثلاثة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكان أحدهم يعدو مسرعا فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، ومن هنا ضُرب به المثل فى العدو فقيل (أعدى من الشّنفرى) ، وكان هؤلاء الصعاليك فقراء نشأوا فى بيئة حرمتهم متع الحياة فهم منبوذون من مجتمعهم ، محتقرون من عشائرهم ، فذاقوا كأس الذل وتجرعوا مرارة الحرمان والهوان ، فراحوا يثأرون لأنفسهم ويأخذون حقوقهم المسلوبة ـ فى نظرهم ـ من الأغنياء البخلاء قسرا واغتصابا ، وتعجب من هؤلاء القوم أنهم يتقاسمون ما يغنمون من السطو على أموال الموسرين الأشحاء

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ١١٦ ، وما بعدها .

، وكأن الحرمان والذل ألّف بينهم ، وعلمهم التعاطف والتراحم فيما بينهم ، وكان زعيمهم (عروة بن الورد) المسمى (عروة الصعاليك) قد أوى العاجزين عن الكسب ، ووضعهم تحت رعايته ، وضمهم إلى كنفه وحماه وأسبغ عليهم الخير ، وشملهم بعطفه وحبه[1] .

والشّنفرى صاحب لامية العرب ، التى عُرفت بجزالة ألفاظها ، وقوة معانيها ، ودقة تصويرها وتعبيرها ، "والتى فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها ، حتى تُرجمت إلى نحو خمس لغات أجنبية ، والتى حظيت منذ القديم بإعجاب الأدباء والنقاد ، حتى أفرد الزمخشرى لها كتابا لشرحها هو (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ، ويجعل بعض الباحثين شعره فى المرتبة الأولى من حيث التمثيل والتصوير"[2].

٢ ــ يتمثل فى هذا النص بعض خصائص شعر الشّنفرى ، فهو يتميز بالألفاظ الجزلة التى تحتاج إلى كتب المعاجم للكشف

---

(١) انظر : دراسات فى الأدب الجاهلى للمؤلف الدكتور / على محمد طلب ، صـ ١٧٧ ، وما بعدها ط ، مرة الخير بأسيوط .

(٢) [illegible] الصعاليك [illegible]

عنها، مما أتعب علماء اللغة في شرحها ، وذلك راجع إلى عزلته في الصحراء ، وعدم الإتصال بالآخرين ، وحياة الشّنفرى كسائر الصعاليك حياة في بيئة بالغة القسوة والمعاناة والحرمان ، والتعرض للمخاطر العديدة المتنوعة.

ولامية الشّنفرى تحفل بهذه الألفاظ الممتازة الثمينة ، من حيث إشعاعها وإيحاؤها الأدبي ، حتى لا يكاد يخلو عنصر أو معنى من بعض هذه الألفاظ ، وقد يُلتمس بعض العذر لمن يصعب عليه التذوق الكامل لهذا المستوى من الألفاظ ، فإن التذوق الكامل لهذه الألفاظ لابدّ له من الإدراك الواسع ليس لمجرد مدلول اللفظ فحسب ، وإنما لاشتقاقاته اللغوية في كثير من الأحيان ، ونحن نجد في كل ألفاظ اللامية أو معظمها فيضا زاخرا من الإيحاء والإشعاع الأدبي .

والألفاظ الجزلة القوية مثل : (حُمّت ــ متعزل ــ راغبا ــ راهبا ــ عملس ــ أرقط ــ زهلول ــ عرفاء ــ جيأل ــ بمهياف ــ مجدعة ــ سقبانها ــ بُهّل ــ استف ــ الذأم ــ الخمص ــ الحوايا ــ تغار ــ التنائف ــ أطحل ــ أسآرى ــ تتصلصل ــ فارط ــ لعقر د ــ وآلف ــ سناسن ــ قُحّل ــ منحوضا ــ فصوصه ــ كِعاب ــ قسطل ــ عقيرته ــ حِثاثا ــ الربع ــ أجتاب ــ بزد ــ الشّمع ــ ابعدذ ــ نحس ــ يتنبل ــ

أيمت ـ إلدة ـ أليـــل) .

أما الألفاظ الموحية فــي هــذه الأبيــات كلفــظ (واســتف) فإنــه يوحى بأن استفاف التراب في ســـرعة خــير مــن المــنّ والإذلال ، ولو كانت العبارة (آكل تــراب الأرض) لمــا دعانــا إلـــى الوقــوف عنده ، فإن الأكل يعنى أنه يسير علـــى شـــئ مــألوف فـــى تنــاول المأكول ، ولكن التعبير بالسفّ يفهم منـــه أنه أكــل غــير عــادى ، قد يوحى بالسرعة أو النهم أو الإكثار أو نحـــو ذلـــك ، وكــل هــذ، مقبول عند الشّنفرى ما دام يجنبه الذلّ والـــهوان ، ولكــن الشّــنفرى يضيف إلى اللفظ حرفا يملأه إثارة للمشاعر والعواطـــف وهــو تــاء الإفتعال فى (واستف) فهذه التاء تملأ الموقـــف شـعورا بمــا يفعلــه الشّنفرى ، وما يعانيه فى أكل التراب ولـــو تخيــلا ، وأنــه مســتعد ليس لمجرد أكل التراب أكلا عاديا رفيقـــا فحســب ، وإنمــا ليســفه سفًا ، بل ليستفه استفافا ، وأنعــمْ النظــر طويلا كــى تــدرك هــذه المعانى الفياضة فى قولـــه :

واستف ترب الأرض كيلا يــرى لــه علىّ من الطوْل أمــرؤ متطـــول

ومن هذه الألفاظ الموحية (آلـــف) مــن قولــه : (وآلــف وجــه الأرض عند إفتراشها) ، فإن هذا اللفظ يوحى بأنـــه إعتــاد إفــتراش الأرض وألفه ، ولو كان إنســـان حديــث عــهد بــإفتراش الأرض ، لكان إيلاما له ، ولكن الشّنفرى قــد ألــف هــذا الوضــع ولذلــك لا يجعل إفتراش الأرض مصـــدرا للشــكوى ، وإنمــا الشــكوى فـــى

البيت من أن عظامه وفقار ظهره البارزة من النحول والجوع ، ترفع جسمه عن الأرض ، وتحول بينه وبين الإستقرار في النوم ، وكل هذا لا يقلل من إيحاء لفظ (آلف) الذى يجعلنا نشعر بمدى ما يعانيه الشّنفرى حتى في نومه[١] .

٣ ـ استخدم الشاعر فى هذا النص كثيرا من الأساليب التي توضح الفكرة وتجليها ، فقد اعتمد الشاعر على الأساليب الخبرية التى تناسب الفخر بالأخلاق الكريمة ، وقوة تحمل الشاعر للمصائب والآلام ، ففي مطلع هذا النص فكرة آمن الشاعر بها ، وقدم لها مبرراتها وأقام الدليل على صحتها وسلامتها ، مؤداها ضرورة إرتحاله عنهم ، لأنهم ليسوا جديرين بأن يقيم بينهم متعرضا للأذى والهوان ، فإستخدام الأسلوب الإنشائى فى قوله : (أقيموا بنى أمى رحال مطيكم) ففيه الضيق والألم ونفاذ الصبر ، وهو كناية عن الإستعداد للرحيل ، ثم يجئ بالأسلوب الخبرى الذى يفيد التقرير فى قوله: (فإنى إلى قوم سواكم لأميل) ، وكل من الأسلوبين الخبرى والإنشائى يوحى بضيقه منهم ، وعدم إحتماله قربهم فليكن بينه وبينهم بُعْدُ المشرقين .

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، ص ـ ٢١٠ وما بعدها .

واستخدم الأسلوب الخبرى مرة أخرى ليؤكد صحة ما يقول، حيث قدم الدليل القوى الذى أقامه على أحقيته فيما عزم عليه[١]، وهو الرحيل إلى ديار غير ديارهم ، وذلك فى قوله :

فقد حُمت الحاجات والليل مقمر وشُدت لطيات مطايا وأرحل
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزل

ثم استخدم الأسلوب الخبرى الدّال على الفخر ، والمباهاة بالقناعة والعفة والتفضل بما عنده على الآخرين ، وذلك فى قوله : (مُدت الأيدى إلى الزاد) وقوله : (لم أكن بأعجلهم) ، وقوله : (أجشع القوم أعجل) ، وقوله : (وما ذاك إلا بسطة عن تفضل) ، وقوله : (وكان الأفضل المتفضل) وكل هذه الأساليب الخبرية توحى بقناعته وعفته وثقته بنفسه وقدرته على ضبطها.

كما استخدم الأساليب الخبرية الدالة على الفخر بقوة جلده وتحمله للجوع ، وشدة صبره على المكاره ، وأنه يملك نفسا حرة أبية تنأى به عن مواطن الذلّ والهوان ، وذلك فى قوله : (وأستف ترب الأرض) ثم يؤكدها بما لا يقبل الشك ، فيستخدم الأسلوب الخبرى فى نفس البيت ، فى قوله : (كى لا يرى له علىّ من الطوّل أمرؤ متطول) ، واستخدم الأساليب الخبرية

---

(١) انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية للدكتور / أحمد منصور نفادى ، ص ١٠٥.

الدّالة على فخره بكل المعانى السابقة فى قوله : (ولولا إجتناب الذأم لم يلف مشرب) ، وقوله : (يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) وقوله : (ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى على الذأم) وقوله : (وأطوى على الخمص الحوايا) ، وقوله : (وأغدو على القوت الزهيد) وقوله : (وآلف وجه الأرض عند إفتراشها) وقوله : (فإنى لمولى الصبر) ، وهذه الأساليب الخبرية توحى بصبره وتحمله الجوع وثقته بنفسه وتعويله عليها ، وأنه شجاع جلد قوى العزيمة ، وأنه فى النهاية يحافظ على كرامته من أن تمتهن ، وأن يكون رأسه عاليا فوق الناس جميعا .

واستخدم الشاعر أسلوب القسم فى قوله : (لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ) ليؤكد المعنى المراد ويقويه بأسلوب القسم ، كما استخدم الشاعر أسلوب القصر بالنفى والإستثناء فى قوله : (وما ذاك إلا بسطة) ، وقوله : (لم يلف مشرب يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) ليزيد المعنى تأكيدا وقوة ، ومن المعروف أن القصر أشد المؤكدات على الإطلاق .

كما استخدم أسلوب الطباق فى قوله : (راغبا أو راهبا) حيث طابق بين راغب وراهب ليجمع بين المتضادتين ، وفيه توضيح للمعنى حيث إن الرحيل لا يعدو أن يكون لواحد من اثنين : الرغبة أو الرهبة ، وقوله : (تنام إذا ما نام يقظى

عيونها) حيث طابق بين تنام ويقظى ليجمع بين المتضادين ، وهذا يحدث جرسا موسيقيا ، وإيقاعا منغما فى الكلام .

كما استخدم الشاعر أسلوب (شبه كمال الاتصال) وذلك بين جملة (ولى دونكم أهلون) وبين جملة (سِيد عملس) حيث نُزلت الجملة الثانية من الأولى بمنزلة الجواب عن سؤال مقدر تقتضيه الجملة الأولى ، حيث يقول الشاعر : (ولى دونكم أهلون) كأنهم قالوا له : ومَنْ هم ؟ فقال : (سِيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل) .

والباحث عن الأساليب التى استخدمها الشاعر يجد الكثير والكثير ، مما يدل على شاعرية الرجل ، وأخذه بناصية اللغة والبيان ، والفصاحة والبلاغة ولكننا أوجزنا الحديث فى هذه المسألة حتى لا نطيل .

٤ ـ استعان الشاعر بالصور الخيالية فى توضيح أفكاره وتجليتها للقارئ والسامع ، وأغلب هذه الصور (الكنايات) التى استخدمها الشاعر بحذق ومهارة تدل على شاعرية متمكنة فذة ، وذلك فى قوله : (أقيموا بنى أمى صدور مطيكم) كناية عن الإستعداد للرحيل ، وقوله : (فقد حُمت الحاجات) كناية عن اتضاح الأمور ، وأنه لا مفرّ من الرحيل ، وفى قول الشاعر : (وشُدت لطيات مطايا وأرحل) كناية عن أهبته الكاملة للرحيل

عنهم ، وفى قولـه :

ولستُ بمهياف يعشى سوامه مجدعة سقبانها وهى بُهّل

هذا البيت فيه كناية عن أنه ليس من التافهين الذين يعود الواحد منهم بماشيته وأولادها جياع ، ولا من المهملين الذين يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشراف عليها ورعاية لها[١] وفى قوله : (أديم مطال الجوع) كناية عن شدة صبره على أذى الجوع ، وفى قوله : (وأستف ترب الأرض) كناية عن تحمله الجوع ، ولو أنه يسفّ التراب سفًا ، وفى قوله : (أزلّ تهاداه التنائف) كناية عن جوع الذئب ، وأزلّ صفة للذئب القليل اللحم فى فخذيه وعجزه ، وفى قوله : (وشمرّ منى فارط متمهل) كناية عن النشاط فى العدْو على مهل ، ومع ذلك سبق القطا وفى قوله : (وآلف وجه الأرض عند إفتراشها) فافتراش الأرض كناية عن الخشونة وقوة التحمل ، وقوله : (سناسن قحّل) كناية عن فقار الظهر المعروفة بالعمود الفقرى ، وإسناد السناسن إلى صفة القحّل فيها مجاز مرسل علاقته السببية وعلى ذلك فإن (سناسن قحّل) كناية عن فقار الظهر الجافة اليابسة ، وفى قوله : (وأعدل منحوضا) كناية عن التوسد بالذراع القوى الذى ذهب لحمها ، وفى قوله : (أم قسطل) كناية عن الحرب ،

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٢٥ .

لأنها تثير الغبار المتصاعد في سماء المعركـــة ، وفـــي قولـــه :

تنام إذا مـــا نـــام يقظـــى عيونهـــا   حِثاثـــاً إلى مكروهـــه تتغلغل

البيت كله فيه كناية عن تربـــص أعدائـــه بـــه ، وتلهفـــهم إلـــى الإيقاع به ، وفي قوله : (يصطلى القوس ربـــها) كنايـــة عـــن شـــدة الـــبرد القـــارس ، ممـــا يحمـــل أن يصطلـــى بـــالقوس صاحبـــها ، ويعرض نفسه للهلاك ، إذا ما فاجـــأه العـــدو ، ومـــن المعـــروف أن الكناية تحمل المعنى ودليله ، كما وضـــح لنـــا ذلـــك ، مـــن خـــلال عرضنا لأشـــعار الشّـــنفرى الأزدى ، ويوجـــد فـــى هـــذه الأبيـــات (استعارات مكنيـــة) ففـــى قـــول الشـــاعر : (وفـــى الأرض منـــأى للكريم عن الأذى) شبه الأذى بحفـــرة أو نـــار محرقـــة لابـــد مـــن البعد عنها ، ثم حذف المشبه به ورمز إليـــه بشـــئ مـــن لوازمـــه ، على سبيل الإستعارة المكنية،وفى قـــول الشـــاعر : (الجـــوع حتـــى أميته) شبه الجوع بإنسان لابـــد مـــن القضـــاء عليـــه ، ثـــم حـــذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ مـــن لوازمـــه علـــى ســـبيل الإســـتعارة المكنية،وفى قول الشـــاعر : (فـــإن تبتئـــس بالشّـــنفرى أم قســـطل) شبه الإبتئاس بإمرأة حزينـــة مبتئسـة ، ثـــم حـــذف المشـــبه بـــه ، ورمز إليه بشئ من لوازمـــه ، علـــى ســـبيل الإســـتعارة المكنيـــة ، وكذلك فى قوله : (اغتبطت بالشّنفرى) حيـــث شـــبه الفـــرح بـــإمرأة مغتطبة فرحـــة ، ففيـــها إســـتعارة مكنيـــة أيضـــا ، وفـــى هـــاتين الكنايتين إيحاء بطول معايشة الشـــنفرى للحـــروب ، وقـــوة تمرســـه

بالقتال ، وفى قول الشاعر : (طريد جنايات) شبه الجنايات بإنسان يطرد إنسانا ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ، وهذه الإستعارات ، فيها تشبيه المعنوى بالمحسوس ، حتى يستقر فى الذهن ويرسخ فى الوجدان ، واستخدم الشاعر بعض التشبيهات ففى قوله :

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت ... خيوطة مارى تُغار وتُفتل

تشبيه فقد شبه أمعاءه فى خلوها من الطعام وتعودها الجوع حتى يبست ، وصارت صلبة يلتف بعضها حول بعض كأنها الحبال الشديدة الفتل .

وفى قول الشاعر :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ... أزلّ تهاداه التنائف أطحل

تشبيه مركب فقد شبه فيه نفسه وهيئته وقد أصبح جائعا هزيلا يضرب فى الصحراء القاحلة ، بهيئة ذئب جائع هزيل يبحث عن قوته فى كل مكان فلا يجده بجامع الضيق والحيرة والهزال فى كلٍ[1] .

وفى قول الشاعر :

وأعدل منحوضا كأن فصوصه ... كِعاب دحاها لاعب فهى مُثّل

تشبيه فقد شبه حاله فى النوم حيث لا يستقر على حال أبدا ، فبينما ينام على ظهره ، ينقلب على جنبه ، فيثنى ذراعه ،

---

(١) انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ١٠٥ وما بعدها .

ليجعله وسادة تحت رأسه ، فإذا هـو يـابس جـاف ، كأنـه أنـابيب قصبة يابسة ، قطعت إلى كعوب ، هى ما بيـن مفـاصل الـذراع ، فلا يستقر ولا يستريح أبـدا[١] .

٥ ــ لقد مرّ الشاعر بعاطفة قوية مشبوبة فـى هـذا النـص ، فـهذه الدرة الشـعرية الفريـدة التـى تثـير الإعجـاب ، وتبـهر الأذواق الأدبيـة ، لابـدّ مـن ورائـها عاطفـة صادقـة ، وانفعـال قـوى وإحساس مرهف ، وتجربة شعورية إنسـانية ، ونحـن نحـسّ مـن خلال النص الذى معنـا بحـرارة العاطفـة ، وصـدق المشـاعر ، ونبـض الأحاسـيس ، واسـتطاع الشـاعر أن ينقـل مشـاعره وأحاسيسه ووجدانه فى قوة وصدق ، وأن يعلـن علـى المـلأ : أن الناس إنما يُقدرون بأفعالـهم الحميـدة وشـيمهم الرفيعـة وأخلاقـهم الفاضلة وشجاعتهم فى ميدان القتال ، والشّـنفرى يتمثـل فيـه هـذه الصفات الكريمة ، ويملك قدرا كبـيرا منـها .

وما ظنك برجل شجاع فـاتك يملـك هـذه الصفـات ، فرضـت عليه الظروف القهرية أن يعيش مع الذئـاب والنمـور والضبـاع ! فرضت عليه أن يعيش حياة الصعاليك ، فرضـت عليـه أن يعيـش بعيدا عن الناس ، بعد أن كـره المقـام بينـهم ، فرضـت عليـه أن

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٣٠ وما بعدها .

يحيا بعيدا عنهم بعد أن ذاق الذلّ والـــهوان ، وأن يحتفــظ بكرامتـــه وأنفته وكبريائه وعزته ، وأن يكون بينهم وبينـــه بُعْــد المشـــرقين .

إنها نفثة حـــارة ، وألـــم متدفـــق ، وإحســـاس بـــالظلم ، صبّـــه الشاعر شعرا يصدر عن قلب جريـــح مكلـــوم ، والشـــاعر مطـــارد من الناس ، لكنه يعتز بنفسه ، ويحـــرص علـــى كرامتـــه وكبريائـــه وأنفته وإبائه ، وينـــأى عـــن الدنايـــا والعيـــوب ، ويكـــرم نفســـه ، ويضعها فى مكانها الصحيح ، ومع ذلك يعـــانى فـــى حياتـــه آلامـــا ومصاعب لا حصر لها مـــن المطـــاردة والجـــوع القـــاتل والظمـــأ الشديد ، والبرد القارس ، والحـــرّ اللافـــح ، يفـــترش الأرض فـــى الصحراء القاحلة ، ويلتحـــف الســـماء ، ليـــس عليـــه ثيـــاب تقيـــه قشعريرة البرد أو لسعة الحـــرّ ، وفـــوق هـــذا فـــهو مطـــارد لأنـــه يعيش على السلب والنهب ويحمل الثارات التـــى عليـــه ، ومـــن ثَـــمّ فقد انفعل الشاعر بكـــل هـــذا ، وصاغـــه شـــعرا مليئـــا بالعاطفـــة الصادقـــة ، والوجـــدان المفعـــم بـــالآلام ، والمشـــاعر الفياضـــــة والأحاســـيس النابضـــــة ، بالمعـــــانى الإنســـانية ، والأفكـــــار الجليلة الســـامية .

٦ ـــ من خلال دراستنا لهذا النص يمكـــن أن نقـــول : كـــان شـــعر الشّنفرى ممتازا متفوقا على شعر الصعاليك ، بـــل أهـــم مـــا يمـــيز شعر الشّنفرى ، أنه كان متفوقا على غـــيره مـــن الشـــعراء ، وهـــذا

الأمر يبدو واضحا فى ناحيتين :

إحداهما : دقة الحسّ بصورة تثير العجب ، حيث نجد الشّنفرى كثيرا ما يركز إنتباهه وحواسه ليلتقط شيئا قلما يأبه له غيره من الشعراء بالوقوف عنده ، أو الاهتمام بوصفه والحديث عنه ، وكثيرا ما اهتم الشّنفرى بمثل هذه الأشياء التى قد يراها غيره تافهة أو يسيرة الشأن ، أو ليس فيها مادة شعرية تدعو إلى الوصف والتعبير ، فنراه مثلا فى (لامية العرب) يقف بشاعريته عند سرب من النحل ، ويصفه فى إبداع وإتقان ، ويرسم صورة كاملة للسرب على الرغم من إيجازها لحياة هذا السرب ، ونجد دقة حسّ الشّنفرى فى مواضع كثيرة منها : وصف الذئاب حين يقسو عليها الجوع ، وكيف أن الذئب خرج يبحث عن طعامه ، وبعد أن أعياه البحث والجهد وقسا عليه الجوع ، عوى مستعينا ومستغيثا بفصيلته من الذئاب فأجابته ذئاب جائعة ، ونراه يصف نحول أجسادها ، ولون وجهها الذى يشبه الشيب ، ومقدمة هذه الوجود التى تشبه السهام وهكذا .

وكان الشاعر مفتونا بالقوس أشد الفتنة ، فقد بلغ من إفتتانه بقوسه أن رصد كل حركاتها ، وتابع بحاسته الدقيقة حتى صوتها ، ونراه يبين أوصافها المتعددة : فى شكلها وتركيبها

وأجزائها ، والمادة التى صُنعت منها ، ونحـــو ذلــك .

وهكذا نجد هذه الدقة المتناهية واضحة فـــى شـعره ، وبخاصــة فى لامية العــرب .

والأخرى : تركيزه على العمـــق النفســى ، بمعنــى أن المتــأمل فى شعر الشّنفرى ، يلحظ أنه لا يكتفى بمجــرد الوصــف أو إبــراز الموقف ، أو تحديد صفـــات ظــاهرة ، وإنمــا يحــاول بتركــيز أن يبرز للسامع نفسية الذى يدور حوله الحديـــث ، محــاولا أن يتعمــق فى هذه النفسية ، وأن يستشف ما بـــها ، فـــهو حيــن يتحــدث عــن نفسه مثلا يهتم بأن يبرز ما تنطــوى عليــه نفســه فــى كــل حــال يتعرض للحديث عنه ، وقد تحدث عـــن ســائر أحوالـــه ، وتحــدث عن صلته بالناس حيـــن يرضـــى وحيــن يســخط ، وتحــدث عــن حياته المعيشية ، وتقلبه بين أحوال وملابســات عديــدة ، وفــى كــل هذا لا يكتفى بوصف حاله أو حال ما يحيــط بــه ، بــل نــرى مــا تختلج به نفسه ، وما يصطرع فيها حيـــن يكــون هنــاك صــراع ، فيتحدث عما يراود نفسه من قلق ووســـاوس أو توجــس وانفعــال ، وما يعانيه من صراع نفسىّ رهيب بيـــن ألــوان شــتى مــن جــوع وهموم ومخــاوف[1] .

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ٦٧ وما بعدها .

تعليق عام على النص :

١ ـ هذا النص يعد من عيون الشعر العربي ، وفريدة من فرائده ، ولهذا أطلقوا عليه (لامية العرب) وفيه سجل لبيئة الصحراء في الجاهلية ، ونظام حياتها ومناخها في الصيف والشتاء ، وتقاليد فئة الصعاليك فيها .

ونلاحظ أنها تحتوى ألفاظا غريبة ، وذلك لطول العهد بيننا وبينهم ، فربما تحتاج إلى الكشف عن مفرداتها في معاجم اللغة، أما في العصر الجاهلي فقد كانت هذه القصيدة وأمثالها عادية جدا ، لأن العربية الفصحى كانت لغتهم التي شبوا ونشأوا عليها ومن خلال قراءتنا لقصيدة (لامية العرب) نخرج بنتيجتين إثنتين:

إحداهما : هذه القصيدة إنعكاس كامل لحياة الصعلكة والفتوة في الجزيرة العربية في الجاهلية ، حيث تغنى الشاعر بالشجاعة والبطولة والجلد والصبر في مقاومة الشدائد وما تفرضه طبيعة البيئة الصحراوية القاحلة الجافة من متاعب الجوع والعطش والحر الشديد والبرد القارس ، ومتاعب النوم والمطاردة الدائمة للصعاليك ، واعتماد الشاعر الصعلوك على نفسه في مواجهة أعدائه ، الذين أوقع بهم ، أو قضى على بعض منهم ،

واستغناء الشاعر فى هذا المجال بإخوانـــه فـــى الفتـــوة والصعلكـــة عن أهله الآخريـــن .

والأخرى : أن هذه القصيدة نظمت بلغة قريـــش ، شـــأنها فـــى ذلـــك شأن المعلقات التى علقـــت فـــى جـــوف الكعبـــة المشـــرفة ، علـــى الرغم من أن الشنفرى من قبيلة (أزد شنوءة) التـــــى تختلـــف لهجـــة أبنائها عن لهجة القريشيين ، مما يدل علـــــى ســـيادة لغـــة قريـــش ، وأن الشـــنفرى نظمـــها بـــهذه اللغـــة ، ليضمـــن لـــــها الذيـــوع والإنتشـــار[1] .

٢ ــ أحيانا نرى فى شعر الشـــنفرى بعـــض المبالغـــات الشـــعرية ، فهو يبرز صورا من المعاناة فوق ما يحتملـــــه البشـــر ، وفـــوق ما يتصوره الناس ، وعلى الرغم من تصويـــره للمعانـــاة يفـــوق ما يتوقعه أى تصور ، إلا أنـــــه يمتـــاز فـــى مبالغتـــه بـــأمرين بالغى الدقـــة:

إحداهما : إعتماده على الحجة والمنطـــق العقلـــى ، حيـــث يعـــرض ما يبدو بالغ الإغـــراق فـــى المبالغـــة ، أو الوهـــم ، ولكنـــه يردفـــه بالدليل والحجة والبرهان ، فيذهب عنـــه الغرابـــة ، ويجعلـــه إن لـــم يكن واقعيا ، فعلى الأقل ليس غريبـــا علـــى العقـــول التـــى تفكـــر ،

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـــ ١٠٨ وما بعدها .

كما يدعى أن الوحوش الضارية . هى التى تستحق أن تسمى أهلا دون الناس ، ويستحق أن يعاشرها ويتخذها سكنا له ، ولكنه يقيم الدليل على صحة ما يقول ، ويتم له إلغاء الغرابة من هذه الدعوى ، ومن ذلك أن الوحوش لا تذيع بينها سرا ولا يخذل بعضها بعضا كما يفعل الناس .

وثانيهما : إعتماد الشنفرى على واقعية التصوير ، فإنه كثيرا ما يعرض صورا لذلك تبدو وكأنها وهم يشبه المستحيل ، ولكن إعتماد الصورة على الواقعية يذهب عنها كل غرابة ، وذلك كإدعائه إنه حينما يعدو ويسرع فى الجرى يحدث حول قدميه أمران عجيبان :

أحدهما : أن يتطاير شرر النار من حولهما .

والآخر : أن تتفتت الحجارة الصلبة من حولهما وتتناثر فى كل مكان ، وهى صورة تبدو فى ظاهرها مغرقة المبالغة ، ولكننا لو تأملنا الواقع لوجدنا الصورة عادية واقعية فإن سرعة العدو والجرى ، تدفع الحجارة الصغيرة أمامه ، فيصطدم بعضها ببعض ، فيحدث شرر النار وتفتت الحجارة ، وقد صور القرآن الكريم وهو فى قمة البلاغة والفصاحة ، هذه الصورة عن الخيل ، فقال عز من قائل : (والعاديات ضبحا فالموريات

قدحا)[١] والشنفرى كان باتفاق العلماء والروايات أسرع من الخيل ، فلا غرابة أن يحدث حول قدميه فى العدو أشد مما يحدث حول أرجل الخيل ، لأن الأرجل ليست هى التى تحدث هذه الآثار ، وإنما يحدثها تدافع الحجارة واصطدام بعضها مع بعض[٢] ، وهكذا جعل الشنفرى مبالغاته الشعرية أقرب إلى القبول باعتماده على الحجة والمنطق ، وإعتماده على الواقعية فى التصوير والتعبير .

"والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله"
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

أ.د / على محمد طلب
أستاذ الأدب والنقد
وعميد كلية اللغة العربية ـ أسيوط

---

(١) سورة العاديات ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٦٦ .

من أسرار نظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور

أحمد عبد الجواد محمد عكاشه

أستــاذ البلاغـة والنقــد

ووكيل كلية اللغة العربية بأسيوط

من أسرار نظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الجواد محمد عكاشه
أُستاذ البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بأسيوط

نحمده جل ثناؤه حمداً يستدر أفاويق نعمائه، ويستدفع أهاويل بلائه ونصلي ونسلم على سيّدنا محمد صفوة الخلق ورسول الحقّ ، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين.

عن العالم الجليل والفقيه الزاهد ـ مالك بن دينار ـ وقد قيل له: إنّك تعتزل الناس وتجلس وحدك وكأنك ترى نفسك فوق الناس فأجابهم ـ رضى الله عنه . قائلاً : إنّي لا أجلس وحدى وإنما أجالس ربى فإن شئتُ أن أناجِيَه دخلتُ فى الصلاة وإن شئت أن يناجينَى قرأتُ القرآن(١) .

ولم لا ؟ وهو كلام الخالق ، مُعجزة خالدة ، مُستمرة لن تنفد، مشرقة لن تغربُ وإن غربت الشمس ، مُضيئة لن تأفل وإن أفلت النجوم ، دائمة لن تَخلق وإن خلق الكون ، ليس من سبيل لجحودها ، لأنها مرئية بالبصر ، مسموعة بالأذن ،

(١) مع القرآن الكريم حول جزء تبارك حـ١٣ ، فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، ط المدنى

ملموسة باليد ، متدبرة بالعقل، قال عنه الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم من الرسول العظيم مخاطبا قومه : فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مِنّى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن ، فو الله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا . والله إنّ لقوله الذى يقوله لَحَلاوة وإنه ليحطّم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يُعلى . قال له أبو جهل والله لا يَرضَى قومُك حتى تقول فيه . قال : فَدَعْنِي حتى أفكر فيه . فلما فكّر . قال : إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ يُؤثَر[١].

وصور الله حالة القساوسة الرُّهبان فى سيطرة القرآن على جميع جوارحهم فقال : (وَإذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ...)[٢] وسر الإعجاز فى قوله تَفِيضُ من الدَّمع ، والفَيْضُ هو مِلْءُ الشئ حتى يطلع ما فيه من جوانبه وهو من إقامة المُسبب مقام السبب وهى المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تَفِيض .

ويقول عنه ابن مسعود "لا يَنفَه ولا يَتَشَانّ" وقال : إذا

---

(١) فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، ص ٣٧٥٦ ، ط دار الشروق ، الآية رقم ٢٤ من سورة المدثر.

(٢) بعض آية من سورة المائدة : رقم ٨٣ ، وانظر الكشاف للزمخشرى ، جـ١ ، ص ٢٧١ .

وقعت في آل حم وقعتُ في رَوْضَاتٍ دَمِثاتٍ أتـــأنقُ فيــهِنّ أي أتتبَّــعُ مَحَاسِــنَهُن "(١).

وهذا أبو العلاء المعرى يبرز سِرًّا من روعـــة القــرآن وجمـــال نظمه، حيث يقول "هذا الكتاب الذى جــاء بـــه محمــد ـ صَلَّـــى الله عليه وسلم . كتابٌ بهر بالإعجاز .ولقـــيِ عــدوه بالإرجـــاز ، مـــا حُذيِ على مثال. ولا أشبه غريب الأمثال ، مـــا هــو مــن القصيــد الموزون(٢) ، ولا فـــى الرجــز مـــن ســـهل وحــزون ، ولا شـــاكل خِطابة العرب ، ولا ســـجعَ الكهنـــة ذوِى الأرَب ، وجـــاء كالشـــمس اللائحة نُورا للمُسِرة و البائحـــــة..." .

ولم تقف الروعة عنــد الإنــس فحســب بـــل اســـتحوذت علـــى قلوب الجن حيث عبّر الخالق عنهم (وَإِذْ صَرَفْنَـــا إِلَيْـــكَ نَفَـــرًا مِـــنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَـــرُوهُ قَـــالُوا أَنصِتُـــوا فَلَمَّـــا قُضِـــيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا ســـَمِعْنَا كِتَابًـــا أُنـــزِلَ مِـــنْ بَعْدِ مُوســـَى مُصَدِّقًـــا لِّمَـــا بَيْـــنَ يَدَيْـــهِ يَـــهْدِي إِلَـــى الْحَـــقِّ وَإِلَـــى

---

(١) تفِه الشئ صار تافها حقيرا ، وتشان الجلد يبس أو تشنج ، وانظر دلائل الإعجاز للإمـــام عبـــد القاهر الجرجانى ، ص ٣٨٨ ، تحقيق الأستاذ محمود شاكر ، ط الخانجى .

(٢) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، ص ٤٧٢ ، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن ، ط دار المعـــارف، مع القرآن ص ٤٩ على النجدى ، دار المعارف .

طَرِيقٍ مُسْتَقِيم)[١].

هذا بعض من وصف المخلوق فى كلام الخالق فكيف بوصف الخالق العظيم فى كتابه الكريم (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ)[٢]. (الحَمْدُ لِلَّهِ الذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأساً شَدِيداً)[٣] . والعِوَجُ يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون فى أرض بسيط يُعرف تفاوته بالبصيرة والدين والمعاش ، كما يقول الرَّاغب ، وفى قوله (قَيِّمًا) تأكيد لنفى العوج فُرُبَّ مستقيم مشهود له بالإستقامة ولا يخلو من أدنى عِوَج عند السير، وقيل قَيِّمًا على سائر الكتب مُصَدقاً لها شاهداً لصحتها ...".

وقال سبحانه (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)[٤].

هذا هو القرآن كتاب الله الناطق ، وخلق الله كتابه الصامت،

---

[١] الآيتان من سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٠ .

[٢] بعض آية من سورة الزمر : ٢٨.

[٣] آية رقم ١ وبعض آية ٢ من سورة الكهف وأنظر الكشاف حـ١ ص ٥٦١.

[٤] بعض آية من سورة الزمر رقم ٢٣ ، وأنظر فضائل القرآن للدكتور على العمارى حـ١ ص ٥٧ ، وكتاب التعريفى فى القرآن حـ١ ، د/ إبراهيم الخولى .

ومَوئِلُ الكتابين واحد: (ألاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ)[١].

الكتابان ينطقان بقدرة الخالق (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)[٢] (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)[٣] رسالتهما واحدة .

(فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور)[٤] (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ)[٥].

قرآننا الكريم يَدعونا إلى تأمل الكون وكشف أسراره وأسراره آيات على قدرته (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ)[٦]

هذا الكون يَضم أسراراً تكتشف فينطق الكتاب الناطق بما يحكيه من أسراره (سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ)[٧]. (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ

(١) الأعراف رقم ٥٤.

(٢) الملك رقم ٣.

(٣) النساء رقم ٨٢.

(٤) سورة الملك رقم ٣ .

(٥) من سورة النساء رقم ٨٢ وسورة محمد ٢٤.

(٦) يونس رقم ١٠١.

(٧) فصلت رقم ٥٣.

شيء)(١). (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُــــزِّلَ إِلَيْــهِم)(٢).

هذا التبيان لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلــق علــى كــثرة الــرد ، كلام لا يدانيه كلام سواه فــي بَراعــة نظمــه ، وحــلاوة منطقــه ، وائتلاف فواصله ، وإحكام تقاســيمه ومتانــة نســجه ، هــو مــاضٍ وحاضر ومســتقبل .

يُعرب الخطابى عــن ســيطرة القــرآن الكريــم علــى القلــوب وروعة بيانه في الصُدور بأنــه كــان ومــا يــزال مُعجــزا بــاللفظ والمعنى . حيث يقول(٣) فالقُرآن إنمَّــا صَــارَ مُعْجِــزا لأنــه جــاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظــوم التــأليف مُضمنــا أصــح المعــانى من توحيد له عزَّت قدرته ، وتنزيه له فــي صفاتــه ، ودُعــاء إلــى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته واضعــا كــل شــئ منــها موضعــه الذى لا يرى شئ أولى منـــه ... .

وأعلم أن عَمُود هذه البلاغة في وضع كُــلّ نــوع مــن الألفــاظ التي تشتمل عليها فصول الكــلام موضعــه الأخــص الأشــكل بــه الذى إذا أبدل غيره جاء منه : إما تبدل المعنــى الــذى يكــون فيــه

(١) النحل رقم ٨٩.

(٢) من سورة النحل رقم ٤٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابي ص٢٧، ٢٩ ضمن ثلاث رسائل ، ط دار المعارف بمصر .

فساد الكلام ؛ وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة. فقد جاء القرآن فى نظمه البديع وتأليفه العجيب مُقْتَناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعجز عنه البشر .

ثم يُردف الخطابى فى تحليل بيانه وتفتح أكمامه ودفع شبه قد يَرد ، وأن لكل كلمة خاصية تتميز بها عن صاحبتها ... حيث قول : "ذلك أن فى الكلام ألفاظا متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب وذلك كالعلم والمعرفة والحمد والشكر والبخل والشح . وَمِنْ وَعَنْ ونحوهما من الأسماء ...

فالعلم والمعرفة وإن اشتركا فى الدلالة العامة إلا أنهما يفترقان فى دقائق . تقول عَرفتُ الشئ وعلمته إذا أردت الإثبات الذى يرتفع معه الجهل ولكن فى (عَرفْتُ زيدا) يقتضى مفعولا واحدا ، وعلمت يقتضى مفعولين تقول (علمت زيدا عاقلا) فالمعرفة تستعمل خُصوصا فى توحيد الله تعالى وإثبات ذاته لذلك تقول (عَرفتَ الله) ولا تقول (عَلِمتُ الله) إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات . تقول (علمت الله قَادِرا وعلمته سَميعا) . فحقيقة العلم ضده الجهل والمعرفة ضدها النكرة ، وكذلك الحمد والشكر يشتركان فى الثناء المطلق . تقول (حَمَدتُ زيدا)إذا أثنيت عليه فى أخلاقه ومذاهبه وإن لم يكن سبق إليك

منه معروف ، وتقول (شَكَرتُ مُحَمَّدا) إذا أردت جزاءه على مَعروف أسداه إليك ، والحمدُ يكون قولا فقط والشُكر يكون قولا ويكون فعلا كقوله تعالى (أعملُوا آلَ دَاودَ شُكْرا)[١] .

ويوضح الفرق بين الشُّح والبُخل فقد يظن أنهما يتواردان على معنى واحد والصواب أن بينهما خلافا ، فالشُّح هو مَنَع الحق ظلما والبخل ما يَجده البخيل في نفسه من الحزازة عند أداء الحقوق وإخراجهما من يده .

وهكذا يكشف الرقائق التي تنضم في هذا النظم الكريم فيوضح الفرق بين دُخول الفعل على عَنْ وبين دُخوله على إلى التي خفيت على أحد أعلام اللغة وهو القبيّى في قوله عَزَّ وجل (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكرِ الرَّحمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا)[٢] .

زعم أنه من قوله "عَشَوتُ إلى النَّار أعشو إذا نظرت إليها" فغلطوه في ذلك وقالوا : إنَّ المعنى مَنْ يُعرض عَنْ ذكر الله نُقيض له شيطانا يصرفه عنه . فالفعل عَشَا إذا جاءت بعده (إِلى) أفادت النظر والإقبال إلى الشئ فهم يقولون : عشوتُ إلى الشئ إذا نظرت إليه ويقولون عشوت عنه ، إذا أعرضت. ومعناه إذا دخلت عَشَا على عَنْ أفادت الإنصراف والإعراض .

---

[١] المصدر السابق ، ص٣٠ ، بعض آية من سورة سبأ رقم ١٣.

[٢] من سورة الزخرف رقم ٣٦ ، الخطابي ص٣٣.

ومثل ذلك ما وقع لأبى العالية الرياحى حيث قال له رجل: يا أبا العالية يقول الله تعالى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)(١) ما هذا السهو ؟ قال : الذى لا يدرى عن كَمْ ينصرف عن شفع أو عن وتر ، فقال الحسن : مَهْ يَا أبا العالية، ليس هذا بل الذين سهوا عَنْ ميقاتيهم حتى تفوتهم . قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل (عَنْ صَلَاتِهِم) ؟ قَالُوا : إنما أتى أبو العالية فى هذا حيث لَمْ يفرق بين حرف (عَنْ) وحرف (فِي) فتنبه له الحسن فقال : ألا ترى قوله (عَنْ صَلَاتِهِم) يريد أن السهْو الذى هو الغلط فى العدد إنما هُو يَعْرِضُ فِى الصَّلاة بعد مُلابستها ، فلو كان هو المراد لفعيل : فِى صَلَاتِهِم سَاهُون) فلما قال عَنْ صَلَاتِهم دَلّ على أن المراد به الذهاب عَنْ الوقت .

ومن لطيف هذه الضرب ما خفى على عربى صريح ، ما رُوى أن أعرابيا قال لِرسُول الله ــ صَلَّى اللَّه عَلَيهِ وَسَلَّم : عَلِّمنى عَمَلا يدْخِلنى الجَنّة . فقال : أَعتِقْ النَّسَمَةَ وَفُك الرَّقَبَةَ . قال الأعرابى : أوَ ليسا واحدًا ؟ قال : لاعِتْقُ النَّسَمَةِ أن تَتَفَرَّدَ بِعِتقها وَفك الرَّقبة أن تُعين فى ثمنها ، فالعتق الذى هو الأصل فى التحرير واقع على النَّسمة كلها وفك الرقبة ليس نَصًّا فى

(١) من سورة الماعون رقم ٥ ، الخطابى ، ص٣٥.

هذا المعنى وإنما هو أشبه بالعوْنِ المالى الذى يساعدوه فى العتق ولا يستقل به . ويضيف شيخُنا أبو موسى معلقا فى قوله[١] ألا ترى أن كلمة الفَك تستعمل فى كلامهم فيما دُون الكسر فى انفساح القدم وانفراج المنكب استرخاء ، فليس فى أصل معناه فصل وإبانة ، فالمعنى فى الحديث أنه يفك الرقبة فقط ولا يحلها، أى لم يرسلها حُرة ، وإنما يفك بمقدار ما يعين فى ثمنها فكلمة فَك الرقبة استعملت مَجازا فى العِتق ولكنها هنا جاءت لاحقة له فكان ذلك قرينة على عدم إرادة خلاف معناها ، أى على إرادة الحقيقة[٢] .

وهكذا يكشف الخطابى عن دقة مناحى البيان وصعوبة الولوج إلى دقائق اللطائف وأن ذلك لا يكون طريقا سهلا وأن مُراعاة هذه الفروق لا تتوفر فى نَصّ مِنَ النصُوص كما تتوفر فى القرآن الكريم ، فقد رُوعيت فى كل كلمة وحرف فيه ثم ينطق الخطابى كى يُبرز أسرارا عميت عن بعض القوم الذين لم يدركوا أسرارا فى نَظْم القرآن وأن لكل كلمة مَكانا لا تصلح غيرها فيها ، فيذكر زَعما من هذه المزاعم فيقول "فإن قِيل إنا لا نسلم لكم ما ادعيتموه من أن العبارات الواقعة فى القرآن إنما

---

(١) الإعجاز البلاغى ص٥٩ ، مكتبة وهبة ، د/ محمد أبو موسى .

(٢) بيان اعجاز القرآن للخطابى ، ص ٣٨-٣٩.

وقعت فى أفصح وجوه البيان وأحسنها وذلك لوجود أشياء منها بخلاف هذه الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها .

وذلك كقوله تعالى (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)[١] وإنما يستعمل فى مثل هذا فى فِعْل السِّباع خُصُوصا الافتراس ، يقولون (افترسه السبع) هذا هو المختار الفصيح فى معناها فأمَّا الأكل فهو عام لا يختص به نوع من الحيوان دون نوع يريدون بذلك أن استعمال كلمة (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) غير مناسبة للمعنى وأن المعنى المناسب افترسه الذئب ويدفع الخطابى هذه الفرية بقوله : إن الافتراس معناه فى فعل السبع القتل حَسْبُ وأصل الفَرْس : دَقّ العُنق ، والقوم أبناء يَعقوب عليه السلام إنما ادَّعوا على الذئب أنه أكله أكلا وأتى على جَميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مَفْصِلا ولا عَظْما ، وذلك أنه خافوا مُطالبة أبيهم بأثرٍ باق منه يشهد بصحة ما ذكروه فادَّعوا الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة.

والفَرْسُ لا يعطى تمام هذا المعنى فلا يَصلُح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل وهذا وَارِدٌ فى كلام العرب فى شعرهم ونثرهم .

---

[١] بعض آية من سورة يوسف رقم ١٧ ، الخطابى جـ١ ٤١.

ويجرنا حديث الأكل إلى تذوق النظم القرآن في قوله عز وجل : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)[١] . هذه الآية تأكيد للزجر والتهويل في شأن اليتامى وأكد ذلك بما رسخ في نفوسهم من الاستهانة بأموالهم بالجملة الأسمية الداخلة عليها إن المخبر عنها بالفعل المضارع الدال على التجدد والأكل في الحقيقة ابتلاع الطعام ثم استعير للانتفاع بالشئ وأخذه بحرص والأكل أقوى أحوال الاختصاص بالشئ لأنه يحرزه في داخل جسده ولا مطمع في إرجاعه ، وعبر بلفظ الأكل لأنه أزجر وألذع وذلك أن وجوه الإنفاق الأخرى من ملبس ومسكن مما لا يشارك الإنسان فيه غيره لأنها من متصرفات الإنسان خاصة لكن الأكل هو الصفة المشتركة بين الإنسان والحيوان والفرق في هذه الصفة المشتركة أن الحيوان يأكل ما يقع تحت فمه غير ناظر إلى أنه من حقه[٢] أو أنه من حق غيره . أما الإنسان فإنه لا يأكل إلا ما كان من حقه لأنه هو المكلف بالشرائع فإذا ما أكل من حق غيره يكون قد هدم الحد الفاصل بينه وبين

---

[١] الآية من سورة النساء رقم ١٠.

[٢] أنظر خلاصة ما قيل في عناية القاضي ، ج٣ ، ص١١٠ ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ٤ ، ص ٥٤ ، ط التونسية الشيخ الطاهر .

الحيوان. ثم تأمل الإضافة الموجودة في قوله أموال اليتامى وكيف ضربت على الأموال خيمة من البؤس واليتم والمسكنة ، وما يبعثه في نفس ذي المروءة وما تحمله من التنفير والتشنيع على هذا الآكل وانتقل إلى الحال الموجودة المقيدة بقوله (ظلماً) وما توحي إليه من حشية الأكل الذي يظلم اليتيم وهو في حالة من الضعف والعجز وقلة الحيلة[1]. وانتقل إلى القصر النابع من إنما التي تكون مع الخبر الذي لا يُدفع ولا يجهل . و التعبير بقوله في بطونهم والأكل لا يكون إلا في البطون للتأكيد والإيضاح والتنفير من هذا العمل . ودقق في المجاز الذي يوحد في قوله (ناراً) والتنكير الذي يدل على التعظيم وهي مجاز مرسل من ذكر السبب وإرادة المسبب ، وقيل : النار مستعار للألم أو مستعار للتلف ثم العطف في قوله، وسيصلون سعيراً وهي مرادف وتأكيد للجملة الأولى والسين حرف تنفيس أي استقبال وهي تدخل على المضارع فتمحضه للاستقبال سواء كان استقبالا قريباً أو بعيداً وهي تفيد الوعيد والصلى الإيقاد بالنار والسعير النار الملتهبة وهي فعيل بمعنى مفعول ، وهكذا كلما ازددت تمكناً وإخلاصاً في صفة البيان ازددت إدراكاً للأسرار المنطوى عليها هذا التبيان وتلك منة يمنها على من

---

[1] الإعجاز البلاغي ص٣٦ـ٣٧ ، د/ محمد أبو موسى ، ط وهبة .

يشاء من عبـاده .

ويردى الخطابى ما قيل فـــى قولــه تعــالى : (وأنطلــق المــلأ منهم أن امشوا واصبروا)[١] فهم يقولون إن المشى فـــى هــذا ليــس أبلغ الكلام ولو قيل بدل ذلك (امضـــوا) أو (انطلقـــوا) لكـــان أبلــغ وأحسن. وفليجيب : بأن المشى فـــى هــذا المقــام أولـــى وألصــق بالمعنى ذلك لأنه إنمـــا قصــد الاســتمرار علـــى العــادة الجاريــة ولزوم السجية المعهودة ، فى غير انزعـــاج منـــهم ولا انتقـــال عــن الأمر الأول ، وذلك أن المشى أشبه بالثبات والصـــبر المـــأمور بـــه فى قوله تعالى (وأصـــبروا علـــى آلـــهتكم) والمعنـــى كأنـــهم قـــالوا امشوا على هيئتكم وإلى فهوى أموركـــم ولا تعرجـــوا علـــى قولـــه ولا تبالوا به . وفى قولـــه : (مضـــوا وانطلقـــوا) زيـــادة انزعـــاج وسرعة سير لا توجد فى قوله امشوا هذا ألوان مـــن نظـــم القـــرآن بثها وكشفها الخطابى فى دلالة الكلمة مع مـــا يناســـبها ومـــا تســـند إليه.

والباقلاتى من الأعلام الراسخين ومن الأئمـــة المدققيـــن . تكلـــم عن الإعجاز القرآنى قائلاً "وليـــس الإعجـــاز فـــى نفـــس الحـــروف وإنما هو فى نظمها ، وإحكام رصفـــها ، ولكونـــها علـــى وزن مـــا

---

[١] بعض آية من سورة ص رقم ٦ الخطاب ص٤٣.

أتى به النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وليس نظمها أكثر من أن تكون متقدمة ومتأخرة ووجود بعضها قبل ووجود بعضها بعد بعض..."[١].

كشف ذلك في تحليلات وافية وتطبيقات شافية . حيث قال : "تأمل قول الله (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم). انظر إلى هذه الكلمات الأربع التى ألف بينها. وأحتج بها على ظُهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كل كلمة منها فىنفسها غُرة ومُفردها درة ؟ وهو مع ذلك يبين أنه يصدر عن علُو الأمر ، ونفاذ القهر ، ويتجلى فى بهجة القدرة ويتحلى بخالصة الفزة ويجمع السلاسة إلى الرصانة ، والسلامة إلى المتانة ، والرونق الصافى ، والبهاء الصافى ، ولست أقول إنه شمل الاطباق المليح[٢] والإعجاز اللطيف ، والتعديل والتمثيل ، والتقريب والتشكيل ، وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خُطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فإذا ألفت ازدادت حسنا وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا.

---

[١] إعجاز القرآن للباقلانى فى ص٣٥ــ٤٧ ، الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٢٢ ، تحقيق د/ عبد القادر حسين.

[٢] اعجاز القرآن للباقلانى ، ص ٢١٥ ، تحقيق د/ خفاجى ، ط صبيح .

الباقلانى صاحب قلم يفيض رحيقا ولينا سائغا يستحوذ على لبك فيرسلها غرة ويجعلها درة من غير أن يشخص لك هذا الأمر وَيُقعّد لك هذا الطريق فيكشف لك مواطن الحسن وفقه الكلمات التى تنبئ عن هذا الحسن ونظم الكلمات بعضها ببعض وعن سر التعبير باسم الفاعل (فَالِقُ الإِصْبَاحِ) والتعبير بالفعل (وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنا) وسر التعبير بـ (الفَلق) وعن ربط الآية بما يناسبها... ؟

(إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلكُم اللهُ فأَنَّى تُؤفَكُون . فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم)[١].

نحن أمام مشهد تصويرى وهو انبثاق الحياة القابضة من هذا الموات الهامد إنها مُعجزة الحياة نشأة وحَركة فى كل لحظة تتشق الحبة الساكنة عن نبته نامية وتتفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة ، والحياة الكامنة فى الحبة والنواة النامية فى النبتة والشجرة . هذا سر مكنون لا يعلم حقيقته إلا الله ، حياة مُتولدة متجددة ينبئ عنه التعبير باسم الفاعل ، يُخْرِجُ الحَيَّ من الميت كذلك يخرج النامى من النطف والبيض والحب والنوى ،

---

[١] سورة الأنعام : الآيتان ٩٥،٩٦.

وهذه الجملة موضحة وكاشفة ولذلك جيء بالفعل ، ثم جاء بالجملة المقابلة وهي المعطوفة على جملة (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) فقال عز وجل (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) مبدع هذا الكون هو الله وهو رَبكم الذى يستحق أن يعبد فكيف تصرفون عن هذا الحق للعقول والقلوب .

(فَالِقُ الإِصْبَاحِ) وانفلاق الإصباح من الظلام حياة تشبه فى شكلها انفلاق الحبة والنواة ، وانبثاق النور فى تلك الحركة كانبثاق النور فى تلك الحركة كانبثاق البرعم فى هذه الحركة[1] وبين انفلاق الحب والنوى وانفلاق الإصباح وسكون الليل حالة أخرى . إنَّ الإصباح والإمساء والحركة والسكون فى هذا الكون ذات صلة وشيجة بالنبات والحياة ، ذلك أن كون الأرض تدور دورتها هذه حول نفسها أمام الشمس ، وكون القمر بهذا الحجم وبهذا البعد من الأرض وكون الشمس كذلك بهذا الحجم وهذا البعد وهذه الدرجة من الحرارة هى تقديرات من العزيز ذى السلطان القادر العليم ذى العلم الشامل كل ذلك مقدر بحساب دقيق وَمُقدر فيه حساب الحياة ودرجة هذه الحياة ونوع هذه الحياة لا مجال للمصادفة العابرة فيه.

---

[1] فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، حـ٢ ، ص ١١٥٧ ، دار الشروق .

والتعبير باسم الفاعل يدل على التجدد والاستمرار فهو ليس إصباح واحد ولكنه إصباح يُولد كل يوم يَحيا ويموت ويحيا هكذا أبد الدهر لا تدل عليها كلمة (فَلَق الإصباح) فهى تَدُل على أن الصَّبح واحد لا يتجدد ولا يتغير كما عبرّ بشروق الصبح وخروج النبات من الحب بالفلق الذى يدل على الصَّدْع والتشقق كما تتشقق الأرض ، ولكنه عبّر بالجّعل فى قوله (وَجَعَلَ اللّيلَ سَاكَنا) والجعل هنا خَلَق ولكنه خَلق ساكن هادئ والشمس والقمر قد عرضا هنا فى معرض وظيفى حيث يعرف الشمس وجهيهما عدد السنين والحساب.

ومرة أخرى تُفيد التدبر والتأمل فى الآية الكريمة . قال الخالق فى الآية السابقة (فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى) ولم يقل فى الثانية (فالِقُ الإصْباح وَالليل) فيكون فى هذا تجانس[1] وتقابل وتوازن فكما يولد النهار من الليل يُولد الحيّ من الميت ، وبهذا تتم المقابلة بين الآيتين (يخْرِجُ الحَىَّ مِنَ الميِّت) (وَيخْرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَيّ) يقابلها (فالِقُ الإصباحِ والليل) بمعنى يُخرج النهار من الليل ، ويخرج الليل من النهار ، هكذا يبدو ظاهر الأمر سُوى على تلك الصورة التى يظهر فيها التطابق والتوافق السطحى .

---

[1] إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ص٢١٥–٢١٦ ، ط دار الفكر .

هذا تفكير المخلوق البشرى ولكن عند فهم الأمر السوي والتأمل العقلى والإرادة الحقة وأن تنزل منزل النور فإنه يتنزل عليها من آيات الله ما يرفع خسيسها ويحيى مواتها ويبث أشواقها إلى الملأ الأعلى (فالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعل الليلَ سَكَنا) فالفَلَقُ لا يكون إلا عَنْ ولادة ولا ينجلى إلا عَنْ حياة ، إصباحٌ يلد صُبحا ، وصُبح يُسفر عن نهار وحياة وحركة دائبين فى الوجود (وَجَعلْنَا الليل لِبَاساً وَجَعلْنَا النَّهارَ مَعَاشا)(١) كان من قدرة القادر أن جعل حركة الكون موافقة لحركة الأحياء ، وكما أودع الإنسان سر النوم والسبات بعد العمل والنشاط فكذلك أودع الكون ظاهرة الليل ليكون لباسا ساترا يتم فيه السُّبات والانزواء ، وظاهرة النهار(٢) ليكون معاشا تتم فيه الحركة والنشاط ، بهذا توافق خلق الله وتناسب وكان هذا العالم بيئة مناسبة للأحياء تلبى ما ركب فيهم من خصائص ، وكان الأحياء مزودين بالتركيب المتفق فى حركته وحاجاته مع ما هو مودع فى الكون من خصائص وموافقات ذلك تقدير العزيز العليم . واسم الإشارة تومئ إلى هذا التنويه بهذا التقدير . وذلك الحسبان وأنه لا يكون إلا تقدير عزيز غالب على الأشياء كلها لا يَعْزُب عن علمه

---

(١) الآيتان من سورة النبأ رقم ١٠ـ١١.

(٢) أنظر فى ذلك : فى ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، جـ٦ ص ٣٨٠٥ ، ط دار الشروق .

شئ. إنَّ هناك لطائف كثيرة لا تزال مَكمُونة تنتظر من ينظر ويعقل ويفقه ويتدبر . هذه آيات وسمات تدعو إلى النظر والتأمل وسير ما فى لطائف القرآن الكريم وأسرار نظمه وتذوق هذا الجمال يحتاج إلى استعداد فطرى وطبيعة خاصة ذات حس مُرهف وذكاء لماح وعلى وعى كافٍ بتراث هذه اللغة العربية ، لذلك يقول الخطابى[1] :

" وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعانى وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها البيان" .

لذلك ترى العلماء فى تتابعهم لدراسة هذه الأسرار قد تعددت بهم المسالك التى سلكوها إلى عنايتهم فنظر كل منهم إلى القرآن الكريم من جانب رأى من خلاله بعض دلائل الإعجاز واهتدى إلى شئ من أسراره حسب عطاء الله له ، وتبعا لموهبته وصفاء قريحته ، فألفت كتب فى إعجازه وكتب فى قراءاته ، وكتب فى غريبه ، وكتب فى مجازه ، وكتب فى تأويله ، وكتب فى ناسخه ومنسوخه ، وكتب فى الوقت[2] والابتداء ، وكتب فى الاحتجاج لقراءاته وما شذ فيها وما لم

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابى ، ص٣٦ ، ط دار الفكر .

(٢) مع القرآن الكريم ، ا/ على النجدى ناصف ، ص٥٦ ــ ٥٧ ، دار المعارف .

يشد ... وغير ذلك كثير إنه ليثير الآن وسيظل يثير إلى يوم الدين بحوثا . ويوحى بمقالات لا حصر لها كشفا عن أسراره وإثباتا لإعجازه .

لهذا لا يشق علينا أن نفهم عن أسلافنا ونتذوق جمال الفن فيما ورثوه لنا من المنثور والمنظوم على مر العصور وتلك مزية نادرة ونعمة سالفة أن يستقيم لأمة يتصل آخرها بأولها ويقوم حاضرها على أساس من ماضيها فتظل أبد الدهر أمة عتيقة عريقة ، وبنية متماسكة متكاملة .

وعلى قدر صلة المرء بالقرآن ومدى مصاحبته له يكون حظ لغته من المعدن النقى والبيئة السليمة . لنقل إذن مع القائلين إن إعجازه بنظمه وقد قالها علماء ثقات عدول لهم باع طويل فى فهم النظم الكريم ، قالوها صريحة غير ذات خفاء ، وهى تمنح النظم القرآنى جماله وجلاله فى مقاماته التى تنظم فيه قالها الإمام : "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم فى نظمه[١] ، وخصائص صادفوها فى سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومواقعها ، وفى مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام ،

---

[١] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ، ص ٣٩ ، ط الخانجى ، الشيخ/ محمود شاكر

وتذكير وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا فى الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أخرى وأخلق ، بل وجدوا إتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما ، واتقانا وإحكاما لم يدع فى نفس بليغ منهم ولوحك بيافوخه(ملتقى مقدم الرأس) السماء موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتقول ، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول" [١].

هذا النص تقعيد لما يفصله وإشارة إلى الجهة التى يقودك بها إلى التحليل . يقول معقبا وجملة ما أردت أن أبينه لك بأن لابد لكل كلام نستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل ، وعلى صحة ما أدعيناه من ذلك دليل[٢].

ونقودك إلى تحليله فى إظهار الجمال البلاغى فى قول الله

---

[١] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهرة ، ص٨٩ ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم الخفاجى ، وتحقيق الشيخ/ محمود شاكر ، ص٣٩، ط الخانجى .

[٢] دلائل الإعجاز ص ٤١.

عز وجل (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)[١] وأن الجمال لم يكن مَقْصُورًا على الاستعارة فحسب بل في نظم الآية الكريمة من جعل الرأس فاعلا لاشتعلَ وعدوله عن أن يكون فاعله الشيب ، وتعريف الرأس وفي تفكير (شَيْبًا) . قال الإمام عبد القاهر :

"ومن دقيق ذلك وخفية أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) لم يزيدوا فيه عن ذكر الاستعارة ولم ينسبوا الشرف إلا إليها ولم يَرَوْا المزية مُوجبا سواها . هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم ، وليس الأمر على ذلك ولا هذا الشرف العظيم ولا هذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ، ولكن لأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشئ وهو لما هو من سببه، فيرفع به ما يسند إليه ، ويُؤتى بالفعل الذى له في المعنى منصوبا بعده ، مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا الثاني ، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة ، ومضمون هذا النظم الكريم (وَابيَضَّ شَعْرُ الرَّأْس) أو اشتعل شيب الرأس .

ويفسر ذلك في الأمثلة التي يكون فيها التميز محولا عن

---

[١] بعض آية رقم ٤ من سورة مريم ، دلائل الإعجاز من ١٠٠ ــ ١٠١.

الفاعل فى قولهم (طَابَ زَيدٌ نفَسا ، و(قَـرَّ عمَـرُو عيْنـا) ، و(كَـرُم أصلا ، وَحَسُنَ وَجْها) وأشباه ذلك مما تجـده الفعـل فيـه منقـولا عن الشئ الذى ما هو مـن سـببه ، وذلـك أنَّـا نعلـم أن اشـتعل للشيبى فى المعنى ، وإن كان هُـو لِلـرَّأس فـى اللفـظ ، كمـا أن طاب للنفس وقر للعين وأن أسـند إلـى مـا أسـند إليـه يبيـن أن الشرف كان لأن سَلك فيه هذا المسلك وتوخـى بـه هـذا المذهـب أن تدع هذا الطريق فيه وتأخذ اللفظ فتسـنده إلـى الشـيب صَرِيحـا فتقول (اشتعل شَيبُ الرأس) ، أو (الشيبُ فِـى الـرأس) ثـم تنظـر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامـة ؟ وهـل تـرى الروعـة التـى كنت تراها ؟ ثم يجيب على التساؤل مُـبرزا المزيـة والفضـل فـى هذا النظم فإن قلت : فَمَا السبب فى أن كـان (اشـتَعَلَ) إذا اسـتعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضـل؟ ولـم بـأن بالمزيـة عـن الوجه الآخر ؟ فإن السَّبب أنه يفيد مع لَمَعَـان الشـيب فـى الـرأس الذى هو أصل المعنى الشُّمُول وأنـه قـد شـاع فيـه وأخـذه مـن نواحيه وَعَمَّ جملته حتى لم يبقَ من السواد شـئ ، أو لـم يبـق منـه إلا ما لا يعتد به ، وهــذا مـا لا يكـون إذا قبـل (اشـتعلَ شَـيْبُ الرأس) بل لا يوجب اللفظ حينئـذ أكـثر مـن ظـهوره فيـه علـى الجملـة.

كذلك تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنـى الإضافـة مـن

غير إضافة وهى أحد ما أوجب المزيد ولــو قيــل واشــتعل رأســى فصرح بالإضافة لذهب بعض الحسن وهكـــذا عندمـــا تقــدح زنــاد فكرك تجد الوَرَيَ من هذا القــدح تَدَبّـَّر نظـم الخــالق فــى قولــه (وَفَجَّرنَا الأرضَ عُيُونا)[1] التفجير للعيــون فــى المعنــى ، وأوقــع على الأرض فى اللفظ ، كما أسند هنــاك الاشــتعال إلــى الــرأس ، وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا مثــل الــذى حصــل هنــاك وذلك أفاد أن الأرض قد كانت صــارت عُيُونــا كلــها ، وأن المــاء قد كان يفور من كل مكان منها ، ولو أجــرى اللفــظ علــى ظــاهره فقيل : وَفَجَّرنا عيونَ الأرضِ أو العُيُون فى الأرض لــم يُفــد ذلــك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فــار مــن عُيُــون متفرقة فى الأرض وبالقدر الذى يكـــون فــى النظــم الكريــم مــن صحة المعنى ، ودقته ، وجمال اللفظ واتســاقه يكــون حظــها مــن الفضل والإحسان بين الكلام . والنظم القرآنى ملــئ بــهذه الدقــائق، ولكن على حسب المقامات والأحــوال ، وينظــر مــرة ثانيــة فــى إسناد الفعل إلى ما يلابسه وهو إسناد الملابســة . يقــول فــى قولــه عز وجل (فَمَا رَبِحَت تِجَارَتهم وَمَا كَــانوا مُــهتَدِين)[2].

يقول "وهو أن يكون التجوز فـــى حكــم يجــرى علــى الكلمــة

---

[1] بعض آية من سورة القمر رقم (١٢ ، دلائل الإعجاز ص ١٠٢.

[2] بعض آية من سورة البقرة رقم ١٦.

فقط وتكون الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها[١] ، ويكون معناها مقصودا فى نفسه ومُرادا من غير تورية ولا تعريض... فليس من المجاز فى ربحت نفسها ولكن فى إسنادها إلى التجارة وأن الإسناد فيه رفع إلى العلو ومن الذى يخفى عليه مكان العلو وموضع المزية وصورة الفرقان بين قوله تعالى (فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُم) وبين أن يقال (فَمَا رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِم) ثم بين أن المزية فى الإسناد مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شُبهة ، وليست المزية فى الإعراب لأن العلم بالإعراب مُشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية . فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب والمضاف إليه الجَر بأعلم من غيره ، ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حِدة ذهن وقوة خاطر ، إنما الذى تقع الوجه فيه إلى ذلك ، العلم بما يوجب الفاعلية للشئ إذا كان إيجابها من طريق المجاز ، كقوله تعالى (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم) مما يجعل الشئ فيه فاعلا على تأويل يَدِق ومن طريق تلطف وليس يكون هذا علما بالإعراب ولكن بالوصف الموجب للإعراب ثم يؤكد مرات أن المزية فى النظم وليس فى المعنى فقط ، حيث يقول (وأعلم أنه ليس عجب أعجب من حال من

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ص ٢٩٣ — ٣٩٥ ، ص٣٩٦ — ٤٢٩ .

يرى كلامين أجزاء أحدهما مخالفة فى معانيها لأجزاء الآخر ثم يرى أنه يسسع فى العقل أن يكون معنى أحد الكلامين مثل معنى الآخر سواء حتى يقعد فيقول إنه لو كان يكون الكلام فصيحا من أجل مزية تكون فى معناه ، لكان ينبغى أن توجد تلك المزية فى تفسيره ومثله فى العجب أن ينظر إلى قوله تعالى (فما رَبِحَتْ تِجَارَتُهم) فيرى إعراب الاسم الذى هو (التجارة) قد تغير فصار مرفوعا بعد أن كان مجرورا ، ويرى أنه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه وهو الواو فى (رَبِحُوا) وفى من قولنا (فِي تِجَارتهم) ثم لا يعلم أن ذلك يقتضى أن يكون المعنى قد تغير كما تغير اللفظ.

هذا ما سجله الإمام عبد القاهر فى هذا النظم الكريم وأن المزية فى الإسناد المتجوز فيه من طريق الإسناد والملابسة وأن التجوز أعلى قدرا ومكانة من الإسناد الحقيقى ولكن أهل العلم نظروا إلى أشياء كثيرة فى هذا النظم فقالوا فى (فما رَبحِت تِجَارَتهم) رتبت الفاء عدم الربح المعطوف بها وعدم الاهتداء المعطوف عليه على اشتراء الضلالة بالهدى لأن كليهما ناشئ عن الاشتراء المذكور فى الوجود والظهور وأسند الربح إلى التجارة ونفى عنها لأن الربح مسبب عن التجارة وكان الرابح هو التاجر وإسناده إلى التجارة لأنها سببه .

والربح هـــو الفضـــل علـــى رأس المـــال ، والتجـــارة صناعـــة التاجر وهو الذى يبيـــع ويشـــترى للربـــح . وفـــى لفـــظ الاشـــتراء تجوز وهو إما مجاز مرسل لأن الاشـــتراء اســـتبدال خـــاص أريـــد به المطلق أو استعمل فـــى لازمـــه ، ويجـــوز أن يكـــون الاشـــتراء استعارة وهى تبعية ، فاســـتعير الاشـــتراء للاختيـــار والاســـتبدال ، وذلك لأن الاشتراء فيه إعطـــاء بـــدل وأخـــذ آخـــر ، ثـــم يوضـــح الزمخشرى[١] كيفية ملكهم للهدى ولم يكونوا علـــى هـــدى . قـــال : "فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى ومـــا كـــانوا علـــى هـــدى" . قلت "جعلوا لتمكنهم منه وإعراضـــه لـــهم كأنـــه فـــى أيديـــهم فـــإن تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها بـــه ، ولأن الديـــن القيـــم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل مـــن ضـــل فـــهو مـــستبدل خلاف الفطرة ، والضلالة الجـــور عـــن القصـــد وفقـــد الاهتـــداء ، واستعيرت للذهاب عن الصواب فى الديـــن . ويحلـــل الزمخشـــرى المجاز العقلى فى الآيـــة والقرينـــة الباعثـــة علـــى ذلـــك وإن كـــان مسبوقا بغيره[٢] فى هذا الأمـــر .

فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجـــارة وهـــو لأصحابـــها. قلت "من الإسناد المجازى وهو أن يسند الفعـــل إلـــى شـــئ يتلبـــس

---

(١) الكشاف جـــ ١ ص٣٩ ، ط الهيئة المصرية .

(٢) معانى القرآن للفراء ، جـــ١ ، ص١٤ ، ط الهيئة العامة للكتاب .

بالذى هو فى الحقيقه له كما تلبست التجارة بالمشترين". قال : "فإن قلت هل يصح رَبِح عبدُك وخسرت جَاريتُك على الإسناد المجازى" قلت : " نعم إذا دلت الحال فإن لم يكن حال دالة لم يصح فلو قال قائل (قد خَسِرَ عبدُك) لم يجز ذلك إن كنت تريد أن تجعل العبد تجارة يربح فيه أو يوضع ، لأنه قد يكون العبد تاجرا ، فيربح أو يوضع فلا يعلم معناه إذا ربح هو من معناه إذا كان متجوزا فيه ، ثم يوضح الزمخشرى الترشيح الموجود فى الاستعارة ومناسبة الربح للشراء فى قوله هذا من الصفة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بإشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم نر كلاما أحسن منه ديباجه وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح .

والترشيح حقيقته خُروج البلل والقطر الصغار مما يشتمل على شئ مائع ماء كان أولا وعاء كان أو غيره كالضرع ولا يختص بالجلد من الحيوان كرشح الجبين ورشح القرب"[١].

والعرب كَنَّوا به عن تربية الأم ولدها لنها ترشحه بلبنها قليلا قليلا . فقالوا : رشحت الغزالة ولدها إذا عودته المشى معها ورشحت الأم ولدها باللبن إذا جعلته فى فيه شيئا فشيئا

---

[١] عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى الخفاجى ، حـ١ ، ص ٣٥٨ ، ط بولاق

حتى يقوى على مصه ثم تجوزوا بـــه تجـوزا مبنيـا علـــى الكتايـــة عن مطلق التربية والتهيئة لأمـــر مـــا فقـــالوا ترشـــح للـــوزارة إذا تأهل لها ثم نقله أهل المعانى لمـــا يلائـــم المعنـــى المجـــازى غـــير القرينة المعنيـــة .

وهو لفظ يذكر مع المجاز يناســـب معنـــاه المـــراد منـــه ظـــاهر المعنى المجازى سواء تقدم أو تأخر ، والربـــح والتجـــارة يلائمـــان المعنى المســـتعار منـــه وهـــو الاشـــتراء وهـــذا تعضيـــد وتقويـــة للاســـتعارة.

ولا نريد أن ندع عبد القـــاهر وكتابـــه دلائـــل الإعجـــاز دون أن تلتقط شيئا آخر من جَنَى ثمرة الذى قدم لنـــا طرفـــا منـــه وإن كـــان مخالفا لما فى الإسناد من نظم إلا أنـــــه يفتـــح طاقـــات جديـــدة مـــن النور ، تزداد بها معالم الطريق وضوحـــا واســـتقامة يضـــرب عبـــد القاهر للحقائق الفنية الرفيعة مثلا لآية من آيـــات الله المودعـــة فـــى كتابه الكريم ، وهى قوله تعالى (وَجَعَلُـوا لِلَّهِ شُـرَكَاءَ الجِـنَّ)[١].

لقد نظر الإمام عبد القاهر إلى هـــذا النظـــم مـــن شـــقين : الأول فى بيان حسن النظم وما فيه من روعة ومـــأخذ مـــن القلـــوب فـــى تقديم بعض الكلمات على بعض فنظم القـــرآن فـــى قولـــه (وَجَعَلُـوا

---

[١] بعض آية سورة الأنعام رقم ١٠٠ ، دلائل الإعجاز ص٢٨٦ ــ ٢٨٧.

لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ) أفضل من إذا قلت : (وَجَعَلُوا الجِّن شُرَكاء لله) ذلك إنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء عبدوهم مع الله وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر جاء مع التقديم ، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن ، وإذا أخر فقيل (جَعَلُوا الجِنّ شُرَكَاءَ لِله) لم يفد ذلك ولم يكن فيه شئ أكثر من الإخبار عنهم بأنه عبدوا الجن مع الله تعالى . فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير (شركاء) دليل عليه ، وإذا كان شركاء متأخرا كان مخصوصا غير مطلق من حيث كان محالا أن يجرى خبرا على الجن ، ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصيد بالإنكار إلى الجن خصوصا أن يكونوا شركاء دون غيرهم جل الله تعالى عن أن يكون له شريك وشبيه بحال .

هذا الأمر من ناحية تقديم (لِلَّهِ شُركاء) على جعل (شُركاء) مفعولا أولا لـ(جعل) و ولله في موضع المفعول الثاني .

النظرة الثانية في تقدير المحذوف وجعل (الجن) على كلام ثان ، وعلى تقدير نصب الجن لفعل محذوف كأنه قيل (فمن

جعلوا شركاء لله تعالى ؟) فقيل الجن ، وفي هذا ايجاز بالحذف.

ونظم الآية الكريمة بما فيها من التقديم يكون الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق ، وحصل من ذلك اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجراه على ذلك ، كان الذى تعلق بها من النفى عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة .

ثم يختم حديثه ، طَيَّب الله ثراه ــ بأن يبصرك بجواهر كانت مكمونة وبدفائن كان مخزونة ، وبروائع كانت غائبة. حيث يقول فانظر إلى شرف ما حصل في المعنى بأن قدم ــ شركاء ــ وأعتبره[1] فإنه ينبهك لكثير من الأمور وبذلك على عظم شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإعجاز به وما صورته؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك .

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهرة ، ص٢٨٨.

والزمخشري ــ رحمه الله[١] ــ نظر إلى نصب لفظ الجن على أن يكون بدلا من شركاء أو على أن يكون مفعولا أولا لجعل ، وكشف سر التقديم في قوله (لِلَّهِ شُرَكَاءَ) وقال إن التقديم فائدته استعظام أن يتخذ لك شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء.

والاستعظام والإنكار يخرجان من مشكاة واحدة لأنهما ينبعثان من حدوث أمر عجيب منكر خارج عن الطوق المعروف.

هذه ودائع العلماء صاغوها سبائك يتحلى بها ويستضاء بنورها وهي قل من كثر وغيض من فيض من أسرار كتاب الله إذ أسراره متجددة ، وصدق الله العظيم حيث يقول (مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)[٢].

ومسك الختام صلوات وتسليمات على سيدنا رسول الله ــ محمد بن عبد الله

وكتبه الفقير إلى ربه الجواد

أحمد بن عبد الجواد بن محمد عكاشه
أستاذ البلاغة والنقد ووكيل الكلية

---

[١] الكشاف ، جـ١ ص٣٠٤.

[٢] النحل الآية ٩٦.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الرواية النوبية بين معيارى اللغة والمضمون

للأستاذ الدكتور

زهران محمد جبر عبد الحميد

أستاذ الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بأسيوط

الرواية النوبية
بين معيارى اللغة والمضمون

للأستاذ الدكتور
زهران محمد جبر عبد الحميد
أستاذ الأدب والنقد
كلية اللغة العربية بأسيوط

لا يمكن للأدب أن ينغلق مفهومه فى تعريف حاد واحد ، وذلك لأن الأدب مرآة تعكس الحياة ، والحياة المتطورة ، ولا يصلح المقنن الجامد أن يكون وعاء لمتطور بطبعه بحال ، ولذا فالأدب : رؤية وصورة تنبض بالحياة ، يتفاعل مع الكون ، ويترجم علاقة الإنسان به وبمن حوله فى آن واحد ، فهو استباق وحدس واسترجاع وتصور وغاية .

وإذا كان شهر أكتوبر سنة ١٩٦٣م ، طرقة نحاسية هائلة فى الكيان النوبى ، مثل الطرقات المسرحية التقليدية التى يلتقى بعدها المشاهدون بحياة جديدة ذات طعم مختلف تمام الاختلاف عن الحياة الأولى ، فقد رأت ثورة ٥٢ الاشتراكية أن يكون المدخل لمجتمع الكفاية والعدل هو السد العالى ، وهكذا حمل النوبيون أمتعتهم إلى الشمال غير القريب فى صحراء كوم أمبو يضحكون قليلا ، ويبكون أقسى ما يكون البكاء ، ومن خلال

هاتين العاطفتين المتناقضتين كان لابـد للأدب أن يمـارس واجبه المقدس مسجلا ومؤرخا ، وملهما وباعثا للأمـل أو ناعيا لـه[١] .

ولكى نفسر هذه العواطف المتناقضة ، لابد أن نقوم بعملية تفتيت وتجزىء تتضح من خلالها التفاصيل الدقيقة المكونة لهذه السبيكة الغريبة .

كانت بلاد النوبة تقف على الشاطئ بعد انتهاء خط السكك الحديدية فى أسوان عند الشلال الأول ، لتستقبل ركاب (البوسطة) الباخرة التى تنقل المسافرين إلى مناطق النوبة من مصر ثم إلى امتداد قراهم داخل حدود السودان .

كانت تلك السفينة التى انتهت اليوم تماما من حياة النوبى مع انتهاء علاقته بنهر النيل ، حين أقصى عنه بعيدا قسرا ، شأنها فى ذلك شأن الوسائل القديمة للحياة عند النوبى التى ما زالت تترك آثارها الوجدانية فى القصة والشعر النوبيين ، تبدأ رحلتها النهرية فتقطع "مائة وخمسين كيلا" فى المنطقة الكنزية لتمر بدابود ودهميت والأمبركاب وكلابشة وأبوهور ومرواو ومارية وجرف حسين وقرشة وكشتمنة والدكة والعلاقى وقورتة والمحرقة والسيالة والمضيق ، وهذه المنطقة هى أولى مناطق

---

[١] صـ ١٠٤ ، مجلة الشعر عدد ديسمبر ١٩٦٤م ، مقال بقلم إبراهيم شعراوى بتصرف .

النوبة التى استقبلت نكبة التعلية الأولى لخزان أسوان ، ولها لغتها الخاصة ، وأساليبها الخاصة فى البناء والتطريز والثياب والفنون التعبيرية .

ثم تمر السفينة بالمنطقة الوسطى العربية العقيلية لمسافة أربعين كيلا ، بالسبوع ووداى العرب وشاترمة والمالكى والسنقارى وهذه منطقة عربية تجرى فى عروق أبنائها دماء بيت النبوة ، وتنتشر بينهم النزعات الغيبية والصوفية ، وتكاد بيئتهم تصبح لبنة من البادية العربية ، نقلت بعناية وحرص إلى قلب المنطقة النوبية من غير أن تتسكب من أوعيتها قطرة واحدة ، كما يقول الأديب والكاتب النوبى الأستاذ إبراهيم شعراوى ، وأخيرا تصافح وجهك نسمات خصبة مترعة بالغناء وإيقاعات (النقرشاد) و (الكومبنكاش) عامرة بالأساطير والخرافات (أركبيه) ، (أمن دجر) ، (أمن تو) غنية فى ثمارها، مشرقة فى فنونها ، وهى منطقة (الفاديجا) حيث تسير السفينة مائة وخمسين كيلا بين قرى كورسكو وأرمنا ، وأبو حنضل ، فالريقة والديوان والدر وتنقالة وتوماس وعافية وإبريم وعنيبة والجنينة والشباك ومصمص وتوشكى وفريق (أبوسمبل) وبلانة وقسطل وأدندان ، التى تنتهى عندها وبها النوبة المصرية ، ولكن بلاد النوبة لا تنتهى بل تتمطى كالعملاق إلى الشلال

الرابع في دنقلة التي زودت الثورة المهدية بأعظم قوادها[١].

انتقلت هذه القرى بعد بناء السد العالي إلى منطقة كوم امبو شرق النيل بالتقسيم الجغرافي نفسه ، وبأسماء القرى والنجوع مع فارق جوهري في نمط البيوت والخدمات مع الحجب التام عن نهر النيل ، الذي كان يعد عصب الحياة للإنسان النوبي .

ومع هذا الابتهاج المؤقت الذي استشعره أهل النوبة بالتهجير في أوله ، ثم كانت قلوب النوبيين تبكي أمر البكاء وأقساه وتنفطر على ملاعب الصبا وذكريات النهر الذي كانت أمواجه تلعق أعتاب البيوت ، هذا النهر الرهيب الحنون الصامت عن أسراره ، الهائج الثائر في أيام (الدميرة) ، وكذلك إذا اعترضه عارض ، يمتلئ أعماقه بقصور الجنيات ، وممالك الأعماق ، وتسبح فوقه تماسيح هائلة ، يحلو لها أن تخطف ـ كما في الأساطير ـ أجمل فتيات القرى ليتزوجها في جزيرة نائية لم تخطر بقلب بشر ، مواويل أساطير ، وأساطير مواويل غذتها محنة كانت من أعظم المحن ، لم يستطيع النوبي أن يتحملها ، هل يمكن أن نتصور كائنا يعيش فوق قطعة من الأرض ذات حضارة موغلة بلا عملة ولا حكومة آمنا مطمئنا ،

---

[١] السابق : بتصرف .

ذلك حلم تصطرع البشرية من أجل الاقتراب منه . هذا الحلم كان هو حياة النوبيين ، تقوم على مبادلة السلعة بالسلعة ، وبعض ما يحصدون ببعض ما يجنون ، طبيعة مفتوحة لا تحدها حدود ، وأفق يغرى بالانطلاق ، البساطة فى أجمل معانيها وأجلها ، نهر وسهل وبسيطة وجبال ، ونخيل باسقات . ومجتمع قبلى التكوين ، عائلى العرى ، له أعرافه وتقاليده ، وثوابته وأصوله ، فى منطقة كانت بمنجاة من العيون والأسماع.

أولا : لأن أهلها بطبيعتهم لا يقفون خارج جبهة القبيلة .

ثانيا : لأن اللغة غير المكتوبة كانت بالنسبة للدولة مثل موقفنا من زقزقة العصافير تملأ القلب والأذن ولكنها تعصى على الإدراك ولا تصل إلى التفسير .

من هذه الشئون والشجون كان الأدب المعبر عن هذه المنطقة من خلال رؤى الكتاب النوبيين وشعرائهم ، أدب ذو طابع نوبى فى المضمون والموضوع ، عربى فى الشكل والقالب والإطار .

كتابات لها خصوصية الانتماء إلى بقعة تحضنها معابد تعلو شامخة على ضفتى النيل مترعة بالأسرار ، كما أن لها سمات مستمدة من حكى الجدات ، وإرث موغل فى الغموض . ولأن

التعميم لا يفيد فى أمور البحث ، فمن الأجدى أن يحدد إطار الحديث فى الأدب النوبى عن الشكل والمضمون ، اللغة والفحوى .

من الصعب جدا على الباحث فى هذا الأدب أن ينطلق واثقا إلى غايته من نقطة ثابتة واضحة المعالم معه لا يخشى الذلل ، أو النكوص على الأعقاب فور الإبحار من شاطئ هلامى ، ذلك لأنه حتى الآن ليس بين أيدينا أو على الأقل بين يدى من المراجع ما يمكننى من الاتكاء عليه ، ومن المصادر إلا القليل المعروف مما يصلح أن يكون قنطرة أتجاوز عليها إلى اليابس المقابل ، ليس فى الإمكان أن أحصل على أكثر مما كتبه روائيو النوبة بداية منذ عهد قريب جدا حتى الآن لا ينغرس فى صلب الزمن إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاما ، وبالتحديد بعد الهجرة الأخيرة عام ١٩٦٣م بأعوام قلائل ، حيث كانت المحاولات الأولى للكاتب المرحوم محمد خنيل قاسم الذى أثمرت محصلة تجاربه القصصية عن رائعته (الشمندورة) التى أصدرها عام ١٩٨٦م ، ومعها (الخالة عيشة) ، ومن قبله بعام كان إدريس على يصدر روايته (المبعدون) سنة ١٩٨٥م ، ثم (واحد ضد الجميع) عام ١٩٨٧م ، ثم (دنقلة) عام ١٩٩٣م ، وفى الفترة نفسها كان حجاج أدول يصدر مجموعته (ليالى المسك العتيقة)

عام ١٩٨٩م ، أتبعـــها بـــ (الكشــر) عــام ١٩٩٢م ، ثــم (نــاس النهر) عام ١٩٩٣م ، كذلك (بكات الدم) ثم نشـــر للروائـــى النوبـــى حسن نور عدة روايات منها : (رحلة فى حيـــاة طفـــل نوبـــى) عـــام ١٩٨٠ ، (بين النهر والجبــــل) عـــام ١٩٩١ ، (عينـــان زرقـــاوان) عام ١٩٩٥ ، (خـــور رحمـــة) عـــام ١٩٩٨ ، (دوامـــات الشـــمال) عام ١٩٩٩ ، ثم (بحر الزيـــن) عـــام ٢٠٠١ ، وتوالـــى بعـــد ذلـــك نشر روايـــات الكتـــاب النوبييـــن وإبداعاتـــهم فـــى مجـــال القصـــة والقصة القصـــيرة .

وإن أعجب ، فلا أعجب إلا من شـــيئيين هنـــا :

أولهما : تأخر ظهور هذا الجنس الأدبـــى عنـــذ أدبـــاء النوبـــة مـــع توفرهم على الأسباب الداعية إلـــى ذلـــك .

ثانيهما : قلة النتاج مع أن هذا الـــوادى المـــترامى الأطـــراف كـــان قد تصلب عوده منذ زمن سحقيق على مـــدى تـــاريخ تجـــزر عمقـــا ضاربا بعروقه عند معـــابد القدمـــاء رمســـيس ونفرتـــارى وتـــوت عنخ آمون جنوبا حتى معابد فيلة شـــمالا بحضـــارة راســـخة ظللـــت كل جوانب الحياة وأسهمت بمدها فى حضـــارات أخـــرى .

أرض محروسة بأدعية الكهنـــــة منـــذ فجـــر التـــاريخ ومرويـــة بقرابين الآلهة ، وسكرى بأناشيد الجوقــــة ، كـــل ذلـــك ولـــم تكـــن هناك مسايرة أو نتاج أدبى روائـــى لـــهذه الحضـــارة العريقـــة فـــى

نتاجها الثقافى المكتوب لأن المنقول شفاهة فـــى ألـوان شـتى مـن المعرفة ثرى ثراء لا ينكر خاصة فـــى الشـعر .

ولكن ربما يعزى السبب إلـــى أن هــذا السـهل المنبسـط علـى ضفتى النيل الحاضن لبلاد النوبـــة قبـل التـهجير ، والممتـد مـع النهر الخالد من الشلال الأول عند أسوان شمالا ، حتـــى دنقلـة فـى السودان جنوبا ، ظل فى معزل عن التطـــورات التـى تحـدث فـى الجنوب القريب والشـمال البعيـد ، كمـا ظلـت المنطقـة طلسـما وكتابا مغلقا محاطا برصد التقاليد ، وتمـــائم التعـاويذ .

كما أنها لم تلـــق إلا الإهمـال مــن الحكومـات المتتابعـة فـى الشمال فى العهود القريبة ، ثم الغـــزوات المتعاقبـة والقتـال كـرا وفرا ، مدا وجزرا فى العصور التى سلفت ، ممـــا أصـاب النـاس بالرهق والوهن ، وبما لم يدع وقتـــا لاسـتثمار ذلـك الـثراء فـى بعديـه الحضـارى والبشـرى ، واسـتنيموا دهـرا ، ولـم يصـح الأحفاد إلا على وقـع النكبـات الموجعـة التـى زلزلـت الكيـان ، وهزتهم بعنف ، وحملتهم عنـــوة إلـى حيـث محبـس الجـن فـى صحراء كوم امبو كما زعمـــوا .

على كل حال هناك أدب : شـــعر ونـثر نوبيـان ، ولكنـه أدب تشده التفاصيل الدقيقـــة والـــهموم المتضمنـة والأوجـاع المجسـدة والآمال والأمانى المتخيلة فيه إلى بيئـة النوبـة المسـتغرقة للزمـان

والمكان فيما قبل وفيما بعد ، ووشائج قربى وصلة معايشة فى إنسانيته إلى الوطن الأم ـ وكما أسلفت ـ لا أستطيع أن أضع يدى على تاريخ مفصل بجدول تطور هذا الأدب النوبى ، كما هو مثلا عند عبد المحسن طه بدر فى (تطور الرواية العربية فى مصر) ، أو صنيع إبراهيم السعافين فى (تطور الرواية الحديثة فى بلاد الشام) ، وغيرهما ممن رصدوا مسيرة هذا الأدب عند اليفاعة حتى الاستواء على سوقه كفن مستقل له خصائصه وسماته ، ومع هذا فإنه من اليسير جدا أن نتابع النماذج النوبية فى الرواية ، تلك التى بلغت حد النضج الفنى ، واحتلت مكانها بين مثيلاتها من إبداعات الأساتذة والأتراب فى الشمال بالدراسة والتقويم .

ولعل كاتب هذا البحث هو أول من يمهد الطريق لمثل تلك الدراسات ويضرب بقلمه فى حقل ما زال بكرا ، وبمعوله فى تربة بعد لم يستكشف عن الحديث فى التطور والكم بتسليط الضوء على إشكالية الأدب النوبى من حيث اللغة والمضمون من خلال دراسة بعض الروايات النوبية التى وقعت فى يدى .

ولى أن أسأل هنا ، ما الرواية النوبية ؟ هل ما أقرؤه فى (الشمندورة) لخليل قاسم ، أو (الكشر) لحجاج أوول ، أو (دنقلة) لإدريس على أو غيرهم من كتاب النوبة يختلف ويمتاز عما

أقرؤه لنجيب محفـــوظ والســـحار والشـــرقاوى وخورشـــيد وســـعد مكاوى وغيرهم ؟ وإن كان فما الفرق ؟ مع الوضـــع فـــى الاعتبـــار رؤية كل فـــى عملـــه واتجاهـــه وأسـلوبه الخـاص فـــى معالجـــة قصيدته ، وطريقته فى إحكـــام البنـــاء الدرامـــى لروايتـــه ، وأثـــر ثقافته على كل ذلـــك .

أقول للإجابة على هذه التساؤلات ، ممـــا هـــو معلـــوم ســـلفا أن الفكرة أيا كانت هذه الفكرة ، لكى تنقل إلـــى الغـــير (المتلقـــى) لابـــد لها من وسيلة للإفصاح عنها أولا ، ثم التفاعل بـــها ومعـــها ثانيـــا ، وهذه الوسيلة تتمثل فقط فـــى اللغـــة ، ودور اللغـــة يبـــدو متعاظمـــا هنا فى إشـــكالية الأدب النوبـــى وذلـــك فـــى وضـــوح وصراحـــة شديدين لأن الأدب فـــى جـــانب منـــه مرتبـــط بـــالمجتمع ارتباطـــا عضويا عن طريق مادة النص الأدبـــى أى اللغـــة ، إذن اللغـــة هـــى التى تكسب العمـــل الأدبـــى الهويـــة المســـتقلة ، ولا تتحقـــق هـــذه الغيرية فى ظنى إلا من خلال تباينها ، فهل لنـــا بعـــد ذلـــك أن نعـــد البيئة بأبعادها مثـــلا أو عنـــاصر الروايـــة الأخـــرى مـــن الســـمات الفارقة التى تقيم حاجزا واحدا بيـــن روايتيـــن كتابـــهما مـــن وطـــن واحد ، ينتميان إلى عرقين ويكتبان بلغـــة واحـــدة ؟ أميـــل إلـــى أن الفرق الجوهرى لا يكمـــن إلا فـــى المـــادة (اللغـــة) أداة الخطـــاب ووسيلة البيان ، إذ الإنسان يفكر باللغة ويعـــبر بـــالحروف ، بغـــض

النظر عما يتشابك من مداخلات مع هذا السياج ، من مثل ترجمة أثر أدبى من لغة إلى أخرى ، لأن الفرق هنا واضح ، فالعمل الأدبى المترجم لن ينخلع بالترجمة حرفية كانت أم محورة عن هويته الأصلية ، ويصبح من نسيج اللغة المترجم إليها ، فقط الانتساب بالنقل ، والنقل ليس مبررا للانعتاق عن الأصل ، ومعلوم أن الأدب أو العمل الأدبى عند الترجمة والنقل يتخلى عن كثير يعد من خصوصيات الهوية ــ على الأقل ــ فيما يتصل فى الإحساس باللغة أعنى تذوق اللغة الخاص وكيفية التعاطى لها والتعامل معها وتوظيفها فى الترجمة عن المعانى .

إن وسيلة التعبير عن الرؤية وتجسيد المواقف وتنمية الشخصيات من خلال السرد أو الوصف أو التقنيات الأخرى المتعددة للرواية فى روايات كتاب النوبة هى اللغة العربية ، هذه اللغة التى تعمقت دقائق التفاصيل ، ووسعت البناء الدرامى لقصصهم ، و بلورن الأحاسيس ، سمة عامة بل خصيصة مشتركة ، بل دعامة رئيسية وإطار هو لروايات القصصيين المصريين جميعا مع فارق بسيط بين لغة الجميع فصاحة أو تخففا منها ، اللهم إلا فيما يلجأ إليه القاص النوبى أحيانا فى الاستعانة بمفردات نوبية فى بعض الجزئيات لدلالاتها المتنوعة التراثية والصوتية والرمزية والأدائية ، وكسر الرتابة وتكثيف

الحدث ، هذا التوظيف ــ فــى اعتقــادى ــ لا يخــرج بالروايــات من إطارها العربى التى تعــالج همــوم وقضايــا ومشــاكل قطــاع عريض من أبنــاء الوطــن أو شــريحة منــه إلــى إطــار آخــر ، وطبيعى أن يكون المضمون المعــالج والبيئــة التــى تتحــرك فيــيا الشخصيات بمسمياتيا منتزعة مــن ذات البيئــة النوبيــة مــن كنــى وألقاب وأسماء نجوع وقــرى وزمامــات .

أضف إلى ذلــك أن كثــيرا مــن ســمات الشــخصية يمكــن أن تكون مشتركة بيــن شــخصيات الروايــات علــى امتــداد خارطــة الوطن ، لا فرق في ذلك بين كاتب فــى بــر مصــر أو النوبــة إلا ما يعزى للعامل الجيوجغرافى ، لم يبق بعــد ذلــك مــن العنــاصر الفاعلة فى العمل الروائى عمومــا .

• والرواية النوبية خاصــة إلا البيئــة بأبعادهــا المختلفــة زمانيــة كانت أو مكانية مع كل ما تشتملان عليه مــن متحــرك أو ســاكن ، ناطق أو صامت ، متغــير أو ثــابت ، هــذه البيئــة فــى الروايــة النوبية تعد ممتدة تستغرق مساحة كبيرة بــل كــل المســاحة أحيانــا من بيئة كتاب العاصمة ، فإذا اختزلنــا الجــزء اليســير مــن بيئــة الشمال الذى لم يكن متحركا ومؤثرا فــى بيئــة الروايــة النوبيــة ، وجدنا أن زمــان ومكــان الأحــداث والشــخصيات فــى قصــص النوبيين واقعية متطابقة غير متخيلة تفاعل معــها الإنســان وارتبــط

بها النوبى ، وطبيعى أن تبدأ أحداث الرواية منها ثـــم تنتــهى إليـــها والعكس صحيــح .

هنا نضع أيدينا على الفـــارق الوحيــد المميــز لــهذه الروايـــات على غيرها من روايـــات أبنـــاء الوطـــن فـــى الشـــمال ، إذن هـــى خصوصية تتمثل فى البيئـــة المحركـــة والداعمـــة لمراحـــل العمـــل القصصى صعودا إلى النهاية أو تدرجا فى تناهيـــها نحـــو الغايـــة .

وعندما تؤطر الجهود التـــى يبذلـــها طائفـــة مـــن أبنـــاء النوبـــة المهتمين وفى مقدمتهم الأستاذ محمـــــد جدكـــاب وصحبـــه وتتبلـــور رؤاهم فى التعريف باللغة النوبيـــة ويتواصـــل زخـــم المـــد والحيـــاة فى إرث الدكتور كبـــاره رحمـــــه الله فـــى فريدتـــه (كيـــف نكتـــب اللغة النوبية) ، وترسخ فـــــى الأذهـــان صورتـــها ، ويســـهل علـــى الأقلام رسمها ، خاصة بعـــــد أن قعـــدت وقيـــدت حروفـــا ، حتـــى صارت تكتب فـــــى يســـر وســـهولة عنـــد نفـــر قليـــل جـــدا مـــن المتخصصين ، وعندما تكتب الرواية النوبية بلغتـــــها ، أو ينقـــل مـــا فى الساحة منها إليها ــ وهو حادث الآن ولكـــــن فـــى بـــطء ــ فـــى جهد مواز لتعلمها عندئذ فقط تكـــون الروايـــة النوبيـــة قـــد وجـــدت قالبا وإطـــارا وفـــى مضمـــون إنســـانى بخصوصيـــة نوبيـــة قلبـــا وفحـــوى.

وفى دراسة سريعة مستنبطة لبعض ما فى يـــــدى مـــن روايـــات

كتبها أدباء نوبيون نجـد أن : حجـاج أدول فـى مجموعتـه "ليـالى المسك العتيقـة" يصـدر فيـها عـن ثنائيـة تتبـدى فـى توظيـف الأسطورة والتراث يجمع بينـهما خيـط دقيـق مـن الواقـع ضـام لشخصيات المجموعة على تنوعها يكاد جميعـها كمـا فـى غيرهـا من الروايات الأخرى ، يؤكـد تعريـف الـذات وتوصـل الهويـة وتحاول استيعاب الأزمة ـ علـى شـدتها ـ ومعايشـتها ، وتقبـل التفاعل مع الطارئ على مضض مسـتتكف ، تمـرد سـرعان مـا يصطدم بالحقيقة فيغوص فـى أعمـاق المـاضى فـى جدليـة مـع الذات تستمرئ تعاطى المفتقد تخيـلا وذكـرى .

هذه المجموعة وغيرها تحصى الآثار السـالبة للتـهجير ، ومـا ترتب عليه ، وما نتج عنه من انفراط العقـد ، وانمحـاق كـل مـا هو جميل فى نظر القاص ، واندثار مجموع القيم الـذى نشـأ عليـه وغذت مكوناتـه .

الهجرة هاجس مفـزع يؤرقـه دائمـا هجـر الأرض بالجسـد ، والروح لا تزال متشبسـة بـها ، والرحلـة إلـى الشـمال ضيـاع وذوبان وهـلاك .

فى الرحيل إلى ناس النهر ، تتبـدى خصوصيـة البيئـة ، "فانـا" محور الأحداث وقطبها الـذى تـدور حولـه ، الفتـاة الأسـطورة ، بنت البيئة التى من مفرداتها "الفاركى" شـريان فرعـى للنيـل يمـد

الأرض والإنسان النوبى بالحياة مقامـــات الأوليـــاء مـــلاذ العـــائذين والمستجيرين من تقلبات الأحوال عنـــد البســطاء ، (آمـــون تـــو) ، (آمون دجر) قطبى الحياة لا يلتقيـــان ولا يفترقـــان (الخـــير والشـــر) وهما (ناس النهر" ، ثم (آشا آشرى) عائشـــــة الجميلـــة ، صيـــام ... الخ ، حزمة من الخطوط تتعـــامد علـــى المأســـاة ، الخارطـــة فـــى أقصى طرفها الشمالى نتوء مفزع يلجم النيـــل ويكبـــح جماحـــه أيـــام الفيضان ويدرأ عن أهل الشمال أضراره ، خـــزان عمـــلاق يحجـــز الماء المتدفق فى ثورة ، فيهب الشمال بالازدهـــار ، ثـــم يرتـــد إلـــى الخلف غولا كاسرا يقتطع فى أحشـــائه جـــزءاً مـــن أرض الجنـــوب بلاد النوبة ، لن يعود أبدا ، ويقذف بأهلها إلـــى المتاهـــات ، تتجـــدد المأساة كلما ارتفع الخزان قامة بالتعلية ، فتنقلـــع قريـــة نوبيـــة مـــن جذروها ويتبعثر أهـــلا .

هـــذه المنطلقـــات الرئيســـة يعتمدهـــا الروائـــى حجـــاج أدول ويوظفها مع واقع مرفود بالأسطورة الممزوجـــة بحكـــى الجـــدات ، وطقوس المناسبات الدينية والاجتماعية وموروث ثقـــافى أكـــثر مـــا يعتمد على ما تلقفه النوبى شفاهة من أجيـــال تعاطتـــه عـــبر أزمنـــة متقادمة حتى وصل إلى أذنه واســـتقر فـــى ذهنـــه ، يخلـــص منـــها إلى إنزواء الأمل وانقطاع حبل الماضى المشـــرق وانحســـاره عـــن التواصل إلى حاضر بئيس تتفصم عراه وينتـــهى مـــع آخـــر شـــهقة

لآشار أشرى التى تؤثر ناس النهر ملائكة كـــانوا أم شــياطين علـــى ناس البر الذين ألفوا التفريط وأدمنـــوا عـــدم الوفـــاء ، ثــم خلفــت وراءها مأتما مقيما فى قلوب أهلها ، يحســـم الروائـــى حجـــاج أدول النهاية بغرق أشـــار أشـــرى[1] (عائشـــة الجميلـــة) معـــادل النوبـــة القديمة ، للدلالة على انبتات الصلة بيـــن القيـــم المثلـــى التـــى كـــان يعتد بها وما يتسرب إليها بعد الهجرة من إحباطـــات ، نـــاس النـــهر تعبير عن حجب الإرث وحرمان الـــوارث منـــه .

وفى (أديلاجدتى)[2] وهى واحدة مـــن ثـــلاث قصـــص قصـــيرة ضمنتها (ليالى) أدول ، يطرح فيـــها الكـــاتب فكـــرة التمـــرد علـــى أعراف المجتمع النوبى ، وكســـر تقـــاليده الموروثـــة ، يتمثـــل كـــل ذلك فى ابن النوبة الـــذى يـــتزوج مـــن (جورمانيـــة) غريبـــة مـــن الشمال ، وينجب منها محمدا الذى يعيش صراعا حـــاد يتمثـــل فـــى نزوعه إلى عرقين مختلفين وأصليـــن فـــى عـــرف أهـــل النوبـــة لا يلتقيان أو هكـــذا نفـــخ الكبـــار ــ كمـــا ؟؟؟ ــ فـــى آذان الأجيـــال المتتابعة ، الأحداث تتحـــرك وتـــدور فـــى أرض المـــهجر ، إلا أن البيئة المتحكمة حقيقية فى تنامى الصـــراع ومســـارب القصـــة هـــى

---

(١) ناس النهر ، حجاج أدول ، صـــ ١٠٤ .

(٢) ليالى المسك العتيقة ، حجاج أ دول ، صـــ ٣٢ .

(الجدة) ، إذا عدوناها مكونا اعتباريـا أصيـلا للبيئـة بمـا تمثلـه ، فهى همزة الوصل بين القديم والجديـد الـذى لـم تألفـه بعـد ولـم تنسجم معه ولا تقبله ، حتى كـادت عروقـها تجـف تحـت جلدهـا من الحزن فتتكفئ على ذاتها رافضة لكـل شـىء، وجـدت نفسـها نبتة غريبة قامت فـى الـهواء بـلا سـاق ولا جـذور ، تسـتمطر حفيدها (الجيـل الثـانى) المـهجن نتـاج الغربـة والانعتـاق عـن الأصل ، ابن الجورمانية تستمطره اللعنات بسـبب وبـدون سـبب ، وتصب عليه حنقها وجام غضبها ، فـهو عندهـا الجديـد الطـارئ والمحـدث المرفـوض والغربـة التـى تستشـعرها ، وهـو نبـت الأرض التى لم تألفها ومن باب أولى الحيـاة الجديـدة برمتـها .

إنه الصدام الماثل فـى عينيـها بيـن مـا هـو قديـم مـوروث ينسحب من الحياة فى عجل ، وجديد يزحـف بقـوة ويتسـرب إلـى واقع نكد تسخر منـه الجـدة ولا تقبـل معايشـته ، ولـذا ترضـى بالسجن الاختيارى الـذى بنتـه لنفسـها إلـى أن يوافيـها أجلـها ، وبموتها يعلن الكاتب كما فى (الرحيل إلـى نـاس النـهر) انقطـاع الصلة بين ماض جميل وحـاضر لا يـؤذن بخـير (أديـلا جدتـى) مع السـلامة .

وإذا كان حجاج أدول قد طرح فكـرة مفادهـا أن زواج النوبـى من غير جنسه خرق للعـرف وخـروج عـن التقـاليد العشـائرية

ومجتمع النوبة القبلى لا يسمح به ، وفى الوقت نفسه بسط إشكالية الاغتراب المزدوج النوبى بالهجرة إلى الشمال ، ثم الاقتران بجورمانية ، إغتراب خارجي وداخلى ، ظاهرى ونفسى فى إطار من التآلف الحذر بين حدى القضية وطرفى المعادلة ، غاضا النظر عن قانون صارم ، وحكم مبرم لا يمكن نقضه ، لأنه موروث رئيس من جملة الأعراف والتقاليد السياجية ، تمرس خلفها الإنسان النوبى عهدا ليس بالقصيد يتمثل فى أن الزواج بأجنبية (جورمانية) يعد موتا،من يقدم عليه يخلع من القبيلة ويصير نسيا منسيا ، فإن الكاتب حسن نور يطرح فى المقابل فى روايته : "بين النهر والجبل" فكرة أكثر جرأة ، وسلوكا أشد تمردا ، لا يعد مقبولا بحال من الأحوال على الأقل فى البيئة الأصلية المحافظة والمتزمتة جدا ، ناهيك عن الاعتراف به إلا إذا عددنا ذلك نوعا من الحدس استبق به الروائى واقعا معاشا إلى معطيات مستقبل أضمر فى نفسه كثيرا من المفارقات .

إن ما طرحه حسن فى راويته (بين النهر والجبل) ضمن ما تناول ، فكرة أن تتزوج الفتاة النوبية من أجنبى – معتاد أهل النوبة أن يصفوا من ليس نوبيا بالأجنبى – (جورباتى) ، ليكون النتاج مقرفا كما هو فى قاموس الأنساب عند العرب (عبدون)

يكسر هذا الطوق المحكم ويعرض مبادرا ابنتـــه (ســامحة)[١] علـــى (الغريب) هكذا الاسم منقول من الصفة وليس له اســـم يعيــن بـــه ، لم يكن الكاتب متعصبا كما هـــو أكـثر أهـل النوبـة ، ولا منغلقـا يحشر نفسه في زقاق العرف الضيق ، لكنـــه يظـــهر إمكانيـــة تقبـل الغير ومعايشته ، بمعنى آخر هـــو نـــوع مـــن التنـــازلات الكثـــيرة التي قدمها النوبي عبر المسيرة الطويلـــة إلـــى مـــا بعـــد التـــهجير ، وهذه القضية بالذات حــــاضرة فـــى كـــل روايـــة نوبيـــة تقريبـــا ، وهاجس يؤرق ، وإن لم تكن محورية فهي على الأقـــل تنبثـــق مـــن ثنايا الأحداث في ومضات مؤثرة علـــى مجرياتـــها .

الكاتب حسن نور يمهد بـــهذا ــ فـــى الوقـــت نفســـه ــ بحاســـة الأديب أرضية المجتمع ويهيئـــها إلـــى مـــا يمكـــن أن يحـــدث مـــع الزمن ــ والأيام حبلى بالمفاجآت ــ والروائـــــى المبـــدع يستشـــرف الغد ويتوقع المتخيل وينظر من كوة خاصة إلـــــى المســـتقبل أرتـــأى المتوقع من اختلاط وتداخل ، والتخلى عن كثير ممـــا كـــان يتمســـك به وارتكاب ما يخالفه يعد عارا وعيبـــا لا يمحوهمـــا الزمـــن ، أراد أن يعد هذا المجتمع لتقبل مـــا يمكـــن أن ينحطـــم مـــن المـــوروث ، كذلك التنبيه على أن ما سيقع على الـــرأس مـــن مطـــارق الحدثـــان

---

[١] بين النهر والجبل ، حسن نور ، صـــ ٨٢ ـــ ٨٣ .

ربما أشد وأكثر إيلاما مما سبق فبنى لحمة الرواية على هذه القضية وجعل متشعباتها روافد تنمى الصراع وتزكيه ، حتى تصل الرواية بتضافر عناصرها إلى النهاية التى خطط لها الكاتب مسبقا .

ويلحظ هنا على رواية "بين النهر والجبل" عنوانها بدلالاتها الثرية ورمزيته التى تشف عن كثير من معطياته ، وتنم بهذا التقابل عن فحوى الرواية ، ذلك بأن الناس هم أولا سكان ما بين النهر والجبل ، وهذا حدث واقعى موثق لطبيعة المكان فى الرواية والبيئة المؤطرة للأحداث التى تجرى على سطحها فإذا تركنا هذا المفهوم وغادرناه وانتقلنا إلى دلالة أخرى سنجد النهر رمز العطاء والحياة حتى قبل (مصر هبة النيل) يوحى بحياة النوبى قبل التهجير فى سلام ورغد آمن وطمأنينة وتواصل والجبل رمز القسوة ، والواقع المعاش فى المهجر ، والمعاناة والهواجس والخوف من الغد وما يأتى به وأيا ما كانت المعطيات والمفاهيم فإن المضمون المعالج يسترفد شقى العنوان ويقوم عليهما .

وفى (دوامات الشمال) يجسد الكاتب حسن نور حياة إنسان تضافرت الظروف ضده ، وألقته فى معترك الحياة وهو ما زال غصن الإهاب لين العريكة لم تره إلا وجهها العابس ، تلقفته

بدواماتها العاتية فيحاول الفرار ولكنها تترصده ، بدأت القصة ببطلها يجرى مفزوعا لا يكاد يلتقط أنفاسه حتى يسرع إلى مجهول مكدودا ضائعا ، يحاول القفز على نتوءات الحياة ويغض النظر عن تجاعيدها ، ولكنه لا يفلت من المطاردة ، فالعدو والقفز لازمتان لا تفارقانه مع ملاحظة أن الأحداث فى معظمها تجرى فى الشمال والقاهرة ، ويصل مدها إلى بيئة البطل موجا هائجا لا يحمل فى طياته إلا كسوف الآمال وبؤس الواقع .

ذو النون البطل وحشد الشخصيات الرئيسة والثانوية والمسطحة والفاعلة أغلبها تنتمى إلى البيئة الأم انتقلت بتقاليدها وعاداتها منذ زمن إلى العاصمة لتحتل موقعها فى قاع المجتمع مثل أكثر أفراده ، تتفاعل لدفع الحدث ورفده بمقومات التنامى ، الذى يتمحور ثم يتحرك صعودا ، ليرتد فجأة إلى نقطة سبقت يتخذها الحدث دعامة جديدة لمد آخر ، وهكذا تظل الرواية مندفعة بالأحداث إلى الأمام ثم تعود فى انسحابية إلى الوراء تنطلق إلى الحاضر الذى تنتمى إلى تفاصيله الدقيقة إلى جزئية سابقة مضت .

هذا الأسلوب التبادلى لسرد الأحداث يساعد على التوضيح والتكثيف والإضافة والبناء ، على أنه من الممكن أن نضع

استدعاء الماضى والتذكر ودلالاتهما وفقراتها التعبيرية التى تعترض المد الطبيعى لتسلسل أحداث الرواية بين قوسين تقترب المساحة بينهما وتضيق أحيانا إلى صفحة أو صفحة ونصف ، أو تتسع إلى عدة صفحات حسبما يستوعب بينهما وعلاقته بالحدث الآتى ودلالاته وما يرمز إليه ، ولولا براعة القاص فى توظيف هذا النمط من الأسلوب وتمكنه من إيجاد الصلة بين خطين متعاكسين والربط المحكم بين (الارتدادات والانطلاقات) بين هذا الكسر المتعمد لتسلسل الرواية وبين تناميها لأصيب النسيج القصصى بالترهل والانفراط ولكن دقة العرض وفنية انسحابية التفاصيل إلى الوراء لإضفاء الإضاءة الكاشفة على مجريات الأحدث ، ثم إيجاد العلاقة بين خطين نافرين أخرج الرواية من دائرة الإحباط الفنى إلى نوعية من الحبكة أسهمت فى سبك مكونات الرواية الفنية بعناصرها فى إطار بانٍ .

يهتز ارتباط البطل وانتماؤه إلى الأرض باستشعاره الظلم وإحساسه بالاغتراب فى العاصمة يدور فى أزقتها وحواريها باحثا عن الاستقرار والمخرج ، تظل بطحاء القاهرة قطب الرحى فى القصة ومركزها الجاذب لا الطارد ، دائرة الدوامة التى دوخت البطل ، ولا تزال تتسع ، وتتكالب عليه المصائب وتتصارع فى أعماقه الأحاسيس ، لتطفو على السطح ، ويترجم

إلى ثورة وتمرد ، حزمة الأعـــراف والمواضعـات لا يشـذ عنـها أحد ، وطقوس متوارثة فى مواقف بعينها تزخـم بمـد زاخـر مـن المعتقدات الدينية والأسطورية والآنية ، مـع إحسـاس كـامن فـى اللاشعور تستثيره نظرة الاستخفاف مـن الآخريـن ، تتحـول إلـى سباب صريح ما هذا ؟ مـع بربـرى ... كلـب حقـير [١] تسـتفذه النخوة ويدخـل فـى معركـة لا يـهم أن يكـون هـو الخاسـر أو المنتصر المهم أن يقاوم ويدافع ويثبت ذاته ، إثبـات الـذات وتـأكيد الهويـة يدفعانـه إلـى أن يمقـت التحيـيز والعنصريـة ، خاصـة والبطل طموح يستشرف غدا أفضـل ويمنـى النفـس بـأن يكـون شيئا مذكـورا ، يحـب العلـم ولكـن الظـروف حـالت بينـهما ، عبد الدايم كشكول الثقافـة أغـراه بـها فقـرأ فـى نـهم واتسـعت مداركه ، استوعب الحيـاة وقوانينـها ، وعـرف منـاهج السياسـة والاقتصـاد ، ظلـم الحـاكم وضيـاع حقـوق الرعيـة ، وزيـف الشعارات ، دس أنفه فى كل شئ ، ولكن الواقـع يتـأبى أن يكـون نموذجا للعدل الذى يحلم به ؟ مـن أن يكـون مـرآة يعكـس عليـها مفاهيمه فيزداد ضيقا بالحياة ، وتبرمـا بـل تمـردا وثـورة ، مـن قبل صدم بوفاة أبيه فى عز عافيته ، اسودت الدنيا فـى عينيـه كـاد يشك فى الحياة وجدواها ، يتساءل ذو النون عـن المـوت وفلسـفته

---

[١] دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ٤ .

سؤال عفوى يتردد على لسانه فى ساعات الضنك والضيق ، عندما تنعقد دائرة محكمة لدوامة لا تنتهى بل تبلغ ذروتها "لماذا نستسلم هكذا للموت دون مقاومة ؟ أهو مخيف إلى هذا الحد قوى لا يقهر ؟ .

وفى موضع آخر : "ألهذا الحد يبلغ الهوان بأعظم مخلوق على وجه الأرض ، يموت فيتساوى بالتراب ، لماذا يكون الموت ؟ ولماذا يموت ؟"

الإحساس بالفناء يستغرق ذى النون البطل ويسترجع طقوس ما بعد الموت فى تتبع دقيق ومفصل للحقائق ؛ وكل مفردات هذه الطقوس من لحظة الموت حتى الانتهاء بيوم الرحمة ثالث أيام الوفاة وما يعقب هذه المراسيم من خصوصيات تتميز بها النوبة فى هذه المواقف يدور الكاتب بكاميرا لاقطة شديدة الحساسية ، ترصد التقاليد ، فى حيزها الضيق قطاع من النوبة عاشت فى العاصمة طلبا للرزق الواسع وظن ذى النون فى مهجر أهل النوبة ، والأوسع الوطن بأكمله ، حجرة تلقى فى صفحة ماء الحياة الآسن ، فتنعقد سريعا عشرات الدوائر تغرى غيرها وتنتهى إلى دوامة مذهلة .

يقوم القاص حسن نور بتوظيف العنصر التراثى بدلالاته اللامتناهية والرمزية فى توليد المعانى التى تتداعى من اللحن

الجنائزى للتعديد ، والأغانى تعبيرا عن الحزن العميق الذى استشعره بفقد أبيه ، ثم ضياعه وسط زحام العاصمة ، ثم تبدد الأمانى باستحالة تحقيقها (لا واسطة له) ، سواء آماله الخاصة فى أن يجد عملا يقتات منه ، أو آمال محيطة فى استقرار الوضع السياسى للبلد ، يسجل ما عاصره من الأمور السياسية وأحوالها وتقلباتها ومؤامرتها ودور التنظيمات والأحزاب فى عدم استقرار البلاد وانقلابات العكسر ومكائده فى الأخذ بالشبهة والاعتقال وتغييب الرأى الآخر واحتكار السلطة ، وبشاعة التعذيب والانحدار الخلقى لزبانيته ، يؤخذ ذو النون إلى المعتقل لمجرد أنه صديق عبد الدايم التنظيمى النشط ويزج بهما مع كل التيارات الفكرية والسياسية فى السجون ، ينال ذو النون حظه من التعذيب بالضرب والتقييد وإطالة أمد التحقيق وتلفيق التهم والإدانة بالاعتراف الكاذب على جريمة لم يرتكبها رماه حظه العاثر فى طريق هذه الهوجة البوليسية ، كان الكرباج ينغرس فى ظهرى ، ويمحو جلدى ... سال دمى ، أغرق ساقى، غبت عن الوعى فلم أحس بشئ، لما أفقت جاءنى أحد الضباط ... قال : لن يفيدك العناد ، والأفضل أن تعترف على صاحبك وتوقع على الورقة التى قرأتها حتى نتركك تذهب لحال

سبيلك ، هاه ... ستوقع ... أليس كذلك ؟[١]

يفضح الكاتب أساليب البطش والترهيب الغاشم ، يقول الكاتب على لسان الضابط بعد أن أصر البطل على عدم معرفته بشيء مما يسأل عنه : "والله ستموت ولن تعرف أمك لك طريقا" دلالات شتى تنبثق من هذه الجملة "أحسست بكل جزء في جسدي متورما ، كدت أقع وأتمدد على بلاط الغرفة... أظلمت الدنيا حولي ، ولم أستطع أن أميز بين الأشياء ، لم أعد أحس بشيء، هاتوه ... سمعت الصوت آتيا من الخارج ... سحبوني وراءهم ... وجدتني أقف أمامه مرة ثانية"[٢] ، وتتطلق الأسئلة تترصاص من فمه ، ماذا تعرف عن عبد الدايم ؟ والمنشورات؟ أين يطبعها ... الخ .

والبريء يصر على عدم معرفته شيئا ، ويستقوى على الموقف الرهيب باستدعاء بعض المقولات التي حفظها ووعتها ذاكرته تقفز من عقله الباطن ماثلة أمام عينيه : "أنت الذى تصنع نفسك وليس الآخرون وعباس العقاد علم نفسه ... بين

---

[١] رواية دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٧٤ .

[٢] السابق ، صـ ١٧٥ .

الموت والحياة لحظة والموت أفضل من الحياة الذليلة"[١] ، عامل مساعد على الصمود في لحظات يكون ذو النون فيها أقرب إلى الانهيار منه إلى المواجهة والتشبث بالحياة .

يأتي صوت الضابط مدويا : "ألن رأسك ولا تركبها" ، لم أجد غير الصمت ألوذ به ... احتد ... احمرت عيناه وانتفخت عروق رقبته وهو يزعق : "تكلم يا شرموط" .

يتخذ الكاتب الوصف الدقيق للشخصية مستندا لتوضيح أبعادها الظاهرة والباطنة ، وكذلك في تحديد الملامح النفسية لهذه الشخصية المؤهلة بطبيعتها لدورها ، والمدربة جيدا على القيام بوظيفتها حتى غدت الشخصية من خلال الوصف وحشا كاسرا يتهيأ لافتراس ضحيته .

وفي الوقت نفسه يختزن الروائي معاناة الباحث في تقويم هذه الشخصية وتحليل أغوارها ، وحدس الانتماء الخلقي والعرقي والبيئي المكون لذراتها وخلاياها في جملة واحدة صدرت من الضابط "تكلم يا شرموط" ويترك للقارئ مساحة شاسعة للتفكير والاستدلال والاستنتاج لما يمكن أن يكون من عطاءات هذا الحوار الذي دار بين رجل البوليس والضحية .

---

(١) السابق ، صـ ١٧٦ .

على كل حال (مصيبة أهون من أختها) تتقـذه حمـى ألمـت بـه في المعتقل من أسره ، ألقى بـه خارجـه مخافـة أن يلفـظ أنفاسـه بين أيديهم وخيرا أن يموت بعيـدا عنـهم ، يعـود ذو النـون إلـى أهله يجتمعون حوله يقرعونه تأنيبا على فعلتـه : "مـالك والسياسـة يا ولدى ... ليس لنا فيـها والله ... ليـس وراءهـا غـير الخـراب وهذه هى النتيجة ... العسكر وما أدراك مـا العسـكر ؟"[١]

فى خاتمة الرواية يخلص الكاتب إلى مسـلمات ونتيجـة مفادهـا أن النظام استطاع بذكاء خبيث صرف أنظـار النـاس عنـه بـزرع الانهزامية المزهدة فى ممارسـة السياسـة ، ورعـى ذلـك الـزرع زمنا طويلا ، وتعهده حتى آتـى ثمـاره نكوصـا وانصرافـا مـن الشعب عنها وعنه ليحتكر السلطة وشئون الأمة فـى غيبـة منـها ، يترجم عن ذلك التغييب ما يتردد على لسان نـاس النجـع : "مـالك والسياسة يـا ولـدى ... ليـس لنـا فيـها والله..."[٢] يؤيـد ذلـك الاستنتاج عودة ذى النون إلى موطنه الأصلـى بيـن أمـه وأخواتـه خاوى الوفـاض كاسـف البـال محبطـا ، أدار ظـهره لدوامـات الشمال وعقابيلها وإن كـان لا يـزال يتجـرع آراءه فـى السياسـة

---

[١] دوامات الشمال ، صـ ١٧٧ .

[٢] السابق ، صـ ١٧٧ .

الإسـقاط عنـد توظيـف أحـداث ووقـائع تاريخيـة مدونـة مـع الشخصيات الحقيقية الفاعلة لذلك التـاريخ علـى أحـداث معـاصرة أو معايشة قصد التمويه والبـوح بـالنقد وتحليـل الواقـع وحصـر سلبياته وتقويم مجرياته وتجسـيد كبـوات القـائمين علـى الأمـر ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الروائى حسن نور فـى روايـة (دوامـات الشمال) اتصف بقدر كبـير مـن الواقعيـة إن لـم تكـن الروايـة واقعية كلها ، وإن كان الصدق فـى نقـل الوقـائع كمـا هـى إلـى العمل الأدبى يصطدم بآراء بعض النقاد الذيـن يقللـون مـن شـأن فنية التعامل بالصدق المطابق لمـا هـو حـادث فـى الواقـع فـى العمل الإبداعى لأنه ينتقص مـن قيمتـه ، فـإن روايـة (دوامـات الشمال) قد نأت بنفسها عن هذا المأخذ مع أنها تعـاملت مـع واقـع حقيقى يكاد ينقـل نقـلا إلـى صفحـات الروايـة وثناياهـا ولعـل المرجع فى ذلك هـو السـرد الفنـى المتقـن فـى إطـار الحبكـة الدرامية واللغة الموظفة فى طواعيـة لتصويـر مجريـات الروايـة والأسلوب المشار إليه سابقا فـى طريقـة العـرض وعلـى سـبيل المثال :

من البيئة : عابدين ــ دهميت ــ قورتـه ، الشـلال ــ البلاقسـة ــ شارع شركس ... الـخ .

ومن الشخصيات : أولا البطـل : (ذو النـون) علـم نوبـى لا

يجهله مثقف رمز لـــه دلالاتـــه العميقـــة ومعطياتـــه وإشـــاراته ، إذا تركنا هذه الشخصية نجد غيرها : (عم حســـانين) شـــخصية حقيقيـــة عطار فى الموسكى مرجع أهل النوبة فـــى العطـــارة ومـــا إليـــها ، (جعلصة) المعلمة معروفة ومشهورة فى شـــارع البلاقســـة بعـــابدين من أعلام المنطقة رأيتها تديـــر كشـــكها لتعيـــش منـــه ، توفاهـــا الله الآن ، (سيد حنفى الدخـــاخنى) ، و (بحبـــح)[1] وغـــيرهم كثـــير إلا أن الكاتب استطاع أن يضفى على كل ذلك ظلالا مـــن وشـــى قلمـــه ويسكب عليها فنية من تفاعله وانتقل بـــها إلـــى بوتقـــه ومعملـــه ثـــم أعادها إلى الواقع فى سبيكة جديدة وحيوية دافعـــة فـــى إطـــار مـــن الخلق الفنى وإعادة صياغة الواقع فى ســـياق خـــاص يختلـــف كليـــة عما يتراءى للإنسان العادى علـــى الطبيعـــة .

أما (زينب أبو رتى)[2] فى ليـــالى أدول ، فـــإرث ثقيـــل ، قـــدر كل جيل أن يلحق بـــه مـــن شـــططها الكثـــير ، وأن يصـــاب مـــن فكرها وشرها بنصيب ، عدتها كتـــاب (شـــمس المعـــارف الكـــبرى) وعقدتها وجه قبيح مقـــزز ، وشـــكل قمـــى أزهـــد الرجـــال فيـــها ، فتحالفت مع الشيطان ، وظيفتها الإفساد والإرهـــاب ، تصـــب جـــام

---

[1] رواية دومات الشمال ، صـــ ١٢٨ ـــ ١٢٩ .

[2] ليالى المسك العتيقة ، حجاج أدول ، صـــ ٧١ .

غضبها على أهل القرية ، والانتقام لنفسها ولعنوسة أدركتها منذ سن الزواج ورافقتها حتى استغرقت عمرها ، مهمتها (العمل الردئ) وعقابيل السحر بمعاونة الجن (كاكوكى) الملعون يعقد معها حلفا وصفقة ويبايعها على عمل الشر وإلحاق الأذى بأهلها (أبورتى) يعنى الرماد ، وعقيدة النوبى أن الرماد مأوى الشياطين وملجؤهم المفضل ، ولذا يحظر على الجميع أن يطأوا الرماد أو يسيروا عليه خاصة الأطفال ، ولكن يستعان بعجينة (خليطه بالماء) فى تلطيخ الوجه والشعر استفزازا وإعلانا لمشاعر الحزن العميق عند فقد عزيز ، باعت (زينب أبورتى) محور الأحداث فى القصة التى عنونت باسمها من مجموعة (ليالى المسك العتيقة) وهى بطلتها كذلك الشخصية الرئيسية على مدارها باعت روحها وجسدها للشيطان ، وتوظيف الشيطان فى الأعمار الأدبية قديم وفى أدبنا العربى مشهور ، ومعروف دور الجن فى الشعر الجاهلى ، ولا داعى للاستطراد – من أراد المزيد يطالع المراجع التى اهتمت برصد الشعر الجاهلى – تاريخه وفنونه – كذلك فى الأعمال الأدبية الأخرى،

ولكن أهم ما يلفت النظر هنا أن بين هذه القصة وما كتبه جوته[1] فى (فاوست) تلاق مع فارق جوهرى بين فاوست

---

(1) فى الأدب المقارن ، زهران محمد جبر ، صـ ١٨٨ .

وزينب أبو رتى ، الأخير شر كلــــها عجينـــة مـــن حقـــد وكراهيـــة وضغائن ، عمرها على امتــــدادهلــم يتســع إلا للســـوء والإفســاد ، دفعت حياتها فى أبشع صورة ثمنا لخزلان (كـــاكوكى) لـــها ، بينمـــا (فاوست) شخصية طيبة المعـــدن يشـــوبها ضعـــف ، يتغلـــب عليـــه هذا الضعف البشرى ردها مـــن الزمـــن ، إلا أن ضـــلال جســـده لا يتجاوزه إلى روحه ، ولذا ينقذ مـــن الشـــيطان فـــى آخـــر لحظـــة ، كذلك مسرحية (عبد الشيطان) لمحمـــــد فريـــد أبـــى حديـــد ، علـــى المستوى نفسه من فكرة ســـابقتيها ، حيـــث يعقـــد (طوبـــوز) اتفاقـــا مع الشيطان يمنحه بموجبه خاتمـــا بـــه يتمكـــن مـــن تحقيـــق لحـــل رغباته ، يسدى لـــه النصـــح ويرشـــده[1] ، وفـــى نهايـــة المطـــاف يتخلى الشيطان عنـــه ويغـــادره مقهقـــها يســـخر منـــه ويزدريـــه ، ويستغرق الخاتم كل جسد طوبوز فيصير شـــيطانا لا أمـــل فيـــه .

قصة (زينب أو رتى) طرح يســـتبطن هـــذه الشـــخصية الحـــاقدة ويســـتجلي أغوارهـــا ويفضـــح أدواتـــها ، ويعطـــل تلـــك الأدوات ويحطمها ، ويقى أهل القرية إرهابها ، فقـــد أقســـمت أن تنتقـــم مـــن الناس ، وتبدأ بشيخ الخفـــر فتربطـــه (أى تعجـــزه مـــن أن يمـــارس حقوقه الشرعية فى معاشــــرة زوجتـــه) ، ثـــم تربـــط كـــل رجـــال

---

(١) مجلة فصول ، عدد الأ... المقارن ، ... مصطفى ماهر ، صـ ١٣٨ .

القرية، يرهبها الجميع ويمقتوهــا ، تعيــش فــى معــزل مــن أهــل القرية على قرن جبل محاطة بكل ما هو مرعــب وبشــع ومخيــف، تلقى الفزع فى قلوب الناس ، تحيل القرية إلى خــراب يطــول كــل أنحائها ، أناسا وحيوانات وجوامد ، تصاب كــل مفــردات الطبيعــة بخلل فتتحول إلى مصــائب تــتربص بالقريــة أو تتقلــب ســحنتها ويلا ، فيهجرون القريـــة بحثـــا عــن مــلاذ آمــن ، بعيــدا عــن أبورتى، ينقض الشيطان عـــهده معــها ، تفقــد ســيطرتها عليــه ، تذهب سطوتها ، وتضمحل قوتها ، تتضاءل تتكــور علــى نفســها ، يتناقص حجمها ، تأكل فى نفســها ، تمــوت منزويــة وحديــة فــى معزل يلتهمـــها وحــش كاســر ، فتنقشــع الغمــة ويفســد الســحر ويبطل، يعود كل شئ فـــى القريـــة إلـــى مــا كــان عليــه ، لكــن الكابوس يظل يطـــارد أهــل القريــة ، ولــن ينجلــى لأن البــاب لا يزال مفتوحا لمن يقع الكتاب النجس فى يـــده أن يلجــه ثانيــة إلـــى دنيا الإرهاب والسحر ، وهذه قصة يميزها النهاية التـــى لــم تضــع أوزارها بعــد.

فى هذه المجموعة عموما والتـــى تضــم إلــى جــانب (زينــب أبورتى) كلا من (الرحيل إلى ناس النهر) وقد تناولناهـــا مــن قبــل، و(أديلا جدتى) كذلك أشرنا إليها مـــن قبــل ، يتخــذ الكــاتب فيــها التراث دعامـــة فـــى بنـــاء قصصــه الدرامـــى وإحكـــام حبكتـــها ،

ومعلوم أن عناصر بناء الرواية تتشكل فـي مفـهوم الروائـي وفـق المضمون والغايـة مـن روايتـه عـبر التقنيـات الفنيـة الأخـرى المتعددة التي يستعين بها الكاتب لإبـراز قضايـاه وتجسـيد مشـاكل مجتمعه إلى جانب وسيلتين هما في غاية الأهمية فـي هـذا العمـل: النص والشـخصية .

ويلاحظ فيما كتبه محمد خليل قاسم خاصـة والكتـاب النوبيـون للرواية عموما المزج فى كتاباتهم بين أنماط عـدة للشـخصية منـها التراثية الحقيقيـة : الشـيخ (شـبيكة الولـى) فـى الكشـر الأول ، ومنها الشخصية ذات الأبعـاد التراثيـة والتاريخيـة : (هـابى) الـه النيل عند أدول كذلك منـها الأسـطورية المتخيلـة مثـل : (آمـون تو) ، (آمون دجر) فى الكشـر أيضـا ، ومنـها الواقعيـة الحقيقيـة المعاصرة كما فى (دوامات الشمال) لحسـن نـور .

هذا الصنيع فى التعامل مع الشـخصية وتوظيفـها يـؤدى إلـى حيوية الدور المنوط بالشـخص أداؤه كذلـك يـؤدى إلـى التفـاعل الإيجابى بين الشخصيات جميعـها إذ إن عصـب العمـل الروائـى يتمثل فى الحدث والشخصية والنص ، وإذا كنـا قـد نوهنـا بأهميـة خاصة التراثى منه ، لأن الكاتب يوظـف النـص الـتراثى بدلالاتـه المتعددة ، وتعدد دلالات النص يعد من أهم المقومـات الفنيـة التـى تؤدى إلى حركية النص خاصة أن هذا التعـدد للـدلالات والمعـانى

يعطى النص حركيـــة علـــى مســـتوى المعنـــى ، لأن المعنـــى فـــى النص المتحرك يكون دائما فى حالة تغـــير مســـتمر[١] .

وقد شاع الاتكاء على النصوص الشعبية فـــى قصـــص روائيـــى النوبة ، بل يعد ذلك التوظيف ملمحا رئيسيا وقاســـما مشـــتركا بيـــن كل الروايات أو معظمها على الأقل ، هذه النصـــوص التـــى تتمثـــل فى الأغانى والمواويل ، وبقـــدر مـــا يكـــون الكـــاتب موفقـــا فـــى استدعاء النص التراثى فى مكانـــه المناســـب مـــن العمـــل ، يكـــون ذلك النص أكثر دلالة وأعمق أثرا ، وأكمـــل فنيـــة وأوثـــق علاقـــة بالعمل ككـــل ، إشـــعاعه يتضـــافر مـــع الرؤيـــة الجامعـــة لأبعـــاد الرواية، وسياقها العام وبنائها الهندسى فـــى تكـــامل عضـــوى بيـــن الشكل والمضمون ، والإطـــار والفحـــوى .

ولقد شكل ذلك التوظيف اتجاها فنيا بارزا ومشـــتركا فـــى بنـــاء الروايات النوبية ، ومما يلحظ هنا فيما يتصل بلغـــة تلـــك الروايـــات أنها إذا تضمنت سطرا شعريا ، غالبـــا مـــا يكـــون باللغـــة النوبيـــة يجتهد الكاتب فى إيداعه حروفا عربية فيرســـمه علـــى ذلـــك النمـــط الذى يقرؤه غير النوبى فلا يفهم له معنـــى ، ممـــا يضطـــر القـــاص إلى أن يعقبه بترجمة عربية يفقد معـــها الســـطر الشـــعرى جرســـه

---

[١] العناصر التراثية فى الرواية العربية فى مصر ، مراد مبروك ، صـــ ١٤٥ .

وموسيقاه ووقعه وربما يتخلى عن كثير من الإيحاءات التي لا يملكها إلا النص في لغته النوبية ، لأن هذه الإيحاءات ترفد المعاني ثراء ووضوحا وعمقا ، وعدم فهم النص المدون باللغة النوبية في هذه الروايات ليس مقصورا على القارئ العربي بل يتجاوزه إلى النوبي نفسه لأنه ورث هذه اللغة مشافهة لا كتابة ، وهي لغة محادثة لا قراءة حتى الآن ، ظاهرة صوتية لم تقولب بعد للتدوين وإن اصطلح على حروفها واتفق عليها ، فإن النوبي كغيره في حاجة إلى تعلمها كتابة والدربة والمرانة حتى يتقنها ويتعامل معها .

وهذا محك مهم أيضا في إشكالية اللغة (لغة الرواية النوبية) لأنه لما لم يكن من الممكن كتابة الرواية بالنوبية مباشرة ــ لما سبق ــ وكذلك لانعدام الجمهور القارئ في حال كتابتها بالنوبية ــ افتراضا ــ استعاض الروائي النوبي عن ذلك باللغة العربية ــ اللغة المشتركة والمقروءة والتي يفهمها الجنسان ــ ألا أن المواقف الخاصة جدا والتي لا تقوم فيها العربية مقام النوبية في آداء الموقف وتصويره وتجسيد المعنى يضطر الكاتب إلى التعبير عما يريد بلغته في إطار الحرف العربي الذي يكد ويجتهد في أن يضع الكلمة أو الجملة في صورة منطوقة تكون أقرب إلى الصواب في حرف عربي حسب ظنه ، خاصة عندما

تقتضى الرواية مزج نسيجها بموال شعبى ، فيأتى هذا الموال على لسان شخصيته لتكون أداة تعبيرية عن الواقع فيحمله الكاتب أبعادا معاصرة ، تتعدد دلالاتها بتعدد الأبعاد الرمزية .

ليس هذا فقط ولكن بعض كتاب النوبة ينوعون فى لغة الحوار ، فتأتى المحادثة بأكملها أو مقاطع منها باللغة النوبية خاصة عندما يكون أحد أطراف الحوار شخصيته لم تغادر النوبة قط ولم تعرف إليها العربية طريقا (الأجداد والجدات والأمهات كبيرات السن أو الأميون الذين لم ينالوا من التعليم قسطا) طبيعى أن يكون حديثها بلغتها ، أو بتحريف العربية فى صورة تمسخها إلى النوبية بقلب حرف إلى آخر ، أو استبدال جملة بأخرى أو اختزال حروف الكلمة ، أو تذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر ، ففى رواية "دوامات الشمال" لحسن نور تصر أم جمال على التحادث بلغتها ، وترك الروائى الفهم للمتلقى حسبما تقتضيه مسارات (المونلوج) :

سأل ذو النون أم جمال : أين عم دهب ؟[1]

ـ نظرت إلى غاضبة وسألتنى لماذا لا أتكلم النوبية ؟[2]

---

(١) دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٢٩ ـ ١٣١ .

(٢) أشرت إلى معانى الجمل العربية مترجمة .

ـ إرما نوبيجى آبيميــه ؟

ـ لقد جئت مصر المدينة صغـــيرا .

ـ هل والداك نوبيـــان ؟

ـ نعم .

اتسعت حدقتا عينيها دهشا ... عيناهـــا واســعتان ـ أســودان... كحيلتان ... أصرت أن لا تتكلم إلا لغتـــها التـــى جــاءت بــها مــن قراها الهاجعة هناك وراء الشـــلال .

وأين جمال ... ؟ ســألتها .

ـ إر جمالجا واللا وهبكي آبرجى ؟ (من تريــد جمـــال أم دهــب).

ـ إيا منهما ... جمال أو العم دهـــب .

نادت على جمال : جمال ووجمـــال (وو : يـــا : آداة نــداء)

ـ وجاء صوته من وراء جدار : أيوويو (نعم يـــا أمـــى)

ـ تـــابيينو (تعـــال)

وفى موضع آخر تقول ربيعـــة ابنـــة حليمـــة جـــارة عمـــى ذى النـــون[١] :

قالت : ما رأيك ... نحكى حواديـــت ؟

---

[١] دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٥ .

سمعت صمتي فقالت : فانه ونجدنـــا كمـــح ججرمـــا ... ؟ (هـــل سمعت حكاية فانه ونجـــد) .

ونموذج آخـــر : دار هـــذا الحـــوار بيـــن ذى النـــون وصليحـــه حسين زوج جد ذى النـــــون الطـــاعن فـــى الســـن عندمـــا تحـــاول الدخول على ذى النون فـــــى دورة الميـــاه والظـــلام دامـــس يحيـــط بالمكان بحجة أنها تريد كنس وتنظيـــــف دورة الميـــاه .

تقول صليحة بلكنتها المضحكة : إتـــــأورى ألـــى كـــده ... (كـــل يوم أنا أكنس بـــالليل) .

قال لها بالنوبية : فجركى كاليكا (اكنســـــى الصبـــح) .

قالت : الصبح أشان الطبية (علشـــــان الطبيـــخ)

ثم سألتنى بعد أن وضعت الطعام أمامه "مش هنـــــا كلـــى"[١] .

وإذا كانت ضرورة السياق ومقتضيات الواقعيـــــة دعـــت الكـــاتب حسن نور إلى أن يلجأ فى النص إلى توظيف لغتـــــه النوبيـــة ، فإنـــه لجأ أيضا إلى إيراد نصوص شعبية تدعـــــم الموقـــف وتـــبرز دلالات معنوية تتوالى من النـــص ، ســـأل ذو النـــون جـــاره فـــى البوســـتة (الباخرة) عن المحطة القادمة التى سترســـو عندهـــا .

---

[١] السابق ، صـــ ٦١ .

قال : دهميت ، ثم سألنى عن قريتـــــى .

قورته . لا قورتـــه ... ربمـــا نصلـــها فـــى منتصـــف الليـــل أو الفجر ثم سرح بعينيه إلى البعيد ، أضناه الشـــوق إلـــى أحبـــة غـــاب عنهم طويلا ، فوجد أصابعه تنقـــر علـــى الســور الحديـــدى الـــذى يسور سطح البـــاخرة ، تـــواعم النقـــر ودقـــات قدمـــه اليمنـــى ... إنساب صوته رخيما دافئـــا :

أمباب كندى ويك كـــاجى
كندى دهبيدى ويك كـــاجى

التقطت الآذان إيقاعه ، فبدأت الأقـــدام تزحـــف نحـــو مبعثـــها ، أحاطته الأجساد التى وجـــدت نفســـها تـــهتز علـــى الإيقـــاع الـــذى جسدوه بخبطات أكفهم ، يرتفع صوت المطـــــرب تدريجيـــا .

قارى وأريس نـــارى
مندره فجر شينبو لـــو
شباك ستة جومبولـــو
هيه يا ... سابيدا نيللى يـــا

تقافزت الأجساد مع إيقاعات الأكف ، لكـــن صوتـــا زاعقـــا أخـــرس الجمع فعم الصمـــت(١).

---

(١) دوامات الشمال ، صـــ ٣٠ ـــ ٣١ .

نلاحظ هنا أن هذه الأحداث للرفودة بالنصوص التراثية تجرى على ظهر السفينة (البوستة) التى تقل النوبيين من الشلال متجهة إلى قراهم المتناثرة على ضفتى النيل إلى الجنوب ، بعد أن يصلوا إلى الشلال بقطار الدرجة الثالثة من أزقة العاصمة وحواريها ، وأسطح عماراتها ، وبدروماتها ، كادت السفينة تصل إلى قرية المطرب بعد تجاوزها لعدة قرى أفرغت خلالها بعض ما كان فى بطنها ويهيج الشوق جار ذى النون فى البوستة الذى أضناه الاغتراب واستثاره اللقاء القريب المرتقب فراح يرفع صوته بالنصوص السابقة .

والمعطى القريب المباشر لتلك الكلمات أنها تدل فى ظاهرها على الفرح والابتهاج بلقاء من غاب عنهم طويلا وشاركه الفرحة والطرب بقية السفر ، إلا أن هذه النصوص فى سياقها التعبيرى كجزئية من الأسلوب العام الذى ينتظم الرواية كل عناصرها ، لها دلالاتها الخفية وإيحاءاتها المتنوعة منها التوجس والخوف من الارتحال إلى الشمال مرة أخرى وفى دوامة لا تنتهى من الاغتراب ببعديه النفسى والظاهرة ، كذلك إن مضمون تلك النصوص أزكى نار الحزن والأسى فى قلوب طائفة من ركاب الباخرة فقدوا عائلهم ، واستعادوا بها (المشهد المأسوى) الذى استدعته الذاكرة بالتوازى .

وهنا نضع أيدينا على وسيلة من وسائل تأكيد المعنى الذى ينساب عبر الصمت وهى (تعاكس الانفعالات) أو (تضاد المشاعر) إزاء مثير واحد ، التفت المشاعر عند نقطة واحدة أو موقف جزئى متمثل فى غناء المطرب بتلك الكلمات ولكن مشاعر كل طائفة أخذت اتجاها معاكسا ، فبينما استشعر القادمون لقضاء الإجازة بمحض إرادتهم بين الأهل نفس ما أحسه المطرب ، نجد ذا النون وأهله يقبعون فى ركن من البوستة ، يجترون أحزانهم على فقيدهم الذى قدموا لتلقى العزاء فيه ، وشتان ما بين الموقفين وإن كان الذى أهاج هذه المعانى المتضاربة بين الطائفتين فعل واحد ، ومع هذا التضاد الظاهر فى رد الفعل إلا أن علاقة خفية ومعنى دقيقا يربط بين الفرح والحزن ، ذلك لأن فرح الطائفة الأولى استشعار طارئ وموقف نشأ فى الأساس عن حزن متغلغل فى الأعماق ومتأصل بالتجربة المكرورة بالاغتراب ودوامته ، وحزن الطائفة الثانية ناشئ عن طارئ مفاجئ يتمثل فى فقد العائل سرعان ما يطويه النسيان ويعود الأهل إلى سابق عهدهم إلى جانب أن تلك النصوص أظهرت تهيؤ النوبى بطبعه إلى الطرب المركوز فى جبلته والتجاوب السريع مع النغم والصوت الشجئ مع أن غرق النوبة ترك فى أعماقه آثارا لا تمحى مع مر الزمن ، إلا أنه ظل يغنى :

تارى وأريس تـــارى
تارى وأريس تـــارى

وفى رواية "الشـــمندورة" لخليـــل قاســـم ، يعتمـــد البنـــاء علـــى استلهام النصوص الشعبية النوبية ، التى يعـــبر فـــى معنـــاه الظـــاهر عن الفرحة بعودة الغـــائب ، وفـــى معنـــاه الإيحـــائى عـــن الحـــزن والألم الذى انتاب "شريفة" وأمها على الغائب الذى لـــم يـــأت بعـــد ، لذلك عندما يعود "أحمد عودة" خال حامد فى الروايـــة مـــن القـــاهرة يسمعون أغنية شعبية نوبية تعـــبر عـــن فرحتـــهم بعودتـــه ، وفـــى الوقت نفسه تعبر عن الحسرة على الغائبين الذيـــن لـــم يـــأتوا بعـــد ، تقول كلمات الأغنيـــة :

أبن أيدنا بالنتون فبايمونـــا
برو وش المرايا بالنتون فبايمونـــا

وعندما لا يفهما حسن المصرى يترجمها لـــه المـــأذون :

لن يغيب عن خاطرى إلى الأبد لـــن يغيـــب
الفتاة ذات الوجه الناعم مثل المرآة لـــن تغيـــب

يعبر النص عن الفرحة التـــى تغمـــر المحـــب بمحبوتـــه عندمـــا يفوز بلقائها ، حينئذ لا تغيب صورتها عنها ، مـــهما تبـــددت الأيـــام والسنون فالرجال يرحلون ، وقد لا يأتون ، لكـــن وجـــه محبوباتـــهم فى ديارهم بالنوبة لا يفارقـــهم ولا يغيـــب .

وفى الوقت نفسه يعبر هذا النص عن مرارة الغربة التى يعانيها الرجال الغائبون عن ديارهم وأهلهم ، شلالى فى (دنقلة) لأن الأزمة واحدة ، وهى عصب الصراع ومحوره فى الرواية النوبية ، جمال لا يحمل من محبوبته على غير رغبة منه فقط ليعود إلى الغربة وقد رضيت أمه عنه ، لذلك يحمل النص الشعبى معنيين متناقضين ، لكنهما يسهمان فى حركية النص الروائى والتراثى معا .

و(الشمندورة) مثلها مثل (دوامات الشمال) تلجأ إلى توظيف النص الشعبى النوبى بلغته لأن ذلك أدل على التعبير ، وأحكم للبناء الفنى للرواية ، واستبدالها بنص عربى يترجمه لا يقوم مقامه ، ولا يؤدى دلالاته وإيحاءاته ، وكما أسلفت فإن هذا الأسلوب الفنى يعد إحدى طرائق وأسباب التمييز بين الرواية النوبية وغيرها .

والكاتب حسن نور فى روايته "بين النهر والجبل"[١] أيضا يستلهم الأغنية فى بناء الرواية حيث تتعدد المعطيات ، وتتداعى المعانى وتتوالى فى انبثاق ثرى يقول :

أيجا أيجالنا وو يويو نلو لأيجا

---

[١] رواية بين النهر والجبل ، حسن نور ، صـ ١٠٧ .

نلو سكارن شرتبات تلاج لأيجـــا

ينقر المغنى على الدف فـــى إيقـــاع آخـــاذ ســـريع تلتقـــط الآذان فيردد الجميع فى صوت واحد ...... أيجـــا أيجـــا ...

لى الفرحة يا أماه لـــى

بمذاق السكر الحلو كالشربات لـــى

تتثال المعـــانى وتتداعـــى فـــى النـــص تعبـــيرا عـــن الفرحـــة والانتشاء بالفرصة ، والحركة الدائبـــة لحلقـــة الرقـــص فـــى قـــوة بادية ، يستلهم من ذلك كله الروائى ما يجعـــل النـــص ينبســـط نحـــو الماضى وينحســـر نحـــو الحـــاضر ، نتيجـــة لاســـتحضار الصـــور المتعددة فى وقت واحد ، مـــع الحيويـــة التـــى تـــدب ظـــاهرة فـــى الرواية عبر النـــص.

وفى (دنقلة) يرصد الروائـــــى إدريـــس علـــى فـــى طـــرح واع قضية شاب مثقـــف مـــن النوبـــة (عـــوض شـــلالى) ابـــن مرحلـــة سياسية عاصرها باحثا عن قيم يؤمن بها مـــلأت رأســـه ، وتملكـــت كيانه ، وشب على شعارات العدل والمســـاواة والحقـــوق ولكنـــه لـــم يجدها فى الواقع ، ولأنه ذو طبع حـــام وصراحـــة حـــادة اصطـــدم وتمرد وثار ، واجـــه كغـــيره مـــن الشـــباب المطـــاردة والملاحقـــة البوليسية لكنه لـــم يـــهادن ولـــم تخمـــد حركتـــه وتضعـــف ثورتـــه فطورد وســـجن لأن أفكـــاره عـــن الحريـــة والمســـاواة لا تعجـــب

السلطة ، مع أنها مصدر تلك الشعارات وصاحبتها ، ولكن يبدو أن الشباب صدق هذه الفرية الكبرى وغرر به إلا أن عوض شلالى لم يستسلم وكأن هناك ثأرا بائتا بينه وبين السلطة ، فلم تنطل عليه الخدعة فطن إليها ولمس أن الواقع يكذب ادعاءات السلطويين ويفضح نفاقهم ، فساح فى أرض الله يبشر بأفكاره ، ويعلنها بين أترابه ينشد تحقيق تلك الشعارات وتطبيقها خاصة المساواة والعدل ، هذان الشعاران اللذان لم يستشعرهما أبدا ، ولم يتحققا منذ وعى الحياة وخبر دروبها وعرك عقابيلها وروض فأقرها ولما يئس واصطدم بالحقيقة المرة أعلن كفره بكل ما على الأرض فى المساحة التى يطفو عليها الوطن المنشأ والمنتمى إليه ، ورفض الواقع المستسلم وبلغ به الرفض ذروته فتمرد وقرر أن يهجر البيئة التى احتضنته ولم تثمر غير الزقوم والحنظل ، وأن يطلق الوطن بالثلاثة ، ويترك كل شىء وراءه فالضياع لا يتمايز ، ويؤثر الرحيل إلى ما وراء البحار والمحيطات .

(عوض شلالى) الذى ترجم الرفض إلى الهجرة والثورة إلى قرار ، كانت مشكلته فى غاية التعقيد سببت له آلاما نفسية وبدنية لا تطاق ، وقضيته لم يجد لها حلا ، ففوق أنه مطارد من السلطة لعشقه الحرية التى ارتضعها وتربى عليها بين أهله،

فهو منبوذ ممن ينتمي إليهم بالهوية من أهل الشمال ، يوسعونه سخرية وتهكماً للون بشرته على حد تعبير الرواية ، وعلى لهجته التي صارت مصدر شقاء له ، وهو متحفز دائما تستفزه مجرد النظرة غير البريئة ، فينبرى مدافعا عن نفسه طالما سنحت بذلك الفرصة وإن لم يكن بيديه فبردود غامزة مثله في ذلك مثل بحر جزولى الثائر والتنظيمي ابن خال عوض شلالى.

سمع عوض شلالى صول قسم بولاق وهو يهم بالانصراف بعد التحقيق معه ... انتظر ... ماذا قلت ؟ الواحات ... تقصد المعتقل ... آه بالسلامة . سمع الصول يقول لعريف بجواره إن هذا الأفندى من الحمر إياهم رغم وجهه الأسود ... التفت عوض شلالى ورد عليه بغضب عنيف ... نهار أبوك هو الأسود ومؤخرتك هى الحمراء[1] .

وفى موضع آخر يرد عوض شلالى فى القسم نفسه على متطاول أسمعه كلاما جارحا قال : آخر زمن ... كان عند جدى عشرة من هذا الصنف غير الذين اعتقهم لوجه الله ، ولم أتصور أن يأتى يوم يتطاولون فيه على أسيادهم يرد بقوله : أى

---

[1] دنقلة ، إدريس على ، صـ ٢٧ .

أجدادك تعنى ... ؟ الذى كـان يلعـق أحذيـة المماليك ؟ أم الـذى كان يورد النساء لعساكر نـابليون ؟[١]

سعى عوض شلالى حثيثا فى البحـث عـن والـده الـذى سـبقه إلى الضياع فى الشمال فى بر مصـر بمـا يـوازى البحـث عـن الهوية فى البيئة المحتدة التى تستغرق مصـر والنوبـة والسـودان، ولأن ميوله وهـواه وقـف علـى نوبيتـه فـهو شـديد الحساسـية مفرطها حيال من ينتقص منها ، عـاد أدراجـه إلـى قريتـه ولكـن قوة بوليسيه تعتقله يحدث نفسه : أبدا لن يتركوه فـى حـاله هـؤلاء الأغبياء ، رغم خروجه من الملعب واختيـاره لمنفـى الجنـوب .

سأله الشرطى : اسمك بالكامل .

لابد من التصادم ، رد متحديا .

اسمى الحقيقى تريد ؟ طبعا .

اكتب عندك اسمى التاريخى طهراقة ، موطنـى بـلاد النوبـة ، من أكلة أوراق التاريخ ، كنـا وجعلتونـا لا نكـون ، وقـد جئـت إليكم لرفع دعوى قضائيـة ضـد بنـاة الخـزان والسـد ومطالبـا بحدودى القديمة من أسوان حتـى دنقلـة العجـوز لإقامـة حكومـة مؤقتة ، وحددت لون علمنا بالأسود وسـطه حدقـة ونبـل ، وليـس

---

[١] السابق ، صـ ٢٨ .

لدينا مانع من الاتحاد مع الشمال ، وسنطرح ذلك على مائدة المباحثات اكتب يا شاويش" [١]

هذه الفقرة تترجم بوضوح فكرة الرواية ، وما يعتمل في صدر عوض شلالى من ثورة ورفض لكل ما هو شمالى في اعتزاز باد بالجنوب وأهله ولأنه أصيب بالإحباط في الشمال وخبر أهله واستقر في نفسه أنهم ليسوا أهل عشرة ولا وفاء حمل عبء الدعوة إلى انفصال الجنوب عن الشمال ، ولأفكاره المتمردة والثائرة ظل مطاردا في كل مكان حتى هم بالفرار إلى داخل حدود السودان ، إلى أهله في جلفا ودنقلة شجعته حوشية بعد رفض وامتناع خوفا عليه يذهب مع الإدلاء يتهربون من دوريات الحدود يتحايلون ، يصلون إلى (أبو حمد) ، داخل حدود السودان بعد رحلة دامت أربعة عشر يوما بلياليها ، ثم يعود إلى قريته تنعقد له جلسة محاكمة من أجاويد البلد يطفش بعدها هربا بهمومه التي أثقلت كاهله إلى خارج هذا العالم المحدود والمكدود الذي أجهض أفكاره وقتل فيه طموحه .

(دنقلة) رواية من ثلاثة فصول الأول منها بعنوان : (المنفصل) والثاني بعنوان (محاكمة عوض شلالى) والثالث

---

[١] دنقلة ، إدريس على ، صـ ٤٣ .

بعنوان (أحــزان حوشــيته وحلميــة) ، الروايــة بفصولــها تتــوزع ثورة عوض جزولـــى ، وتتقاســم آراءه والثــالث خــامدة ، نتيجــة حتمية لمــا دار مــن أحــداث فـــى الفصليــن الســابقين ، تتلاقـــى الأحداث وتتعقــد تبعــا لحركــة شــخصيات ثلاثــة تعـد رئيســية ومحوريـــة فـــى الروايــة ؛ عــوض شــلالى وحوشــية وحليمــة ، ويمكن إضافة بحر جزولـــى كقطــب رابــع فــاعل فـــى الأحـــداث الأسلوب الغالب على الرواية السرد الداخلى البيئـــة تتســع لمســاحة شاسعة ، أتاح الكـــاتب أن يســتغل أبعادهــا المختلفــة فـى إثــراء الحركة ، والانتقال البطىءمن وإلـــى ، وتتبــع التفــاصيل الدقيقــة ، وحصر المظاهر الحياتية المشـــتركة بيــن النوبييــن داخــل حــدود مصر والسودان ، كل ذلك توســلا لإثبــات الهويــة الواحــدة التـــى عانت المأساة نفسها بالهجرة جنوبا وشــمالا والصــراع يحتــدم فـــى استغلالية فى كل فصل حتى نهاينـــه ، ويبلــغ ذروتــه فـــى الفصــل الثالث ، تقتلــع حوشــية النــور اقتلاعــا مــن أرض تشــبثت بــها طويلا، ويلقى بها فى أرض لـــم ترهــا مــن قبــل ، ومــع الأرض فقدت الزوج والولد الـــذى أهمــل بــدوره حليمــة التـــى تزوجــها لإرضاء أمه ثم هجرها كصنيــع أبيــه مــع أمــه ، وتطــول غيبــة عوض شلالى ، وتحترق حليمــة فـــى نفســها جــوى ، وتقــع فـــى المحظور منقادة بالشيطان مــع معــدول الصعيــدى هكــذا ، الــذى أنقذها من حلم فظيع نهش فيه الرجال جســـدها وتبادلوهـــا عاريـــة ،

صورة قاتمة ونهاية تنذر بالثورة ، علـــى وضـــع مـــزر لـــم يؤلـــف من قبل ، وصرخة زاعقة على الأرجـــح لـــن تجـــد لـــها صـــدى ، واستنهاض لثأر وثورة لم تكن مـــن طبيعـــة أهـــل النوبـــة ولا فـــى طبعهم ، وهمة بعد لم تقو علـــى مجابهـــة الصعـــاب ولـــم تعـــرف حب المغـــامرة .

على أية حـــال إن هـــذه العجالـــة لا يمكـــن أن تكـــون مصبـــاح ديوجين الذى يكشف لنا أكثر مما قلناه فـــى الروايـــة النوبيـــة التـــى لن يضيرها ولـــن يضـــير الكتـــاب النوبييـــن أن تكـــون إبداعاتـــهم عربية الهوية ، إنســـانية المضمـــون ، نوبيـــة القضايـــا والـــهموم ، تسهم بالروافد فى بحـــر لجـــى متلاطـــم الأمـــواج يـــزداد إتســـاعا وعمقا مع مرور الزمن ، فقط ما أود أن أشـــير إليـــه هنـــا أن كـــل عنصر فى هذه الروايات يحتاج إلى دراسة مســـتقلة للتعـــرف علـــى طرق الروائيين فـــى توظيفـــه لأداء مهامـــه الفنيـــة مـــع التقنيـــات الأخرى وما يميز روايـــة عـــن أخـــرى أو كاتبـــا عـــن آخـــر فـــى الطريقة والأسلوب الذى يتعامل بـــه مـــع العنصـــر منفـــردا أو مـــع العناصر جميعها فى مشـــروعه القصصـــى .

أ.د. زهران محمد جبر عبد الحميد
أستاذ الأدب والنقد
كلية اللغة العربية ـ أسيوط

النخيل
في شعر فوزي العنتيل
(دراسة موضوعية وفنية)

الدكتور

أحمد محمد علي شومان

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط

النخيـــل في شعر فــوزى العنتيــل (دراسة موضوعية وفنية)

للدكتور
أحمد محمد علي شومان
الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية بأسيوط

مقدمــة :

الحمــد لله رب العــالمين والصــلاة والســلام علــى أشــرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمــة الله للعــالمين ســيدنا محمــد خــير خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تأدب بأدبــه وســار علــى هديه واتبع سنته إلى يوم الديــن .

وبعــــد...،

فقد وفقنى الله عز وجل إلى كتابة هذا البحــث وموضوعــه : **النخيل فى شعر فوزى العنتيل "دراســة موضوعيــة وفنيــة"**

فوضعت خطــة لكتابتــه واســتعنت بــالله علــى الغــوص فــى أعماقه والإلمام بشتى جوانبه ومناحيــه وهــو موضــوع ينبغــى أن يقسم إلى فصول متعددة ونظرا لضيق الوقت قســمته إلــى مبــاحث راجيا أن أعالج فى هذه المبــاحث مــا تعالجــه الفصــول وأن ألــم بكل جوانبه وجزئياتــه .

وأهم هذه المبـــاحث :

تمهيـــــــــد : النخلة فى القرآن والحديـــث والشـــعر .

المبحث الأول : أضواء فى حياة فـــوزى العنتيـــل .

المبحث الثانى : الدراسة الموضوعيـــة للنخيـــل فـــى شـــعر فـــوزى العنتيـل .

المبحث الثالث : الدراسة الفنية للنخيل فى شـــعر فـــوزى العنتيـــل .

وقد ورد ذكر " النخيل" فـــــى القـــرآن الكريـــم والســـنة النبويـــة الشريفة وفى الشعر العربى فى مختلـــف عصـــوره .

وعرض للنخيل الشـــعراء بـــالوصف وإبـــراز مواطـــن الجمـــال وبيان المنافع والفوائـــد .

أما (النخيل) عند فوزى العنتيـــل فقـــد أحـــس تجاهـــه إحساســـا قويا، فهو الأم الحنون التى يلجأ إليها من متـــاعب الحيـــاة .

وهو الذى يبادل الشاعر وفاء بوفاء فلا تخيـــب لـــه الظـــن فـــى زمن كـــان فيـــه الإقطـــاع شـــحيحا علـــى الفقـــراء وبخيـــلا علـــى المحرومين ، ولكن عطاء النخيـــل متصـــل لا ينقطـــع ، ودائـــب لا يتوقف ومعين ثر لا ينضـــــب، فـــهو يحظـــى مـــن الوفـــاء بـــأوفى نصيـب .

تمهيـــد

النخلــة فى القرآن الكريم والحديث النبوى والأدب

أهميـة النخلـة :

النخلة من أعظم الأشجار ، وهى رمــز مــن الرمــوز البــارزة فى الصحراء العربية ، ووجدت فى كثير من أماكنــها لأنــها تقــاوم العطش ولا تحتاج إلا للقليل مــن المـــاء ، ويــزداد النخيــل ويكــثر حيث يكثر المـاء.

وللنخلة أهمية كبرى فــى حيــاة الإنســان فــهو ينتفــع بثمرهــا وخشبها وخوصها وجريدهـــا وليفــها ويســتظل بظلــها مــن لفــح الشمس ولها كثير من الفوائد الأخــرى فضــيلا عــن كونــها زينــة للنــاظرين .

يقــول الشــيخ ابــن ســينا مــن بعـــض منـــافع النخلـــة وفوائدهـا :

"الجمار ينفع فى خشونة الحلق ويقبــض الإســهال والــنزف وينفــع من لسع الزنبور ضمادا ، والبلــح يفــرز البــول وإذا شــرب بخــل

يمنع سيلان الرحم ونــزف البواســير"[١] .

ويقول الإمام الفخر الــرازى : النخلــة وحدهــا نعمــة عظيمــة تعلقت بها منافع كثيرة فمنها الانتفـــاع بجمارهــا وبــالبر والرطــب فثمرتها فى أوقات مختلفة كأنها ثمـــرات مختلفــة فــهى أتــم نعمــة بالنسبة إلى غيرها من الأشجار ، وينتفع بليفـــها وأغصانـــها وقلبـــها ونواها ، ويكفى أن الله سبحانه وتعـــالى أمــر مريــم حيــن جاءهــا المخاض وولدت المسيح عليه السلام بأن تهز النخلـــة وتــأكل منـــها فى قوله تعالى : (وهزى إليك بجزع النخلـــة تســاقط عليــك ر طبــا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا)[٢] ، ولـــولا فائدتـــها العظمـــى لمـــا جعلها طعاما لمريم فى ذلك الوقـــت لأنـــه أعلــم بمخلوقاتــه وأعلــم بما ينفعــهم[٣].

النخلــة فــى القـرآن الكريــم :

ورد ذكر النخلة فى القرآن الكريم عشـــرين مــرة ، ومــن هــذه الآيات قول الله تعالى : (أيود أحدكم أن تكون لـــه جنـــة مـــن نخيـــل

---

[١] نهاية الأدب للنويرى ، جـ ١١ ، صـ ٣٦٥ .

[٢] الآية ٢٥ من سورة مريم وبعض الآية ٢٦ من نفس السورة .

[٣] التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ، جـ ٩ ، صـ ٩٣ .

وأعناب تجرى من تحتها الأنهار)[١] ، وقوله تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات)[٢]، وقوله : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا)[٣] ، وقوله : (أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا)[٤] .

وقد ورد ذكر النخيل فى القرآن الكريم عشرين مرة فى هذه السور فقد وردت فى البقرة الآية (٦٦) ، والأنعام الآيتين (٩٩، ١٤١) وفى النحل الآيتين (١١ ، ٦٧) وفى الإسراء الآية (٩١) ، وفى الكهف الآية (٣٢) وفى مريم فى الآيتين (٢٣ ، ٢٥) وفى طه الآية (٧١) والمؤمنون الآية (١٩) ، والشعراء الآية (١٤٨) ، ويس الآية (٣٤) ، وق الآية (١٠) ، والرحمن الآيتين (١١ ، ٦٨) ، والحاقة الآية (٧) ، وعبس الآية (٢٩) ، والرعد الآية (٤) ، والقمر الآية (٢٠) .

---

(١) من الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١١ من سورة النحل .

(٣) من الآية ٦٧ من سورة النحل .

(٤) الآية ٩١ من سورة الإسراء .

النخلة فى السنة النبوية :

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أوجه الخير وجماع منافع النخلة وشبهها بالمؤمن فى عموم النفع وتمام الفائدة ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوداى يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله ؟ قال : هى النخلة)[1].

النخلة فى النثر العربى :

وردت النخلة فى الأدب شعره ونثره .

فمما ورد عنها فى النثر : عن الشعبى قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم يفلق عن مثل آذان الحمر ثم تصير مثل اللؤلؤ ثم تعود كالزمرد الأخضر ثم تصير كالياقوت الأحمر والأصفر ثم ترطب فتكون كأطيب فالوذج اتخذ ثم يجف فتكون عصمة للمقيم، وزادا للمسافر فإن كان رسلى صدقونى فهى الشجرة التى نبتت على مريم بنت عمران فكتب إليه عمر بن الخطاب

---

(١) صحيح البخارى ، جـ ٧ ، صـ ١٠٤ ، ط الشعب بالقاهرة .

رضى الله عنه : إن رسلك صدقوك وهى شجرة مريم فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله[١] .

ودفع الاهتمام بالنخلة وثمرها كثير من اللغويين إلى التأليف فيها ومن بين هؤلاء أبو عمرو الشيباني ، وأبو زيد الأنصارى والأصمعى وابن الأعرابى وأبو نصر أحمد بن حاتم وأبو عبد القاسم بن سلام وأبو هلال العسكرى ، والثعالبى ووضع أبو حاتم السجستانى كتابا فى النخلة تحدث عن مكانة النخلة ثم بين مواطن وجود النخل فى الدنيا وخلو بلاد الشرك منها ، وأفرد قسما صدره بذكر النوى وأوصافه وأجزائه ومنافعه وطريقة زرعه وانتقل إلى حياة النخلة ، ومراحل نموها المختلفة ، ونضج البر وأغراضه وأنواع التمر ومرابده وجماعات النخل ، ثم ختم الكتاب بالأخبار عن الأراضى التى ينبت فيها النخل[٢] .

النخلة فى الشعر :

ورد الحديث عن النخلة من الشعراء فى مختلف العصور .

ففى العصر الجاهلى نجد الأعشى يقول :

وأيام حجر إذ يحرق نخله ثأرناكم يوما بتحريق أرقم

[١] ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، جـ ٢ ، صـ ٣٩ ، ط الأميرية بولاق .

[٢] مجلة المورد وزارة الثقافة والإعلام ، العدد الثالث ، صـ ١٠٧ .

كأن نخيل الشط غب حريقه   مآتم سود سلبت عند مأتم

وكان العرب إذا غلب قوم قوما أحرقوا نخيلهم فيصير[١] كنساء قائمات فى مأتم قد لبسن الحداد كما سبق فى تصوير الأعشى .

وكانت المواطن المليئة بالنخيل والزروع مدعاة للفخر لأنها تمثل أساس الحياة الإقتصادية التى تمكنهم من التفوق والسيادة والبقاء يقول الأعشى في ذلك :

ألم تر أن العرض أصبح بطنها   نخيلا وزرعا ثابتا وفصافصا[٢]

أما امرؤ القيس فهو يشبه شعر المرآة فى طوله وتداخله وغزارته بشماريخ النخلة فيقول :

وفرع يزين المتن أسود فاحم   أثيث كقنو النخلة المتعثكل[٣]

فامرؤ القيس يتغزل فى محبوبته ويصف شعرها فى التوائه وغزارته بعذق النخلة المتداخل .

ويقول من قصيدة أخرى واصفا شعر محبوبته بشماريخ النخلة :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت   هصرت بغصن ذى شماريخ ميال[٤]

---

(١) ديوان الأعشى ، صـ ١٦٣ .

(٢) ديوان الأعشى ، ١٩٥ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ٤٤ ، ط دار صادر بيروت .

(٤) ديوان امرئ القيس ، ١٤١ .

وشبه امرؤ القيس شعر ناصية فرسه بسعف النخلة المتفرق فيقول:

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر(١)

وفى العصر الأندلسى حين فتح العرب الأندلس كانت من أنضر البلاد وأبهاها تبدو كروضة كبيرة يجرى فيها الماء وترتفع الجبال الخضراء وكانت طبيعتها جذابة ولكن هذا الجمال وتلك الجاذبية لم تفتن بعض الفاتحين فقد رأى عبد الرحمن الداخل نخلة منفردة وحيدة وحينئذ تحركت مشاعره وأحس أنها تشاركه الغربة وتتفاعل معه فى غربته فتشعر بشعوره وتحس بأحاسيسه وتعيش وجدانه فأنشأ يقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بنى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى(٢)

فعبد الرحمن الداخل أحس بالوحدة والغربة بعيدا عن وطنه وأهله فنظر إلى النخلة نظرة وجدانية تعكس ما فى داخله فى وحيدة غريبة تشبه حاله وتعيش معاناته ووحشته .

وقريب من هذا الموقف موقف مسلم بن الوليد عندما حضرته الوفاة وهو بجرجان وقد نظر إلى نخلة بالقرب منه وكانت النخلة

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ١٦٣ .

(٢) نفح الطيب للمقرى ، ٥٤ .

تشبه نخل الجزيرة العربية المألوف فأحس نحوها بألفة روحية وكأنها وقفت تشاركه آلام غربته فراح يخاطبها قائلا :

ألا يا نخلة بالسفح من أكناف جرجان

ألا إنى وإياك بجرجان غريبان(١)

وفى العصر الحديث نجد أمير الشعراء أحمد شوقى الذى عاش فى القصر وكانت حياته حياة ترف ونعيم يعدد فوائد النخلة وصنوف منافعها ففيها الغذاء وفيها الفاكهة فضلا عن كونها زينة للناظرين ويعيب على أدباء العربية هجرهم الحديث عن النخلة وبيان منافعها وخلو كتاباتهم من الحديث عنها ، وقد أفرد أحمد شوقى لها قصيدة كاملة فى ديوانه "الشوقيات" فنجده يقول:

أرى شجرا فى السماء احتجب ... وشق العنان بمرآى عجب

مآذن قامت هنا أو هناك ... ظواهرها درج من شذب

وليس يؤذن فيها الرجال ... ولكن تصيح عليها الغرب

وباسقة من بنات الرمال ... نمت وربت فى ظلال الكثب

كسارية الفلك أو كالمسلة ... أو كالفنار وراء العبب

تطول وتقصر خلف الكثيب ... إذا الريح جاء بها أو ذهب

نخال إذا اتقدت فى الضحى ... وجر الأصيل عليها اللهب

وطاف عليها شعاع النهار ... من الصحو أو من حواشى السحب

وصيفة فرعون فى ساحة ... من القصر واقفة ترتقب

قد اعتصبت بفصوص العقيق ... مفصلة بشذور الذهب

وناطت قلائد مرجانها ... على الصدر واتشحت بالقصب

وشدت على ساقها مئزرا ... تقصر من رأسها للذنب

---

(١) الفتوح الإسلامية ، د. النعمان القاضى ، صـ ٢١٠ .

أهـذا هـو النخـل ملـك الريـاض   أمـير الحقـول عـروس العـزب
طعـام الفقـير وحلـوى الغنـى   وزاد المسـافـر والمغتـرب
فيـا نخلـة الرمـل لـم تبخلـى   ولا قصـرت نخـلات التـرب
وأعجب كيـف طـوى ذكركـن   ولم يحتفـل شعـراء العـرب
أليـس حرامـا خلـو القصـائـد من وصفكن وعطـل الكتب ؟
وأنـتن فـى الهاجـرات الظـلال   كـأن أعاليكـن القـبـب
وأنتن فى البيـد شـاة المعيـل   جناهـا بجـانب أخـرى حـلب
وأنتـن فى عرصـات القصـور   حسـان الدمـى الزائنـات الرحـب
جناكـن كالكـرم شـتى المـذاق   وكـالشهـد فى كـل لـون يحـب[1]

فالشاعر أحمد شوقى أعجب بمنظر النخلة وطولها وكأنها مآذن انتشرت فى كل مكان ولها أدراج من السلالم على قشرتها الخارجية ، ولكن لا يؤذن عليها المؤذنون وإنما يصيح فوقها الغربان وهى مرتفعة تنمو عادة فى الرمال وتزدهر فى خلال الكثبان تشبه سارية السفينة من مسافة بعيدة أو المسلة الفرعونية العالية أو الفنار على الميناء يهدى السفن من أنحاء بعيدة فى البحر والنخلة أشبه بوصيفة أحد ملوك الفراعنة تقف فى ساحة قصره مترقبة تستجيب لما يطلبه وقد عصبت رأسها بفصوص حمراء من العقيق أشبه بالبلح الأحمر ، وقد تزينت بأحلى الملابس كزينة الوصيفة التى ارتدت عقود المرجان على الصدر واتشحت بالجواهر من أولها إلى آخرها ، ويصف النخل بأنه (ملك الرياض وأمير الحقول وعروس العرب) ، فهو الأول

---

(١) الشوقيات لأحمد شوقى ، صـ ٦٤ .

دائما والمفضل دوما ويسوق بعـــض فوائـــد النخـــل ومنافعـــه فـــهو طعام الفقير وفاكهة الغنـــي وزاد المســـافر والغريـــب عـــن ديـــاره فضلا عن كونه زينة للناظرين والنخيل زينة فـــي القصـــور أو فـــي ساحتها يزين الأرض الواسعة مثـــل القبـــب وثمـــاره مثـــل العنـــب متعدد المذاق وكالشهد حلو الطعم في جميـــع الأحـــوال .

المبحث الأول
أضواء فى حياة الشاعر فوزى العنتيل

نحاول فـــى هـذا البحــث ــ بعــون الله وتوفيقــه ــ أن نلقــى الضوء على حياة هذا الشاعر والأديب الــذى لا يخفــي علــى أحــد فى الأوساط الأدبية والعلمية والثقافيـــة .

اسمـــه :

هو فوزى محمد فهمى أحمد سليمان العنتيـــل والشــاعر فــوزى العنتيل ينتمى إلى أسرة مـــن مجمــوع الأســر التــى تقطــن قريــة (علوان) وكان والد الشـــاعر هــو رب الأســرة وعميدهــا ، وقــد حصل والده علـــى قسـط مــن التعليـم أهلــه لأن يكــون معلمــا بالمدارس الأوليـــة والإلزاميــة والإبتدائيــة وترقــى حتــى أصبــح ناظرا ، وكان والده يشتغل بـــالتعليم وشــغوفا بمهنــة آبائــه وهــى الزراعة وقد تزوج والده من إحدى القرى المجـــاروة لقريتــه وهــى قرية (منقباد) وأنجب ثلاثـــة أولاد وبنــت واحــدة ، ويعــد الشـــاعر فوزى العنتيل أكبر أبنائــــه .

بيئتـــه :

ولد الشاعر فوزى العنتيل ونشأ فى قرية "علـــوان" وهـــى قريــة صغيرة ترقد وســـط الحقــول المتراميــة شــمالى مدينــة أســيوط

بحوالى عشرة كيلومترات ويبلغ عدد سكانها أربعة آلاف نسمة، وتنساب نحوها من الناحية الشرقية الترعة الإبراهيمية المنسابة من مياه نهر النيل وأبرز ما يميز هذه القرية في حضن الحقول أنها محاطة بغابات كثيفة من أشجار النخيل الشامخة في تيه واعتزاز وأشجار الكافور الضخمة وأشجار النبق والسنط وأعواد الغاب وبضع حدائق يفوح منها أرج الليمون ورائحة المانجو ، وتسطع فيها زهور البرتقال وحبات الرمان[١] .

وإلى هذه البيئة يشير العنتيل في إحدى قصائده الشعرية بعنوان : (فى قطار الجبال)[٢]:

وزفر القطار زفرتين فرق في الضلوع طائر الحنين
الليل طال يا حبيبى وطال بالمحبين السهر
العاشق البعيد لا يزال يحلم بالرمان
في حضن بساتين الصعيد المشمسة
وأرج الليمون يصفو في ضحى أبريل
وجدول الماء الذى راح يلون الأصيل
وقمر الحصاد يغزل الحرير للحقول

مولده ونشأته :

ولد الشاعر فوزي العنتيل في قرية علوان سنة ١٩٢٤م ،

(١) العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـ د .

(٢) رحلة في أعماق الكلمات للشاعر فوزى العنتيل ، ٤٧ .

وحفظ القرآن الكريم فى الكتاب والتحق بالتعليم الأولى والتحق بالأزهر فى معهد أسيوط الدينى وحصل على الثانوية الأزهرية فى سنة ١٩٤٦م ، ثم التحق بكلية دار العلوم فى نفس العام ، وحصل على ليسانس فى آداب اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٩٥١م ، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٥٢م ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الحكومية لمدة أربع سنوات وفى سنة ١٩٥٦م عين سكرتيرا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ثم سكرتيرا للجنة الفنون الشعبية ، وظل يعمل بالمجلس حتى سنة ١٩٧٩م ، وإن كانت قد تخللت هذه المدة بضع بعثات خارج الوطن وهو الآن عضو اتحاد الكتاب ، وعضو لجنة الشعر ، ولجنة الفنون الشعبية ، ولجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ورئيس المكتب التنفيذى لمشروع المكتبة العربية[1] وفى منتصف سنة ١٩٧٩م نقل للهيئة العامة للكتاب .

وفوزى العنتيل الشاعر المصرى المعاصر تعرفه الأوساط الأدبية شاعرا مجددا يتغنى بالقرية والفلاح والحرية والحب وكل مبتغى الأدب يعرفون فوزى العنتيل فى الرسالة والثقافة

---

(١) العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، ٩ .

ويعرفونه موظفا مرهقـــا فـــى المجلــس الأعلــى للفنــون والآداب ويعرفونه مسهما إسهاما مفيدا فى كثير مـــن المناقشـــات التـــى تثـــار على الصعيد الأدبى وفـــى نطـــاق مشـــكلة الشـــعر الحـــر والشـــعر التقليدى بوجه خـــاص[1].

وقد اتفق أصدقاؤه على الكشف عن جملة مزايـــاه وأهمـــها : حبه لأهل القرية وشغفه بسماع السير والحكايـــات الشـــعبية وولعـــه بالقراءة المتوالية المتنوعة كما كان من هواة الجلـــوس مـــع فلاحـــى قريته الطاعنين فى الســـن ، وكـــان كثـــير الـــتردد علـــى المقـــاهى ويتميز بالطبع الحاد العنيد والتمســـك بـــالرأى فـــى صلابـــة ، وقـــد عرف بين زملائه بأنه ينظم الشـــعر وشـــهد لـــه أســـاتذته بالبراعـــة فيه بدليل أنه مثل معهد أســـيوط الدينـــى فـــى حفـــل تـــأبين شـــيخ الأزهر الراحـــل الشـــيخ المراغـــى ســـنة ١٩٤٥م ، وقـــد حـــازت قصيدته التى رثى فيـــها الشـــيخ المراغـــى إعجـــاب الحـــاضرين ، وكان من بينهم الشاعر عزيز أباظة ، وكانت هـــذه المناســـبة ســـبب المعرفة بين فوزى وعزيز أباظة الذى كـــان مديـــرا لأســـيوط فـــى ذلك الوقـــت[2].

---

[1] من مقال الدكتور شكرى فيصل عن العنتيل فى صحيفة الوحدة ، صـــ ٣ ، العدد ٥٧ ، بتـاريخ ٢٤ مايو ١٩٥٩ .

[2] العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـــ ٦ .

ثقافتــــه :

يتحدث الشاعر فوزى العنتيل عن ثقافته وتكوينه الأدبى فيقول :

"بدأت تجربتى الشعرية فى مطلع الأربعينيات وكنت فى ذلك الوقت أعيش فى أسيوط قريبا من مسقط رأسى طالبا فى بداية المرحلة الثانوية ، وكان طبيعيا أن أتعرف على المنفلوطى وأن تغمر وجدانى فى لغة الدموع فى المآسى التى قام بتعريبها مثل "ماجد ولين" و"العبرات والنظرات" وفى هذه الحقبة تعرفت بالصدفة على الرافعى فى رسائل الأحزان ووحى القلم وغيرها، وفى هذا الإطار تشكلت عواطفى المبكرة فكانت بداية عشقى للأدب وكان الاطلاع المنتظم لمجلتى الرسالة والثقافة ، بالإضافة إلى قراءات غير منتظمة للشعر العربى فى مختلف عصوره وللنثر الفنى عند أعلام كتابه مثل الجاحظ وابن المقفع والمبرد وابن رشيق ونماذج لأدباء العصر الكبار أمثال طه حسين ، وهيكل والمازنى والعقاد وزكى مبارك .

وفى العصر الحديث قرأت لشوقى وحافظ وعلى محمود طه، وأعجبت كثيرا فى هذه الحقبة بمحمود حسن إسماعيل ، وأعجبت كثيرا بأدباء المهجر وبخاصة جبران وأبى ماضى وميخائيل نعيمة، هذه قراءاتى المبكرة قبل أن تصبح القراءة

حرفة لا مجرد إمتاع للنفس"[١].

رحلاته :

لم يعرف الشاعر فوزى العنتيل الارتحال بعيدا عن قريته فى سنين حياته الأولى إلا ما كان من رحلات إلى القاهرة أما أنه سافر فى رحلة خارجة الوطن فلم يحدث هذا حتى أواخر سنة ١٩٥٩م عندما سافر فى بعثة إلى إيرلندا لدراسة الفلكلور فكانت فرصته الذهبية ليطوف بالعديد من الأقطار الأوربية حتى سنة ١٩٦١م ، وتوالت بعد ذلك رحلاته عن طريق البعثات وهو يشرح ذلك باستفاضة تامة فى مقدمة الديوان الثانى (رحلة فى أعماق الكلمات) .

ويرحل الشاعر مرة أخرى إلى إفريقية فى سنة ١٩٧١م ليعمل أستاذا مساعدا فى جامعة "إيبدان" فى قلب إفريقية ويعيش فى غاباتها وأعاصيرها وأمطارها الرعدية التى تكتسح الأشجار أمامها فيتملكه الرعب والفزع خاصة وأنه لم يألف مثل هذا المناخ فى مصر ، وتسيطر عليه فكرة الموت وما يصاحبها من قلق وخوف فيكتب قصيدتيه (بكائيات قديمة) ، و(فى أعماق الغابات) ، وفى الثانية يقول :

---

[١] العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـ ١٥ .

المـــوت الأخضــــــر يـــركض فـــى الغـــابـــــات المذعـــــورة
فى ليــــــل العاصفة المجنونـــــة اللهب الذهبى سيـــوف البـــرق
ودمــــاء الأشجـــــار تسيـــل(١)

وقد قطع الشاعر بعثته عقب كتابة هـــــذه القصيـــدة والمشــــاهدات المفزعة وعاد إلى أرض الوطن ، وبخاصـــــة أنـــه قـــد تـــرك ابنـــه الوحيد مريضا فى مصر ، وفى ليلة سابقة علـــــى أحـــداث العاصفـــة رأى حلما أفزعه فلما هبت تلـــك العاصفـــة أحـــس بـــالخوف علـــى ابنه من سطوة المـــوت .

وفى سنة ١٩٧٧م يسافر الشـــاعر إلـــى المجـــر ليعمـــل أســـتاذا لمادة الأدب العربى فى جامعة (بودابست) وهـــذا غـــير العديـــد مـــن رحلاته المتوالية إلى الأقطـــار العربيـــة ... .

كما نال الشـــاعر مـــن المحيطيـــن بـــه منزلـــة عاليـــة ، وتعـــد آراؤهم فى شعره بمثابة شهادات التقدير التى منحـــت للشـــاعر مـــن كبار الأدباء والنقاد ونال الشاعر فـــوزى العنتيـــل شـــهادات تقديـــر من معاصريه تدل على مكانته الأدبية وعلـــى رفعـــة قـــدره وعلـــى موهبتـــه الشـــعرية ونـــال شـــعره ثنـــاء مســـتطابا مـــن كبـــار الأدباء والنقاد فى عصره ، وأهـــم آراء النقـــاد فـــى شـــعر فـــوزى العنتيـــلى :

---

(١) رحلة فى أعماق الكلمات ، ٤٥٠ .

أولا : يثنى الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى على ديوان الشاعر فوزى العنتيل "عبير الأرض" فيقول : وديوان عبير الأرض يحكى لنا صرخة مصر وقصتها الطويلة ووثبتنا العنيدة ونضالها الجبار فى سبيل الحرية والتقدم والنهضة والبحث[١] .

ثانيا : يثنى الأستاذ الدكتور محمد مندور على شعر الشاعر فوزى العنتيل فيقول : لم أستشعر ذلك الجو الخاص الذى يوحى به الريف المصرى إلا فى (عبير الأرض) حيث الحقول وسنابل القمح والليالى المقمرة وصوت السواقى وأحاديث أهل الريف فى سذاجتهم وواقع حياتهم بعد أن رفعه الشعر إلى مستوى الجمال الفنى .

ثالثا : ويرى الأستاذ الدكتور عبد القادر القط فى الشاعر فوزى العنتيل أحد رواد الرومانسية فى الشعر العربى فيقول : فوزى العنتيل أحد الرواد الذين تحولوا بالرومانسية من مجرد العواطف الذاتية إلى الإحساس الوجدانى بواقع المجتمع المصرى خاصة فى الريف وهو من الشعراء القلائل الذين لم يتحولوا تحولا مفاجئا إلى الشعر الحر إلا بعد أن تثقفوا ثقافة

---

[١] دراسات فى الأدب والنقد ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ، صـ ١٩٩ .

واسعة فى التراث العربى القديم ومارسوا الإبداع فى الأشكال التقليدية بروح عصرية فى الإيقاع والمعجم الشعرى وبناء العبارات الشعرية".

رابعا : ويثنى الأستاذ صلاح عبد الصبور عن ديوان (عبير الأرض) فيقول : لن تجد ديوانا معاصرا يمثل الريف فيه بهذا الوضوح فالنخل والأغصان والطيور عناصر شعرية واضحة، والشاعر منفعل بالريف مستمد لصوره منه حتى وهو فى المدينة فأنت تحس بأعماق قلبه رجعة إلى الريف وخفوقا دائما إليه وصورة جمالية خلابة لطبيعته حتى لكأنه واحة المتعبين الطيبة[١].

وأرى أن الشاعر فوزى العنتيل رأى فى الريف واحة يأوى إليها المكدود من صحراء الحياة وهجيرها فتفاعل معه وعشقه وأخذ معجمه الشعرى وقاموسه اللغوى ومفرداته من معين الريف الذى لا ينضب وعطائه المتصل ونهره الفياض فحق له أن يسمى شاعر الريف أو شاعر الطبيعة أو شاعر الضعفاء والمحرومين .

---

(١) مجلة روزاليوسف ، صـ ٣٥ لسنة ١٩٥٦ من مقال لصلاح عبد الصبور بعنوان "شاعر الريف والطبيعة والمستضعفين" .

تراثه الشعرى ومؤلفاته الادبية :

للشاعر فوزى العنتيل عدد من المؤلفات الشعرية والنثرية والمسرحيات المترجمة عن الأدب الإنجليزى وأهمها :

١ ــ الأعمال الكاملة لفوزى العنتيل فى الشعر (الجزء الأول) وتشمل ديوانى شعره الأول (عبير الأرض) ، والثانى (رحلة فى أعماق الكلمات) وهما طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م.

٢ ــ الأعمال الكاملة لفوزى العنتيل فى الشعر (الجزء الثانى) وهو مختارات من الشعر المجرى بعنوان الحرية والحب طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م .

٣ ــ التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها طبعة المكتبة الثقافية مايو ١٩٦٦م .

٤ ــ المحراث والنجوم مسرحية من الأدب الإنجليزى وقام بترجمتها إلى العربية الشاعر فوزى العنتيل .

٥ ــ الفلكلورما هو ؟ دار النهضة العربية ١٩٦٥م .

٦ ــ بين الفلكلور والثقافة الشعبية مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .

المبحث الثانى
الدراسة الموضوعية
للنخيل فى شعر فوزى العنتيل

يحق لنا أن نطلق على فوزى العنتيل شاعر القرية أو شاعر الريف المصرى أو شاعر النخيل فقد ظفرت القرية وصور الحياة فيها ومشاهد الطبيعة والعلاقات بين أهلها وذكريات الشاعر فيها بعدد كبير من قصائد الديوانين تبلغ اثنتى عشرة قصيدة ومن هنا كان حديثه عن النخيل بجانب حديثه عن الأرض ، السواقى ، الفأس ، الطيور ، السنابل ، الأغصان ، الدجاج ، موسم الحصاد والربيع ، حاملة الجرة ، الكوخ ، ... الخ .

فحبه للأرض حرك فى نفسه الشعور بالحنين والاشتياق إلى صور القرية ومشاهد الحياة والطبيعة فيها فهو ما زال يذكر ويحن إلى صور من صور الريف البديعة التى تثير فى نفسه الحنين إلى أيام صباه بين الصبايا وتحت ظلال النخيل وبين أحضان الحقول فيقول[1] :

مزجت أشواق عمرى ... بأغنيات الصبايا
فى الحقل والظل ... عرش ممهد وحشايا

---

[1] ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، صـ ١٤٠ .

مـــن التـــراب بنتهـــا عنـــد الضحـــى كغايـــا
والنخـــل قصـــر سمـــوق مسقـــف بالرايـــا
هنــــاك وســدت رأســي صـــدرا أحـــب هوايـــا

والنخلة إحدى المعالم المميزة للقرية وهـــي معلـم رئيسـي فـي الصورة الريفية عند العنتيل وتكاد تحتـل ركنـا فسـيحا فـي قلـب الشاعر فهو يحن إليها وإلى ماضيه معـــها وإلـى ذكرياتـه الحلـوة وإلى ترحيبها به وفرحها بعودته مـن الغربـة .

وقد ورد ذكر (النخيل) في شـعر فـوزي العنتيـل فـي قصـائد عدة من ديوانه "عبير الأرض" ، و "رحلـة فـي أعمـاق الكلمـات" فقد ورد ذكر "النخيل" فـي شـعر فـوزي العنتيـل فـي قصيدتـه "عندما أيقظني الشعر" وفيها يقـول[١] :

أطيفـــك هـــذا الـــذي يرتمـــي علـــى وحدتـــي ؟
كنخـلات قريتنـــا الوادعـــة

وهو يتحدث عن طيف الشعر الذي زاره بعـد أن انقطـع عنـه سنوات معدودات فجمع مـن الحدائـق باقـة زهـر ومـن النسـيم خصلة عطر وارتمى على وحدته كنخلات قريتـه الوادعـة الهادئـة الآمنة فآنس وحشته وأبهج حياتـه وأدخـل السـرور علـى نفسـه وقلبه.

وفي قصيدتـه "العـودة" بعـد أن سـافر إلـى بعثـات متعـددة

---

(١) ديوان رحلة في أعماق الكلمات لفوزي العنتيل ، صـ ٥١ .

واغترب عن بلدته وحن إلى قريتــه الحالمــة وإلــى جمالــها وإلــى نخيلها وإلى بساتينها عاد إليها فأحسنت اســتقباله ورحــب بــه فيــها كل شئ النخيــل والأشــجار والكــافور والسبســبان والصفصــاف والماء المنســاب ...

ويبدأ قصيدة العودة بقولــه[1]:

عذبنــى الشــوق إلى جنتــى ... بعــد الــذى قاسيــت فــى غربتــى
فعــدت وثــاب المنــى ناشــرا ... أجنحتــى البيضــاء فــى الظلمــة
أجنحــة الحب التــى لونــت ... آفاقــى الزرقــاء بالفرحــة
ثــم تــراءت جنــة الملتقــى ... تــرش نــور الفجــر فــى واحتــى
فاستقبلتنــى ذكريــاتى التــى ... زرعتهــا بالأمــس فــى قريتــى
عــدت ولكــن الــذى لــم يعــد ... عمــرى الــذى ذاب على مهجتــى

ومن بين الذين أحسنوا اســتقباله فــى قريتــه (النخيــل) بتعاليــه وكبريائــه وشــموخه وجريــده وســعفه الــذى يتمــاوج فــى الهواء مرحبا بحبيبه القديــم وعشــيقه الأول وصديقــه فــى الزمــن الماضى:

فعانقتنــى قريتــى مثلمــا ... يعــانق العاشــق خطــو الحبيــب
وأذرع النخــل وراء الربــا ... أجنحــة تسبــح تحت الغــروب
أومــت وحيــت فى جــلال ... سرى حنينــه الدافــق عبر الدروب
وصــافحت روحــى بأنسامهــا ... وأغرقتنــى فى شذاهــا الرطيــب
استقبلتنــا قريتــى النائمــة ... تحت سفــوح الجبــال الصاعــدة
تثاءبت فى حضنــه وارتمــت ... تائهــة فى حلمــه الخالــد
والترعــة السمــراء طافت بها ... ترضعهــا من صدرهــا الناهــد

---

[1] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـــ ٦٧ .

والنخــــل أطفـــال على شطـهـــا ... يعبثـن فى مزمارهــــا الشـــــارد[1]

عانقته قريته عناق العاشـــق الحبيـــب وأذرع النخــل وراء الربــا العالية قدمت له عظيـــم التحايـــا والتجلـــة والإكـــرام ورحبـــت بـــه وأذاقته من دفئ الحنان وأعربت له عن وافر الشـــوق ورحبـــت بـــه الترعة والنخل على حافتها أشـــبه بأطفـــال ينشـــدون لحـــن التحيـــة الخالد وسيمفونية الاستقبال الرائعـــة .

ويتحدث الشاعر عـــن العلاقـــة الحميمـــة وللروابـــط الوشـــيجة التى تربط بينه وبين النخيـــل .

فالنخلة الســـمراء مبـــهورة الأنفـــاس باســـتقبال حبيبـــها العـــائد وتستلهم ذكرياتها من رؤيته فقد عشـــقها وعشـــقته وتبـــادلت الحــب والغرام معه زمنا طويـــلا .

ونخلتـــى السمـــــــراء فى صمتها ... مبهـورة الأنفــــاس بين السهـول[2]
تصغى وراء الأفـــق عـبر المــدى ... لعـــأشق روى أساهــــا الطويــــل
مـــــر بها تحت جنــاح القــــــر ... ذات مســــاء شاعــــرى جميــــل
فـــذاب فى الليــل صــدى لحنــه ... بنــــات خــوفــو شاعرات الحقول

وإذا كان من أحب شيئا أكثر مـــن ذكـــره فنجـــد الشـــاعر يعيـــد ويزيد ويبدأ ويعيد على مسامعنا ذكـــر نخلتـــه الوفيـــة وأمـــه الـــرؤم

---

[1] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات لفوزى العنتيل ، صـــ ٦٩ .

[2] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـــ ٧٠ .

وعشيقته الوالهة ومحبوبتــه الهائمــة فيناديــها ويخاطبــها ولا يمــل من مخاطبتها فهى جنته ، وهى عرس أفراحه وهـــى فجــره البعيــد كم ألفها وألفته وشاقها واشتاقت إليه فى عمر الصبـــاح الوليــد وكــم رددا لحن الغناء الخالد فـــى الروابـــى ، وفـــى الظـــلال الخضـــراء لحنا يمرح فيه الوجـــود فالنخلـــة جــزء لا يتجــزأ مـــن ذكريـــات الشاعر العنتيل وصباه وطفولته فهو يجـــرى تحتــها وهـــو يســتظل بظلها وهو يلتقط الرطب وهو يلعب مع الفتيـــان أترابـــه ومـــن هـــم فى عمر الزهـــور .

وتتجسد فى صباه ذكرياته وعلاقاتـــه بالنـــاس والأشـــياء هنـــاك منذ أن كان طفلا فشـــابا يمـــلأ الزمـــان والمكـــان بحركتـــه الحـــرة الطليقة ينفعل بكل شـــئ ويختـــزن كـــل صـــورة وتتجســـد أمامـــه الرؤى منها فى انفعال يأسى له ويفـــرح بـــه .

يا نخلتـــى السمـــراء يا جنتـــى ... يا عـــرس أفراحـــى وفجرى البعيد
كم عـــانقت نجـــواك أشواقنـــا ... ونحـــن فى عمـــر الصبـــاح الوليد
علـــى ذراعيـــــك أناشيدنـــــا ... ترقـــص فى صمت الروابى السعيد
وفى الظـــلال الخضر كـــانت لنـــا ... أرجوحـة يمـــرح فيهـــا الوجـــود

ثم يدير الحديث ويعقد الحوار مـــع نخلتـــه السمـــراء وذكرياتـــها المليئة بالحب والإكبار والإعجـــاب والـــهيام فيســـألها هـــل تذكريـــن الصبية الضاحكين وهم يعبثـــون بالميـــاه ويؤرقـــون نومـــها ، وهـــم يقنصون الطيور ويصيدونها من أوكارها فى فرحـــة عظيمـــة وهـــم يرشقون الغيم بحصاهم وهم يسمرون تحتـــها فـــى قصـــص بريئـــة

تستغرق جوانحهم وخواطرهم وخيالاتــهم ، ثـم يســأل نخلتــه أيــن مضوا رفاقه ؟ وفي أي درب سلكوا ؟ لقـــد تفرقــوا وانفــض عقــد السمر ، لقد بلغ بهم السير منتهاه والتعــب مــداه ، والأمــل غايتــه وأجهدت أرواحهم عواصف تعوى وريح تمــر ، وهكــذا الحيــاة .

هل تذكرين الصبية الضاحكين — يؤرقــون الجــدول النائمــــا؟
ويقنصون الطيـــر مــن عشــه — فــى فرحــة تســتغرق العالمـــــا
ويرشقــون الغيـــم فـى سيـــره — حصا يـــرش الأفـــق الغائمــــا
ويعبـــرون الليــــل فـى قصــة — خضـــراء فوقهـــا عائمـــــا
يـا جنتـــى أيـــن رفـاق الصبـا؟ — نعـــدو كمـــا كنـــا وراء القمــر
ونحصــــد الليـــــل بأحلامنـــا — ونـــزرع الأوهـــام فـى المنحــدر
أيـــــن مضــــــوا . . ؟ — فـــى أى درب تــــــــرى ؟
تفرقـــــــــــوا . . . . — وانفـــض عقـــد السمـــــــر
هـل أجهــدت أرواحـهم مثلنـا ؟ — عواصف تعــوى وريـــح تمــر
تدفعهـــم للحقـل فى قســــوة — ليبـذروا آمـــالهـم للقــدر[(١)]

فالشاعر فوزى العنتيل ابن القرية أحبها وأحب كــل شــئ فيــها، ولم يكن حبه قاصرا على النخلة وله ذكريات عديـــدة فيــها كموســم الحصاد ، وذكرياته مع أعمامه وجلســائه تحـت جنــح الظــلام أو على ضوء قمر ليالى الصيف ، فكل شئ فـــى القريـــة يجذبــه إليــها بشدة ، والقرية جزء من تكوينه وجزء مـــن حياتـــه .

هنــاك نهــر حيــاتى وجنتــى وربيعــى

وعندما يبتعد الشاعر عن قريته يحن إليــها وتبــدأ أشـواق قلبــه

(١) ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـ ٧١ .

تخفق على البعد ويتلهف على العودة فى لهفة المحب الذاكر الذى أحس أن عمره فى المدينة صحراء مجدبة فيستدير إلى واحة العمر يناجيها :

يا واحة العصر الجديب ... على الطريق الساحر[1]
أنا عائد يوما إليك ... مع الربيع الزاخر
فى نسمة الشمس الوضيئة ... فى النسيم العابر
فى موكب الزرزور يحملنى ... جناحا طائر
فى لهفة خفقت بها ... روح المحب الذاكر

ويعلق عيسى الناعورى على هذه الأبيات بقوله : "وذكريات القرية وصورها ورؤاها كثيرة وبين رؤاها الحلوة والمرة وهى تختلط أحيانا فتختلط معها حدود الإنسانية وحدود الوجود فإذا لا حدود ولا فوارق ولا أوطان ولا غرباء[2] .

وفى ديوان (عبير الأرض) لا ينسى النخيل وقصة الألف عام التى توارت وراء ليل الحياة .

تدفق الفجر فيها وذاب فى الكائنات
والنهر جر خطاه وانداح فى الظلمات
فإتحد الماء والنور فى عروق النبات[3]

وهى قصيدة طويلة تحكى علاقته مع الأرض وحبه لها

---

(1) ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، صـ ٤٩ .

(2) شاعران من وادى النيل لعيسى الناعورى ، مجلة الديار اللبنانية .

(3) ديوانه " عبير الأرض" لفوزى العنتيل ، صـ ١٣٥ .

وعشقه إياها وكيف كان جده وقد عـاش حياتـه قبلـه فـي ضميـر الحقول ، فأرضه حياته ، جنته ، ربيعـه ، أملـه .

وفى قصيدة (نشيد النيل) يتحدث عـن النخلـة وأثرهـا الفعـال على جمال النيل فالنخيل يمتد علـى ضفـاف النيـل يزيـن منظـره ويزيد من جماله وبهائـه ويتواصـل معـه فـي العطـاء وإغـداق الخير للبشر وللناس أجمعيـن .

هنالـك نخلتـى السمـراء — فـى السفـح تناديـنـى
تراهـا تذكـر الأمـس الـذى — مـا زال يـدعـو نـى
أوافيهـا فتضحـك لـى — وأسألهـا فتعطينـى
إذا ما جئتهـا فـى الصيـف — ردت نـاره دونـى
ومـدت ظلهـا الأخضـر — إن نمـت يغطينـى

فهذا شعور عميق بالحب مرجعـه كمـا توحـى الأبيـات إلـى التجاوب الذى كان يجده الشاعر فى نفسه تجاه النخلـة ممـا يخلـق إحساسا بالشعور المتبادل بينهما ، فالنخلة تناديـه والنخلـة تضحـك له ولقد ترجمت النخلة هذا الإحساس إلـى حقيقـة ماديـة ملموسـة هى العطاء أسألها فتعطينى وهذا الإحساس بالتجـاوب بينـهما إنمـا يمثل تجاوبا وحنانا بين الإنسان والطبيعة طبيعـة بـلاده[١] .

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فـي تعليقـها علـى الأبيـات السابقة "لقد ارتفعت النخلة على نفسـها فغـدت أمـا رؤومـا لـيا

---

[١] النيل ، د. نعمات أحمد فؤاد ، صـ ٩١ .

سمات الأمـــــهات ... ثـــم التصويـــر الكلـــى الـــذى استوفى كـــل خصائص الأم من مشاعر وكـــلام وحركـــة وخصوصيـــات تتفـــرد بها الأنثى عن الرجـــل كالحنـــان الـــذى يبـــدو فـــى مدهـــا الظـــل الأخضر على الشاعر إذا نام ومن قبلـــه تـــذب عنـــه نـــار الصيـــف بالإضافة إلى الأمس الذى يدعوه فكـــأن مشـــاعر الزمـــان والمكـــان توحدت نحو الشـــاعر"(١).

فنخلته تشتاق إليـــه فتناديـــه وتذكـــر ذكريـــات الأمـــس فتدعـــو ويوافيها فتضحك لـــه ويســـألها فتعطيـــه وكـــم لـــها عليـــه منـــن لا تحصى وإياد بيضاء فلا ينسى الشاعر نخلته وقـــت أن كـــان يـــأوى إليها من حرارة الشـــمس فتكـــون كالواحـــة يـــأوى إليـــها المجـــهود فيستريح والجائع فيطعم والقلق فيطمئـــــن .

إنها أشبه بالأم الحانية على طفلها يجد فـــى أحضانـــها كـــل مـــا يأمله ويرجوه ويتطلع إليه ويحبـــه .

وفى قصيدة "ليلة فـــى الغربـــة" يذكـــر المعانـــاة التـــى يعانيـــها الفلاحون وكدحهم الدائـــب وتعبـــهم المتواصـــل وعنـــاؤهم الشـــديد وهم يسمعون القصـــص العجيبـــة الغريبـــة أشـــبه بقصـــة هـــارون الرشيد وقصـــره المصبـــوغ بـــالعطر النـــدى ، وعـــن المصـــابيح

---

(١) لنيل ، د. نعمات أحمد فؤاد ، صـ ٩٢ .

الملونة العيون ترش بالأحلام بيت الحاكم .

ومدينة تحت الثرى مطمورة
ذهبية الحيطان والأبهاء

والنخل شاهد على هذه الذكريات ويعايش هذه الآلام وتلك المنى والأحلام وهو شاهد صدق .

وسمعت قصة ألف عام لم تزل
تطوى لتنشر في الشتاء القادم
عن ليل هارون الرشيد
وقصره المصبوغ بالعطر الندى الهائم
وعن المصابيح الملونة العيون
ترش بالأحلام بيت الحاكم
ومدينة تحت الثرى مطمورة
ذهبية الحيطان والأبهاء
والنخل يخفق فى حنان ناشرا
أغصانه فى القبة الزرقاء
وخوار أبقار تصعد فى السماء
يشكو إليها قصة الضعفاء
وهنا غراب تائه متنقل
يطوى عقود النخلة السمراء
وأنقضَ سامر ليلة شرقية
فى الريف بين مواكب البسطاء[1]

---

(1) ديوان عبير الأرض ، صـ ١٦٦ .

المبحث الثالث
الدراسة الفنية
للنخيل في شعر فوزى العنتيل

الألفاظ والأساليب :

إذا كانت الكلمات هي العناصر الأولى في لغة الشاعر فإن على الشاعر أن يحرص على إختيار الكلمات التي تساعده على التعبير عن الصورة التي يريد أن يقدمها ، والمطالع للغة العنتيل يلاحظ أنه ينتخب الألفاظ التي تتلاءم وتجربته الفنية ونوعية الصورة فهو يميل إلى الألفاظ الرشيقة ذات الخفة على اللسان وحسن الوقع في الأذن وذات الامكانيات الموسيقية الصافية الهامسة البعيدة عن الصخب الخطابي ، وفوزى العنتيل جمع في شعره بين القديم والجديد بين الكلاسيكية والرومانسية ، ولذلك فشعره يرتكز كله أو أكثره على الجديد القديم فألفاظه واضحة وضوح أهل الريف وأساليبه سلسة سهلة عذبة عذوبة ماء النيل الذى يجرى على أطراف قريته ، وليس هذا غريبا على شاعر كالعنتيل نشأ في الريف وأحبه حبا جما .

ويكاد يكون لفوزى العنتيل معجمه الفني الخاص به إذ تراه يتجه إلى القرية فيغترف ألفاظه من رؤاها اغترافا كما يغترف من النهر مثل كلمات النخيل ... الجداول ... الساقية ...

الفأس ... الكوخ ... الترع ... السيسبان وكلها أصوات تحكى صوت الواقع أو ترسم حركة فى غيز عامية أو ابتذال فأسلوب فوزى العنتيل ليس فيه تقعر ، فهو يستعمل مفردات اللغة الصحيحة السهلة الرقيقة والدقيقة دون تحريف فيها ، وهذا دليل على مقدرته الفنية ومهارته الأسلوبية .

وفى مجال الأسلوب يحس القارئ لقصائد العنتيل أن أسلوبه يتميز بالسلاسة والوضوح من حسن تآلف الألفاظ وعدم غرابتها ومع عدم إبتذالها وإنسجامها مع روح التجديد .

ونستطيع أن نجمل خصائص أسلوبه فيما يأتى :

١ ــ الحوار .

٢ ــ الاقتباس والتضمين .

٣ ــ قاموسه الشعرى يبعد عن الغرابة والغموض والتقعر .

٤ ــ التكوار .

٥ ــ استعمال الأساليب الإنشائية التى تدل على التجدد والحدوث .

وتتجسد خصائص أسلوبه السابقة فى حديثه عن النخيل فتشمل خصائص أسلوبه كلها ، فهو يعمد إلى الأسلوب الإنشائى الذى يثير التجدد والإستمرار والحدوث كالإستفهام والنداء والأمر والنهى والتعجب واستعمال الفعل المضارع .

١ ــ فهو يعمد إلى استعمال أساليب الإستفهام واستعمال أدواته مثل : هل ، الهمزة ، أين .

فهو يتساءل عن أثر طيف الشعر فى إيناس وحدته :

أطيفك هذا الذى يرتمى على وحدتى ؟
كنخلات قريتنا الوادعة

وهو يستفهم عن قصة الغرام والحب والهيام بينه وبين نخلته فى عمر الصباح الوليد وفى فجر حياته السعيده وتتداعى ذكرياته مع نخلته فيثير أشجانها باستفهامه (هل) :

هل تذكرين الصبية الضاحكين يؤرقون الجدول النائما
ويقنصون الطير من عشه فى فرحة تستغرق العالما
ويرشقون الغيم فى سيرد حصا يرش الأفق الغائما
ويعبرون الليل فى قصته خضراء فوقها عائما

ويستفهم عن رفاق صباه وأحبته ، أين مضوا ؟ وفى أى درب سلكوا ؟ وهل للاجتماع بهم من سبيل ؟

أين مضوا ...... ؟ وفى أى درب ترى
تفرقوا . ؟.......... وانفض عقد السمر
هل أجهدت أرواحهم مثلنا عواصف تعوى وريح تمر ؟

٢ ــ وهو يعمد إلى أساليب النداء لبيان العلاقة الوثيقة بينه وبين النخيل والوشائج الممتزجة بينهما .

يا نخلتى السمراء يا جنتى يا عرس أفراحى وفجرى البعيد

فنخلته السمراء جنته وعرس أفراحه فهو يناديها ويناجيها ويسألها ويخاطبها إظهارا لروح المودة بينهما .

يـــا جنتـــى أيـن رفــاق الصبــا؟ نـحـدو كمـــا كنـــا وراء القمــــر

وكما ينادى نختله ويحن إليها فإن نخلته تناديــــه وتتجــاوب معــه وتبادله نفس المشاعر والأحاســيس .

هنالــك نخلتـــى السمـــراء فـــى السفـــح تناديـنـــى

٣ ـ وهو يعمد إلى أسلوب التكرار إظهارا للتلـــذذ وإظــهار للحـــب والشوق بينه وبين النخيـــل :

يا نخلتـى السمـراء يا جنتـــى يا عـــرس أفراحـــى وفجرى البعيد

ويقـــول :

هنالــك نخلتـــى السمـــراء فـــى السفـــح تناديـنـــى

ويكرر ثالثة لفظ النخل فيقـــول :

والنخـــل قصـــر سمـــوق مسقـــف بالمرايـــــا

ويعيدها على مسامعنا رابعة فيقـــول :

ونخلتـى السمـــراء فى صمتهـا مبهـورة الأنفـــاس بين السهــول

ولا يمل من تكرار (النخل) فهو معشـــوقه ومحبوبـــه .

والنخـــل أطفـــال علـى شطـــها يعبثن فى مزمارهـــا الشـارد

والنخل شاهد على ذكريات صباه .

والنخل يخفـق فى حنـــان ناشرا أغصانـــــه فـــى القبـــة الزرقـاء

وطيف الشعر آنس وحدته .

كنخلات قريتنــا الوادعـــه

وهكذا يكون تكرار اللفـــظ للتلـــذذ بذكـــره أو لإظـــهار أهميتـــه وبيان شأنه ، والنخيل شئ محبب إلـــى نفـس العنتيـــل فـــهو شـــاهد على صباه وله معه ذكريات أحبها وبقيت عالقـــة فـــى ذهنـــه حتـــى

بعد أن ترك قريته فإنه لن يترك ذكرياته .

والعنتيل فى ألفاظه وأساليبه يبعث الحياة فى الكائنات ويبعث الأمل فى الجمادات ويجعل من الكائنات الجامدة ذوات متحركة لها أحاسيس ومشاعر وانفعالات وتجاوب مشترك ولنتأمل هذه القطعة من شعره حيث يقول :

هنالك نخلتى السمراء | فى السفح تنادينى
تراها تذكر الأمس الذى | ما زال يدعونى
أوافيها فتضحك لى | وأسألها فتعطينى
إذا ما جئتها فى الصيف | ردت نار دونى
ومدت ظلها الأخضر | إن نمت يغطينى

فهو يستعمل الألفاظ الموحية والعبارات المؤثرة ويبعث الحياة فى ألفاظه فيتعامل معها تعامله مع الكائن الحى فالنخلة تناديه والأمس يدعوه وهو يوافيها فتجيبه ضاحكة ، ويسألها فتعطيه وهى تبسط ظلها عليه .

ومن خلال إحساسه بها والتعامل معها تكونت اللوحة فاكتسبت ذاتيتها وجدتها وأصالتها فلم يستمدها من محفوظاته ، وإنما هى تجسيد وخلق جديد لرؤيا داخلية تشخص الطبيعة فكون النخلة تناديه ويسألها فتعطيه صورة لا وجود لها فى الواقع ولكن لها وجود فى وجدانه فهو يصفها وصفا فنيا حتى يتمكن من البوح بمشاعره لها وصفا حسيا يبرز اللون أو الحجم.

وأيضا اللجوء إلى اللفظ السهل الممتلــئ الــذى يكــون صــورة فى حد ذاته بالدلالات الشعورية التى تكتســب مــن الســياق كلفظــة (تعطينى) فهى على بساطتها مترعة بمعــانى نجــد لــها فــى قلــب الشاعر تجاوبا فهى تعطيه التمر والظــل والوفــاء والحنــان ، وقــد أوحى بهذا عدم تقييده العطاء ، إن لفظة (تعطينـــى) فــى موضعــها غنية سخية موحية ، وكذلك لفظة (تضحــك) التــى توحــى بــالحب والسرور والبهجة فالضحك لا يكــون إلا عــن صلــة قويــة قائمــة تختزن الحب وتختزل الوفاء وتبعث البهجــة والســرور والحبــور ، وكذلك (مدت ظلها الأخضر) فــــهى مؤئــل للراحــة وهــى راحــة المكدود وهى بساط المتعبين وهــى عــرش المجــهد ، وفــى قولــه (إن نمت تغطينى) فهى أم رؤوم تحنو علــى صغارهــا تــهيئ لــهم أسباب النوم ووسائل الراحة وعوامل الــدفء والحنــان .

والنخلة جزء لا يتجزأ من ذكريــات العنتيــل وصبــاه وطفولتــه فهو يجرى تحتها وهو يستظل بظلــها وهــو يلتقــط الرطــب وهــو يلعب مع الفتيان أترابه ولداته ومن هم فى عمــر الزهــور .

والنخل يشارك أهل القرية المعاناة التــى يعانونــها والآلام التــى يرزحون تحت نيرها نلمح ذلك فى تعبــيره بقولــه والنخــل يخفــق فى قولــه :

والنخل يخفــق فى حنــان ناشرا أغصانـــه فـــى القبـــة الزرقاء

وهكذا جسد لنا النخلــة وجعلــها كائنــا يحيــا يشــعر بشــعور

الآخريـــن ويشـــاركهم معاناتـــهم وآلامـــهم يفـــرح لفرحـــهم ويســـر بسرورهم ويحزن لأحزانهم فـــهى تضحـــك وهـــى تخفـــق ، وهـــى تنادى وهى الأم العطوف والصـــدر الحنـــون والواحـــة التـــى يفـــئ إليها المكدودون المتعبـــون .

ونلمح فى خصائص أســـلوب فـــوزى العنتيـــل ثقافتـــه الأدبيـــة التاريخية الواسعة والمامه بشـــتى عصـــور الأدب فيضمـــن شـــعره وأساليبه ألوانا من أحداث ووقائع العصـــور المختلفـــة .

الصـورة الفنيـة :

لا نجد شاعرا أحب الريـــف بنخيلـــه وأشـــجاره وعـــادات أهلـــه مثل فوزى العنتيل ، ولم يبدع شاعر فيما أبدع مـــن وصـــف مثلمـــا أبدع فوزى العنتيل فى وصف النخيـــل .

فالعنتيل يهتم بالقريـــة ومرائيـــها البشـــرية والطبيعيـــة وواقعيـــة الحياة فيها وألوان المعاناة التى شكلت حياة الريـــف وأهلـــه .

ولذلك يقول الأستاذ صلاح عبـــد الصبـــور عـــن شـــعر فـــوزى العنتيل "لن نجد ديوانا معاصرا يمثل الريـــف فيـــه بـــهذا الوضـــوح فالنخل والأغصان والطيور عنـــاصر شـــعرية واضحـــة والشـــاعر منفعل بالريف مستمد لصوره منه حتـــى وهـــو فـــى المدينـــة فـــأنت تحس بأعماق قلبه رجعة إلى الريف وخفوقـــا دائمـــا إليـــه وصـــورة

جمالية خلابة لطبيعته حتى لكأنه واحة المتعبين الطيبة" .

والصورة الفنية عند العنتيل مستمدة من البيئة الريفية وليس هذا غريبا على شاعر كالعنتيل نشأ فى الريف وأحبه حبا شديدا فأحيانا ينقل فوزى العنتيل مظهرا ريفيا ليسلكه مع شئ آخر عن طريق التشبيه أو الإستعارة صانعا بذلك صورة ريفية فتتآزر الصور الجزئية فى شعر فوزى العنتيل ليخلق مشهدا كليا ينحصر فى المكان أحيانا ليرسم لوحة فنية تتحرك وتتلون وتتكلم .

ويقول عيسى الناعورى عن العنتيل إن جميع صوره منتزعة من صميم الريف من عمل الفلاح الطيب من قلب الأرض القروية السخية التى تجعل البذور تنبت وتورق من هناك أخذ العنتيل صوره الشعرية ورؤاه واستعاراته واعيا أو غير واع ولكن لا وعيه فى مثل هذا يجعله أصدق فى حبه العميق للريف وحياته وأصدق فى تعبيره عن تجربته الإنسانية والإجتماعية هذه .

ولا شك أن الإنسان ابن بيئته وينفعل بما يراه ويشاهده ويصوره تصويرا ينسق مع تجربته الإنسانية وعاطفته المشبوبة بحب الريف وأهله .

وشاعرنا العنتيل له ريشة فنان يجيد رسم الصور ويستمدها

من واقع بيئته التى عشقها وأحبها وفتن بها وهـام بـها ، ونسـتطيع أن نقطف من أزاهير بستانه الشعرى بعض الصـور البيانيـة التـى أبدع فيها وانتظمت مشاهده ومرائيـه .

الصـورة الأولى :

يقول فوزى العنتيـل :

أطيفـك هـذا الـذى يرتمـى علـى وحدتـى ؟
كنخـلات قريتنـا الوادعـه

فهو يصور طيف الشعر وقد عاوده بعد انقطـاع فبـدد وحشـته وأزال غربته وفتح له آفاقا واسعة من الحيـاة والتجـدد والإينـاس ، وقد جاءه هادئا منسابا رقيقا رقراقا كنخلات قريتـه الوادعـة فـأثلج صدره وبعث فيه الطمأنينة وحل بنفسه الحبـور والسـرور .

الصورة الثانيـة :

وفيها يتحدث عن عودته إلى قريته بعدمـا غـاب طويـلا عنـها فاشتاق إليها واشـتاقت إليـه وفتحـت لـه أذرعـها وأخذتـه فـى أحضانها وعانقته بقبلاتها الحارة وكـان النخيـل أحـد معـالم هـذا الاستقبال الحار العنيف ولنتأمل معه فى رسـم هـذه الصـورة .

يقول العنتيـل :

فعانقتنـى قريتـى مثلمـا ... يعـانق العـاشق خطـو الحبيب
وأذرع النخـل وراء الربـا ... أجنحـة تسبـح تحت الغـروب
أومـت وحيـت فى جـلال ... سرى حنينـه الدافق عبر الدروب

وصافحت روحـــى بأنسامهـــا   وأغرقتنـــى فى شذاها الرطيـــب

وهو يصور عناق قريته واستقبالها له اســـتقبال العاشـــقين ومـــن بينها النخيل الذى أومأ بالترحاب وأشار فى حب وحيـــا فـــى جـــلال بأجنحته التى تسبح تحت غـــروب الشـــمس .

الصـورة الثالثـة :

وفى صورة ثالثة يصور النخيل بأطفـــال اصطفـــوا صفوفـــا وقـــد شاركوا فى اســـتقباله وهـــم ينشـــدون أناشـــيد الترحـــاب والتحايـــا ويعزفـــون الموســـيقى الحالمـــة الآمنـــة الوادعـــة فرحـــا بمقدمـــه واستبشارا بطلعتـــه .

يقول العنتيـــل :

استقبلتنـــا قريتـــى النائمـــة   تحت سفـــوح الجبـــال الصاعـــدة
تثائبت فى حضنـــه وارتمـــت   تائهـــة فـــى حلمـــه الخالـــد
والترعـــة السمـــراء طـــافت بـــها   ترضعـــها مـــن صدرهـــا الناهـــد
والنخـــل أطفـــال على شطـــها   يعبثن فى مزمارهـــا الشـــارد

الصـورة الرابعـة :

وفى صورة أخرى يصـــور النخلـــة بعاشـــقة انقطعـــت أنفاســـها عند رؤية عاشقها ، وعندما رأته تجددت الذكريـــات وتداعـــت لـــها أحاديث الصبـــا والغـــرام وطفـــت علـــى الســـطح تبـــاريح الـــهوى والهيام، فهى لم تنس هذا الشاعر الذى نعمـــت بـــالقرب منـــه زمنـــا طويلا ، وهو يروى أساها بعشقه الطويـــل وحبـــه المبـــدع الآخـــاذ

وتوهج مشـاعره .

يقول العنتيل فى هذه الصـورة :

ونخلتـى السمـراء فى صمتها … مبهورة الأنفاس بين السهول[1]
تصغى وراء الأفق عبر المـدى … لعـاشق روى أساهـا الطويـل
مـر بها تحت جناح القمـر … ذات مسـاء شاعـرى جميـل
فـذاب فى الليـل صـدى لحنـه … بنـات خـوفـو شاعرات الحقول

الصورة الخامسة :

وفى هذه الصورة تكثر التشـبيهات وتتعـانق الـرؤى والظـلال ويرسم لوحة متكاملـة فنخلتـه جنتـه التـى يجـد فيـها سـروره وأفراحه وهناءتـه وسـعادته ونخلتـه عـرس أفراحـه ، وواحتـه الفيحاء التى يجد فيها المكدود راحته ويفئ فيها إلـى الظـل الظليـل والغدق النمير فكم عانقت أشـواقه وسـمعت نجـواه وألقـى علـى مسامعها الأناشيد ورتـل المزامـير وطـرب هـو والزمـان وفـى ظلالها الخضر مرح وفرح الوجـود معـه .

يقول العنتيل فى هذه الصـورة :

يا نخلتـى السمـراء يا جنتـى … يا عـرس أفراحـى وفجرى البعيد
كـم عـانقت نجـواك أشواقنـا … ونحن فى عمـر الصبـاح الوليـد
علـى ذراعيـك أناشيدنـا … ترقص فى صمـت الروابـى السعيد
وفى الظـلال الخضر كـانت لنـا … أرجوحة يمـرح فيهـا الوجـود

---

[1] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـ ٧٠ .

الصورة السادسة :

وفى هذه الصورة يصور ظل النخل بالعرش الذى يتربع عليه ويصور النخل بالقصر السموق المرتفع مسقف بالمرايا وتحته وسد رأسه وقرت عينه واطمأن خاطره .

وفى تصويره النخلة بالقصر السموق ما يدل على علو شأنها ورفعة قدرها فقد كان القصر بالنسبة للريفى شيئا مرهوبا وعظيما لأنه غير مملوك إلا للإقطاعي أو الحاكم فالنخلة عزيزة فى منالها كعزة الإقطاعى ومتعاليه كتعاليه وساطعة شامخة كقصره الذى تشرئب العيون إلى النظر إليه ، والنخلة تطاول عنان السماء فى تيه واعتزاز .

يقول العنتيل فى هذه الصورة :

فى الحقل والظل	**عرش ممهد وحشايا**
من التراب بنتها	**عند الضحى كفايا**
والنخل قصر سموق	**مسقف بالمرايا**
هناك وسدت رأسى	**صدرا أحب هوايا**

هذه نخلة العنتيل ظل ظليل لمن يستظل بها وقصر سموق مسقف بالمرايا ينتفع بها الجميع ويستمتع بالنظر إليها .

أما نخلة الشاعر محمود حسن إسماعيل فهو يراها حبيسة القصور فلا يستمتع أحد بها فهى صورة من ظلم الإقطاعى وجبروته ينظر الناس إليها فلا يستظلون بظلها ولا ينعمون من

خيرها ولا يلتقطون من رطبها فلا وصول إليها لأنها حبيسة القصر الذى لا يصل إليه ولا إلى إصحابه أحد ، فهى عابسة مثلهم ومكشرة مثلهم .

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل فى وصف النخلة :

ونخلة فوقك تهدى الجنى ... والظل يستذرى بها العابر
تهتز للسارى ونخل الودى ... فى القصر مرهوب الحمى كاشر

الصورة السابعة :

وفى هذه الصورة يصور النخيل وهو شاهد على الذكريات الأليمة والمعاناة القائمة والآلام التى لازمت الريف المصرى وأهله فى زمن المستعمر الغاشم والإقطاع الظالم ، فيرسم هذه الصورة فالنخل يتفاعل ويتجاوب مع هذه المعاناة التى يعيشها الفلاح فينشر أغصانه فى القبة الزرقاء وخوار الأبقار يصعد فى السماء فيشكى قصة الضعفاء وغراب تائه متنقل فى ظلمة الليل البهيم يطوى عقود النخلة السمراء أشبه بالإنسان التائه فى هذه الحياة الذى لا نصير له .

إنها قصة الإنسان المظلوم والفلاح المحروم الذى لا يجد له ناصرا أو معينا إلا الله فيرفع شكواه إليه ويبسط راحتيه إليه ، فيراه فى الظلماء وينصره فى اللأواء ويعينه على البلواء .

يقول العنتيل فى هذه الصورة :

والنخل يخفق فى حنان ناشرا

أغصانــــــه فــــى القبـــــة الزرقــــــاء
وخــــوار أبقـــار تصعــــــــد فـــى السمـاء
يشكـــو إليهـــا قصــــة الضعفــــــــاء
وهنــــــا غـــــراب تائـــــه متنقــــــل
يطــوى عقـــــود النخلـــــة السمـــراء

الصورة الثامنـــة :-

وفى هذه الصورة يعقد حوارا مـــع النخلـــة فيصورهـــا بإنســـان مدغدغ المشاعر مرهف الأحاســـيس والوجـــدان .

والنخلة تناديه وتناجيه ، وهى تضحك لــــه عندمـــا تـــراه مقبـــلا وهى تعطيه عطاء سخيا وهى ترد عنــــه نـــار الصيـــف وحرارتـــه الشديدة ، وهى تمد ظلـــها الأخضـــر فتغطيـــه وتســـتره ، إنـــها الأم الحنون التى لا تبخل على بنيـــها ، والتـــى تبـــذل بســـخاء لأولادهـــا والتى تعودت العطاء فلا تبخل بــــه .

يقول العنتيل فى هذه الصــــورة :

هنالــك نخلتـــى السمــــــراء فـــــى الســـــفح تناديـنـــــــى
تراهـــا تذكـــر الأمـــس الـــذى مــــــا زال يـــدعـــــو نــــى
أوافيهـــــا فتضحـــك لـــــــى وأسألهـــــا فتعطينـــــــــى
إذا مــا جئتهـــا فــى الصيـــــف ردت نـــــاره دونـــــــــى
ومــــدت ظلهــــــا الأخضـــر إن نمــــــت يغطينـــــــى

الموسيقـــا :

الموسيقا كما يقـــول الســـحرتى : "جنـــدى مـــن جنـــود التعبـــير الشعرى" ، والشعر يحلو بالموســـيقى الجيـــدة ويضعـــف شـــأنه إذا

كانت موسيقاه غير جيـــده[١].

والموســيقا العروضيــة يقصـــد بــها الأوزان والقوافـــى أو مـــا يسمى الموسيقا الخارجيـــة .

وفوزى العنتيل جمع فى قصائده بين الشـــعر التقليـــدى والشـــعر الحر فقد نظم ديوانه الأول عدا قصيدتيـــن منـــه ، وبعـــض قصـــائد ديوانه الثانى شعرا عموديا وحافظ على وحدتـــى الـــوزن والقافيـــة، ونظم من الشعر المقطوعى الذى حـــافظ فيـــه علـــى وحـــدة الـــوزن مع تنوع القافية أكثر شـــعره ، ولـــم يلـــتزم وحـــدة القافيـــة والـــتزم القافية ذاتها ، ونوع فى القوافى دون نظـــام مســـبوق علـــى حســـب ما يتوفر له النفس الشعرى الطلق وما يتطلبـــه المعنـــى[٢] .

وفى مجال الشـــعر العمـــودى يؤثـــر الشـــاعر فـــوزى العنتيـــل النظم فـــى الغـــالب مـــن البحـــور القصـــيرة كـــالمجتث والـــهزج ومجزوء الكامل ومجزوء الرمل ومجـــزوء الرجـــز .

فالنوع الأول الـــذى ســـار فيـــه الشـــاعر فـــوزى العنتيـــل فـــى قصائده هو النظام التقليـــدى ؛ أى التقييـــد ببحـــور الشـــعر العربـــى وبالأوزان العروضيـــة.

---

[١] الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى ، صـــ ١٠٩ .

[٢] مجلة روزاليوسف "شاعر الريف والطبيعة والمستضعفين" ، صـــ ٣٥ .

وهذه الطريقة ليست مثار تساؤل بل قد تكون موضع رضا الكثير من النقاد لأنها اقتفت خطا التراث الشعرى والأوزان العروضية المعروفة .

أما النوع الثانى فهو الشعر الحر . والشعر الحر : هو الذى لم يلتزم فيه الشاعر بوزن أو قافية أو روى .

وهذه الطريقة موضع جدل بين الدارسين بين رافض لها ومؤيد .

ويمثل فريق الرافضين الأستاذ عيسى الناعورى الذى راح يعيب على الشاعر فوزى العنتيل هذا الإتجاه ويأخذه عليه لما فيه من تفكيك الشعر وتخليعه في أسطر متلاحقة لا تنسجم فيها التفاعيل ولا تتناغم ويستطرد قائلا ولعله فعل ذلك ظنا منه أن هذا الترتيب هو موضة العصر التى لا يرضى القراء بغيرها وهو ظن خاطئ إلى حد بعيد[١] .

وأنا أوافق هذا الإتجاه وأؤيده فالشعر الحر هدم بناء الأوزان العروضية وقضى على بحور الشعر العربى بزعم التجديد والتطور وسيرا على اتجاه أبى العتاهية الذى كان يقول : أنا أكبر من العروض.

---

[١] شاعران من وادى النيل لعيسى الناعورى فى جريدة الديار اللبنانية ، صـ ١ .

أما الفريق المؤيد فيمثله الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ الذى يقول : "وحسبانى أن فوزى حين كتب قصائد ديوانه بطريقة الشعر الحر ، كان يريد أن يجعل الكتابة جزءا من القصيدة أو من مكوناتها الفنية على الصحيح" (١).

وهذا حسبان لا مبرر له فالقصيدة عند العنتيل بصفة عامة (عمودية أو حرة) فالعنتيل عاش الحالتين : الصورة التقليدية بوزنها وقافيتها والصورة الحرة مع تهدلها وفوضويتها .

(١) صورة من الشعر الحديث ، د. عبد السلام عبد الحفيظ ، صـ ٦٠ .

الخاتمــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتتوج الأعمال بالقبول

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

الحمد لله الذى أعان على الدرس ويسر البحث وعبد الطرائـــق وذلـــل الصعاب وسهل العقبات وفتح الأبواب ونجح المقصد ووفق ـ سبحانه ـ لما يحب ويرضى .

ونصلى ونسلم على الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم ســيدنا محمــد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومـــن تأدب بأدبه وسار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين .

وبعـــــــــــد... ،

فقد كشف هذا البحث عن علم من أعلام الصعيد وأديب من أبنائـــه وشاعر من شعرائه واستقصى ظاهرة فى شعره هى (النخيل فى شـــعر فوزى العنتيل) .

وبدا لنا أن فوزى العنتيل ظاهرة فنية لبيئة أسيوط وأنه جمع فـــى شعره بين الشعر التقليدى والشعر الحر ، وأن قصائده تعبر عن القرية وآلامها ومعاناتها ، وأنه متأثر فى صوره بالريف الذى منحه كل حبــه وولائه ، وهو يعمد إلى الرومانسية والتعامل مع الطبيعة والعيش فـــى

كنفها ورحابها وأن أسلوبه سلس عذب واضح عذوبة ماء النيل الذى يجرى بواديه ويحيط بقريته ، ويغترف منه اغترافا وأن صوره الفنية مستقاة من الريف ومأخوذة من واقع حياته .

وأنه أبدع فى وصف النخيل إبداعا تميز به على نظرائه وأشباهه من الشعراء .

ومن الله استمد العون وأسأله التوفيق والسداد والقبول والأخذ بنواصينا إلى الخير والهدى والتقوى وهو حسبى ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم (سبحان من أنزله) .

٢ - الأدب وفنونه للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة ، الفجالة، القاهرة .

٣ - الأدب وفنونه للدكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦م ، طبعة سادسة .

٤ - الأسلوب لأحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣م ، طبعة ثانية .

٥ - البناء الفني للقصيدة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

٦ - ديوان الأعشى .

٧ - ديوان إمرؤ القيس ، دار صادر ، بيروت .

٨ - ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، الطبعة الأميرية ، بولاق .

٩ - دراسات فى الأدب والنقد للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة دار الطباعة المحمدية ، ١٩٥٦ .

١٠ - ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥.

١١ - ديوان رحلة فى أعماق الكلمات لفوزى العنتيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

١٢ - ديوان الجمال والحرية والحب لفوزى العنتيل (مختارات من الشعر الحرى) ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

١٣ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى السحرتى ، مطبعة النهضة ، مصر .

١٤ - الشعر العربى المعاصر للدكتور عز الدين إسماعيل ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت .

١٥ - الشوقيات للشاعر أحمد شوقى ، طبعة دار صادر ، بيروت .

١٦ - صحيح البخارى للإمام البخارى ، طبعة الشعب ، القاهرة .

١٧ - صور من الشعر الحديث للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال ، مطبعة الإيمان ، أسيوط ، ١٩٨٠ .

١٨ - الفتوح الإسلامية للدكتور النعمان القاضى ، طبعة دار الفكرى العربى ، القاهرة .

١٩ - الفلاح فى الأدب العربى للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، مطبعة الثقافة ، بيروت .

٢٠ - فوزى العنتيل شاعرا للمرحوم الدكتور عبد الحليم سلطان (رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة بكلية اللغة العربية بأسيوط) ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠ .

٢١ - نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب للمقرى ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٢ - نهاية الأرب للنويرى ، مصورة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٢٣ - النيل فى الأدب المصرى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

روضة الفصاحة
ليس للثعالبى ، بل لزين الدين الرازى

للأستاذ الدكتور

عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر

أستـــاذ البلاغـــة والنقــد

كلية اللغة العربية بأسيوط

روضة الفصاحة
ليس للثعالبى ، بل لزين الدين الرازى

للأستاذ الدكتور
عبد المنعم سيد عبد السلام الاشقر
أستـاذ البلاغة والنقـد
كلية اللغة العربية بأسيوط

عرف زين الدين الرازى بين أهـل العلـم بأنـه مـن اللغويين وأصحاب المعاجم العربية ، المعنية بتتبع المـواد اللغويـة ، وبيـان معانيها ، وأن له كتابا مشهورا فى هـذا المجـال ، سـماه (مختـار الصحاح) ، لأنه اختصر فيه كتاب (تاج اللغـة وصحـاح العربيـة) لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهـرى ، ت ٣٩٨ هـ .

ولكن لا يعرف غالبية العلماء أنه مـن البلاغيين أيضـا ، فلـم يشر إليه الأستاذ أحمد مصطفـى المراغـى ، فـى كتابـه (تـاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) ، كما لم يشـر إليـه غيره مـن المؤلفين الذين عنوا بالبحث فى نشأة هذا العلـم ، وتتبـع أطـواره ، وطبقات رجاله ، ومؤلفاتهم البلاغية عـبر العصـور .

مع أن لهذا العالم اللغـوى الجليـل كتابـا فـى البلاغـة سـماه (روضة الفصاحة) وزعم فى مقدمته أنه كتـاب متفـرد ، لا نظـير له فى بابه ، (لم يوضع مثلـه فـى شـرف نـثره ونظمـه ، علـى

صغر قدره وحجمه) ، كما أشار فى مقدمتـــه أيضـــا إلـــى عـــزوف الناس عن هذا العلم فى زمانه ، وزهدهم فيـــه ، حتـــى عـــم الجـــهل به ، وكثر الخلط فيه ، وعبارته فى ذلـــك "كـــان النـــاس قـــد ألقـــوا ألواحـــه ، وأطفـــأوا مصباحـــه ، ودرســـوا معالمـــه ، وطمســـوا مراسمه ، حتى إن أكـــثرهم لا يفـــرق بيـــن اســـمه ومســـماه ، ولا يميز بين حقيقة لفظه ومعناه" ، فلهذا أحـــب زيـــن الديـــن الـــرازى أن يضع فى هذا العلم كتابا (مختصرا)، وصفـــه بأنـــه (جـــامع بيـــن الإيجـــاز المعجـــز ، والإعجـــاز الموجـــز ، والأمثلـــة الفائقـــة ، والأشعار الرائقة ، والعبـــارات الرشـــيقة ، والإشـــارات الدقيقـــة) ، وحدد هدفه من تأليف هذا المختصـــر ، واتصافـــه بـــهذه الصفـــات بقوله : (ليكون سببا لإحياء معالم هـــذا العلـــم ورســـومه ، ووســـيلة إلى إظهار مضمره ومكتومـــه)[١]

وقد ظـــل كتـــاب (روضـــة الفصاحـــة) للـــرازى مجـــهولا ، لا يعرف عنه طلاب البلاغة شيئا ، ربمـــا لأن أصولـــه ومخطوطاتـــه ظلت حبيسة إحدى خزائـــن الكتـــب فـــى (قونيـــة) بتركيـــا ، دهـــرا طويلا ، حتى نهض المرحوم الدكتور أحمـــد النـــادى شـــعله لنشـــره وتحقيقه ، بعد أن قدم له بدراسة موجـــزة ، مشـــيرا فيـــها إلـــى مـــا

---

[١] يراجع (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى ، صـ ٥٤ ــ ٥٦ ، ت : د/ شـعلة ، ط الأولى ، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

وقع بين يديه من مخطوطات الكتاب ، وما اعتمده من هذه المخطوطات في تحقيق نصه ، وتحرير لفظه ، وما تشكك فيه منها .

وبهذا العمل العلمى الذى قام به الدكتور شعلة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، خرج كتاب روضة الفصاحة إلى النور ، وأضيف إلى المكتبة البلاغية والنقدية ، منسوبا إلى زين الدين الرازى (أحد علماء القرن السابع الهجرى) ، بعد أن طال احتجابه واختباؤه وتواريه ، لأسباب قد يتضح لنا بعضها من خلال هذا البحث .

وفى سنة ١٩٩٤م ـ أى بعد ثمانى سنوات تقريبا ـ تحدث مفاجأة مذهلة ، إذ يفاجأ الدارسون للبلاغة ، بنشر الكتاب مرة أخرى ، ولكن السيد المحقق الذى أعده للنشر ، وقدم له ، وادعى أنه قد حققه وعلق عليه ، قد نسبه هذه المرة إلى أبى منصور الثعالبى ، ت ٤٢٩هـ ، وهذا المحقق هو محمد إبراهيم سليم .

أما المكتبة التى طبعته ونشرته وتولت توزيعه هذه المرة وعلى تلك الكيفية فهى مكتبة القرآن بالقاهرة ، وهى مكتبة لها وكلاء موزعون فى كثير من البلاد العربية كالسعودية ، والمغرب ، والإمارات ، والبحرين ، وليبيا ، ومن هنا تأتى

خطورة نشر الكتاب على هذا النحو المذكور (منسوبا إلى الثعالبى) ، لأن نسبته إلى هذا العالم الجليل لا تستقيم بحال ، ولا تتفق مع المنطق العقلى والحس التاريخى ، كما سيتضح ذلك عند تصفح الكتاب ، والتعرف على محتوياته ، فضلا عن أن من ترجموا للثعالبى ، لم يذكر واحد منهم أن له كتابا بهذا العنوان مع تتبعهم الكامل ، وسردهم الواعى لمؤلفاته ورسائله[1]، ثم إن من أبسط قواعد تحقيق التراث ، أن يضع المحقق بين يدى القارئ صورا ضوئية لبعض الصفحات المهمة ، من المخطوط المراد تحقيقه ، كصفحة العنوان ، والصفحة الأولى ، والصفحة الأخيرة ، وغير ذلك مما يتيح للقارئ مشاركة المحقق ، فى متابعة عمله العلمى ، وليتأكد القارئ بنفسه من صحة عنوان الكتاب ، وصحة نسبته إلى صاحبه ، وتاريخ كتابه نسخ المخطوط ، وغير ذلك .

وهذا ما تحقق على أكمل وجه فى تحقيق الدكتور شعلة للكتاب ، ولم يتحقق شئ منه فى تحقيق السيد محمد إبراهيم سليم ، يقول الدكتور شعلة عن مخطوطات الكتاب : (وقد وجدت منه ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية ، ونسخة واحدة

---

(١) ترجمته فى (وفيات الأعيان) ، (٣ : ٣٧٨ : ٣٨٠) ، ومعجم المؤلفين (٥ : ١٨٩ ـــ ١٩٠) ، والأعلام ، ١٦٣/٤ .

بمكتبة الأزهر) ، وأردف بوصف كل نسخة من هذه النسخ الأربع ، معززا ذلك بصورة ضوئية لصفحات بعينها من كل نسخة ولزيادة التأكيد والتسديد نقل الدكتور شعلة كلام أصحاب التراجم ، ففي كشف الظنون (روضة الفصاحة) في البيان والبديع لزين الدين بن محمد السراج بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، وأوله : الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ...... الخ ، وأضاف أن صاحب (معجم المؤلفين) ، وصاحب (معجم المطبوعات العربية والمعربة) ، قد ذكرا مثل ذلك ، كما ذكره الأستاذ حسن السندوبي في مقال له بمجلة الرسالة عن (الرازي) ، كما أورده الأستاذ عبد الله مخلص ، في رسالة له بعنوان : (صاحب مختار الصحاح) ، وذكر فيها أيضا أنه قد جاء في مجلة تصدرها إحدى كليات الجامعة الأمريكية ببيروت أن من كتاب روضة الفصاحة لزين الدين الرازي نسخة بمكتبة الجامعة في الخزانة المعلوفية[1] .

ولاشك أن زين الدين الرازي لم ينل شهرة الإمام الكبير (فخر الدين الرازي) ت ٦٠٦هـ ، صاحب مفاتيح الغيب ،

---

[1] يراجع (معجم المؤلفين) ، ٩ : ١١٢ ، و (معجم المطبوعات) ، و (مجلة الرسالة) ، السنة الثامنة ، العدد ٣٨٩ ، سنة ١٩٤٠م ، و (صاحب مختار الصحاح) ، صـ ٦ ، و (روضة الفصاحة) ، تحقيق د. شعلة ، صـ ٣٢ .

ونهاية الإيجاز ، وغيرهما ، وهذا يفسر ما نجده على غلاف نسخة مكتبة الأزهر ، من كتاب روضة الفصاحة ، فقد جاء على غلافها : (كتاب روضة الفصاحة فى علم البلاغة ، تأليف الشيخ فخر الدين الرازى الحنفى رحمه الله آمين)[١] .

والمعروف أن لقب الرازى ، مؤلف (روضة الفصاحة) هو زين الدين ، وليس (فخر الدين) ، وقد نبه الدكتور شعلة إلى هذا ، بل لقد لقب صاحبنا زين الدين الرازى بلقب (فخر الدين) على سبيل الخطأ أيضا ، فى كثير من الكتب ، حتى لقد نسب بعض الكاتبين كتابيه : (مختار الصحاح) ، و (شرح مقامات الحريرى) إلى الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، بل ولكون محمد بن حاتم (ت ٣٢٠هـ) معروفا بالرازى ، ومنسوبا إلى الرى ، فقد نقل المؤرخون كتابيه (الأسماء والصفات) ، و (آداب الشافعى ومناقبه) ، من خانته إلى خانة فخر الدين محمد بن عمر الرازى أيضا ، والأمثلة على هذا كثيرة[٢] .

---

[١] ينظر (روضة الفصاحة) ، صـ ٣٣ .

[٢] يراجع تقديم الدكتور بكرى شيخ أمين لكتاب (نهاية الإيجاز) للفخر الرازى ، صـ ١٤ ، ١٥ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، دار العلم للملايين .

فإذا نظرنا فيما صنعه محمد إبراهيم سليم ، بين يدى تحقيقه لكتاب (روضة الفصاحة) ، الذى نسبه إلى أبى منصور الثعالبى، لم نجد شيئا ، ففى صـ ١١ من هذه الطبعة عنوان : (مخطوط هذا الكتاب) ، يقول تحته : (لقد ظل مخطوط هذا الكتاب مرجعا للباحثين والدارسين ، يرجعون إليه ، ويذكرونه بين مراجعهم ، حتى هيأ الله لى أن أعكف على تحقيقه ، بعد أن قدمت للثعالبى (الكناية والتعريض) ، و (لطائف المعارف) ، و (أحسن ما سمعت) ، والمخطوط رقم (١٢٨ بلاغة) ، دار الكتب المصرية .

ولقد اقتبس الإمام السيوطى فى كتابه (جنى الجناس) فقرات من (روضة الفصاحة) للثعالبى ، وأشار إلى ذلك ، وربما اختلط الأمر على الكثيرين ، بسبب إطلاق هذا الاسم (روضة الفصاحة) ، على ثلاثة كتب للأقدمين :

أولها : (روضة الفصاحة) للإربلى ، ذكر ذلك السيوطى فى شرح بديعيته .

الثانى : (روضة الفصاحة) للإمام زين الدين أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر الرازى الحنفى المتوفى بعد سنة ٦٦٦هـ ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (١٧ش) ، وقام الدكتور شعلة بتحقيقها .

أما الثالث : فهو كتابنا هــذا (روضـــة الفصاحـــة) لأبـــى منصـــور الثعالبى ، صـــاحب يتميـــة الدهـــر ، والمتوفـــى ســـنة ٤٢٩هـــــ ، فتعال إلى روضة الثعـــالبى[١] !!

ولى على هذا الكلام الملاحظـــات الآتيـــة :

١ ــ أن هذا المحقق لما صادف اسم الثعالبى علـــى غـــلاف يحمـــل عنوان (روضة الفصاحة) ، لم يـــدر بخلـــده أدنـــى شـــك فـــى نسبة هذا الكتـــاب إلـــى الثعـــالبى ، كيـــف وهـــو يـــرى علـــى الغلاف اســـم أبـــى منصـــور واضحـــا جليـــا ؟ ثـــم إن نقـــل السيوطى عن هذا المخطوط معزوا للثعالبى قـــد أكـــد لـــه مـــا رآه ، فلم لا يسارع إلى نشر الكتاب ، بعـــد اصطنـــاع تحقيقـــه والتعليق عليه ، ليضاف هذا الكتاب إلـــى الكتـــب الثلاثـــة التـــى أخرجها من كتب الثعـــالبى ؟!

٢ ــ أن هذا المحقق كان يعلم وهـــو يقـــدم علـــى تحقيـــق الكتـــاب ونشره على هذا الوضع أن الدكتور أحمـــد النـــادى شـــعلة قـــد سبقه إلى (روضة الفصاحة) لـــزين الديـــن الـــرازى ، بـــل قـــد اطلع على هذا الكتاب المحقق ، كما يدل كلامـــه الســـابق .

٣ ــ ونحن لا يعنينـــا هنـــا أن للإربلـــى كتابـــا بعنـــوان (روضـــة

---

(١) المرجع ، صـــ ٩ .

الفصاحة) ، وإنما يعنينا أن المخطوط الذى نسب إلى الثعالبى من هذا الكتاب ليس له ، وإنما هو لزين الدين الرازى ، فمن يتصفح (روضة الفصاحة) المطبوع ، لا يجد فرقا بين الطبعة الأولى التى نسبت إلى الرازى ، والثانية التى نسبت إلى الثعالبى ، إلا ما يكون من فروق تقع بين نسخ ومخطوطات الكتاب الواحد .

٤ ــ وأول ما يلقاك فى هذا الكتاب من قرائن ، تنفى كونه للثعالبى ، وتدعم كونه لزين الدين الرازى ، أن مؤلفه قد وضعه برسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين أبى الفتح غازى بن قرة أرتق أرسلان الأرتقى ، الذى يذكر المؤرخون أنه قد تسلم عرش أبيه فى ملك (ماردين) سنة ٦٩١هـ = ١٢٩١م ، وتوفى سنة ٧٠٢هـ = ١٣١٢م ، وإذا كان الثعالبى قد عاش فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى، وأوائل القرن الخامس ، حيث توفى ٤٢٩هـ فكيف يستقيم أن يكون هو الذى ألف هذا الكتاب ؟ نعم لقد نص المؤلف على ذلك فى المقدمة ، فضلا عن أنه قد جاء فى فهرست الخديوية (١ : ١٤٧) أن زين الدين الرازى هو مؤلف (روضة الفصاحة) ، وأنه قد ألفه باسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين غازى بن قرة أرسلان الأرتقى،

ثم إننا نرى المؤلف يتمثل فى مواضـــع مختلفـة مـن الكتـاب بأبيات شعرية ، وفقـرات نثريـة ، أنشـأها فـى مـدح هـذا السلطان ، أو فـى مـدح غـيره مـن ملـوك القـرن السـابع الهجرى وأعيانه ، فمن ذلك قولـه فـى التضـاد : وقولـى ــ من أبيات ــ فى مولانا السـلطان الملـك السـعيد نجـم الديـن والدنيا ، أعز الله ملكـه :

بك أصبح الدين الحنيف مفضضا والمذهب الحنفى أصبح مذهبـا[1]

يريـد المؤلـف أن ينـوه بنصـرة السـلطان للديـن بعامـة ، وبمسـاندته للمذهـب الحنفـى بخاصـة ، والمقصـود بالاستشـهاد الطباق الذى بين (مفضضا) و (مذهبا) ، ومـن ذلـك أيضـا قـول المؤلف مادحا آخر ملوك بنـى أيـوب ، وحفيـد صـلاح الديـن ، مستشهدا للتشبيه المطلـق :

(وقولى فى مولانـا السـلطان الملـك النـاصر أبـى المظفـر يوسف بن الملك العزيز ، خلد الله دولته ، مـن قصيـدة :

فيوسف يوسف فى حسن صورتـه وفى مهابته العظمى سليمـان[2]

والملك الناصر توفى سنة ٦٥٩هـ ، وهـو يوسـف (النـاصر) بن محمد (العزيز) ، بن الظاهر غازى بن النـاصر صـلاح الديـن

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٣٧ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١١٥ .

(٢) (المرجع) ، تحقيق د/ شعلة ، صـ ٧٣ ــ ٧٤ .

يوسف بن أيوب ، والمقصود بالاستشهاد تشبيه المؤلف للممدوح بسيدنا يوسف عليه السلام في جماله وحسن طلعته ، وبسيدنا سليمان عليه السلام في مهابته وجلاله .

ومما ينفي كون هذا الكتاب للثعالبي ، ويدعم كونه لأبي بكر الرازي ، أنه اشتمل على شواهد أخرى (شعرية ونثرية) ، لرجال من أهل القرن الخامس والسادس والسابع الهجري ، فقد استشهد المؤلف ببيتين ينسبان لأبي الحسن الفارقي ـ ت ٤٨٧هـ[١] ـ كما استشهد ببيت لأبي المظفر الأبيوردي ـ ٥٠٧هـ ـ خلال تناوله للترصيع ، وهو قول الأبيوردي :

يروح عليهم عازب الحمد وافيا ... ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا[٢]

كما استشهد المؤلف بشواهد عديدة من مقامات الحريري ، المتوفى ٥١٦هـ ، وأبياته الشعرية أيضا ، ويكاد يكون القاسم ابن على الحريري أكثر أصحاب الشواهد البلاغية ورودًا في (روضة الفصاحة) ، فقد استشهد مؤلفه بسطور من مقاماته ، وأبيات من قصائده في أكثر من خمسة وأربعين موضعا ، كما

---

[١] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٧٠ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٧٨ .

[٢] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ٢٠١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٥ .

استشهد المؤلف بشواهد لرشيد الدين الوطواط[١] ، المتوفى ٥٧٣هـ ، وعند تناوله للاشتقاق يقول : (وقال الرشيد الوطواط: صناعة الاشتقاق عند البلغاء والأدباء من التجنيس ، وعد منه قوله عليه الصلاة والسلام : (اللهم سلط عليهم الطعن والطاعون) ، وقول سيدنا على رضى الله عنه : (يا صفراء اصفرى ، ويا بيضاء ابيضى غرا غيرى ...)[٢] .

وهذا فى الحقيقة معنى كلام الوطواط ، حيث يقول فى الاشتقاق : (ويعتبره أصحاب البلاغة نوعا من أنواع التجنيس ...)[٣] ، كما نقل مؤلف روضة الفصاحة عن (المطرزى) المتوفى ٦١٠هـ فى هذا الموضع أيضا[٤] ، كما استشهد ببيتين له فى (الترصيع) ، وهما قوله :

وزند ندى فواضله ورى   وزند ربا فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين   ودر نواله أبدا غزير[٥]

---

[١] (روضة الفصاحة)تحقيق د/ شعلة،صـ٧٦ ، ٢٨٠ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٣٠ ، ١٤٢ .

[٢] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٤ .

[٣] حدائق السحر فى دقائق الشعر) للوطواط ، صـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ، ترجمه عن الفارسية إلى العربية ، د/ إبراهيم أمين الشوارب .

[٤] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٩٨ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٤ .

[٥] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٠٤ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٦ .

كما استشهد ببيت له فى (الاشتقاق) ، وهـــو قولـــه :

وإنى لأستحيى من المجــد أن أرى حليف غــوان أو أليــف أغانــى[(١)]

كما نقل المؤلف عن (الزمخشــرى) المتوفــى ٥٣٨هــــ ، فــى الإيهام والتخييل[(٢)] ، وفى الطباق ينقل المؤلـــف عــن (أسـامة بــن منقذ) المتوفى ٥٨٤هــ ، فيقول : (وقال أسامة بـــن منقــذ : أخفــى مطابقة فى القرآن الكريم قوله تعـــالى : (ممـــا خطيئاتـــهم أغرقـــوا فأدخلوا نارا) (سورة نـــوح : ٢٥)[(٣)] .

وفى (الاقتباس المذموم) يستشـــهد المؤلــف بقــول (ابــن النبيــه المصرى) المتوفى ٦١٩هــــ :

قمت ليل الصـــدود إلا قليـــلا ثم رتلـــت ذكركـــم ترتيـــلا

وهو مطلع قصيدة لهذا الشـــاعر ، عـــدد أبياتـــها ثمانيـــة عشـــر بيتا ، كل بيت منها ــ كما يقول المؤلـــف ــ يشـتمل علـــى آيـــة ، أو بعض آية ، نعوذ بالله من ذلـــك ، فإنـــه مذمـــوم فـــى الشـــرع ، وإن كان محمودا فى الشـــعر[(٤)].

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٩٦ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٩٢ .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١١٨ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ٥٠ .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٣٤ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١١٤ ، وينظـــر (البديع فى نقد الشعر) لابن منقذ ، صـــ ٣٦ .

(٤) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٤٥ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ٦٠ ، والبيت فى=

وفى (تأكيد المدح بما يوهم الذم) يستشهد المؤلف بقول البهاء زهير ، المتوفى ٦٥٦هـ :

ما فيه من عيب سوى فتور عينيه فقط[1]

وفى عكس الجمل استشهد المؤلف بقول (ابن الفارض) ، المتوفى ٦٣٢هـ :

ولولا زفيرى أغرقتنى أدمعى ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى[2]

وفى إيهام التناسب استشهد المؤلف بقول (ابن منير) ، المتوفى ٥٤٨ هـ :

قالت لنا ألف العذار بخده فى ميم مبسمه شفاء الصادى[3]

وفى التشبيه العقلى يقول المؤلف : (والقاضى الأرجانى رحمه الله تعالى زاد على جميع المتأخرين ، وأكثر المتقدمين ، فى اختراع التشبيهات العقلية ، ومن تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وقد أوردت أحسن ما قاله فى ذلك ، فى كتابى المسمى

=(ديوان ابن النبيه) ، صـ ٣٩٧ ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م ، تحقيق عمر محمد الأسعد .

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٥٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١٢٤ ، و (ديوان البهاء زهير) ، صـ ١٥٠ ، ط الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٤٨ ، ١٤٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٦٣، و (ديوان ابن الفارض) ، صـ ٧٢ ، ط الأولى ، ١٩٩٠ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٢٣ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٥٣، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان (١ : ٣٩) ، و (أنوار الربيع) (٣ : ٢٢٣) .

دوحة البلاغـــة)[١] .

والمعروف أن القاضى الأرجانى قـد توفـى ٥٤٤ هـــ ، وقـد استشهد المؤلف بأبيات مختلفة من شـعره ، فـى (التناسـب)[٢] ، و (حسن التعليل)[٣] ، و (القلـب المسـتوى)[٤] ، و (التجـاهل)[٥] ، و (الجمع والتفريق)[٦] ، و (حسـن التخلـص)[٧] .

وفى (القلب المسـتوى) أيضـا يقـول المؤلـف : (ومنــه قـول العماد الأصفهانى للقاضى الفاضل : (ســر فــلا كبـابك الفـرس) ، لما قال له القاضى : (دام عــلا العمــاد)[٨] .

والمعروف أن العماد الأصفهانى قد توفــى ٥٩٧ هـــ ، وقبلــه بعام واحد توفى القاضى الفـاضل ٥٦٩هـــ .

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٧١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٢٨.

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٢١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٥٢ .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٢٧ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٥٥ .

(٤) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٥١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٦٥ .

(٥) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٧٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١٣٥ .

(٦) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٨٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١٣٤ .

(٧) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٨٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١٥٠ .

(٨) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٥٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٦٥ ، و (وفيـات الأعيان) ، ٢ : ٤٧ ، ٣٣٣ ، و (شذرات الذهب) ، ٤ : ٣٢٤ .

وفى الاستعارة يستشهد المؤلف بقول (ابن حمديس الصقلى) المتوفى ٥٢٧هـ :

باكر إلى اللذات واركب لها | سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحا | ريق الغوادى من ثغور الأقاح[1]

وفى التجنيس المركب يستشهد بقول (ابن الشجرى) المتوفى ٥٤٢ هـ :

وحديقة صبحتها بحديقة | من فتية والطير فى أوكارها
كم ماجنٍ فيها وكم متعففٍ | قد صار يمجن طائعا أو كارها[2]

وفى (الاقتباس المذموم) استشهد المؤلف بقول (ابن عربى الموصلى) ، المتوفى ٦٨٦ هـ :

أفدى الذى ناديته | وركابه بيد النوى
مولاى حبك نيتى | ولكل عبد ما نوى[3]

ففى البيت الثانى اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ... الحديث) .

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٠١ ـ ١٠٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٤١ ، و (ديوان ابن حمد يس) ، صـ ٥٨ ، طبعة بيروت .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٦٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٧٧ ، وينظر (الدر النفيس) ، صـ ٧٨ ، مخطوط بدار الكتب .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٣٦ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٦٠ ، وينظر (الدر النفيس) ، صـ ١٧٣ ، و (فوات الوفيات) ، صـ ٢ : ١٥٨ .

وفى (التضمين) يستشهد المؤلف بقول (ابـــن خلكـــان) المتوفـــى ٦٨١ هـــ :

كـم قلـت لما أطلعت وجناتــه حـول الشقيق الغـض روضـة آس
أعــذاره السـارى العجول ترفقا مـا فى وقوفك ساعة من بـاس(١)

فقد ضمن البيت الثانى شطرا من بيت لأبى تمـــام ، هـــو مطلـــع قصيدة مدح بها (أحمد بن المعتصـــم) ، وهـــو :

مـا فى وقـوفـك ساعة من باس نقضى حقـــوق الأربـــع الأدراس

٦ ــ هذا ، ويضاف إلى ما ســبق أن مـــن شـــواهد الكتـــاب قـــول الشـــاعر :

وإذا البلابـــلُ أفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَـــا فَانْـفِ البلابِـــلَ باحتساء بَلَابِلِ(٢)

وهذا البيت للثعالبى(٣) ، ومؤلـــف الكتـــاب عندمـــا أورده قـــال : (وقول الآخر) وفى طبعة سليم : (وقـــال آخـــر)، ومعنـــى هـــذا أن البيت ليس من شعر المؤلـــف ، وإلا لكـــان ينبغـــى أن يـــدل علـــى ذلك ، بأن يقول : (وقولى ... كذا) ونحـــوه ، فـــهذه القرينـــة تؤكـــد أيضا ألا يكون الكتـــاب للثعـــالبى ، وتدعـــم نســـبته لزيـــن الديـــن

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٣٣ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٥٨ ، وينظـــر (معاهد التنصيص) ، صـــ ٤ : ١٦٥ ، و (النجوم الزاهـــرة) ، صـــ ٧ : ٣٥٣ ، و (هديـــة العارفين) ، صـــ ١ : ٩٩ .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٢١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١٠٦

(٣) (معاهد التنصيص) ، صـــ ٣ : ٢٦٦ .

الـرازى .

٧ ــ ومن أغرب ما صادفته فــــى نشــر الأســتاذ محمــد إبراهيــم سليم للكتـــاب ، منســوبا إلـــى الثعــالبى المتوفـــى ٤٢٩هـــــ ، أن وجدته عند ورود اسم القاضى الأرجــانى فــى النــص ، قــد علــق فى الحاشية بإيراد ترجمة لهذا الشاعر ، ذكر فيــها أنــه ولــد ســنة ٤٦٠ هــ ، وتوفى ســـنة ٥٤٤ هـــ ، كمــا وجدتــه أيضــا فــى موضع آخر من الكتاب ، عند ورود اسم (الحريــرى) فــى النــص، قد علق فى الحاشية بإيراد ترجمة للحريرى ، ذكــر فيــها أنــه ولــد فى حدود سنة ٤٤٦هـــــ[1] ، ولســت أدرى كيــف اســتقام عنــد محقق كهذا ، أن يشتمل كتاب الثعالبى المتوفـــى ٤٢٩هـــ ، علــى شعر لشاعرين أحدهما ولــد ســنة ٤٦٠هـــ ، والآخــر ولــد فــى حدود سنة ٤٤٦ هــ !! وهل كان هذا المحقق غــافلا عــن مقارنــة تاريخ وفـــاة المؤلــف (الثعــالبى) بتــاريخ ولادة ووفــاة الشــعراء والعلماء الذين اشتمل على شــواهدهم الكتــاب ؟

ومع هذا التناقض الواضح ، والخلل الفــاضح ، فقــد نَشَــرَ هــذا الذى يقف فى طابور محققى الـــتراث كتــابَ رَوْضَــةِ الفصاحــة ، منسوبا إلى (الثعالبى) ، وهو يعلم أن كتابا بــهذا العنــوان قــد ســبق

---

[1] (روضة الفصاحة) ، تحقيق محمد سليم ، صــ ٢٨ ، ٥٨ .

نشره ، منسوبا إلى زين الدين الرازى ، المتوفى بعد سنة ٦٦٦هـ ، ولو أنه قارن بينهما ، وتصفحهما بحس المحقق الأمين ، والباحث المدقق ، لعلم أن ورود اسم الثعالبى على مخطوطة الكتاب الوحيدة ، التى اعتمد عليها فى نشره ، خطأٌ محض ، وسهوٌ من النساخ ، لأنه لا يتفق مع المنطق العقلى ، والحس التاريخي اللذين ينبغي أن يتحلى بهما كل من يتصدى لنشر التراث العربى الإسلامى ، والمشكلة أن الطبعة المحققة تحقيقا صحيحا ، من هذا الكتاب ، والتى حققها الدكتور شعلة غير متداولة بين الناس ، ولا موجودة فى المكتبات ومنافذ بيع الكتب فى مصر ، ولعل المرحوم شعلة قد اكتفى بطبع عدد محدود من النسخ ، يتم بها غرضه ، وهو الحصول على درجة علمية ، من درجات أساتذة الجامعة ، وهو هدف قريب ، يكفى للحصول عليه طباعة عشر نسخ من هذا العمل العلمى الجليل ، توزع على أعضاء اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة ، فى جامعة الأزهر الشريف ، وليت الرجل أعطى دراسته وتحقيقه للكتاب لدار نشر عامة ، توزعه على القراء ، وتتولى إعادة طبعه كلما نفدت نسخه ، وتحققت الحاجة إليه ، حتى يتسع تداوله ، ويعم نفعه بين الدارسين .

أما الطبعة الأخرى التى سجلنا عليها ما سجلناه من

ملاحظات فقد طبعت كما ذكرنا فى ــ مكتبة القرآن بالقاهرة ــ وهى مكتبة لها حضورها وانتشارها فى مدن كثيرة بالسعودية ، والإمارات ، والبحرين ، وليبيا ، والمغرب ، ولهذا فإن السكوت على تداول هذه الطبعة ، بعد أن اتضح ما عليها من ملاحظات، وما فيها من خطأ فاحش يعد سلبية منكرة ، وتواريا عن مواجهة الباطل مع وضوح بطلانه ، أما التمادى فى هذه السلبية، والتهوين من خطورة هذا الأمر فخطيئة لا تغتفر ، فى حق تراثنا العربى الإسلامى ، فى وقت ترتفع فيه أصوات المحبين لهذا التراث ، الذائدين عنه ، بالدعوة الكريمة إلى دراسته دراسة جادة ، وتحقيقه تحقيقا دقيقا ، يجلى مقاصده ، ويحرر نصوصه ، ويستبعد ما عسى أن يكون قد اختلط بأصوله ، من فعل النساخ ، أو من تحريفات دخيلة ، تقف وراءها مآرب خبيثة تسعى لتشويه ماضينا ، وطمس معالم ذخائرنا العلمية والأدبية ، من قديم الزمان .

والواقع أن الخطأ فى مثل هذا المجال وارد ، يغفل عنه ، ولا ينتبه إليه الباحثون أحيانا ، فالدكتور بدوى[١] طبانة قد نسب إلى الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) كتابا فى شرح

---

[١] البيان العربى ، صـ ٢٠٨ .

شواهد كتـــاب (الإيضـــاح) للخطيــب القزوينـــى (ت ٧٣٩هــــ) ! وهذا ما لا يعقلــــه عـــاقل مـــن الطـــلاب المبتدئيـــن ، لا البـــاحثين المرموقين ، والبلاغيين المتخصصين ، أمثـــال المرحـــوم طبانـــة ، إذ كيف يعقل هذا عاقل ، وهو يدرك لأول وهلـــة أن القزوينـــى قـــد وُلد ٦٦٦ هـــ ، أى بعد وفاة الإمـــام فخـــر الديـــن بســتين ســنة ، فكيف تصح نسبة كتاب للـــرازى (فـــى شـــرح شـــواهد الإيضـــاح) للقزوينـــى ؟!

لقد اتفق صاحبنا محمد إبراهيم سليم مـــع المرحـــوم طبانـــة فـــى نوع الخطأ ، لكن الأول تمادى فـــى خطئـــه ، حتـــى بـــات خطيئـــة بالغة القبح والســـوء .

حياة زيـن الديـن الرازى

من المؤسف له أن حياة هذا العـــالم اللغـــوى البلاغـــى الأديـــب الكبير لم تأخذ حقها مـــن عنايـــة المؤرخيـــن وأصحـــاب الـــتراجم ، ولعل هناك أسبابا تتعلق بحياته ، حالت بينهم وبيـــن مـــا يشــتهون ، من ذكر ترجمته بين تراجم مؤلفى اللغة العربيـــة ، وذكـــر آثـــاره ، ووصف حياته ، وشيوخه ، وتلاميـــذه ، وغـــير ذلـــك مـــن ملامـــح الشخصية العلمية ، ومظـــاهر حركتـــها وتفاعلـــها مـــع المجتمـــع ، الذى نشأت فيـــه .

ولكننا سنحاول أن نلـــم مـــا تنـــاثر ، ونجمـــع مـــا تفـــرق مـــن

معلومات قليلة ، عن هذا العـــالم الجليـــل .

فهو زين الدين أبو عبد الله محمد بن شـــمس الديـــن أبـــى بكـــر ابن عبد القادر الرازى الحنفـــى ، وصفـــه المؤرخـــون بأنـــه كـــان إماما فى اللغة ، حسن السيرة ، زاهـــدا فـــى الدنيـــا ، موغـــلا فـــى العبادة ، وحب السنة ، ونصـــرة الشـــريعة .

ولد بمدينة (الرى) ، وهى مدينـــة كبـــيرة بفـــارس ، تقـــع بيـــن (قومس) و (الجبال) من بلاد الديلـــم ، وقـــد أنجبـــت هـــذه المدينـــة كثيرا من العلماء والأدبـــاء ، وكـــانت محـــط أنظـــارهم ، ومركـــز اجتماعاتهم ، ومداخلاتهم العلمية طوال عـــدة قـــرون .

و (الرازى) : بفتح الراء المهملة ، وبعـــد الألـــف زاى ، نسـبة إلى (الرى) على غير قياس ، والزاى زائـــدة فيـــها ، كمـــا زادوهـــا فى (المروزى) نسبة إلى ــ مـــــرو[(١)] .

وقد أطلقت هذه التسمية على كثـــير مـــن أبنـــاء هـــذه المدينـــة ، لمجرد انتمائهم إليها وولادتهم فيها ، فكل عـــالم أو أديـــب نشـــأ فـــى هذه المدينة ، غير صاحب (روضة الفصاحـــة) ســـمى (الـــرازى) ، ومن هؤلاء العلماء (أبـــو حـــاتم الـــرازى) ، المتوفـــى ٢٧٧هـــــ ،

---

(١) وفيات الأعيان ، ١ : ١٣٤ ، لابن خلكان ، ت : محى الدين فى ترجمة أحمد بن فـــارس بـــن زكريا الرازى ــ ط (دار السعادة) بالقاهرة .

وأبو سلم الرازى ، المتوفى ٢٩١هـ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الفيلسوف والطبيب المشهور ، المتوفى ٣١١هـ ، والإسماعيلى الرازى ، المتوفى ٣٢٢هـ ، وأبو الفتح الرازى ، المتوفى ٤٤٧هـ ، والإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، المتوفى ٦٠٦هـ ، المفسر الكبير ، المعروف بابن الخطيب ، أو ابن خطيب الرى ، لأن والده كان خطيب مسجد الرى . وغير هؤلاء العلماء الأجلاء ، كالحنفى الرازى ، المتوفى ٦١٥هـ ، والقطب التحتانى ، المتوفى ٧٦٦هـ .

ولا نعرف متى ولد زين الدين الرازى ، وكل ما نعرفه من معلومات عن نشأته أنه قد تلقى تعليمه الأولى فى مدينة الرى ، وأنه أقام بمصر حينا من الدهر ، متنقلا بين أرجائها ، آخذا عن علمائها ، مفيدا طلابها ، وإن كان السيوطى لم يذكره ، فيمن وفد إلى مصر من العلماء والأدباء ، أو من الحنفية ، لكن المقريزى ذكر أنه وصف بركة الحبش ، بمدينة القاهرة ببيتين من الشعر ، وهما :

إذا زينُ الحسناءَ قُرْطٌ فَهَذِهِ ... يُزَيِّنُهَا مِنْ كُلِّ ناحيةٍ قُرْطُ
ترقرق فيها أدمعُ الطَّلِّ غدوةً ... فقلت : لآلٍ قد تضمنها قُرْطُ

وبعد أن أقام بمصر فترة ــ لم يحددها المؤرخون ــ رحل إلى الشام ، وانقطعت أخباره عن أهل مصر ، حتى غلب على ظنهم أنه قد لقى ربه هناك ، فى دمشق ، بينما كان قد رحل

إلى (قونية) وهى ولاية كبرى بتركيا ، تتمـــيز بكونـــها مقـــر شـــيخ المولوية ، والمولى هو الشيخ الذى عَهِدَ إليــــه الأتـــراكُ حينـــًا مـــن الدهر ، بتقليد خلفـــاء آل عثمـــان ســـيفَ الســـلطنة ، فـــى حفـــلات تتويجهم . كان ذلك قبل أن يتضعضع ملـــك العثمـــانيين ، ويُقْضَـــى عليهم ، وعلى الطريقة المولوية من بعدهـــم ، وإلـــى هـــذه الولايـــة ينسب العالم البلاغي شمس الدين القونـــوى ، المتوفـــى ٧٨٨هـــ ، صاحب شرح تلخيص المفتـــاح ، للخطيـــب القزويـــى[1] ، وكذلـــك الشيخ العالم المحقق صدر الدين القونوى ، الـــذى التقـــى بـــه زيـــن الدين الرازى فى (قونية) ، وصحبه ، وســـمع عليـــه كتـــاب (جـــامع الأصول فى أحاديث الرسول) ، لابن الأثـــير الجـــذرى الموصلـــى.

ويظهر أنه ظل مقيما بها ، أو بمـــا جاورهـــا مـــن بـــلاد الـــروم (الأناضول) ، وبقى هناك ، حتى أدركتـــه المنيـــة ، ولكـــن لا يعلـــم أحد بالضبط متى كـــانت وفاتـــه ، فـــالمقريزى يذكـــر أنـــه توفـــى ٦٥١ هـــ ، وحاجى خليفة يذكر أنـــــه مـــن رجـــال القـــرن الثـــامن الهجرى ، ويذكر أيضا فـــــى عـــدة مواضـــع مـــن كتابـــه (كشـــف الظنون) أن وفاته كانت ٦٧٢هـــ ، ويذكر فـــى موضـــع آخـــر أنـــه توفى بعد سنة ستين وستمائة ، ويذكر فـــى موضـــع آخـــر أنـــه قـــد

---

(١) (تاريخ علوم البلاغة) للمراغى ص ١٥٠

فرغ من كتابه (مختـــار الصحـــاح) . عشـــية يـــوم الجمعـــة ســـنة ٧٦٠هـــ ستين وسبعمائة هجرية . وأنه توفى بعد ســـنة مـــن ذلـــك، والزركلى يقول : أنه كان فى قونية ســـنة ٦٦٦هـــ . وهـــو آخـــر العهد به ، وعمر رضا كحالة يذكر أنه كان حيـــا سـنة ٦٦٦هـــ وصاحب معجم المطبوعـــات العربيـــة والمعربـــة يذكـــر أنـــه مـــن علماء القرن الثامن الـــهجرى . وأنـــه كـــان موجـــودا ٧٥٨هـــ . ولعل هذا منقول عن كشف الظنون . فـــى موضـــع مـــن المواضـــع التى تعرض فيها لذلك ، أو لعله منقول عـــن (فهرســـت الخديويـــة). فقد ذُكِرَ هناك نَسَـــبُهُ ، وأنـــه كـــان موجـــودا ٧٦٨هـــ . ويذكـــر السبكى أنه توفى ٦٧٣هـــ ، ويرجح الأســـتاذ/ عبـــد الله مخلـــص . مؤلف رسالة : (صاحب مختار الصحاح) أن الـــرازى مـــن علمـــاء القرن السابع الهجرى ، مستدلا بأنه كـــان معـــاصرا لصـــدر الديـــن القونوى ، الذى توفى ٦٧٣هـــ ، وأنه كان علـــى قيـــد الحيـــاة ســـنة ٦٦٦هـــ ، ويرجح المرحوم الدكتـــور شـــعلة أن يكـــون قـــد توفـــى ٦٦٦هـــ ، ويرى الأستاذ حسن السندوبى أنـــه توفـــى فـــى أواخـــر القرن السابع الهجرى ، بينما يـــرى (جورجـــى زيـــدان) أنـــه مـــن رجال القرن الثامن الـــهجرى . ويـــرى المستشـــرق الإنجليـــزى ــ مرجيلوث ــ أنه اطلع على كتاب صغـــير لزيـــن الديـــن الـــرازى . بمكتبة كليته . يتضمن (الأبيات المتمثـــل بـــها) . ويذكـــر أن مـــن الشعراء الذين ذكر لهم أمثلـــة وشـــواهد فـــى هـــذا الكتـــاب (ابـــن

الصائغ) المتوفى سنة ٧٢٢هـ ، ذكر ذلك ابن شاكر الكتبى ، ويدل هذا على صحة الرأى القائل بأن الرازى من رجال القرن الثامن الهجرى[(١)].

وإنى أستبعد أن تكون وفاته سنة ٧٦١هـ ، ٧٦٨هـ ، فبين هذين التاريخين وبين التواريخ التى وردت فى هذا السياق ، وهى ٦٥١هـ ، ٦٦٦هـ ،٦٧٢هـ ، ٦٧٣هـ فرقٌ كبير ، يكاد يصل إلى تسعين سنة ، والاختلاف فى هذا الشأن عادة ينحصر فى نطاق أضيق كثيرا من هذا ، بل لا ينبغى أن يتعدى خمس سنين ، أو عشرا على الأكثر ، أما الرأى القائل بأنه من رجال القرن الثامن فيمكن قبوله إذا كان المراد بذلك أنه قد أدرك هذا القرن بعشرين عاما ، أو أكثر قليلا ، فلقد رأيناه فى روضة الفصاحة يستشهد ببيتين لابن عربى الموصلى المتوفى ٦٨٦هـ ، ويستشهد أيضا ببيتين لابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ، كما أنه قد ألف الروضة باسم السلطان المنصور نجم الدين غازى بن قرة أرتق أرسلان ، المتوفى ٧٠٢هـ ، وإذا صح أن له هذا الكتاب الذى تضمن أبياتا لابن الصائغ ، المتوفى ٧٢٢هـ ، فإنه يحق لنا أنه نرجح أنه عاش إلى نهاية القرن السابع الهجرى ، وامتد به العمر إلى أوائل القرن الثامن.

---

(١) يراجع (فوات الوفيات) (٢: ١٨٨) ، و(روضة الفصاحة) ت : شعلة ، ص١٤-٢٣.

آثار زين الدين الرازى :

أما آثاره أو مؤلفاته ، فمنها :

١ـ مختار الصحاح :

وهو أشهر كتبه على الإطلاق ، وربما كان أكثر معاجم اللغة العربية تداولاً ، لكونه أسهلها استعمالاً ، وهو اختصار لكتاب (الصحاح) للجوهرى (المتوفى ٣٩٨هـ) ، وعلى ترتيبه، فى إيراد الكلمات بحسب أواخرها ، وقد اقتصر فيه على ما لابد منه فى الاستعمال ، وضم إليه كثيراً من الفوائد التى أخذها من كتاب (التهذيب) للأزهرى ، المتوفى ٣٧٠هـ ، و(ديوان الأدب) للفارابى ، المتوفى ٣٥٠هـ ، و(المجمل) لابن فارس ، المتوفى ٣٩٥هـ ، و(تاج المصادر) للبيهقى المتوفى سنة ٥٤٤هـ ، و(المفصل) للزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨هـ ، و(الفصيح) لثعلب ، المتوفى ٢٩١هـ ، و(المغرب فى ترتيب المعرب) لناصر الدين بن عبد السيد بن على المطرزى ، المتوفى ٦١٠هـ ، و(الغريب المصنف) لأبى عبيد القاسم بن سلام، المتوفى ٢٢٤هـ ، وغير ذلك .

وإذا كان زين الدين الرازى قد رتب (مختار الصحاح) على ترتيب أصله ، وهو (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى،

المتوفى٣٩٨هـ ، فإن وزارة المعارف العمومية في مصر ، كانت قد عهدت أخيرا للأستاذ محمود خاطر بتغيير ترتيبه ، ومراعاة الحرف الأول والثاني وما بعدهما ، رغبة في تسهيل الكشف عن معاني المفردات اللغوية ، لطلاب وتلاميذ المدارس الثانوية[١].

٢- غريب القرآن :

وهذا الكتاب ألفه استجابه لطلبة العلم ، وحملة القرآن ، حيث طلبوا منه تأليف كتاب في تفسير (غريب القرآن) ، مرتبا على ترتيب الجوهري ، وقد فرغ من تأليفه ٦٦٧هـ[٢].

٣- تحفة الملوك والسلاطين :

في الفروع – وهو مخطوط موجود بمكتبة جامع أيا صوفيا بالقسطنطينية[٣].

٤- كتاب في الأبيات التي يتمثل بها :

وهو محفوظ بمكتبة كلية الآداب بجامعة (اكسفورد)

---

[١] يراجع (المعاجم العربية) ، د/ عبد المنعم بشناتي ، ص ٦٤ .

[٢] يراجع (هدية العارفين) ، ٢ :١٢٢ ، و(كشف الظنون) ١٣٨٠.

[٣] (صاحب مختار الصحاح) ، لعبد الله مخلص ، ص ١٧ ، و(روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ،ص ٢٧ .

بإنجلترا، وقد سبق ذكر ما لاحظــه المستشــرق (مرجليــوس) مــن خلال اطلاعه على هذا الكتاب ، وأنه يحتوى علــى شــواهد ، مــن بينهـا أبيات لابن الصائغ ، المتوفــى ، ٧٢٢هـــ .

٥ـ أنمــوذج جليــل فــى أســئلة وأجوبــة مــن غرائــب آى التــنزيل:

ويشتمل على ألف ومائتى مسألة ، وقــد طبــع بعنــوان (مســائل الرازى وأجوبتها مــن غرائــب آى التــنزيل) ، تحقيــق وتصحيــح إبراهيم عطوة عوض ، وقد نسبه إلى الــرازى كــل مــن ترجمــوا له ، أو تكلموا عن كتبــه .

٦ـ دقائق الحقائق فى التصوف :

ورد ذكــره فــى (إيضــاح المكنــون) (١: ٤٧٥) ، و(معجــم المؤلفيــن) (٩ : ١١٢) .

٧ـ كنــوز البراعــة فــى شــرح مقامــات الحريــرى :

ورد ذكره فــى (فهرســت الخديويــة) (٤ : ٢٧٥) ، و(معجــم المؤلفيــن) (٩ : ١١٢) .

٨ـ دوحــة البلاغــة :

وهذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجمــوا للــرازى ، والمصــدر الوحيد فى الدلالة عليه هو كتابه (روضة الفصاحــة) ، فقــد ذكــره

فيه غير مرة ، وأشار إلى أنه يعالج ثلاثة فنون بلاغية ، هي : التشبيه ، والاستعارة ، والتورية ، يقول : (ولا يحتمل هذا المختصر في التشبيه أكثر من هذا الكلام ، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي الذي ألفته في الفنون الثلاثة خاصة ، وهي التشبيه والاستعارة والتورية وسميته (دوحة البلاغة) ، فإنه كتاب شريف ، وفيه من الأمثلة اللطيفة ، من النثر والنظم للمتقدمين والمتأخرين ، من المشارقة والمغاربة أحسن ما وقع منها ، وإنما جعلته مقصورا على هذه الفنون الثلاثة لأنها أشرف فنون علم البيان ، وصناعة البديع ، وألطفها عند كل ناقد بصير ، وفاضل تحرير)[1] .

٩ـ حدائق الحقائق في الأخلاق والمواعظ :

ورد ذكره في (هدية العارفين) (٢ : ١٢٧) ، و(معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢)[2] ، ويشتمل على أحاديث وآثار ومواعظ، يغلب عليها المشرب الصوفي.

١٠ـ الذهب والإبريز في تفسير الكتاب العزيز :

[1] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ، وت : سليم ، ص ٣٤.

[2] وذكر أحمد تيمور باشا أن هذا الكتاب موجود بخزانته ، في ٣٧ صفحة ، وينظر (صاحب مختار الصحاح) ، ص ١٧.

ورد ذكره في (معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢) ، و(فهرست الخديوية) (٤ : ٢٧٥) والأعلام (٩: ٢٧٩) .

١١ـ روضة الفصاحة :

وهو محور هذا البحث وموضوعه ، وقد طبع كما ذكرت طبعتين ، إحداهما بتحقيق د/ أحمد النادى شعلة ، سنة ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، والأخرى بتحقيق محمد إبراهيم سليم ، سنة ١٩٩٤م ، مكتبة القرآن بالقاهرة ، وقد اعتمد المحقق الأول على أربع نسخ ، من مخطوطات الكتاب ، بينما اعتمد الثانى على نسخة واحدة، وكانت تعليقاته على النص سيئة ، وتحريره للنص بالغ السوء والاضطراب ، أما ثالثة الأثافى فهى أن نسب هذا السفر البلاغى الذى ظل مجهولاً مختبئاً زمناً طويلاً ، إلى أبى منصور الثعالبى ، لا إلى زين الدين الرازى ، موهماً القارئ أن المخطوطة التى نشرها غير الكتاب الذى طبعه الدكتور شعلة ، منسوباً إلى الرازى ، مع أن هذه هى ذاك ، ولهذا أَقْتَرِحُ على المسئولين عن الثقافة فى مصر بعامة ، ونشر وطباعة وتوزيع كتب التراث العربى الإسلامى بخاصة حجب النسخ المطبوعة من هذه الطبعة عن أيدى القراء ، وإعدامها ، والسعى لإعادة نشر الطبعة الأولى ،

والتعجيل بذلك لإمكان تداولها ، ليعم النفع بالكتاب على الوجه الصحيح .

هذا ، ويذكر بروكلمان كتباً أخرى لزين الدين الرازى ، منها (المختار من كتاب التحبير) للقشيرى ، وكتاب الأمثال والحكم ، وكتاب معانى المعانى ، الذى ذكر أنه كتاب فى النقد الأدبى ، وغير ذلك[١] .

محتويات الكتاب :

يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة وستين لوناً بلاغياً ، هى التشبيه ، والاستعارة والتورية ، والتناسب ، والتشابه ، وحسن التعليل ، والتضمين ، والإيداع ، والاستعانة ، والعنوان ، والاقتباس ، وعكس الجمل ، والقلب ، والتجنيس ، والاشتقاق ، والترصيع ، والتسجيع ، ورد العجز على الصدر ، والتضاد ، والإعنات ، والتضمين المزدوج ، وحسن الطلب ، والمدح المفرع ، والمحتمل للضدين ، وتأكيد المدح بما يوهم الذم ، والالتفات ، وسياقة الأعداد ، وتنسيق الصفات ، والاعتراض ، والرجوع ، والتوشيح ، والتجاهل ، والتلميح ، والسؤال

---

[١] ينظر (تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان (٦ : ٦٣١) ، وكتاب (مختار الصحاح) للرازى ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوى ، ص ١٧ ــ ١٩.

والجواب ، والإغراق فى الصفة ، واللف والنشر ، والتفسير ، والجمع والتفريق ، والمتزلزل ، والردف والرديف ، والاستدراك ، وحسن المطلع ، وحسن التخلص ، وحسن المقطع ، والموشح ، والمربع ، والمسمط ، والملمع ، والمقطع، والموصل ، والحذف ، والرقط ، والخيف ، والتصحيف ، والترجمة ، والمعمى ، واللغز ، والمواردة ، والمصالته ، والنقل ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، فهذه ثلاثة وستون لوناً، والستة الأخيرة منها لا تعد من الألوان البلاغية أو البديعية، وإنما هى من قبيل السرقات الشعرية ، ولذلك تناولها زين الدين الرازى تحت عنوان (فصل فيما يقع بين الشعراء) .

وقال : (وإن لم يكن من محاسن الشعر) ، وهذا يعنى أنه يعرف أن هذه الأنواع الستة ليست من البديع ، وربما يكون قد ألحقها بالأنواع الأخرى مجاراة لبعض المؤلفين الذين سبقوه إلى التأليف فى البلاغة ، فالزنجانى ٦٦٠هـ ، قد أورد هذه الأنواع فى القسم الثالث من كتابه (معيار النظار) ، ضمن ما أورده فيه من ألوان بديعية أو بلاغية[1] ، فلعل الرازى قد تأثر به فى ذلك ، على أن الطبعة الثانية من (روضة الفصاحة) ، التى

---

[1] (معيار النظار) للزنجانى (القسم الثالث فى البديع) ، ص ٢٦٧ـ٢٧٦، تحقيق د/ عبد المنعم سيد عبد السلام ، ط الأمانة ، ١٩٩٥م.

طبعها المدعو محمد إبراهيم سليم قد سقط منها أربعة ألوان بديعية ، وهى : التشابه ، والإيداع ، والاستعانة ، والعنوان ، ثم إن الكتاب فى كلتا الطبعتين قد اشتمل على مقدمة لطيفة ، وفصل فى معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان ، ويحسن بنا أن نصحب المؤلف فى محتويات كتابه التى أجملناها.

لقد ضمن زين الدين الرازى مقدمة كتابه التنويه بأهمية علم البلاغة ، بين علوم الأدب ، فله دوره المتميز فى التعرف على ملامح التحدى ، ومظاهر الإعجاز فى آى الذكر الحكيم (فهو العلم الذى أصبح لخزائن أسرار القرآن العزيز مفتاحا ، ولسالكيه نجما هاديا ومصباحا ، وهو الطريق الواضح إلى معرفة بدائع إعجازه ، وبلاغة إيجازه) .

ثم إن علم البلاغة هو محك نقد الشعر ، الذى هو ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، ولولاه لم تَرَ لِسَانًا يحوك الْوَشْيَ ، ويصوغ الْحَلْيَ ، ويَلْفُظُ الدُّرَّ ، وينفث السحر ، ولأظلمت آفاق البلاغة ، واستمر السِّرارُ بِأَهِلَّتِهَا ، واستولى الخفاء على تفاصيلها وجملتها ، به يميز ضعيفُ الكلام ومتينُه ، وغَثُّهُ وسَمِينُهُ ، فهو العلم الذى تمت حسناتُه ، ودَلَّتْ على إعجازه سورُهُ وآياتُه ، وكان الناس قد ألقوا ألواحه ، وأطفأوا مصباحه، ودرسوا معالمه ، وطمسوا مراسمه ، حتى إن أكثرهم لا يفرق

بين اسمه ومسماه ، ولا يميز بين حقيقة لفظه ومعناه .

فلهذه الأسباب وضع الرازى فى هذا العلم (مختصرا) ، سماه (روضة الفصاحة) ، (جامعا بين الإيجاز المعجز ، والإعجاز الموجز ، والأمثلة الفائقة ، والأشعار الرائقة ، والعبارات الرشيقة ، والإشارات الدقيقة) ، وهنا لاحت الفرصة للرازى أن يباهى بهذا المختصر أقرانه ، من علماء البلاغة والنقد فوصف مختصره هذا بأنه : (لم يوضع مثله فى شرف نثره ونظمه ، على صغر قدره وحجمه ، ليكون سببا لإحياء معالم هذا العلم ورسومه ، ووسيلة إلى إظهار مُضْمَرِهِ ومكتومِهِ) .

ولا يخفى عليك ما فى أسلوب الرازى هنا من سجع وموازنة ، وتقسيم موسيقى بين الجمل ، لكن ذلك يأتى طائعا ، فى الأعم الأغلب ، فلذلك تميز كتابه بحسن العرض ، واستواء العبارة ، ودقة الأسلوب وبلاغته ، فهو فيه بَلِيغٌ فى شَرْحِهِ ، بَلَاغِيٌّ فى طَرْحِهِ ، ومادته البلاغية والنقدية ، ولا يخفى عليك تأثره الواضح بعبد القاهر والزنجانى[1] ، فيما نذكره من أهداف لدراسة البلاغة ، وإن كان لم يذكرهما فى هذا الموضع ، بل

---

[1] راجع (دلائل الإعجاز) ، صـ ٥ ـ ٧ ، و (معيار النظار) ، القسم الثالث ، صـ ٣ .

ولا فى غيره من صفحات كتابه ، مع أنـــه صـــرح بذكـــر غيرهمـــا من البلاغيين ، مثل : رشيد الدين الوطواط ، وأبـــى العـــلاء محمـــد بن غانم المعروف بالغانمى ، وأبى الفتح نـــاصر بـــن عبـــد الســـيد المطرزى ، وأسامة بن منقذ ، وجـــار الله الزمخشـــرى.[١]

ثم إن الرازى قد وصف كتابه بأنـــه (مختصـــر) ، وكـــرر هـــذا الوصف فى غير موضع من كتابه ، ومن قبلـــه وصـــف الزنجـــانى كتابـــه (المعيـــار) بذلـــك ، ويبـــدو أن طبيعـــة عصـــر الزنجـــانى والرازى كانت تدفـــع العلمـــاء إلـــى تـــأليف (المختصـــرات) فـــى مختلف العلوم ، ففى طليعة المؤلفات المختصـــرة فـــى علـــم النحـــو كتاب (الإيضـــاح) لأبـــى علـــى الفارســـى (ت ٣٧٧هـــ) ، هـــذا الكتاب الذى حمله إلى (عضد الدولـــة البويـــهى) ، فاســـتخف بـــه ، فوضع الشيخ أبو علـــى كتابـــه (التكملـــة) ، وضعـــا صعـــب فيـــه المسائل ، فقال عضد الدولـــة : (غضـــب الشـــيخ ، وجـــاء بمـــا لا نفهمه نحن ولا هـــو)[٢] .

ومن (المختصـــرات) النحويـــة والصرفيـــة أيضـــا (المفصـــل) للزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨هـــ ، و (الكافيـــة) ، و (الشـــافية) لابـــن

---

[١] راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـــ ٧٦ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٤ .

[٢] راجع (معجم الأدباء) ، صـــ ٧ : ٢٣٨ .

الحاجب (المتوفى ٦٤٦هـ) ، و (الهادى) للزنجانى ، المتوفى ٦٦٠هـ .

أما (المختصرات) فى مجال البلاغة والنقد ، فيأتى فى طليعتها كتاب (الكافى) فى العروض والقوافى ، للخطيب التبريزى (المتوفى ٥٠٢هـ) ، الذى اشتمل فى أواخره على جملة من الألوان البلاغية ، والفنون البديعية ، أو ردها بطريقة تعليمية مختصرة ، وجاراه فى هذا اللون من التأليف رشيد الدين الوطواط ، المتوفى ٥٧٣هـ ، فى (حدائق السحر) ، والفخر الرازى ، المتوفى ٦٠٦هـ فى نهاية الإيجاز ، وابن منقذ (ت ٥٨٤هـ) ، فى كتابه التفريع فى البديع ، أو (البديع فى نقد الشعر) ، ويأتى كتاب (المعيار) للزنجانى ، و (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى ضمن هذه المنظومة من المختصرات البلاغية[1] .

ويتناول الفصل الأول من كتاب (روضة الفصاحة) معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان ، فيذكر المؤلف أن أكثر العلماء لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة ، بل يستعملونهما استعمال الاسمين المترادفين ،

---

[1] راجع (معيار النظار) ، القسم الثالث فى البديع ، صـ ٢٠ ، تحقيق كاتب هذه السطور .

ومنهم الجوهـــرى .

لكن زين الدين الرازى لا يلبث أن يــــدع اســتقصاء الآراء فـــى هذا الموضوع ، لأنه سيخرج به عن خطتـــه فـــى كتابـــه ، وهدفـــه منـــه ، فقـــــد أراد أن يكـــون (مختصــــرا) وعبارتــــه فـــى ذلك : (وللعلماء فى الفرق بيـــن الألفـــاظ الأربعـــة كـــلام طويـــل لا يحتمله هذا المختصـــر)[1] .

ثم يقول الرازى : وأحسن مـــا قيـــل : إن الفصاحـــة : خلـــوص الكلام من التعقيد ، ومنه قولهم : فصـــــح اللبـــن ، إذا أخـــذت عنـــه رغوته ، قال الشـــاعر :

وتـــحت الرغـــوة اللــــبن الفصيـــــح

وليست الفصاحة عند المدققين مـــن أربابـــها ، والمحققيـــن مـــن أصحابـــها اســتعمال اللفـظ الــذى لا يفــهم ، والغريــب الــذى لا يعلــم[2]، أمـــا البلاغــــة عنـــد الـــرازى فـــهى (أن يبلــــغ الرجل بعبارته حقيقة ما فى قلبـــــه ، مـــع إيجـــاز بـــلا إخـــلال ، أو إطالة مـــن غـــير إمـــلال) ، وأمـــا (البيـــان) عنـــده فقريـــب مـــن الفصاحـــة .

---

[1] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـــ ٥٧ .

[2] المرجع ، صـــ ٥٨ .

والـرازى فـى هـذا يسـتمد مـن كـلام الفخـر الـرازى ، والزنجـانى[١] .

وإذا كان قد جعل (البيان) هنا قريبا مـن الفصاحـة ، فإنـه فـى مقدمة كتابه بعد حمد الله والصلاة والسـلام علـى رسـوله الكريـم يقول : (وبعـد فلمـا كـان علـم البيـان ، الـذى يسـميه بعـض المتأخرين (صناعة البديع) فى وجنـة علـم الأدب كـالخفر ، وفـى مقلته كالحور ... ، أحببت أن أضع فيه مختصـرا مسـمى روضـة الفصاحة...) ، فلفظ (البيـان) هنـا بمعنـى (البلاغـة) ،ولا غرابـة فى عصر الرازى فـى إطـلاق لفـظ (البيـان) علـى (البلاغـة) ، وإطلاق (البديع) عليها أيضا ، فقد ظـل نفـر مـن البلاغيين فـى القرن السادس والسابع متمسكين بـاصطلاح سـابقيهم ، فـى كـون علم البيان ، وعلـم البديـع ، وعلـم البلاغـة ثلاثتـها سـواءً فـى المعنى ، مع أن السكاكى ت ٦٢٦هـ ، كان قد قسـم البلاغـة إلـى علميـن : المعـانى والبيـان ، وجعـل للبيـان معنـى اصطلاحيـا محددا، ينحصر فـى نطـاق التصويـر البيـانى ، وإيـراد المعنـى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالـة عليـه .

وبـهذا يتبيـن أن الـرازى كـان يسـتعمل مصطلـح (البيـان)

---

[١] (نهاية الإيجاز) ، صـ ٨٩ ، و (معيار النظار ، القسم الثالث فى البديع) ، صـ ٤ ــ ٥ .

استعمال المتقدمين ، أى بمعناه الواسع ، الـــذى يعنـــى (البلاغـــة) ، يدلك على ذلك أنه عندما فرغ من تنـــاول الفنـــون التســـعة ، التـــى يراها أشرف فنون هذا العلم قال : (وهـــذا آخـــر الفنـــون التســـعة، التى هى أشـــرف فنـــون علـــم البيـــان)[١] ، وعـــن كتابـــه (دوحـــة البلاغة) الذى عالج فيه ثلاثة فنـــون بلاغيـــة فقـــط يقـــول : (وإنمـــا جعلته مقصورا على هذه الفنون الثلاثة ، لأنها أشـــرف فنـــون علـــم البيان وصناعة البديع)[٢] ، إذن فعلـــم البيـــان عنـــده ، وكـــذا علـــم صناعة البديع ، كلاهما هو علـــم البلاغـــة .

ويمضى الرازى فى (روضة الفصاحة) ، فيقســـم الإيجـــاز إلـــى قسميه : إيجاز القصر ، وإيجاز الحـــذف ، ويستشـــهد لكـــل منـــهما بما يذكره البلاغيون من شواهد قرآنية ونبويـــــة فـــى هـــذا البـــاب ، ثم يترك هذا إلى (فصل) آخـــر عـــن (أشـــرف فنـــون البلاغـــة) ، وهـــى عنـــده (التشـــبيه ، والاســـتعارة ، والتوريـــة ، والتناســـب ، والتأكيد ، والتضمين ، والاقتبـــاس ، وعكـــس الجمـــل ، والقلـــب ، والتجنيس) فهذه عشـــرة أنـــواع ، بنـــاء علـــى أن التضميـــن شـــئ والاقتباس شئ آخر ، لكن من يطلع على كلام الـــرازى فـــى هذيـــن

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـــ ١٩٣ .

(٢) المرجع ، صـــ ٨٩ .

النوعين لا يجد أدنى فرق بينهما ، فما عرف به هذا هو ما عرف به ذاك ، كما أن الشواهد هنا هي الشواهد هناك ، فلهذا يصح أن نجعل هذه الأنواع تسعة ، لا عشرة .

وقد أفرد الرازى لكل نوع منها فصلا ، بادئا بالتشبيه ، الذى عرفه وجعله أصلا للتمثيل والاستعارة ، ثم قسمه إلى قسمين : تشبيه صريح ، وتشبيه عقلى ، ويقصد بالصريح : ما كان وجهه أمرا مشتركا بين الطرفين ، لا يحتاج إلى تأول ، وهذا التفسير ينطبق على مفهوم (التشبية) غير التمثيلى عند عبد القاهر ، أما التشبيه العقلى عند الرازى فهو التشبيه التمثيلى عن الشيخ عبد القاهر ، وقد أورد الرازى فرقا من الفروق التى ذكرها الشيخ بين القسمين ، فقال زين الدين : (والفرق الظاهر بينهما أنك فى التشبيه الصريح يمكنك جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا ، بأن تقول : (المصابيح كأنها نجوم) ، وإن شئت قلت : (النجوم كأنها مصابيح) ، وفى التشبيه العقلى لا يمكن ذلك)[1] .

ثم يقسم التشبيه العقلى إلى (مفرد ومركب) ولست أدرى لماذا لم يقسم التشبيه الظاهر إلى هذين القسمين أيضا ، وينوه

---

[1] المرجع صـ ٦٧ ، وراجع (أسرار البلاغة) ، صـ ٩٠ وما بعدها ، تحقيق أ/ شاكر .

الرازى ببراعة القاضى الأرجـــانى فـــى التشـــبيهات العقليـــة ، وأن من تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وأنه قـــد أورد أحســن تشــبيهاته العقلية فى كتابه (دوحة البلاغـــة) ، ثــم يســتطرد فيذكــر للتشــبيه بعامة أقســاما أخــرى ، هــى : التشــبيه المطلــق ، والمشــروط ، وتشبيه التفضيل ، والتشــبيه المؤكــد ، وتشــبيه العكــس ، وتشــبيه الإضمار ، وتشبيه التسوية[١] ، ويورد لكل قسم مـــن هــذه الأقســام السبعة شواهد مـــن القــرآن والســنة والشــعر العربــى ، وأحيانــا متعددة يستشهد بشعره هو ، فى مـــدح الســلطان نجـم الديــن ، أو مدح غيره من السلاطين والملــوك والأعيــان .

وهــذه الأقســام قــد وردت فــى كتــاب (حدائــق الســـحر)[٢] للوطواط (ت ٥٧٣هــ) ، ولا أعلم أن أحدا قـــد أوردهـــا قبلـــه مـــن بيـــن البلاغييـــن العـــرب ، وقـــد نقلـــها عنـــــه الزنجـــانى (ت ٦٦٠هــ)[٣]، ولا يبعد أن يكون الـــرازى قـــد نقلـــها عـــن (حدائـــق السحر) ، فى أصلـــه الفارســـى ، أو عـــن الزنجـــانى فـــى (معيـــار النظـــار) .

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صــ ٧٢ ــ ٨٩ .

[٢] (حدائق السحر) ، صــ ١٣٩ ــ ١٤٨ .

[٣] (معيار النظار) ، القسم الثالث فى البديع ، صــ ٤٤ ــ ٥٤ .

وفي الشواهد التي أوردها الرازي للأقسام السبعة ما هو من قبيل الإستعارة ، كقول الوأواء الدمشقي :

فَأَمطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ على الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

وقول الحريري :

يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ

فالأصل فأمطرت دمعا كأنه اللؤلؤ ، من عين كأنها النرجس، ومثل هذا يقال في بيت الحريري ، والرازي قد أورد هذين الشاهدين في أحد هذه الأقسام السبعة ، وهو التشبيه المؤكد ، ووصفه بأنه قسم من الاستعارة ، إذ قال : (القسم الرابع : التشبيه المؤكد ، وهو تشبيه الشئ بالشئ مَعْنًى وإرادةً، من غير أداة التشبيه ، وهو قسم من أقسام الاستعارة) .

ولعل الرازي كان يرى رَأْيَ الرماني[1] ، في إطلاق اسم الاستعارة على التشبيهات التي لا تذكر فيها الأداة لفظا ، ولو كانت منوية تقديرا ، بدليل أنه أضاف إلى هذين الشاهدين شاهدين آخرين ، وهما قول المتنبي :

بَدَتْ قَمَراً وَمَاسَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالَا

وقول (الرازي) نفسه ، من قصيدة له ، في مدح السلطان الناصر :

---

[1] راجع (النكت في إعجاز القرآن) ، صـ ٨٥ ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، و (المجازات النبوية) ، صـ ١٨٤ ــ ١٨٥ ، و (الطراز) ، ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

وَأَحْوَى حَوَى مِنْ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ ... فُنُونًا لَهَا فِى قَلْبِ كُلِّ امْرِئٍ أَمْرُ
فَخَدَّاهُ تُفَّاحٌ وَعَيْنَاهُ نَرْجِسٌ ... وَعَارِضُهُ آسٌ وَرِيقُهُ خَمْرُ

فكأنه قد عاد بقضية الفرق بين (التشبيه والاستعارة) إلى عصر الرماني ، مع أن البلاغيين كانوا قد حرروا هذه المسألة، ابتداء بالقاضي الجرجاني ، وعبد القاهر ، والزمخشري، حتى سعد الدين التفتازاني[1].

وينتقل الرازي بعد ذلك إلى فصل في (الاستعارة) ، فيعرفها بأنهاتشبيه حذف منه حرف التشبيه ، لفظا وتقديرا ... ، فقولك: (رأيت أسدا) ، وقولك : (زيد أسد) ، كلاهما عنده استعارة ، وهذا ما مشى عليه الرماني كما قلت ، وجاراه فيه الرازي .

ثم يقسم الرازي الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، ويذكر أن من شروط حسن الاستعارة وضوح العلاقة بين المستعار والمستعار له ، كما يشير إلى قرينة الاستعارة ، وعنده أن قوله تعالى : (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) (سورة البقرة : ١٨٧) ، من الاستعارة ، كما أن قول ابن خفاجة :

وَالرِّيحُ تَلْعَبُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ... ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاء

---

[1] راجع (الوساطة) صـ ٤١ ، و (أسرار البلاغة) ، صـ ٣٢٠ ـ ٣٣٢ ، و (الكشاف) ، صـ ١ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، و (المطول) ، صـ ٣٤٦ ـ ٣٤٨ .

من قبيل ما أضيف فيه اسم المستعار إلى المستعار له[١] ، والمحققون من علماء البيان على أن الآية والبيت من قبيل التشبيه البليغ .

ثم يواصل تناوله للاستعارة ، فيتكلم عن ترشيحها وتجريدها، وعن الاستعارة المكنية ، ويبدى إعجابه بهذا القسم من الاستعارة ، ثم يتكلم عن (التمثيل والكناية) ، ويرى أنهما كالاستعارة فى كونها مجازا ، وفى كونها فرعا عن التشبيه .

ولا يخفى عليك ما فى هذا الكلام ، لأن (التمثيل) يطلق على: التشبيه التمثيلى ، والاستعارة التمثيلية ، والذى يمكن أن يوصف بأنه مجاز هو القسم الثانى ، دون الأول ، أما كون الكناية مجازا ، ومتفرعة عن التشبيه ، شأنها فى ذلك شأن الاستعارة والتمثيل ، فليس محل إجماع البلاغيين ، فبعضهم يرى أن الكناية حقيقة ، لأنها اللفظ المستعمل فى معناه الحقيقى، لينتقل منه إلى المعنى الكنائى ، والحقيقة أعم من أن يراد باللفظ فيها معناه الحقيقى وحده ، أو مع إرادة المعنى الكنائى ، وبعضهم يرى أن الكناية جزء من الاستعارة ، وأنها معدودة فى المجاز ، فإذا كانت الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى

---

[١] راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٩١ ـــ ١٠٢ .

المستعار له ، فإن الكناية أيضا لا تكون إلا حيث يطوى المكنى عنه ، وبعضهم يرى أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز ، فهي ليست حقيقة ، لأن اللفظ الكنائي لم يرد به معناه الحقيقي ، بل أريد به لازمه ، وليست مجازا لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وقرينة الكناية لا تمنع[1] .

ويواصل الرازي الكلام ، فيبدى إعجابه باستعارات (ابن خفاجي الأندلسي) ـ ت ٥٣٣هـ ـ كما أبدى قبل ذلك إعجابه بتشبيهات الأرجاني العقلية ، وكرر هنا عبارة ذكرها هناك ، وهي:(ومن تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وقد أوردت أحسن ما قاله في كتابي المسمى دوحة البلاغة)[2] .

ثم يتناول الرازي (التورية) معرفا لها ، ومستشهدا بالكثير من الشواهد ، منتقلا إلى فصل آخر في (التناسب) ، أو مراعاة النظير ، وتناسب الألفاظ بعضها لبعض وتلاؤمها ، وتقاربها ، مستشهدا بالكثير من الشواهد ، منتقلا من هذا إلى إيهام التناسب، والتشابه ، ويعرف هذا الأخير بأنه (أن تكون الألفاظ

---

[1] يراجع (المثل السائر) ، (٣ : ٥٠ ـ ٥٦) ، و (الطراز) (١ : ٣٧٥ ـ ٣٧٩) ، و (المطول) ، ص٤٠٧ ، وما بعدها

[2] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١١٣.

متقاربة فى الجزالة والمتانة ، والرقـــة والسلاســـة ، غـــير متباينـــة ولا متنافرة ، وتكون المعانى أيضا مناســـبة لألفاظـــها ، مـــن غـــير أن تكسو المعنى النفيس لفظـــا خسيسـا ، بـل تصوغـــها صياغـــة تناسب وتلائم ، حتى (لا)[1] يكون الكلام كمـــا قيـــل :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلاَدُ عَلَّـــةٍ   يَكُدُّ لِسَـانَ الْحَـافِظِ الْمُتَيَقِّـــظِ

ثم يتناول الرازى (حسن التعليـــل) ، الـــذى يسـميه (التـــأكيد) ، فيعرفه بأنه (تقوية المعنى وتقريره ، إما بإظـــهار البرهـــان ، وإمـــا بالعزيمة ، وإما بالتكرار) ، ويفـــهم مـــن تطبيقاتـــه لـــهذا التعريـــف على الشواهد أنه يقصد بالعزيمة (الْقَسَـــم) ، وقـــد يستســـاغ إطـــلاق اسم التوكيد على تقوية المعنى وتقريـــره بالعزيمـــة ، أو بـــالتكرار ، فأما أن يطلق على هذين القســـمين اســـم (حســـن التعليـــل) ، فـــهو مسـتبعد .

ثم يتناول الرازى (التضمين) ، وما يتصل بــــه مـــن (الإيـــداع)، و(الاســـتعانة) ، و (العنـــوان) ، ويستشـــهد لكـــل لـــون مـــن هـــذه الألوان، منتقلا من ذلـــك إلـــى (الاقتبـــاس) ، الـــذى يصفـــه بأنـــه (قريب من التضمين) ، لكنك لـــو راجعـــت كلامـــه فـــى هـــذا وذاك لوجدت أن تعريفه للتضمين هو تعريفه للاقتبـــاس ، والشـــواهد هنـــا

---

[1] الزيادة التى بين القوسين من عندى ، أضفتها لحاجة المعنى إليها ، وينظر : (روضة الفصاحـــة)،= =ت : شعلة ، صـــ ١٢٥ .

هى الشواهد هناك ، كما سبق ذكر ذلك .

ثم يترك هذا إلى فصل فى عكس الجمل ، الذى يعرفه بأنه (أن يذكر الشاعر أو الكاتب جملة ، ثم يعيدها معكوسة ، فيجعل الجزء الأول ثانيا ، والثانى أولا ، فيختلف المعنى بمجرد عكس المبنى ، من غير زيادة شئ آخر أو نقصانه)[1]

ويستشهد لذلك ، مشيرا إلى بعض صور هذا الباب ، التى منها أن يذكر الشاعر أو الكاتب مضافا ومضافا إليه ، ثم يبنى من المضاف صيغة المضاف إليه ، ومن المضاف إليه صيغة المضاف ، أو صيغة صفتهما ، كقول ابن الفارض :

ولولا زفيرى أغرقتنى أدمعى ... ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

ثم يذكر من هذا الباب نوعا تعكس فيه الجملة ، ولا يختلف معناها ، كقول الشاعر :

تتركنى كالأسير يا سكنى ... يا سكنى كالأسير تتركنى

ثم ينتقل إلى (القلب) ، وهو (أن تذكر كلمة ، ثم تذكر كلمة أخرى مركبة من حروف الكلمة الأولى ، من غير نقصان ولا زيادة ، ويقسمه إلى :

١ ـ مقلوب مستوى .

٢ ـ مقلوب الكل .

---

(١) المرجع ، صـ ١٤٧ .

٣ ـ مقلوب البعض .

٤ ـ المقلوب المجنح .

ويمثل لهذه الأقسام بمختلف الأمثلة والشواهد ، منتقلا إلى (التجنيس) ، فيقسمه تسعة أقسام وهي : التام ، والناقص ، والزائد ، المركب ، والمكرر ، و المطرف ، وتجنيس الخط ، والمشوش ، وتجنيس الإشارة .

معرفا لكل قسم مكثرا من الشواهد في هذا الباب ، ولا سيما الشواهد الشعرية ، مبديا إعجابه ، بتجنيس (أبي الفتح البستي) ت : ٤٠٠هـ ، قال الرازي : (وللبستي رحمه الله في أنواع التجنيسات الباع الفسيح ، واللسان الفصيح ، فمن قصد منها أكثر مما أوردناه في هذا المختصر فعليه بديوانه)[١] .

ثم ينتقل إلى (الاشتقاق) فيعرفه ، ويكثر من شواهده الفصيحة ، مستطردا إلى (ما يشبه الاشتقاق وليس به) ، وينقل عن (أبي سعيد) أنه يسميه (المشابهة) ، ولست أدري ، من أبو سعيد هذا ، ولعله (أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست)، أحد أئمة الأدب في القرن الخامس الهجري (ت ٤٣١هـ) ، ثم ينقل الرازي عن (المطرزي) ت ٦١٠هـ و (الوطواط) ت

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١٩٣ .

٥٧٣هـ ، ما قالاه فى عد (الاشتقاق ، وما يشبهه) من قبيل (التجنيس) ، وما قاله المطرزى أيضا فى سبب تناول الاشتقاق فى فصل مفرد ، مستقلا عن الجناس ، وأن ذلك لزيادة فضل فيه ، كما أن الترصيع وهو أحد أنواع السجع ، قد أفرد هو الآخر بفصل خاص به[١] .

والترصيع عند الرازى هو (أن يكون الكلام مشتملا على قرينتين – أى فقرتين – فما زاد ، وكل واحدة لها ما يقابلها ، وتكون الكلمات متفقة وزنا وتقفية) ، كقوله تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (سورة الغاشية ، ٢٥ ، ٢٦) ، وغيره من الشواهد التى يجتمع في بعضها (الترصيع مع التجنيس) ، أو مع الاستعارة ، أو مع (التجنيس والطباق) ، أو مع التجنيس والاستعارة اللطيفة ، ويتبع هذا بتناول التسجيع ، ويقسمه إلى : متوازى ، ومطرف ، ومتوازن ، وبعد التطبيق لتعريف كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة على الشواهد المتعددة ، يقول الرازى : (ولا يقال لأواخر الكلم فى القرآن أسجاع ، بل فواصل ، كما قال الله تعالى : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (سورة فصلت : ٣) .

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١٩٨ .

ثم يدع الرازى هذا إلى (رد العجز علـــى الصـــدر) ، فيعرفـــه ، ويقسمه إلى خمسة وعشرين قســـما ، خمســـة منـــها أصـــول ، بـــدأ بذكرها أولا ، والعشرون الباقيـــة تتفـــرع عليـــها ، ويستشـــهد لكـــل قسم بمختلف الشواهد ، ثم يبدى إعجابه بمـــا صنعـــه فـــى بـــاب رد العجز على الصدر ، فيقول : (وهـــذا البـــاب لا يوجـــد فـــى كتـــاب من كتب علم البيـــان أحســـن ممـــا أوضحتـــه وشـــرحته فـــى هـــذا المختصر)[1] ، ثم يترك ذلك إلى (التضاد) ، فيعرفـــه بأنـــه (الجمـــع بين المتضادين ، مع مراعـــاة المشـــاكلة بينـــهما ، حتـــى لا يكـــون أحدهما اسما والآخر فعلا ، بل يكـــونا اســـمين أو فعليـــن) ، كقولـــه تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُـــوا كَثِـــيرًا)(ســـورة التوبـــة : ٨٢) ، وقوله تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًـــا وَهُـــمْ رُقُـــودٌ) (ســـورة الكـــهف : ١٨) ، واشتراط التوافق النوعـــى بيـــن المتضـــادين قـــد ورد فـــى كلام فخر الدين ت ٦٠٦هـــ ، والزنجـــانى ت ٦٦٠هـــ ، وذكـــر ابـــن الســـبكى أن هـــذا الشـــرط نقلـــه المطـــرزى ، و الزنجانى[2] .

والجديد فى تناول زين الدين الـــرازى للتضـــاد أنـــه نقـــل عـــن

---

[1] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣١ .

[2] راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، و (نهاية الإيجاز) ، صـ ٢٨٥ ، و (معيار النظار) ، القسم الثالث ، صـ ٢١٩ ، و (عروس الأفراح) ، ضمن شروح التلخيص ، ٤ : ٢٨٧ .

بعض البلغاء فرقا لطيفا بين (التضاد والمقابلة) يؤدى إلى كون المقابلة أعم من الطباق ، خلافا لما عليه كلام البلاغيين من كون الطباق أعم من المقابلة ، يقول فى ذلك : (وفرق بعض البلغاء بين التضاد والمقابلة ، فجعل المقابلة أعم ، والتضاد أخص ، وحاصل ما ذكره من الفرق بينهما أن المقابلة إذا كانت حقيقية تامة كان ذلك تضادا ، كقوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) (سورة التوبة : ٨٢) ، وما أشبهه ، وإن كانت مقابلة تقريبية معنوية سمى مقابلة ، كقوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) (سورة الأنعام : ١٢٥) ، وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ...)الآية (سورة الليل : ٥ ، ٦) ، ... ولا بأس بهذه التفرقة)[١] .

فكأن هذا الرأى قد ألغى شرط الوحدة فى طرفى التضاد ، وشرط التعدد فى طرفى المقابلة ، فالمعول عليه فى الفرق بينهما هو كون التضاد بين الطرفين حقيقيا أو غير حقيقى ، فمتى كان حقيقيا كان (تضادا) ، ولو تعدد طرفاه ، كهذا البيت الذى استشهد به زين الدين الرازى :

نَهَارُ غُرَّتِهِ الْبَيْضَاءِ أَرْشَدَنِي ۞ وَلَيْلُ طُرَّتِهِ السَّوْدَاءِ أَغْوَانِي

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣٨ .

فهو على ضوء هذا الفرق المذكور من قبيل (الطباق) ، على الرغم من تعدد طرفيه ، ولكن الذى جرى عليه جمهور البلاغيين فى الفرق بين الطباق والمقابلة :

١ ـ أن الطباق يكون بين ضدين اثنين فقط ، أما المقابلة فيشترط ألا يقل طرفاها عن اثنين ، بأن تكون بين اثنين واثنين ، أو بين ثلاثة وثلاثة ، أو بين أربعة وأربعة ، أو بين خمسة وخمسة ، أو بين ستة وستة ، وهذا الأخير أقصى ما يصل إليه التعدد فى بابها .

٢ ـ أن الطباق يكون بالأضداد الحقيقية فقط ، أما المقابلة فتتحقق بالأضداد الحقيقية والأضداد التقريبية[١] .

وعليه فإن البيت الذى ذكرناه قبل قليل من قبيل المقابلة عند جمهور البلاغيين وإن كان من (الطباق) على الرأى الذى نقله الرازى ، ووصفه بأنه لا بأس به .

ثم ينتقل الرازى إلى (الإعنات) أو لزوم ما لا يلزم ، ويستشهد له بشواهد من الشعر والنثر ، ويدع هذا ليتناول (تضمين المزدوج) ، وهو على الجملة من قبيل السجع ، وشعبة من شعبه ، ثم يتناول (حسن الطلب) ، ثم (المدح المفرع) ،

---

[١] راجع (تحرير التحبير) ، صـ ١٧٩ ، و (أنوار الربيع) ، صـ ١ : ٢٩٨ .

ومعناه عنده : (أن يصف الشاعر ممدوحه بصفة حميدة ، يلزم منها المدح بصفة أخرى حميدة أيضا) ، كقول المتنبي :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

فقد مدحه في المصراع الأول بالشجاعة ، وكثرة ما قتل من الأعداء ، وفرع من ذلك مدحه بأن الدنيا تفخر ببقائه ، ولهذا قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه ، أي ذو وجهين .

وكان القزويني يطلق على هذا النوع (الاستتباع) ، وسُمِّيَ عند غيره بأسماءَ أخرى ، قال زين الدين الرازي : (وبعض البلغاء يسمي هذه الصناعة (المدح الموجه) ، وكأنه يريد أن له وجوها في المدح ، وتسميته بالمفرع أولى وأحسن) ، ثم ينتقل الرازي إلى (المحتمل للضدين) ، ويستشهد له ، وهو الذي يطلق عليه المتأخرون (التوجيه) ، ثم ينتقل الرازي إلى (تأكيد المدح بما يوهم الذم) ، ثم (الالتفات) ، ويذكر المغزى البلاغي العام له ، وهو تطرية إصغاء السامع ، وتجديد نشاطه ، وصيانة خاطره عن الملل والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه وفكره ، ويذكر أن من علماء البيان من يجعل الالتفات عبارة عن (تعقيب الكلام بجملة تامة ، ملاقية له في المعنى على جهة التمثيل ، أو الدعاء ، أو نحو ذلك تتميما لذلك المعنى) ، ويورد شواهد على كلا التعريفين ، والجمهور على

أن هذا التعريف الثانى هو تعريف التذييل ، ثم ينتقل الرازى إلى سياقة الأعداد ، ثم تنسيق الصفات ، ثم (الاعتراض) ، ثم (الرجوع) ، ثم (التوشيح) ، وهو : أن يبنى الشاعر أبيات القصيدة على قافيتين من بحرين ، أو ضربين فى بحر واحد ، فإذا وقف على القافية الأولى كان شعرا مستقيما ، لكن من ضرب آخر ، ثم يتناول (التجاهل) ، أو تجاهل العارف ، ثم (التلميح) ، ثم (الإغراق فى الصفة) ، ثم (اللف والنشر) ، ثم (التفسير) ، ويعرفه بما عرف به المتأخرون (الجمع مع التفريق والتقسيم) ، والشواهد هنا هى الشواهد هناك ، ثم يتناول الرازى (الجمع مع التفريق) ، ثم (المتزلزل) ، ثم يفرق بين (الردف) ، و (الرديف) ، ثم يتناول (الاستدراك) ، ثم (حسن المطلع) ، ويعرفه بما عرف به البلاغيون (براعة الإستهلال) ، ثم ينتقل إلى (حسن التخلص) ، ثم (حسن المقطع) ، ثم (الموشح) ، ثم (المربع) ، ثم (المسمط) ، ثم (الملمع) ، ثم (المقطع) ، ثم (الموصل) ، ثم (الحذف) ، ثم (الرقط) ، ثم (الخيف) ، ثم (التصحيف) ، ثم (الترجمة) ، ثم (المعمى) ، ثم (اللغز) ، ثم يتناول تحت عنوان (ما يقع بين الشعراء) ستة من أنواع السرقات وهى : المواردة ، والمصالتة ، والنقل ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، ثم ينوه ـ تحت عنوان فصل من دقائق البلاغة ـ بضرورة حفظ مراتب (التقديم والتأخير) فى الكلام ،

ومعرفة (الفصل والوصل) ، لما له من شأن عند البلغاء ، ولذلك جعله بعضهم (حد البلاغة) ، فقال : البلاغة معرفة الفصل والوصل ، وما ذلك إلا لغموضه ، ودقة مسلكه ، وبهذا ينتهي الكتاب .

وبعد ... فهذا هو كتاب (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى، وهذه هى أهم محتوياته ، وفى الختام نحب أن ننوه بأهم محتويات البحث ونتائجه وتوصياته ، فى كلمات محددة ، وبنود مركزة ، وعبارات مجملة ، فأهم هذه النتائج ما يأتى :

١ ــ أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون للثعالبى ، وأن نسبته إليه فى طبعته التى طبعتها مكتبة القرآن بالقاهرة ، بتحقيق محمد إبراهيم سليم خطأ فادح ، يجب المبادرة إلى تصحيحه فورا ، ولهذا يهيب البحث بالمسئولين عن النشر والطباعة فى مصر والعالم العربى باتخاذ الإجراءات اللازمة لتصحيح هذا الخطأ المزرى ، وسحب نسخ هذه الطبعة من المكتبات ، وإعدامها لأن مؤلف الكتاب هو زين الدين الرازى ، المتوفى على الراجح فى أواخر القرن السابع الهجرى ، وأوائل الثامن ، وليس الثعالبى ، المتوفى ٤٢٩هـ ، وقد تتبع البحث الأدلة والقرائن التى تدل على ذلك .

٢ ـ كشف البحث عن دور الرازى فى مجال البلاغة ، من خلال إلقاء الضوء على كتابه (روضة الفصاحة) ، والتنويه بكتابه الآخر (دوحة البلاغة) ، ونأمل فى العثور على نسخة من هذا الكتاب الأخير ، ليتم تحقيقه وطبعه ، وإخراجه إلى النور ، حتى يستعيد الرازى مكانته ، ويتضح دوره البلاغى والنقدى ، بعد أن ظل هذا الدور مفقودا مجهولا ، غير مذكور ، لما كان كتابه المذكور غير معروف لمن أرخوا للبلاغة ، وعرفوا بأشهر رجالها ، وأهم المؤلفات فيها عبر تاريخها الطويل .

٣ ـ كشف البحث عن شغف الرازى بالشواهد ، فقد أكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فى كتابه، كما أكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية لشعراء متقدمين عليه ، وقريبين من عصره ، والأهم من هذا أنه كان للمؤلف وقفات نقدية إزاء بعض هذه الشواهد الشعرية ، كإعجابه بتشبيهات القاضى الأرجانى (العقلية) ، وإعجابه باستعارات ابن خفاجة الأندلسى ، وإعجابه بتجنيسات أبى الفتح البستى ، وهو فى كل مشهد من هذه المشاهد يحيل القارئ على ديوان الشاعر ، إذا كان يريد المزيد ، وهذا هو المنهج العلمى الأدبى التذوقى ، فضلا عن أنه قد

استشهد كثيرا بأبيات من شعره هو ، وكان أكثرهــا فــى مــدح أعيان دولته وسلاطينها ، وهى أشعار على درجــة عاليــة مــن البلاغة والروعة ، ولعلها تجد باحثاً يجمعها مــن مظانــها .

٤ ــ كشف البحث عن مواقف وآراء بلاغية طريفــة لزيــن الديــن الرازى ، منها ما لا تكاد تجده فى كتاب مــن كتــب البلاغــة ، كتفريقه بين (الطبــاق والمقابلــة) الــذى يختلــف تمامــا عــن تفريق البلاغييــن بينــهما ، ومنــها عَــدُّهُ نحــو (زيــد أســد) استعارة ، مــع أن هــذا الأسـلوب يُعَـدُّ تشـبيها بليغـا عنـد المحققين من علماء البيان ، ومنــها عَــدُّهُ (التمثيـل والكنايــة) مجازاً،وَذِهَابُهُ إلى أنهما كالاســتعارة فــى كونــها فرعــاً عــن التشبيه ، وقد نــاقش البحــث هــذه الآراء ، علــى ضــوء مــا تقرر عند جمهور البلاغييــن .

٥ ــ كشف البحث عن بعــض مظــاهر التــأثر ، عنــد الــرازى ، مشيرا إلى أن هــذا أَمْـرٌ ضــرورى فــى المســيرة العلميــة والأدبية ، لأن الإنسان ابن بيئتــه ، وقــد أورد البحــث أســماء البلاغيين الذين نَــصَّ زيــنُ الديــن الــرازى عليــهم ، ونقــل أقوالهم صراحة فى كتابــه ، وهــم (جــار الله الزمخشــرى ت ٥٣٨هــ) ، و (أسامة بـــن منقــذ ت ٥٨٤هــــ) ، و (رشــيد الدين الوطواط ت ٥٧٣هــــ) ، و (نــاصر الديــن المطــرزى

ت ٦١٠هـ) ، و (أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى) .

لكن البحث قد أشار إلى أن الرازى قد أفاد من كلام بلاغيين آخرين ، غير هؤلاء ، وإن لم يذكر المؤلف أسماءهم فى كتابه، فمنهم على سبيل المثال الشيخ عبد القاهر ت ٤٧١هـ ، أو ٤٧٤هـ ، وفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) ، وعز الدين الزنجانى (ت ٦٦٠هـ) .

٦ ـ كشف البحث عن منهج الرازى فى عرض الموضوعات البلاغية ، وأنه منهج أصحاب (المختصرات) العلمية التى دفعت إليها طبيعة عصره ، حتى إننا وجدناه يطلق على (البلاغة) مصطلحات : (الفصاحة ، والبيان ، وصناعة البديع) ، فكتابه (روضة الفصاحة) ، وكتابه (دوحة البلاغة) ، كلاهما فى (علم البيان) ، الذى هو (علم صناعة البديع) ، وقد جاء عرضه لمباحث الكتاب سهلا تقريريا ، فى لغة مستوية ، مبتدئا بما وصفه بأنه أشرف فنون البلاغة ، وهى الفنون التسعة التى ابتدأت بالتشبيه ، والاستعارة ، وانتهت بالتجنيس ، ثم تابع بعد ذلك بقية الفنون البديعية التى بدأت بالاشتقاق ، والترصيع ، وانتهت بستة أنواع من قبيل السرقات الشعرية ، ويؤخذ على

الرازى أنه ضمن كتابه بعض الفنون التى ليس لها كبير جدوى فى الدراسة البلاغية ، كالمتزلزل ، والموشح ، والمربع ، والمسمط ، والملمع ، والمقطع ، والموصل ، والحذف ، والرقط ، والخيف ، والتصحيف ، والترجمة ، والمعمى ، واللغز .

وهذه الأنواع أكثرها أورده الوطواط ، والفخر الرازى ، والزنجاني ، وأكثر شواهدها من شعر الحريرى ، ومقاماته ، ولعلها من مظاهر تأثر البلاغة العربية بالبلاغة الفارسية ، ولعل الأيام القادمة تكشف عن دراسات متخصصة وكتب بلاغية فارسية تؤكد ذلك .

المصادر والمراجع

١ـ أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهرة ، تحقيق شاكر ، دار المدنى ، ١٩٩١م .

٢ـ الأعلام للزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٩م .

٣ـ أنوار الربيع لابن معصوم المدنى ، طبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٩م.

٤ـ البديع فى نقد الشعر لابن منقذ ، ط (الحلبى) ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

٥ـ البيان العربى ، د/ بدوى طبانة ، الطبعة الثانية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٨م .

٦ـ تاريخ علوم البلاغة للمراغى ، الطبعة الأولى ، الحلبى ، ١٩٥٠م .

٧ـ تحرير التحبير لابن أبى الإصبع ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٣هـ .

٨ـ حدائق السحر للوطواط ، تعريب د/ إبراهيم الشواربى ، ط لجنة التأليف ، ١٩٤٥م .

٩ـ دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر ، ت شاكر ، ط (الخانجى) ، والمدنى ، ١٩٨٤م .

١٠ـ ديوان البهاء زهير ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١ـ ديوان ابن حمد يس ، ط (بيروت) .

١٢ـ ديوان ابن الفارض ، شرح مهدى محمد ناصر الدين ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣ـ ديوان ابن النبيه ، ت : عمر محمد الأسعد ، ط (الأولى) ، ١٩٦٩م .

١٤ـ روضة الفصاحة ، زين الدين الرازى ، ت : د/ أحمد النادى شعلة ، ط (المحمدية) ، بالقاهرة ، ١٩٨٢م ، والطبعة الأخرى من الكتاب ، التى نسب فيها خطأ للثعالبى ، ط (مكتبة القرآن) ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ت : محمد إبراهيم سليم .

١٥ ـ شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ط : القدسي بالقاهرة ، بدون .

١٦ ـ صاحب مختار الصحاح ، عبد الله مخلص ، رسالة مودعة بدار الكتب المصرية .

١٧ ـ الطراز للعلوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨ ـ عروس الأفراح ، للسبكى ، ضمن شروح التلخيص ، ط : الحلبى ، بدون .

١٩ ـ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى ، ط : بولاق .

٢٠ ـ كشف الظنون ، لحاجى خليفة ، ط : استانبول ، ١٩٤٣م = ١٣٦٢هـ .

٢١ ـ الكشاف للزمخشرى ، ط : دار الفكر ، ط (الأولى) ، ١٩٨٣م = ١٤٠٣هـ .

٢٢ ـ المثل السائر ، لابن الأثير ، تحقيق د. الحوفى ، ود/ طبانة ، ط : نهضة مصر .

٢٣ ـ المجازات النبوية للشريف الرضى ، ت : طه الزينى ، ط : الحلبى ، ١٩٦٧م.

٢٤ ـ مجلة الرسالة ، السنة الثامنة ، العدد ٣٨٩، ١٦ / ١٢/ ١٩٤٠م .

٢٥ ـ مختار الصحاح ، لزين الدين الرازى ، ط (دار المنار) ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوى .

٢٦ ـ المطول على التلخيص ، لسعد الدين التفتازانى ، ط : (مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠ هـ) .

٢٧ ـ معاهد التنصيص للعباسى ، ت : محى الدين ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٦هـ = ١٩٤٧م .

٢٨ ـ معجم الأدباء ، لياقوت الحموى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .

٢٩ ـ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .

٣٠ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، لإلياس سركيس ، ط سركيس .

٣١ ـ معيار النظار فى علوم الأشعار ، (القسم الثالث فى البديع) ، لعز الدين الزنجانى ، مطبعة الأمانة (الأولى) ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، تحقيق : د/ عبد المنعم سيد عبد السلام .

٣٢ـ النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ، ط : دار الكتب .

٣٣ـ النكت فى إعجاز القرآن ، لأبى الحسن الرمانى ، ضمن (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) ، تحقيق الأستاذين : خلف الله ، وزغلول سلام ، ط : دار المعارف (الثانية) ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م .

٣٤ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، للفخر الرازى ، تحقيق د/ بكرى شيخ أمين ، ط (الأولى) ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .

٣٥ـ هدية العارفين ، لإسماعيل البغدادى ، ط : إستانبول .

٣٦ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى الجرجانى ، ط : الحلبى ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، وعلى البجاوى .

٣٧ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ط : دار الرسالة ، ت : محى الدين .

الأسرار البلاغية فى سورة الضحى

دكتور
عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

الأسرار البلاغية في سورة الضحى

للأستاذ الدكتور
عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط- جامعة الأزهر

سورة الضحى :

هى مكية بالإجماع ، وهى السورة الثالثة والتسعون فى ترتيب المصحف بعد الليل وقبل الشرح ، والعاشرة فى ترتيب نزول المكى ، نزلت بعد الفجر وقبل الشرح[١] ، "وعدت هذه السورة حادية عشر فى ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الإنشراح"[٢]، "وهى الثانية عشرة فى ترتيب السور التى افتتحت بالقسم وعددها خمسة عشر سورة"[٣]. وسميت هذه السورة فى أكثر المصاحف وفى كثير من كتب

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣/١ دار عالم المعرفة بدون البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٣/١ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، ص ٤٥ ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٧٩/١.

التفسير وفى جـــامع الـــترمذى[1] "ســورة الضحـــى" بـــدون واو ، وسميت فى كثير من التفاسير وفـــى صحيـــح البخـــارى[2] "ســـورة والضحى" بإثبات الـــواو"[3].

عـــدد آياتهـــا :

وعـــدد آياتـــها إحـــدى عشـــرة آيـــة[4]، وكلماتـــها أربعـــون ، وحروفها مائة واثنان[5] وهى أول ســـورة فـــى قصـــار المفصـــل[6] عند ابن عبـــاس، وســـمى مفصـــلاً لكـــثرة فصولـــه بالبســـملة[7] ، وأقصر آية فيه والضحى ثم والفجـــر كـــل كلمـــة خمســـة أحـــرف تقديراً ثم لفظاً ، ســـتة رســـما[8] نزلـــت بمكـــة ، جميعـــها محكـــم

---

(١) سنن الترمذى تحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض ٤٤١/٥،ط٣ مطبعة مصطفى البابى الحلـــبى ،= ١٣٩٥هـــ ـــ ١٩٧٥م .

(٢) صحيح البخارى بحاشية السنـــدى ، ٢١٧/٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بدون .

(٣) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٢/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز ابادى ص ١٩١، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البـــابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـــ ـــ ١٩٥١م .

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٧) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، ص٢٢٢ ، دار الحديث ، القـــاهرة، بدون.

(٨) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، ٢٥٢/١.

ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[١] .

سبب نزولها :

ورد فى روايات كثيرة[٢] أن الوحى فتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبطأ عليه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال المشركون : إن إله محمد ودعه وقلاه . عندئذ نزلت هذه السورة ، نزل هذه الفيض من الود والحب والرحمة والإيناس والقربى والطمأنينة واليقين"[٣].

وجه ارتباطها بما قبلها :

لما ذكر ـ سبحانه ـ فيما قبلها (وسيجنبها الأتقى)[٤] وكان سيد المتقين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه ـ عز وجل ـ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

[١] الناسخ والمنسوخ للواحدى بهامش أسباب النزول له ص ٣٢٩ مكتبة المتنبى بدون .

[٢] يراجع ذلك فى أسباب النزول للسيوطى ، تحقيق الأستاذ/ قرنى أبو عميرة ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ مكتبة نصير بدون ، أسباب النزول للواحدى ص ٣٣٧ : ٣٣٩ ، مكتبة المتنبى بدون ، صحيح البخارى بحاشية السندى ٣/٢١٧ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٢٢ وما بعدها ، مكتبة دار التراث ،بدون .

[٣] أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم ، ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، ص ١٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

[٤] الليل : ١٧ .

وقال الإمام لما كانت الأولى سورة أبـــو بكـــر ــ رضــــى الله عنـــه ــ وهذه سورة رسول الله ــ صلـــــى الله ــ تعـــالى ــ عليــــه وســـلم عقب ــ جل وعلا ــ بها ولم يجعــــل بينـــهما واســـطة ليعلـــم أن لا واسطة بين رســــوله ــ صلـــى الله عليــه وســـلم ــ والصديـــق ــ رضى الله تعالى عنــــه(١).

غـرض الســـورة:

"هـــذه الســـورة بموضوعـــها وتعبيرهـــا ومشـــاهدها وظلالـــــها وإيقاعها لمسة من حنان ونسمة من رحمة وطـــــائف مـــن ود ، ويـــد حانية تمســـــح علـــى الآلام والمواجـــع وتنســـم بـــالروح والرضـــى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينـــــة واليقيـــن إنـــها كلـــها خالصـــة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلها نجاء لـــــه مـــن ربـــه وتســـرية وتسلية وترويح وتطمين ، كلها أنســـــام مـــن الرحمـــة وأنـــداء مـــن الود وألطاف من القربــــــى وهدهـــدة للـــروح المتعـــب ، والخـــاطر المقلق ، والقلب الموجــــع"(٢).

ففى السورة "إبطال قـــول المشـــركين إذ زعمـــوا أن مـــا يـــأتى

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠ ، ط٤ ، دار إحياء الـــتراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م .

(٢) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ، ٣٩٢٥/٦ ، ط١٠، دار الشروق ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م.

من الوحى للنبى ــ صلى الله عليــــه وســلم ــ قــد انقطـــع عنـــه ، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى ، وأنــــه ســيعطيه ربـــه ما فيه رضاه وذلك يغيظ المشركين ، ثــم ذكـــره الله بمـــا حفــه بـــه من ألطافه وعنايته فى صباه وفــــى فتوتـــه وفـــى وقـــت اكتهالـــه ، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناســبها مـــن نفـــع لعبيـــده وثنـــاء الله عليه بما هو أهلـــه"[١].

ومن الاستعراض السريع لأهـــداف الســورة ومقاصدهـــا تبـــدو الألوان المتعددة فى مشـــاهد الســورة ، فكـــل لفظـــة فـــى القـــرآن الكريم لها فى سياقها دلالة معبرة وها نحـــن نحيـــط اللثـــام ونكشـــف عما فى الســــورة مـــن مضمـــون يعيـــن علـــى توضيـــح بلاغتـــها واللطائف التى توحى بها الآيات وفق الـــدلالات التـــى هـــى ولائـــد السياق وقرائن الأحـــوال فنقـــول ، ومـــن الله ــ تعـــالى ــ تســتمد العون "لقد أطلق التعبــير جــوا مـــن الحنـــان اللطيـــف والرحمـــة الوديعة والرضاء الشامل والشجا الشـــفيف ... ذلـــك الحنـــان وتلـــك الرحمة وذاك الرضا وهذا الشجى تنسرب كلـــها مـــن خـــلال النظـــم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموســـيقى الســـارية فـــى التعبير ، الموسيقى الرتيبة، الحركات الوئيـــدة، الخطـــوات الرقيقـــة

---

[١] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٠٤/٣٠.

الأصداء الشجية الإيقـــاع"[١].

ولكى يضوع عطر هذه العناية الربانية ، وتستنشـــق مـــا يفـــوح به من أسرار نعمد إلى التحليل البيـــانى الكاشـــف كـــى نتنسم هـــذا العطر الندى ونلمس تلك المناجاة الحبيبة "وهذا الفيـــض مـــن الـــود والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمـــل والرضـــى والطمأنينـــة واليقيـــن"[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم
(والضحى ﴿١﴾ والليل إذا سجا ﴿٢﴾ ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾ وللآخرة خير لك من الأولى ﴿٤﴾ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴿٥﴾)

فى الآيات بحـــوث :

الأول : سر مناسبة السورة لما قبلها :

ذكرت ــ آنفًا ــ وجه ارتباط السورة بمـــا قبلـــها ، وهنـــا أقـــول فى إيجاز "قدم هنا الضحى على الليل ، وفـــى الســـورة قبلـــها قـــدم الليل؛لأن لكل منهما أثرًا فى صلاح العالم ، ولليـــل فضيلـــة الســـبق وللنهار فضيلة النور ، فقدم هذا تارةً ، وهذا أخـــرى ، أو أنـــه قـــدم

---

[١] التصوير الفنى فى القرآن للشهيد / ســـيد قطـــب ، ص ١٠٥ بتصـــرف ط١٠ ، دار المعـــارف ، ١٩٨٦م.

[٢] فى ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، ٦/٣٩٢٥.

الليل في سورة أبي بكر؛ لأن أبا بكر سبق له كفر ، وقدم الضحى في سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأنه نور محض، ولم يتقدمه ذنب"[١].

الثاني : لقطات لغوية :

(الضحى) والضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ، والضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار ، وبالضم والقصر يطلق على الشمس أيضاً"[٢] "وسجا" سجا الشئ من باب سما : سكن ودام وقوله ـ تعالى ـ: (والليل إذا سجا)[٣] أي: دام وسكن، ومنه البحر الساجي وطرف ساج أي ساكن ، وسجى الميت تسجيةً : أي مد عليه ثوباً"[٤].

وقيل : سجا أي أدبر ، وقيل : بعكسه ، وقال الفراء : أظلم... وهو من ذوات الواو... كالضحى فإنه من ذوات

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بحاشية الجمل على الجلالين ٥٤٩/٤ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده ، وينظر أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي ، تحقيق د/ عبد القادر أحمد عطا ، ص ١٥١،١٥٢ ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

(٢) القاموس للفيروز آبادى ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، بدون

(٣) الضحى : ٢ .

(٤) مختار الصحاح للرازى ، ص ٢٥٣ ، مكتبة لبنان ــ بيروت ، ١٩٨٩م .

الواو-أيضـًا"[١].

ويقال : سجا الليل سَـجْوا بفتح فسكون ، وسُجُوّا بضمتين وتشديد الواو إذا امتد وطال مدة ظلامه مثل : سجو المرء بالغطاء إذا غطى به جميع جسده"[٢]. وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك) التوديع عند الرحيل ، والاسم : الوداع بالفتح ، وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك ربك)[٣] قالوا : ما تركك"[٤].

"(وما قلى) : أى ما أبغضك ، قلاه يقليه فى المضارع ، وطئ تقول : قلاه يقلاه بالفتح"[٥].

ويقال : "قلى الحب واللحم ونحوهما قلياً : أنضجه على المقلاه ، وفلاناً قلى : أبغضه وهجره ، وفى القرآن الكريم (ما ودعك ربك وما قلى)[٦]..."[٧].

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ٥٣٧/٦ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٩٥/٣٠.

(٣) الضحى : ٣ .

(٤) مختار الصحاح للرازى ، ص ٦٣٠.

(٥) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، ٥٣٧/٦.

(٦) الضحى : ٣ .

(٧) المعجم الوجيز ص ٥١٤ ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٣م.

"وقليته قليا ، وقلوته قلوا من بابى ضرب وقتل، وهو الإنضاج فى المقلى ، وهى يفعل بالكسو"(١).

الثالث : لطائف بلاغية :

افتتاح السورة بهذا القسم المظهر لتأكيد الخبر، ردا على زعم المشركين أن إله محمد ودعه وقلاه، وفيه بيان شرف المقسم به وعلو قدره عند الله – تعالى – فهو من الفواتح البديعة لما فيه من أسلوب عزيز غير مألوف ، وذلك لسلوكه مسلك التعريض بالمشركين ، أما الحبيب المصطفى، فلا يتردد فى وقوع ما يخبره الله بوقوعه ، ففى هذا القسم فيض من الحنان يمسح الآلام والمواجع ويسكب الرضا والأمل ، والطمأنينة واليقين .
قال سماحة الشيخ الطاهر بن عاشور : "القسم لتأكيد الخبر ردًا على زعم المشركين أن الوحى انقطع عن النبى – صلى الله عليه وسلم – حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال ، فالتأكيد منصب على التعريض المعرض به؛ لإبطال دعوى المشركين ، فالتأكيد تعريض بالمشركين ، وأما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يتردد فى وقوع ما

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ، ٤/٥٥٠.

يخبره الله بوقوعه"[١].

ويضيف السيوطي – رحمه الله – لطيفة أخرى في هذا القسم ، يقول : "ومن لطائف القسم قوله (والضحى والليل إذا سجى) ...الآيات[٢] أقسم الله – تعالى – على إنعامه على رسوله وإكرامه له ، وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة ، فهو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته ، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدًا ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه"[٣] .

"والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده"[٤] وأيضا يراد بالقسم: "بيان شرف المقسم به)وعلو قدره"[٥].

---

[١] التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

[٢] الضحى : ١ إلى ٥ .

[٣] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ١٧١/٢ ، ١٧٢.

[٤] المرجع السابق ، ١٦٩/٢.

[٥] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزية ، ص ١١٧ ، مكتبة المتنبي – القاهرة – بدون – مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ٢٣٩ ، ط الخانجي .

"وقوله تعالى : (ما ودعك ربك) هذا جواب القسم"[١] وينبه السمين الحلبى ــ رحمه الله ــ على دقيقة فى قوله ــ تعالى ــ (وللآخرة) وقوله تعالى ــ (ولسوف) وهى أن اللام فيهما جواب القسم ، ولا ينافى هذا كلام الزمخشرى الذى قدر مبتدأ بعد قوله (ولسوف) أى ولأنت سوف يعطيك".

يقول "قوله (وللآخرة) الظاهر فى هذه اللام : أنها جواب القسم وكذلك فى (ولسوف) أقسم الله ــ تعالى ــ على أربعة أشياء : اثنان منفيان ، وهما توديعه وقلاه ، واثنان مثبتان مؤكدان وهما : كون الآخرة خير له من الدنيا ، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه"[٢].

أشرت ــ آنفًا ــ إلى أن القسم بالضحى والليل لتحقيق الخبر وتوكيده أو بيان شرف المقسم به وعلو قدره[٣]، ويأتى هنا سؤال : لم القسم بالضحى والليل؟ يقول الطاهر بن عاشور: "ومناسبة القسم بـ (الضحى والليل) أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس ، فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحى،وحصول الاهتداء به ، وأن الليل وقت قيام النبى ــ صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٢/٢٠، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩ــ ١٩٤٠م .

(٢) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ٥٣٨/٦.

(٣) البحث ص ٢٦٤ ، ٢٦٥.

ــ بالقرآن ، وهو الوقت الذى كان يسمع فيــه المشــركون قراءتــه من بيوتهم القريبة من بيته ، أو من المســجد الحــرام".

فإن قلت : لم أطلق الضحى ، وقيــد الليــل بــالظرف ؟ أجيبــك قائلا " (تقييدًا لليل) بالظرف (إذا سجا)؛لأنه ذلك وقــت قيــام النبــى ــ صلى الله عليه وسلم . قــال ــ تعــالى ــ (قــم الليــل إلا قليــلاً نصفه أو انقص منه قليــلا)[١] ..."[٢].

وفى تخصيــص وقــت الضحــى بــالذكر دون بــاقى ســاعات النهار فيه بشارة للنبى ــ صلــى الله عليــه وســلم ــ وتكريــم لــه وبيان لفضله ــ صلى الله عليه وسلم . يقــول الفخــر الــرازى :"لــم خص وقت الضحى بالذكر ؟ الجواب : فيه وجــهان : أحدهمــا أنــه وقت اجتماع الناس وكمــال الأنــس بعــد الاســتيحاش فــى زمــان الليل ، فبشروه أن بعد استيحاشك بســبب احتبــاس الوحــى يظــهر ضحى نزول الوحــى .

وثانيهما : أنها الساعة التى كلــم فيــها موســى ربــه ، وألقــى فيها السحرة سجدًا،فاكتسى الزمان صفــة الفضيلــة لكونــه ظرفــًا ، فكيف فاعل الطاعة ، وأفاد ــ أيضًا ــ أن الــذى أكــرم موســى لا

---

(١) المزمل : ٢،٣.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٤، ٣٩٥.

يدع إكرامك ، والذى قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب أعدائك"[١].

وفى (الضحى) مجاز مرسل، وهو الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام خلافًا لما يفهم من قول الشيخ إسماعيل حقى فى روح البيان : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار... أو على تقدير المضاف"[٢].

والذى يفهم من كلام صاحب روح البيان : أن فى قوله (أو على تقدير المضاف) أن فى الكلام مجازًا بالحذف ، ومجاز الحذف "قد يطلق على كلمة تغير حكم إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ"[٣] وهذا الكلام مبنى على تفسير معنى (الضحى) ويجمل الفخر الرازى أقوال أهل التفسير فى معنى كلمة (الضحى) يقول : لأهل التفسير فى قوله ـ تعالى ـ (والضحى) وجهان :

أحدهما: أن المراد بالضحى : وقت الضحى ، وهو صدر النهار حين

---

[١] مفاتيح الغيب للرازى ، ٤٦٦/٣١ ، ط١ ، دار الغد العربى ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

[٢] روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ٤٥٢/١٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

[٣] شرح السعد المسمى مختصر المعانى فى علوم البلاغة للتفتازانى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٥٦/٤ ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده . بدون .

ترتفع الشمس وتلقى شعاعها.

وثانيهما : الضحى : هو النهار كله بدليل أنه جعل فى مقابلة الليل كله[1].

فعلى التوجيه الأول يكون فى الكلام مجاز مرسل بعلاقة الحالية "وتعرف بتسمية المكان باسم ما يحل فيه ويقع فى ضمنه"[2]. يقول الشيخ إسماعيل حقى : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار ، أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية ، فإن الزمان ظرف لما فيه"[3].

وعلى الوجه الثانى من تفسير الفخر الرازى لمعنى (الضحى) يكون فى الكلام مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وهى "تسمية الشئ باسم جزئه"[4].

يقول الجمل فى حاشيته على الجلالين : "قال "أو كله" ... يكون فى الكلام مجاز من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل ،

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ، ٣١/٤٦٤.

(٢) مواهب الفتاح لابن يعقوب للمغربى ضمن الشروح ، ٤/٤١، دار السرور ، بيروت ، لبنان.

(٣) روح البيان فى تفسير القرآن ، ١٠/٤٥٢.

(٤) الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ٥/٢٥ ، ط٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

وقرينته مقابلته بـــالليل"(١).

والنظم الشـــريف محتمـــل لكـــل ذلـــك ، فالنكـــات البلاغيـــة لا تتزاحم (والليل إذا سجى) وفى إســـناد الســـجو إلـــى الليـــل مجـــاز عقلى علاقته الزمانية . فمعنـــــى (ســـجى) ســـكن أهلـــه(٢) ، فـــهو مجاز عقلـــــى حيـــث أســـند الســـكون لليـــل"(٣) . وينـــص الشـــيخ إسماعيل على حقي على نوع العلاقة وأنـــــها الزمانيـــة يقـــول : (إذا سجا) : أى اسكن أهله على المجاز مـــن قبيـــل إســـناد الفعـــل إلـــى زمانه(٤) والنظم الشريف يحتمل حمـــل الكـــلام علـــى الحقيقـــة : فيحمـــل الكلام على تقدير مضـــاف ... ونحـــوه مـــا روى عـــن قتـــادة : أى سكن الناس والأصوات فيه"(٥). وشاع ليـــل ســـاكن أو ســـاج لمـــا لا ريح فيه ، ووصفه بذلك : أعنى الســـــكون ، قيـــل : علـــى الحقيقـــة كما إذا قيل ليل لا ريح فيه ... أو لتضمنه عـــدم الريـــح لا الـــهواء. قيل : ليل ساج وساكن وصف الليـــل علـــى الحقيقـــة : أى لا إســـناد

---

(١) حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ١٦٩/٩ ، دار إحياء الـــتراث العـــربى ، بيروت ، بدون .

(٣) حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

(٤) تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، ٤٥٣/١٠.

(٥) روح المعانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠.

فيه إلى غير ملائم ، علــى أنــه يحتمــل أن يجعــل الســكون بــهذا المعنى حقيقة عرفيــة"[١].

ويمكن توجيــه النظــم الشــريف علــى الاســتعارة التبعيــة أو المكنية إذا قلتــا إن معنــى ســجا : ركــد ظلامــه ـ أى ـ اشــتد ظلامه ... وأصل الركود عدم الجريــان فــى المــاء ، فتجــوز بــه عما ذكر ، وعلى هذا ففى (ســجا) اســتعارة تبعيــة أو مكنيــة"[٢]. ولا يخفى حسن وجمال ذلــك المجــاز ـ العقلــى ـ أو الاســتعارة التبعية أو المكنية ، وهذا "أحسن مــن تقديــر المضــاف فيــه مــع جــوازه"[٣].

وبعد هذا الكــلام الأنيــق وإبــراز هــذه المعــانى الحســنة ، لا يخفى على القارئ الفطن تشبيه الليل بــالبحر وحــذف المشــبه بــه والرمز إليه بشئ من لوازمه وهو الســجو بمعنــى ركــود أمواجــه وهذا فى الاستعارة المكنية ، أمــا التبعيــة ، فقــد اســتعرنا الســجو للركود واشتققنا منه سجا بمعنى ركــد.

"قوله تعــالى : (والضحــى والليــل إذا ســجا)[٤] الضحــى ـ

---

(١) المرجع السابق ، ٣٠/١٥٤.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٨/٣٧٠ ، دار صادر بيروت ، بدون .

(٣) المرجع السابق ، ٨/٣٧٠.

(٤) الضحى : ١ ، ٢.

سجى من ذوات الواو وكتبت في المصحف بالياء لمراعاة رؤوس الآى ، وللمناسبة فى مقاطع الفواصل لما له من أثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس "قوله : سجا ... وهو من ذوات الواو ، وإنما أميل لموافقة رؤوس الآى كالضحى فإنه من ذوات الواو أيضاً"[١]. وقال الزركشى ـ رحمه الله ـ: "واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل ... مؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع : ... الحادي عشر : إمالة ما أصله أن لا يمال كإمالة الف (والضحى والليل إذا سجى)[٢] ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما ، والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلى منها هو التناسب"[٣].

(ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾)

سبقت الإشارة إلى أن الآية جواب القسم[٤] ، وفيها رد على المشركين . وبشارة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى : ٥٣٧/٦.

(٢) الضحى : ١ ، ٢.

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٦٠/١ ، ٦٧.

(٤) البحث ص ٧ .

وبيان لسبب احتباس الوحي عنه وأنه للتربية والإرشاد : أي "ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحي والقرب والكرامة ... وأيضًا – نزلت الآية "رداً على المشركين وتبشيراً له – عليه السلام – بأن الحبيب لا يقلى الحبيب وأنه – تعالى – يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا مع أن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك كما تنبئ عنه الآية الآتية[١] ...وفيه إشارة إلى أنه – عليه السلام – وقع منه ما هو ترك الأولى، ولذا لم يكن ممقوتاً ولا مبغوضاً وإنما احتبس عنه الوحي للتربية والإرشاد"[٢].

وفي (ودع) استعارة تصريحية تبعية ، وهي مناسبة لنظم الكلام ومقتضى الحال؛لأن فيها "مبالغة في الوداع وهو الترك ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك"[٣] قال الراغب:"أصل التوديع من الدعة ... وعبر به عن الترك في الآية ، والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحي

---

(١) هي قوله – تعالى – (وللآخرة خير لك من الأولى).

(٢) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقي ١٠/٤٥٤.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، ٤/٢٦٣ ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية"[١].

ويكشف الطاهر بن عاشور عن قرينة الاستعارة ، ويبرز حسنها وجمالها . يقول "والتوديع تحية من يريد السفر ، فاستعير فى الآية للمفارقة بعد الاتصال تشبيهاً بفراق المسافر فى انقطاع الصلة ، حيث شبه انقطاع صلة الكلام بانقطاع صلة الإقامة ، والقرينة إسناد ذلك إلى الله الذى لا يتصل بالناس إتصالاً معهوداً ، وهذا نفى لأن يكون الله قطع عنه الوحى"[٢].

وفي بيان القيمة الفنية والجمالية لهذه الإستعارة البديعة يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ :"قوله (ما قطعك قطع المودع) يعنى : أن التوديع مستعار استعارة تبعية للترك ، وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى ، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقته . كما قال المتنبى :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا ... فلم أدر أىّ الظاعنين أشيع"[٣]

وإيثار لفظ الرب مضافاً إلى ضمير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوحى بالتبشير بالكرامة الحاصلة والمترقبة فضلاً عن

---

[١] المفردات فى غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلانى ، ص ٥٤٤، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

[٢] التحرير والتنوير ، ٣٩٥/٣٠.

[٣] حاشية الشهاب ، ٣٧٠/٨.

ما يفيده اسم الرب من التربية وبلوغ الكمال . يقول العلامة أبو السعود حين قال المشركون : إن محمداً ودعه ربه وقلاه "نزلت رداً عليهم وتبشيرًا له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال"[1].

والعطف في قوله ـ تعالى ـ "وما قلى" من عطف السبب على المسبب للتعليل[2] ، وفى الآية إيجاز بالحذف حيث حذف مفعول (قلى) لطفاً وشفقة به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولنفى صدور الفعل عن الله ـ عز وجل ـ أو لدلالة ما قبله عليه مع ما فيه من المحافظة على رؤوس الآى . يقول الألوسى ـ رحمه الله ـ "(وما قلى) أى وما أبغضك ، وحذف المفعول لئلا يواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنسبة القلى وإن كان فى كلام منفى لطفاً به ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو لنفى صدوره عنه ـ عز وجل ـ بالنسبة إليه ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ ولأحد من أصحابه ومن أحبه ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ إلى يوم القيامة ، أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة

---

[1] الإرشاد لأبى السعود ٩/١٦٩.

[2] ينظر روح البيان ، ١٠/٤٥٤.

للفواصـــل"[١] .

(وللآخرة خير لك من الأولـــــى ﴿٤﴾)

في الآية بحــــوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبــط الآيـــة بمـــا قبلــها ارتباطـــاً وثيقـــاً . يقـــول جـــار الله الزمخشري ــ رحمه الله ــ : "فإن قلـــت : كيـــف اتصـــل قولـــه : "وللآخرة خير لك من الأولى" بما قبلـــــه ؟ قلـــت : لمـــا كـــان فـــى ضمن نفي التوديع والقلـــى أن الله مواصلـــك بـــالوحي إليـــك وأنـــك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلـــك ولا نعمـــة أجـــل منـــه ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم مـــن ذلـــك وأجـــل ، وهـــو السـبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورســـله وشـــهادة أمتـــه علـــى ســـائر الأمم ورفع درجات المؤمنيـــن وإعـــلاء مراتبـــهم بشـــفاعته وغـــير ذلك من الكرامات الســـنية"[٢] .

الثانـي : لقطات لغويـــة :

"الآخرة : مقابل الأولى ، ودار الحياة بعـــد المـــوت"[٣]، والآخـــرة : مؤنث الآخر ، والأولـــى : مؤنـــث الأول ، وغلـــب لفـــظ الآخـــرة فـــى

---

[١] روح المعاني ، ٣٠/١٥٦.

[٢] الكشاف ٤/٢٦٤.

[٣] المعجم الوجيز ، ص٨ .

اصطلاح القرآن على الحياة الآخـــرة ، وعلــى الــدار الآخــرة ، كمــا غلب لفظ الأولى على حياة الناس التى قبل انخــرام هــذا العــالم "[١].

الثالث : لطائف بلاغيــة :

اللام فى قولــه ــ تعــالى ــ وللآخــرة لام الابتــداء جــئ بــها لتوكيد مضمون الجملة[٢] ولام التعريف فـــى قولــه ــ تعــالى ــ : "وللآخرة ــ الأولى" تحتمل توجيهات عدة منـــها : أن الـــلام فيــهما لام الجنس "أى كل آجل أمره هو خير من عاجلــه فــى هــذه الدنيــا وفى الأخــرى"[٣].

ويمكن أن تكون اللام فيهما للعهد "قال ابـــن عطيــة وجماعــة : يحتمل أن يراد بـــهما نهايـــة أمـــره ــ صلـــى الله عليــه وســلم ــ وبدايتــه"[٤].

ويمكن أن تكون اللام عوضاً عـــن المضـــاف إليـــه "أى لنهايـــة أمرك خير من بدايته"[٥] وفى التـــأويلات النحميـــة "يعنـــى أحـــوالِ نهايتك أفضل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله (اليـــوم أكملـــت لكـــم

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٧/٣٠.

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ، ٤٨٦/٨، ط٢ ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـــ ــ ١٩٨٣م .

(٣) التحرير والتنوير ، ٣٩٧/٣٠.

(٤) روح المعانى للآلوسى ، ١٥٨/٣٠.

(٥) روح المعانى للآلوسى ، ١٥٨/٣٠.

دينكم...)[١] ، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير ويترقى في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته"[٢].

هذا تفسير صوفي رائق للآية ، فيه شفافية الروح وسمو الهمة وفناء الذات ، واحتمال ذلك كله وارد ؛ لأن النظم الشريف لا يأباه ، فضلاً عن أنه لا تعارض في ذلك وإن كان الاحتمال الأول أظهر وأولى فتحمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة "وفي بعض الأخبار المرفوعة ما هو أظهر في الأول أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ـ رضي الله ـ تعالى عنهما ـ قال : قال ـ رسول الله ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني ، فأنزل الله ـ تعالى ـ (وللآخرة خير لك من الأولى)[٣]..."[٤] والأحاديث المروية في ذلك كثيرة .

وتنكير (خير) للتعظيم والتفخيم : أي خير عظيم لا يعلم كنهه إلا الله ـ عز وجل ـ ولما كان سياق النظم الشريف

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) روح البيان : ١٠/٤٥٤ ، ٤٥٥.

(٣) الضحى : ٤.

(٤) روح المعاني ، ٣٠/١٥٨.

واردا فى مقام تكريم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه كان فى قوله ـ تعالى ـ : (لك) قصر يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ:"(وقوله لك) على هذا لبيان اختصاصه بالخيرية فيهما دون من آذاه وشمت بتأخر الوحى عنه"[1] ويضيف الآلوسى ـ رحمه الله ـ دقيقة لطيفة توضح القصد الذى أشار إليه الشهاب وهى أن القصر إضافى يقول : "والاختصاص الذى تقتضيه اللام . قيل : إضافى على معنى اختصاصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بخيرية الآخرة دون من آذاه وشمت بتأخير الوحى عنه ـ صلى الله ـ تعالى عليه وسلم"[2] هذا فى وجه ، وفى وجه آخر أن اللام هنا للعموم وليس الاختصاص قصرياً ، وهذا ما رجحه كثير من المفسرين ، وإن كان النظم الشريف يحتملهما ولا مانع من الجمع بينهما؛لأن السياق والمقام لا يأباه. يقول العلامة الألوسى ـ رحمه الله ـ "ولا مانع من عمومه لجميع الفائزين كيف، وقد علم بالضرورة أن الخير المعدله ـ عليه الصلاة والسلام ـ خير من المعد لغيره على الإطلاق ، ويكفى فى ذلك اختصاص المقام المحمود به ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على أن اختصاص اللام

---

(١) حاشية الشهاب ، ٣٧١/٨.

(٢) روح المعانى ، ١٥٨/٣٠.

ليس قصرياً"(١).

وفى الآية الكريمة كناية رمزية لطيفة أشار إلى ذلك الشهاب فى تعليقه على قول البيضاوى ـ رحمهما الله ـ فى تفسير ـ قوله ـ تعالى ـ (وللآخرة خير لك من الأولى)(٢) فإنها باقية خالصة عن الشوائب ، وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنطما بين أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة"(٣) قال الشهاب ـ رحمه الله ـ : "وقوله : لا يزال يواصله إلخ هذا من نفى التوديع والقلاة ، فإن ذلك صريح فى عدم المفارقة وثبوت المواصلة)مواصلة الله لأحبابه وخاصة أنبيائه بما ذكره ، فلا خفاء فيه سواء جعل كناية عما ذكر أولاً وهذا بيان لاتصال الآية بما قبلها"(٤).

ولا يخفى لطف ما فى النظم الشريف من كناية رمزية عن إدراك العناية الإلهية للنبى ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم

---

(١) المرجع السابق ، ١٥٨/٣٠.

(٢) الضحى : ٤.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى ٥٦٤/٢ ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

(٤) حاشية الشهاب ، ٣٧١/٨.

ـ من نفي التوديع والقلا ومواصلة الوحي للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه على أن هذا التشريف وإن كان عظيماً فإن ما أعده الله له في الآخرة خير وأجل وأعظم . وقد ذكر العلامة السكاكي ـ رحمه الله ـ الرمز قسماً من أقسام الكناية . قال : "ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ومسار الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك"[1].

"والرمز ما يشار به إلى المطلوب مع قلة الوسائط وخفاء في الملزوم كعريض القفا ، وعريض الوسادة ، وسمي رمزاً ، لأنه الإشارة من قرب على سبيل الخفية"[2] وهذه الجملة الخبرية تفيد العموم : أي عموم الأزمنة ، كما تدل على تكريم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه بما أعد له "من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارات وتقصر دونها الإشارات"[3] .

وبعد هذا الكلام الأنيق وإبراز هذه المعاني الحسنة الرائقة

---

(1) مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ١٩٠ ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

(2) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ، ص ١٠٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ـ ١٩٣٩م وراجع المفتاح ، ص١٩٤.

(3) روح المعاني : ١٥٨/٣٠.

البديعة لأئمة التفسير نختم كلامنا فى الآيــة بفــائدة لطيفــة ، فنقــول، أوثــر خطابــه ــ صلـــى الله عليــه وســلم ــ بــالإفراد بقولـــه ــ تعالـى ــ : (خير لك) دون الجمع ، فلم يقـــل : خـــير لكـــم تكريمـــا وتشريفاً للنبى ــ صلى الله عليـــه وســـلم ــ ولدفـــع شبـــهة الكـــذب عن القرآن الكريم ، يقول الفخـــر الـــرازى ــ رحمـــه الله ــ :"لـــم قال : (وللآخرة خير لك) ، ولم يقل : خـــير لكـــم ؟

الجواب : لأنه كان فى جماعته من كـــانت الآخـــرة شــراً لـــه ، فلو أنه ــ سبحانه ــ عمم لكان كذبـــاً ، ولـــو خصـــص المطيعيـــن بالذكر لافتضح المذنبون والمنـــافقون ، ولـــهذا الســـبب قـــال الله ــ سبحانه وتعالى ــ على لسان موســـى ــ عليـــه الســـلام ــ : (كـــلا إن معى ربى سيهدين)[1] ، وأما محمـــد ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ فالذى كان معه لما كان من أهل السعادة قطعـــاً ، لا جـــرم قـــال: (إن الله معنا)[2] إذ لم يكن ثمّ إلا نبـــى وصديـــق"[3].

(ولسوف يعطيك ربك فـــترضى﴿٥﴾)

فى الآية بحـــوث :

---

[1] الشعراء : ٦٢.

[2] التوبة : ٤٠.

[3] مفاتيح الغيب ، ٣١/٤٧١.

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

هذه الآية وثيقة الصلة بما قبلها من وجهين يوضح ذلك الفخر الرازي يقول : "واعلم أن اتصاله بما تقدم من وجهين : الأول : هو أنه ـ تعالى ـ لما بين أن الآخرة (خير له من الأولى) ولكنه لم يبين أن ذلك التفاوت إلى أي حد يكون ، فبين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت ، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه.

الوجه الثاني : كأنه ـ تعالى ـ لما قال : (وللآخرة خير لك من الأولى)[١] ، فقيل : ولم قلت : إن الأمر كذلك ؟ فقال : لأنه يعطيه كل ما يريده ، وذلك مما لا تتسع الدنيا له ، فثبت أن الآخرة خير له من الأولى"[٢].

وهذه الآية الكريمة "عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله ـ تعالى ـ في الدنيا من كمال النفس،وعلوم الأولين والآخرين ، وظهور الأمر وإعلاء الدين ... وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله ـ تعالى"[٣]. ومفاد هذا التحليل : أن الوعد محمول على عطاء الله له في الدنيا ، أما لو حمل هذا الوعد على العطاء في الآخرة "فقد يمكن حمله على المنافع وقد يمكن حمله على التعظيم .

---

(١) الضحى : ٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/٣١٤.

(٣) الإرشاد لأبي السعود ١٧٠/٩.

أما المنافع ، فقـال ابـن عبـاس ـ رضـى الله عنـهما ـ : ألـف قصر فى الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك ، وفيها مـا يليـق بـها.

وأما التعظيم ، فالمروى عن على بـن أبـى طـالب ـ رضـى الله عنه ـ وابن عباس : أن هذا هو الشفاعة فى الأمـة... والأولـى حمـل الآية على خيرات الدنيا والآخـرة"[1].

الثانى : لقطات لغويـة :

الواو : حرف يكون عاملاً وغـير عـامل ... وأمـا غـير العاملـة فلها معـان : الأول : وهـو أصلـها ـ العاطفـة تشـرك فـى الحكـم الإعرابى ، وهى لمطلق الجمـع علـى الصحيـح ، ولا تـدل علـى أن الثانى بعد الأول بل قد يكون كذلك ، وقـد يكـون قبلـه ، وقـد يكـون معـه"[2].

والواو فى الآية بهذا المعنـى .

اللام ـ سوف : نص البلاغيون علـى أدوا تفيـد التوكيـد مثـل : "... لام الابتداء ... وسـوف"[3].

اللام قسمان : عاملة وغير عاملة ، وغـير العاملـة تجـئ لعشـرة

---

(1) مفاتيح الغيب ، ٤٧٢/٣١ ، ٤٧٣.

(2) البرهان للزركشى ، ٤٣٥/٤، ٤٣٦.

(3) الإسناد أحواله ومقاماته ـ دراسة تحليلية للباحث ص ٤٣ ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

معان : ... ومؤكدة ... وهى الزائدة أول الكلام وتقع في موضعين: أحدهما : المبتدأ ، وتسمى لام الإبتداء"[١].

"ولام الإبتداء الداخلة على المبتدأ أو الخبر تفيد توكيد مضمون الجملة ، فمن الأول قوله ـ تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى)[٢] ، ومن الثانى قوله ـ تعالى ـ : ... وقوله ـ تعالى ـ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣] هذه اللام داخلة على الخبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : لأنت"[٤].

سوف : حرف يدل على التأخير والتنفيس ، وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف ... وسوف تستعمل كثيراً فى الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل فى الوعد ... وأمثالها فى الوعد : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٥]..."[٦].

الفاء :

"الفاء ترد عاطفه ، وللسببية ، وجزاء ، وزائدة . الأول : العاطفة ،

---

(١) البرهان للزركشى ، ٤/٣٣٤ ، ٣٣٥.

(٢) الضحى : ٤ .

(٣) الضحى : ٥.

(٤) الإسناد أحواله ومقاماته للباحث : ٤٥ ، ٤٦.

(٥) الضحى : ٥ .

(٦) البرهان : ٤/٢٨٢ ، ٢٨٣.

ومعناها : التعقيب"[١] . وهذا معنى الفاء في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

اللام في قوله ـ تعالى ـ : (ولسوف) من أدوات التوكيد ، والغرض من التوكيد بها الإهتمام بالخبر : أى تأكيد الحكم الذى تضمنه الخبر وهو ثبوت الإعطاء لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرضا لا شبهة في ذلك ، وإنما كان الغرض من اللام توكيد مضمون الخبر أن المخاطب بذلك ، وهو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس شاكاً أو متردداً فى ذلك ، كما أنه ليس منكراً ولا منزلاً منزلة المنكر حتى يؤكد له الكلام ، وإنما الغرض من التوكيد ـ كما قلنا ـ محض التقرير والإهتمام بالخبر .

قال صاحب روح البيان : "اللام لام الابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ربك"[٣].

وجار الله الزمخشرى ـ رحمه الله ـ جزم بأن اللام في قوله ـ تعالى ـ (وللآخرة ـ ولسوف يعطيك) هى لام الابتداء المؤكدة

---

[١] المرجع السابق : ٢٩٤/٤.

[٢] الضحى : ٥ .

[٣] روح البيان ٤٥٥/١٠.

لمضمون الجملة . قال : (فإن قلت : ما هذه اللام الداخلة على سوف ؟ قلت : هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ... وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء ، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، فبقى أن تكون لام الابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ، فلابد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك")[1].

وما جزم به صاحب الكشاف محل نظر؛ إذ يحتمل أن تكون اللام للقسم وقد ناقشه فى ذلك السمين الحلبى ، وحكى بعض ما ذكرته عن صاحب الكشاف . قال السمين الحلبى : "قوله : (وللآخرة) الظاهر فى هذه اللام : أنها جواب القسم ، وكذلك فى (ولسوف) أقسم الله ـ تعالى ـ على أربعة أشياء : اثنان منفيان ، وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان ، وهما : كون الآخرة خير له من الدنيا، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه"[2] وقد استحسن الألوسى ذلك وقد تقدم تحرير معنى هذه اللام ، وإنما أعدته هنا لما فيه من كبير فائدة، ثم يؤيد الشيخ كلامه بما أورده أبو حيان فى البحر المحيط ، يقول : "وقال الشيخ : واللام فى (وللآخرة) لام الابتداء وكدت مضمون الجملة ... ثم قال : ويجوز عندى : أن تكون اللام فى

---

[1] الكشاف ٤/٢٦٤.

[2] الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون .

(وللآخرة خير) وفي (ولسوف يعطيك) اللام التـــي يتلقــى بـــها القســـم ، عطفهما على جواب القسم ، وهو قوله : (ما ودعك) فيكـــون قـــد أقســـم على هذه الثلاثة انتهى"[١] ، ويستنبط الســـمين الحلبــي ــ رحمـــه الله ــ مـــن تحليـــل الزمخشـــرى مـــا يؤيـــد بـــه وجهتـــه. يقـــول : "وتقديـــر الزمخشرى مبتدأ بعدها لا ينافي كونها جوابـــاً للقســـم"[٢].

وهذا من غرر الكلام ودرره إذ ليـــس هنـــاك مـــا يمنـــع أن تكـــون اللام للابتـــداء أو للقســـم فكلاهمـــا لتوكيـــد الكـــلام وتحقيـــق مضمـــون الخبر. و(سوف) في الآية الكريمة "لإفادة أن هذا العطـــاء الموعـــود بـــه مستمر لا ينقطع كما تقدم في قوله ــ تعالى ــ : (قـــال ســـوف اســـتغفر لكم ربي) في سورة يوسف[٣] ، وقوله : (ولسوف يرضـــى) فـــي ســـورة الليـــل[٤] ..."[٥].

وقوله ــ تعالى ــ : (ولســـوف) اجتمعـــت الـــلام وســـوف ، وفـــي اجتماعهما دقائق ولطائف ، ولـــهما مـــن الحســـن والمزيـــة مـــا ليـــس لواحدة منهما على حدها ، وللإفصاح عما في اجتماعـــهما مـــن الحســـن والمزية نقول : قال جار الله الزمخشـــرى : "فـــإن قلـــت : مـــا معنـــى

---

[١] المرجع السابق ، ٥٣٨/٦.

[٢] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، ٥٣٨/٦.

[٣] آية : ٩٨.

[٤] آية : ٢١.

[٥] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٨/٣٠.

الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير ؟ قلت : معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة"[١]. فلم لم يستغن باللام عن سوف؟

يحسر اللثام عن ذلك الشيخ إسماعيل حقي ـ رحمه الله ـ مجيباً عن هذا التساؤل بعد أن حكى كلام الزمخشري بقوله : "يعني أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد ، وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما أن العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة ، وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال"[٢].

"ومختصر كل الأمر أن التأكيد إنما يصار إليه إذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه وأنه مما يحافظ عليه ويعتنى بأمره"[٣].

وفي الآية الكريمة إيجاز بالحذف حيث حذف المفعول الثاني لـ (يعطيك) وهو من حذف متعلقات الفعل لإرادة العموم : أي (ليعم كل ما يرجوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خير لنفسه ولأمته ، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء ، كما أفادت الجملة قبلها

---

[١] الكشاف ٢٦٤/٤.

[٢] روح البيان ٤٥٥/١٠.

[٣] مباحث علم المعاني في ضوء تفسير روح البيان للشيخ/ إسماعيل حقي ، عرض وتحليل ، رسالة دكتوراه للباحث ، ص ١٤٥ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

تعميم الأزمنـــة"[١].

ومن لطيف حذف المفعول حذف مفعـــول (فــترضى) لأن الفــرض الفعل لا المفعول؛ لتتوفر العناية بالفعل وتقدير المفعـــول (فــترضى) مــا تعطاه مما يطمئن به قلبـــك"[٢].

"وحذف المفعول تكثر لطائفـــه ، وتــدق أســراره ، وكــأن المزايــا فيه أخلب وما يظهر بسببه من الحســـن والرونــق أعجــب كمــا يقــول عبد القــاهر"[٣].

ويقول : "...ليس لنتائج ... حـــذف المفعــول نهايـــة ، فإنــه طريـــق إلى ضروب من الصنعة وإلى لطـــائف لا تحصـــى"[٤].

ومن لطائف النظم الشريف يذكـــر الفخـــر الـــرازى دقيقـــة لطيفـــة تكشف عن الحسن والمزية فى إيثار سوف علـــــى الســـين يقـــول : "مـــا الفائدة فى قوله ــ تعالى : (ولسوف) ولمَ لمْ يقـــل : وســـيعطيك ربـــك؟

الجواب فيها فائدتـــان :

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٨/٣٠.

(٢) روح البيان ٤٥٥/١٠.

(٣) خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، أ.د/ محمد أبـــو موســـى ، ص ٢٧٢ ، ط٢ ، مكتبة وهبه ، ١٤٠٠هــ ــ ١٩٨٠م ، وينظر دلائل الإعجاز ، ١٥٣.

(٤) دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود محمـــد شـــاكر ، ص ١٦٣ ، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هــ ــ ١٩٨٩م.

إحداهما : أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زماناً وثانيهما : أن المشركين لما قالوا : ودعه ربه وقلاه ، فالله ـ تعالى ـ رد عليهم بعين تلك اللفظة ، فقال : (ما ودعك ربك وما قلى)[١]، ثم قال المشركون : سوف يموت محمد ، فرد عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢] ..."[٣].

وتأمل ما في النظم الشريف من عذوبة اللفظ وحسن موقعه ومزايا الجمال والخلابة التي تستتر في مطاوي العبارة ، ولا يخفى حسن ما في النظم الشريف من التعبير بلفظ (يعطيك) بالإفراد دون يعطيكم بخطاب الجمع يكشف الفخر الرازي عن آيات الحسن والجمال في هذا النظم الشريف ويعلل له يقول : " لِمَ لمْ يقل : يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضاً ؟".

والجواب لوجوه :

أحدهما : أنه المقصود وهم أتباع .

وثانيها : أني إذا أكرمت أصحابك فذاك في الحقيقة إكرام لك ، لأني أعلم أنك بلغت في الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك .

---

[١] الضحى : ٣.

[٢] الضحى : ٥.

[٣] مفاتيح الغيب : ٤٧٤/٣١.

وثالثها : أنك عاملتنى معاملة حسنة ، فإنهم حين شجوا وجهك قلت: "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون" وحين شغلوك عن الصلاة يوم الخندق ، قلت : "اللهم املأ بطونهم ناراً"[١] .

ولما كان سياق النظم الشريف وارداً فى مقام تكريم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والعناية به وتشريفه عمد النظم القرآنى إلى مزيد من التقرير والتأكيد ليزداد التأثير فى النفس ويدخل القلب ويتعمق فى الشعور ولهذه القيمة البلاغية ذكر المسند إليه مكرراً فى كثير من أى الذكر الحكيم ليتوثق المعنى فى النفوس ومن ذلك قوله ــ تعالى ــ (ما ودعك ربك وما قلى)[٢] ، وقوله ــ تعالى ــ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣] ، يقول الألوسى ــ رحمه الله ــ : وفى إعادة اسم الرب مع إضافته إلى ضميره ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما لا يخفى أيضاً من اللطف به ــ صلى الله ــ تعالى عليه وسلم"[٤] أشرت ــ آنفاً ــ إلى دقة النظم الشريف فى تعريف المسند إليه بالإضافة وإيثار لفظ الرب دون اسم الله العلم[٥] ، وهنا أنبه إلى أن النظم القرآنى يجرى على نسق دقيق فى ترتيب المعانى

---

[١] مفاتيح الغيب للفخر الرازى : ٤٧٤/٣١.

[٢] الضحى : ٣ .

[٣] الضحى : ٥ .

[٤] روح المعان : ١٦١/٣.

[٥] البحث ص ٢٧٥.

وثيقة الصلة بغرض الكلام وسياقه ، ترى ذلك جلياً في إيثار لفظ الرب معرفاً بالإضافة إلى ضميره ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون اسم الله العلم لما يدل عليه لفظ الربوبية من إظهار الرأفة واللطف وإدخال الأنس على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيضًا ـ فيه مزيد عناية وتشريف للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "وتعريف (ربك) بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف ، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب؛ لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافته رب إلى ضميره"[١].

ومن أسرار التعبير القرآني إيثار النظم الشريف للتعبير بلفظ (يعطيك) دون التعبير بلفظ نعطيك ـ بالنون ـ الذي يدل على التعظيم فيه تكريم وتشريف لأمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وللنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشف ذلك من قول الفخر الرازي ـ رحمه الله : "كيف يقول الله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢] "؟

الجواب : هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام جبريل ـ عليه السلام ـ معه ، لأنه كان شديد الاشتياق إليه وإلى كلامه ، فأراد الله

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٩٨/٣٠.

[٢] الضحى : ٥.

ــ تعالى ــ أن يكون هو المخاطب له بــــهذه البشــارات"[١].

وتأمل دقـــة اســتخدام القــرآن الكريــم لكلمــات اللغــة وحروفـــها استخداماً بلغ الغاية فى دقة التعبير[٢]، فقد آثر النظـــم الشـــريف المجــئ بفاء التعقيب دون غيرها من حروف العطف ــ كثـــم ــ مثـــلاً ــ الـــذى يشـــير إلـــى دقـــة فـــاء العطـــف وكيـــف نـــهضت بتصويـــر المعنـــى أدق تصويـــو .

يقول سماحة الطاهر بـــن عاشـــور : "وجـــئ بفـــاء التعقيـــب فـــى (فترضى) لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيـــث يحصـــل بـــه رضـــى المعطى عند العطاء ، فلا يترقب أن يحصل نفعـــه بعـــد تربـــص"[٣].

"ويمضي سياق السورة يذكـــر الرســـول ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ ما كان من ربه معه منـــذ أول الطريـــق ، ليســـتحضر فـــى خـــاطره جميل صنع ربه به ، ومودته له ، وفيضـــه عليـــه ، ويســـتمتع باســـتعادة مواقع الرحمة والود والإيناس الإلهى وهو متـــاع فـــائق تحييـــه الذكـــرى على هذا النحو البديـــع :

(ألم يجدك يتيماً فـــآوى﴿٦﴾ ووجـــدك ضـــالاً فـــهدى ﴿٧﴾ ووجـــدك عائلاً فـــأغنى ﴿٨﴾)

---

[١] مفاتيح الغيب ٤٧٤/٣١ ، ٤٧٥.

[٢] خصائص التراكيب ، ٢٥٧ بتصرف .

[٣] التحرير والتنوير : ٣٠ /٣٩٨.

أنظر فى واقع حالك ، وماضى حياتك ، هل ودعـــك ربــك ، وهــل قلاك ، حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر ؟ ألم تحـــط يتمــك رعايتــه ؟ ألم تدرك حيرتك هدايته ؟ ألم يغمر فقـــرك عطــاؤه ؟.

لقد ولدت يتيماً فآواك إليه ، وعطـــف عليـك القلــوب حتــى قلــب عمك أبى طالب وهو على غير دينـك ! ولقــد كنــت فقــيراً فــأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغنـــاك بكسـبك ومــال أهــل بيتــك ــ خديجــة ــ رضى الله عنها ــ عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلـــى مــا حولــك مــن ثــواء"[1].

وفى الآيات بحـــوث :

الأول : سـر مناسبتها لما قبلـها :

ويمضى النظم الشريف يذكر النبـــى ــ صلــى الله عليــه وســلم ــ بنعم الله ــ تعالى ــ عليه ، وهذه الآيـــات ترتبــط بمــا قبلــها ارتباطــاً وثيقـاً

يقول الفخر الرازى : "إن إتصاله بما تقـــدم هــو أنــه ــ تعــالى ــ يقول : (ألم يجدك يتيماً) . فقال الرسول : بلـــى يــا رب فقــال : أنظــر أكانت طاعتك فى ذلك الوقت أكرم أم الســاعة ؟ فلابــد مــن أن يقــال : بل الساعة فيقول الله : حين كنت صبياً ضعيفاً ما تركنـــاك بــل ربينــاك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفاً علـــى شــرفات العــرش وقلنــا لــك :

---

[1] فى ظلال القرآن : ٣٩٢٧/٣٠.

لولاك ما خلقنا الأفلاك ، أتظن أنّا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك؟[١]

الثانى : لقطات لغوية :

(ألم يجدك) ... قد وجدك ، والهمزة للاستفهام ، و(لم) جحد ، وفى الاستفهام طرف من الجحد ، وإذا وقع الجحد رجع إلى التحقيق كقوله ــ تعالى ــ : (أليس الله بأحكم الحاكمين)[٢] ومعناه : الله أحكم الحاكمين ، وكذا (أليس الله بكاف عبده)[٣] ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

المعنى : أنتم كذا "[٤].

(ويجدك) الوجود بمعنى العلم ... وقيل : بمعنى المصادفة[٥] .

و(اليتيم) فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم ، وكل شئ مفرد يعز نظيره فهو يتيم ، يقال : درة يتيمة"[٦].

و(فأوى) أوى إلى منزله يأوى من باب ضرب أوياً أقام ...

---

(١) مفاتيح الغيب : ٤٧٥/٣١.

(٢) التين : ٨.

(٣) الزمر : ٣٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبى : ١٠٥/٢٠.

(٥) الإرشاد لأبى السعود ١٧٠/٩.

(٦) مختار الصحاح للرازى : ٦٥٤.

والمأوى بفتح الواو لكل حيوان : مسكنه ..."(١)

و(ضالا) يقال : الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً"(٢).

و(عائلاً) : أى فقيراً ... قال جرير :

الله نزل فى الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل(٣)

والعائل الذى لا مال له ، والفقر يسمى عيلة . قال ــ تعالى ــ: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)(٤) ..."(٥). والفاء : مرّبيان معناها(٦) وفى معنى الضلال فى الآية ذكرت آراء لا يحسن ذكرها ــ نسأل الله العصمة من الإساءة فى العبارة ــ وقد ذكروا فى معنى الضلال فى هذه الآية وجوها كثيرة ننتخب بعضها:

منها : ما روى عن ابن عباس والضحاك وشهر بن حوشب (وجدك ضالا) عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها ، وهو المراد من قوله ــ تعالى ــ : (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا

---

(١) المصباح.

(٢) المفردات للراغب ، ص ٥٥٠.

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي : ٦/٥٣٩.

(٤) التوبة : ٢٨.

(٥) التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٠.

(٦) البحث ص ٢٨٦.

الإيمان)[١] ، وقوله ــ تعالى ــ : (وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[٢] .

ومنها : أنه قد يخاطب السيد ، ويكون المراد قومه ، فقوله : (وجدك ضالًّا) : أى وجد قومك ضلالاً ، فهداهم بك وبشرعك .

ومنها : ضالاً عن القبلة ، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له ، وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا ؟ ، فهداه الله بقوله ــ تعالى ــ (فلنولينك قبلة ترضاها)[٣] ، فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال.

ومنها : الضلال بمعنى المحبة كما فى قوله ــ تعالى ــ (إنك لفى ضلالك القديم)[٤] أى محبتك ، ومعناه : أنك محب فهديتك إلى الشرائع التى تتقرب بها إلى خدمة محبوبك.

ومنها : ضالًّا عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك ، والمعنى : أنه ما كان لك وقوف على الدنيا ، وما كنت تعرف سوى

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) يوسف : ٣ .

(٣) البقرة : ١٤٤.

(٤) يوسف : ٩٥.

الدين فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك"[١].

وجملة القول أن المراد بالضلال : عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائراً لا يعرف أى طريق يسلك ، وهو المقصود هنا لأن المعنى : أنك كنت فى حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ... وليس المراد من الضلال هنا اتباع الباطل ، فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا"[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

قوله ــ تعالى : (ألم يجدك يتيماً ... إلخ) استفهام ، والسؤال للاستعلام محال على العلام ، فلابد لمجئ الاستفهام فى كلام رب العالمين من فائدة ، فالاستفهام فى الآية خرج عن معناه الأصلى ليفيد معنى آخر : أعنى به أنه استفهام تقريرى على النفى والمقصود التقرير على إثبات المنفى "وهذا التقرير بالهمزة لإنكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك ... إلخ"[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب : ٣١/٤٧٨ : ٤٨٠ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٠.

(٣) روح المعاني : ٣٠/١٦١.

ومعنى التقرير : "حملك المخاطب على الإقرار والإعتراف بأمر قد استقر عنده ... والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب فالأول كقوله :(ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى) ... ويجب أن يلى الأداة الشئ الذى تقرر بها ... كما يجب فى الاستفهمام الحقيقى ... وحقيقة استفهام التقرير : أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى وقد دخل على المنفى ، ونفى المنفى إثبات..." وجواب الاستفهام التقريرى يكون بنعم أو بلى يقول صاحب البرهان : "والجواب يتوقف على مقدمة ، وهى أن الاستفهام إذا دخل على النفى يدخل بأحد وجهين :

إما أن يكون الاستفهام عن النفى : هل وجد أم لا ؟ فيبقى النفى على ما كان عليه أو للتقرير : كقوله : ألم أحسن إليك ؟ وقوله ـ تعالى ـ : (ألم نشرح لك صدرك)[١] و (ألم يجدك يتيماً)[٢]؟ ، فإن كان بالمعنى الأول لم يجز دخول (نعم) فى جوابه إذا أردت إيجابه ، بل تدخل (بلى) .

وإن كان بالمعنى الثانى ـ وهو التقرير ـ فللكلام حينئذ لفظ

---

[١] الشرح : ١ .

[٢] الضحى : ٦.

ومعنى ، فلفظه نفى داخل عليه الاستفهام ، ومعناه الإثبات ، فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى وبالنظر إلى معناه ، وهو كونه إثباتاً تجيبه بنعم"(١).

وجعل بعضهم الاستفهام فى الآية للتذكير"(٢).

ولفظة (يجدك) تحتمل توجيهات عدة منها :

المجاز المرسل من قبيل إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، وهى من العلاقات التى زادها البلاغيون بعد الخطيب، ويمكن وضعها تحت إدخال السبب على المسبب .

ذكر صاحب عروس الأفراح العلاقات التى ذكرها الخطيب ثم عقب بقوله : (ومنها : مجاز إطلاق اسم الملزوم على اللازم كقوله ـ تعالى ـ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون)(٣) أطلق الكلام على الدلالة؛ لأنها لازمة له ، وفيه نظر ، لأنه دخل فى إطلاق السبب على المسبب"(٤) .

قال البيضاوى فى تحليله للآية : (ويجدك) من الوجود بمعنى

---

(١) البرهان للزركشى ، ٢/٣٣١ : ٣٣٥.

(٢) المرجع السابق ، ٢/٣٤٠.

(٣) الروم : ٣٥.

(٤) عروس الأفراح للسبكى ضمن الشروح ، ٤/٤٣.

العلم و(يتيماً) مفعوله الثانى ، أو المصادفة ويتيماً حال"[1].

وينص الشهاب على أن فى كلام البيضاوى فى الآية مجازاً مكتفياً بذكر كلمة مجاز دون تحديد لنوعه ، أو لنوع العلاقة يقول : "وقوله ـ أى البيضاوى ـ : أو المصادفة معطوف على العلم ، وهو على هذا مجاز عن تعلق علمه به لأن المصادفة لا تصح فى حقه ـ تعالى ـ لأنها ملاقاة ما لم يكن فى علمه وتقديره كذا قيل ، وهو على الأول مجاز ، فإن أصل معنى وجدته أصبته على صفة ، ويلزمه العلم كما ذكره الرضى ، وهو يقتضى أن حقيقته المصادفة وأنه فى العلم مجاز"[2].

وفى توجيه معنى المجاز فى الآية يقول الشيخ إسماعيل حقى ـ رحمه الله ـ "ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ، ويتيماً حال من مفعوله : يعنى على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة ، وإلا فحقيقة المصادفة لا تمكن من حقه ـ تعالى"[3].

---

(1) تفسير البيضاوى ، ٥٦٤/٢.

(2) حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

(3) روح البيان للشيخ إسماعيل حقى : ٤٥٦/١٠.

أو التمثيل واحتمــال ذلــك كلــه وارد ، لأن النظــم الشــريف لا يأباه فضلاً عن أنه لا تعارض فى ذلك وإنما هـــى وجـهات نظــر .
يقول سماحة الطاهر بن عاشــور : "... وفعــل (يجــدك) مضــارع وجد بمعنى ألقى وصـــادف ... ومفعولـــه : ضمــير المخــاطب ... والكلام تمثيل لحالة تيسير المنافع التى تعســرت عليــه بحالـــة مــن وجد شخصاً فى شدة يتطلع إلى من يعينـــه أو يغيثــه"[1].

ولا يخفى أن البلاغييــن ذكــروا أن اللفــظ الواحــد يصلــح لأن يتضمن أكثر من لون من ألوان البيــان مثــل كــون الآيــة صالحــة لجعلها مجازاً مرسلاً أو تمثيـــلاً.

يقول السعد : "إذا أطلق نحو المشفر علـــى شـفة الإنســان فــإن أريد تشبيهها بمشفر الإبل فى الغلظ فهو اســتعارة ، وإن أريــد أنــه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنـــف مــن غــير قصد إلى التشبيه فمجـــاز مرســل، فـــاللفظ الواحــد بالنســبة إلـــى المعنى الواحـــد يجــوز أن يكــون اســتعارة ، وأن يكــون مجــازاً مرسلاً باعتبـــارين"[2].

ومن اللطائف البلاغية فى الآية الفصـــل بيــن قولــه ــ تعــالى ــ

---

[1] التحرير والتنوير : ٣٠/٣٩٩.

[2] المطول على التلخيص للتفتازانى ، ص ٣٥٧ ، مطبعة أحمد كامل ، ١٢٣١هـ .

(ألم يجدك يتيماً فآوى) ، وبين قوله ــ تعالى ــ قبله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والفصل بين الآيتين لكمال الاتصال ، وإنما كان كمال الاتصال؛لأنه "إذا قويت العلاقة بين الجملتين اتصلتا من ذات نفسيهما وتداخلتا وصارتا كالشئ الواحد ، فإذا أدخلت الواو بينهما فكأنك عمدت إلى جسم غريب وأقحمته بين الشئ ونفسه ، ما لم يكن لك من وراء ذلك مغزى"[١].

يقول الآلوسي ــ رحمه الله ــ : "وقوله (ألم يجدك يتيماً فآوى) تعديد لما عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أول أمره إلى وقت النزول من فنون النعماء العظام ليستشهد بالخاص الموجود على المترقب الموعود؛فيزداد قلبه الشريف وصدره الرحيب طمأنينة وسروراً وإنشراحاً وحبوراً ولذا فصلت الجملة"[٢].

ومفاد كلام الآلوسي : أن بين الآية والتي قبلها فصلاً لما أن الثانية وافية بالمراد ، والشهاب ــ رحمه الله ــ يلمح إلى صورة الفصل . يقول : "قوله : أي البيضاوي ــ (تعديد ... إلخ) إشارة إلى وجه الفصل ، وأنه كقوله : "أمدكم بأنعام

---

[١] دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣١٢ ، ط ١ ، مكتبة وهبه ، ١٣٩٩ــ ١٩٧٩م .

[٢] روح المعاني للآلوسي : ١٦١/٣٠.

الآيـــة[1] ..."[2].

فإن قلت : ما صورة الفصل فى الآيــــة ؟

قلت : هى كمال الاتصال "الـــذى يكـــون بيـــن الجملتيــن فيمنـــع من العطف إذ عطف إحداهما على الأخــــرى معـــه كعطـــف الشــئ على نفسه فيتحقق ذلك الكمال بينـــهما لأجــل ... أو لكـــون الجملـــة الثانية بدلاً منـــها : أى بـــدلاً مـــن الأولـــى ... فكونـــها بـــدلاً مـــن موجبات كمال الإتصال ، ثـــم الـــذى يتحقـــق بـــه الاتصـــال ثلاثـــة أقسام : القسم الأول : بدل الكـــل مـــن الكـــل ... والقســـم الثـــانى : بدل البعض من الكل ، والقسم الثالث : بـــدل اشـــتمال"[3].

فالآية الكريمة من القسم الثانى الـــذى هـــو بـــدل البعـــض مـــن الكـــل ، وذلـــك لأن قولـــه ــ تعـــالى ــ (ولســـوف يعطيـــك ربـــك فترضى) "وعد واسع الشـــمول لمـــا أعطيـــه النبـــى ــ صلـــى الله عليه وسلم ــ من النصر والظفر بأعدائـــه يـــوم بـــدر وفتـــح مكـــة ودخول الناس فى الدين أفواجاً وما فتـــح علـــى الخلفـــاء الراشـــدين

---

[1] الشعراء : ١٣٣.

[2] حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

[3] مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب ضمن الشروح ٣٠/٣ ، ٤٢،٣٩ ، وينظـر الإيضاح للقزوينى ، ص٨٩ ، مكتبة ومطبعة محمـــد علـــى صبيـــح وأولاده ، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.

ومن بعدهم من أقطار الأرض شرقاً وغرباً"[١] هذه من نعم الدنيا وأيضًا ـ يحمل هذا الوعد على نعم الآخرة "فيمكن حمله على المنافع ويمكن حمله على التعظيم ... والأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة "[٢]. فهذه الآية مسوقة للتنبيه على نعم الله ـ تعالى ـ على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوله ـ تعالى ـ : (ألم يجدك يتيماً فآوى)... الآيات ، أوفى بتأدية المراد الذى هو التنبيه على نعم الله ـ تعالى ـ؛ لأنها تدل على النعم بالتفصيل إذ المقام يقتضى الاعتناء بشأن هذه وتفصيلها ؛ فالعطاء بما ذكر من وجوده ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيماً فآواه ، وضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه بعض عطاء الله ـ تعالى ـ الذى سوف يرضى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا محالة.

"ووجه حسن هذا الضرب هو ... وفى المنزل منزلة بدل البعض تفصيل وتنصيص ... ولا يخلو من التوكيد؛ لأن فيه تكريراً للمعنى وتحقيقاً "[٣].

قوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) . قال أهل التفسير "عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق ... أو على

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٩٨/٣٠.

[٢] البحث ص ٢٨٣،٢٨٤

[٣] دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ٣٢٢ بتصرف .

المضارع المنفى بـ لم داخل فى حكمه ـ أى قوله ـ تعالى (ألم يجدك) كأنه قيل : أما وجدك يتيماً فآوى ووجدك غافلاً عن الشرائع التى لا تهتدى إليها العقول ... فهداك ... ووجدك فقيراً ... فأغناك"[١].

فقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) عطف على الجملة الاستفهامية (ألم يجدك يتيماً فآوى)؛لأنها فى معنى : قد وجدك يتيماً فآوى من حيث إن همزة الإنكار إذا دخلت على حرف النفى أفادت التقرير ، وقد قرت تحقيق ذلك[٢].

فقوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ، إنشائية لفظاً خبرية معنى ، وقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) خبرية لفظاً ومعنى ، ولذا وصل بينهما بحرف العطف الواو ، وهذه إحدى صور الوصل للتوسط بين الكمالين : أى ـ كمال الانقطاع بلا إيهام وكمال الاتصال ـ حيث اتحدت الجملتان فى الخبرية معنى فقط ولفظ الأولى إنشاء لفظاً خبر معنى والثانية خبرية لفظاً ومعنى ، وقد وضح العلامة سعد الدين صور التوسط بين الكمالين قال : "... وأما الوصل للتوسط (فإذا

---

(١) الإرشاد لأبى السعود ، ٩/١٧٠ ، ١٧١ ، وينظر روح المعانى : ٣٠/١٦١.

(٢) البحث ، ص٢٩٦.

اتفقتا) ؛ أى الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط بجامع : أى مع وجود جامع بينهما والاتفاق المذكور إنما يتحقق: إذا كان كلتا الجملتين خبريتين لفظاً ومعنى ، أو إنشائيتين كذلك ، أو كان كلتاهما خبريتين معنى فقط بأن يكونا إنشائيتين لفظاً ، أو تكون الأولى إنشائية لفظاً والثانية خبرية أو بالعكس ، أو كان كلتاهما إنشائيتين معنى فقط بأن تكونا خبريتين لفظاً ، أو تكون الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية معنى ، أو بالعكس ، فالمجموع ثمانية أقسام"[١].

وفى قوله ـ تعالى ـ (ضالًّا) استعارة ، وهى الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام ، خلافاً لما يفهم من ظاهر تفسير بعضهم أن الضلال حقيقى . يقول البيضاوى : "... وقيل[٢] : وجدك ضالاً فى الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلى جدك فأزال ضلالك عن عمك وجدك"[٣] فالضلال على هذا المعنى بمعناه الحقيقى ، ورد هذا بأنه لا يناسب نعم الله على نبيه ـ صلى الله عليه

---

[١] المطول على التلخيص للتفتازانى ، ص ٢٦٢.

[٢] ينظر الكشاف ٢٦٤/٤ ، ٢٦٥ ، والإرشاد لأبى السعود ١٧١/٩ ، ومفاتيح الغيب ٤٧٩/٣١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٧/٢٠ ، وروح البيان للشيخ / إسماعيل حقى ٤٥٧/١٠.

[٣] تفسير البيضاوى : ٥٦٤/٢.

وسلم ــ المذكورة فى السورة . يقول الشهاب ــ رحمه الله ــ ومرضه : "قوله ــ أى البيضاوى ــ وقيل : وجدك ضالاً ...إلخ ، فهو بمعناه الحقيقى ومرضه؛لأن مثله بالنسبة لما قدمه لا يعد من نعم الله ــ تعالى ــ على مثل نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى يمتن بها عليه"[١] .

والأولى حمل الكلام على الاستعارة ، فيكون الضلال مستعمل فى غير ما وضع له ، والاستعارة تصريحية تبعية لأنها فى المشتق ، وهو فى الآية اسم فاعل ، ويكون معنى : الضلال : عدم معرفة علم الحكم والأحكام .

يقول الشهاب : "قوله (عن علم الحكم) جمع حكمة ، وهى العلوم الحقة النافعة ، فالضلال مستعار من ضل فى طريقه إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده لعدم ما يوصله للعلوم النافعة، وهو ما ذكر من الوحى وما بعده "[٢].

وهذا التقديم الذكرى ، وأعنى به تقديم قوله ــ تعالى ــ (ووجدك ضالا فهدى) على قوله ــ تعالى ــ : (ووجدك عائلاً فأغنى) والغرض من هذا التقديم إظهار الإمتنان . قال الشيخ

---

[١] حاشية الشهاب ٣٧٢/٨.

[٢] حاشية الشهاب ٣٧٢/٨.

إسماعيل حقى : (قدم هذا الإمتنان على الأخير؛ لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فإنه ـ عليه السلام ـ كان موفقاً للنظر الصحيح حيئذ ، ولهذا لم يعبد صنماً قط ، ولم يأت بفاحشة"[١].

وأعنى بالتقديم الذكرى ذلك النوع من التقديم الذى لا يتغير معه المعنى قدم أو أخر[٢] .

يقول العلامة ابن الأثير : "النوع التاسع من التقديم والتأخير، وهذا باب عريض يشتمل على أسرار دقيقة ... وهو ضربان : الأول... والثانى : يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخّر لما تغير المعنى"[٣].

وهذا القسم من التقديم : "لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقاتهما"[٤].

---

[١] روح البيان ١٠/٤٥٧.

[٢] مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ، عرض وتحليل رسالة دكتوراه للباحث ، ص ٣١٢ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

[٣] المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق ا.د/ أحمد الحوفى ، وا.د/ بدوى طبانه ٢/٢١٠ ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .

[٤] البلاغة العالية(علم المعانى) للشيخ عبد المتعال الصعيدى،ص ٧٩، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ

وفى قوله ــ تعالى ــ : (ألم يجدك يتيماً فــآوى ووجــدك ضــالاً فهدى ووجدك عــائلاً فــأغنى)[1] إيجــاز بــالحذف حيــث حــذف المفعول فى ثلاثة مواضع هى : فــآوى ــ فــهدى ــ فــأغنى وهــذا مما جاء فيه حذف المفعول مشيراً إلى جملــة فوائــد .

يقول ســماحة الطــاهر ابــن عاشــور : "وحذفــت مفــاعيل : (فــآوى، فــهدى ، فــأغنى) للعلــم بــها مــن ضمــائر الخطــاب قبلــها ، وحذفــها إيجــاز ، وفيــه رعايــة علــى الفواصــل"[2].

ومقصد آخر تــراه وراء حــذف المفعــول فــى الآيــة ، وهــو الدلالة على سعة كرمــه ــ تعــالى ــ وهــذا يعنــى : أن الحــذف لإرادة العموم يذكر ذلك الشهاب فى حاشيته وعبارتــه التــى يشــير فيها إلى ذلك هى "وقيل: إنه لم يذكــر المفعــول فيــها؛ ليــدل علــى سعة الكرم والمراد : آواك وآوى لك وبك ، وهــداك وبــك ولــك ، وأغناك وبك ولــك"[3].

والحكمة فى ذكر هــذه النعــم "أن لا ينســى نفســه فيقــع فــى

---

(١) الضحى : ٦ -٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٤٠٠/٣٠ ، وينظر الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، ص ٦٠ ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .

(٣) حاشية الشهاب ، ٣٧٢/٨ ، وينظر روح المعانى ١٦٣/٣٠.

العجب"[١] وأيضاً المراد من تعديد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه ـ عليه السلام ـ للإطمئنان بعد التوديع"[٢]

(فأما اليتيم فلا تقهر ﴿٩﴾ وأما السائل فلا تنهر ﴿١٠﴾ وأما بنعمة ربك فحدث ﴿١١﴾)

في الآيات بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبط هذه الآيات بما قبلها إرتباطاً وثيقاً . يقول الشهيد/ سيد قطب ـ رحمه الله ـ " وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتيم وهدايته من الحيرة وإغنائه من العيلة ... يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم ، وإلى كفاية كل سائل ، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه ، وفي أولها : الهداية إلى هذا الدين"[٣].

الثاني : سبب النزول :

قالوا في سبب النزول : عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد سألت ربي مسألة ، ووددت أني لم أكن سألته قلت : يا رب إنه قد كانت الأنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ، وذكر سليمان بن داود ، ومنهم من كان

---

[١] مفاتيح الغيب : ٤٨٣/٣١.

[٢] روح البيان : ٤٥٨/١٠.

[٣] في ظلال القرآن : ٣٩٢٧/٦.

يحيى الموتى، وذكر عيسى بن مريم ﷺ قال : ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قال : قلت : بلى ، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ . قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت : بلى يا رب"[١] .

الثالث : لقطات لغوية :

الفاء في قوله ـ تعالى ـ : "فأما ، وفي قوله ـ تعالى ـ : (فلا) والواو في قوله ـ تعالى ـ (وأما السائل ... وأما بنعمة...) واليتيم في قوله تعالى ـ : (فأما اليتيم ...) قد مر تحقيق ذلك وبيان المراد منه فلا حاجة لإعادته[٢] .

وأما (أمّا) في قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم ... وأما السائل... وأما بنعمة ...) فقد قال أهل العلم : "أما المفتوحة الهمزة المشددة الميم كلمة فيها معنى الشرط بدليل لزوم الفاء في جوابها ، وقدرها سيبويه بمهما ، وفائدتها في الكلام أنها تكسبه فضل تأكيد"[٣].

---

[١] أسباب النزول للواحدي ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

[٢] البحث ص ٢٨٥، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧.

[٣] البرهان للزركشي ٤/٢٤٢.

وقد أشار السيوطي – رحمه الله – إلى دلالة أما بقوله : "أما بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها حرف شرط ، فبدليل لزوم الفاء بعدها ... وأما التفصيل فهو غالب أحوالها ... وأما التوكيد ، فقال الزمخشري : فائدة أمّا في الكلام تعطيه فضل توكيد ... ويفصل بين أما والفاء إما مبتدأ ... أو جملة شرط ... أو اسم منصوب بالجواب نحو : (فأما اليتيم فلا تقهر...)[١]"[٢].

والقهر : الغلبة والتذليل معاً ، ويستعمل في كل واحد منهما، قال الراغب : قوله : "فلا تقهر : أي لا تذله ، وقال غيره : فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه"[٣].

والنهر والانتهار : الزجر بمغالظة : أي فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً"[٤].

الرابع : لطائف بلاغية :

نبهت – آنفاً – إلى معاني الحروف التي جاءت في النظم الشريف ، وهنا أنبه إلى أن "هذه هي معاني النحو لهذه الأدوات

---

[١] الضحى : ٩ .

[٢] الإتقان للسيوطي ١/٢٠٠ ، ٢٠١.

[٣] روح البيان للشيخ / إسماعيل حقي ١٠/٤٥٨ ، وينظر المفردات للراغب ٤٢٩.

[٤] روح البيان ١٠/٤٥٨ ، وينظر حاشية الجمل ٤/٥٥٣.

الروابط ، وبلاغتها فى الكلام راجعة إلى توخى هذه المعاني ، وحسن تنزيلها على حسب الأغراض والمقاصد المؤمة : أى التى يؤمها المتكلم ويتجه إليها ، والاجتهاد فى كشف ملائمات هذه الروابط لأغراضها التى سيقت إليها تجلية لجوانب دقيقة فى بلاغة الكلام ، واتقان بنيته ، وإحكام عقده"[١].

فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم فلا تقهر) اجتمعت الفاء الفصيحة وأمّا وفاء السببية ، وفى اجتماع هذه الحروف دقائق ولطائف ، وفيه من الحسن والمزية ما ليس لواحدة على حدها ، وللإفصاح عما فى اجتماع هذه الحروف من الحسن والمزية ، نقول : "الفاء فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم) فصيحة تفصح عن محذوف ، وهذا المحذوف جملة ، ولا يخفى ما فى الحذف من الإيجاز والاختصار ، وقد دل على المحذوف (أما) "وإما تفيد شرطاً مقدراً تقديره : مهما يكن من شئ ، فكان مفادها مشعراً بشرط آخر مقدر هو الذى اجتليت من أجله الفاء الفصيحة ، وتقدير نظم الكلام: إذا كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربك ، ويبين له الشكر بقوله : (فأما اليتيم فلا

---

[١] دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦.

تقهر) إلـخ[١] ..."[٢].

وصدر الكلام بأما التفصيلية؛ لأنه تفصيل لمجمـل الشـكر علـى النعمة"[٣]. والفاء في قولـه ـ تعـالى ـ : (فـلا تقـهر) سـببية . يقول الشيخ إسماعيل حقـي ـ رحمـه الله : "والفـاء سـببية ليـس بمانعة . قال الرضى : يتقدم المفعـول بـه علـى الفعـل إن كـان المنصوب معمولاً لما يلى الفاء التى فى جواب أما إذا لـم يكـن لـه منصوب سواه نحو قوله : (فأما اليتيم فـلا تقـهر)؛ لأنـه لابـد مـن نائب مناب الشرط المحذوف بعـد أمـا"[٤] .

وقد عد ابن رشيق الإصابة فى مواقع الفـاء أدخـل فـى صنعـة المطبوعين من الإصابة فى التجنيـس والطبـاق ، وأن الأول أشـبه بجزالة الفطرة وصحة الطبع ... والعرب الخلص لـم ينظـروا فـى أعطاف كلامهم ليجانسوا أو يطـابقوا ، ولكـن ليبسـطوا معانيـه ، ويتقنوا بنيته ويحكموا عروتـه"[٥].

---

[١] الضحى : ٩ ـ ١١.

[٢] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٤٠١/٣٠.

[٣] المرجع السابق : ٤٠١/٣٠ .

[٤] روح البيان للشيخ /إسماعيل حقى : ٤٥٨/١٠.

[٥] دلالات التراكيب ، ص ٣٦٦ ، وينظر : العمدة فى محاسب الشعر وآدابه ونقده لابن رشـيق ، تحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٢٩/١ ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.

والتقديم في قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم...) من تقديم المفعول على الفعل لمراعاة الفاصلة : أي للمحافظة على رؤوس الآى .

يقول ابن الأثير : "وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي"[١] الذى هو على حرف الراء وكون التقديم لمراعاة الفاصلة لا يأباه النظم الشريف "ولكن هذا القول قد رفضه كثير من البلاغيين لأنه علة ـ كما يقولون ـ لفظية لا ينبغي أن تكون مقصداً في الأسلوب القرآني الذى بني على مراعاة المعاني لا الألفاظ"[٢].

وقد أدرك أئمة التفسير أن الأسلوب القرآني "حين يراعى الفاصلة ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير ؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ... ترتيلاً يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهي إلى هذه الفواصل ، فيجد عندها القرار"[٣]. لذا نجد أئمة التفسير يضيفون إلى المحافظة

---

[١] المثل السائر لابن الأثير ، ٢/٢١٤.

[٢] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧.

[٣] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

على رؤوس الآى غرضاً آخر يرجع إلى المعانى "يقوى به الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل"[١]. لذا نجدهم يذكرون فى الآية غرضاً آخر للتقديم هو الاهتمام والعناية بالمقدم.

يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهر) وقدم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً ، وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب (أما) أن يكون مفصولاً عن (أما) بشئ كراهية موالاة فاء الجواب لحرف الشرط.

ويظهر أنهم ما ألتزموا الفصل بين (أما) وجوابها بتقديم شئ من علائق الجواب إلا لإرادة الاهتمام بالمقدم ، لأن موقع (أما) لا يخلو عن اهتمام بالكلام اهتماماً يرتكز فى بعض أجزاء الكلام ، فاجتلاب (أما) فى الكلام أثر للاهتمام ، وهو يقتضى أن مثار الاهتمام بعض متعلقات الجملة ، فذلك هو الذى يعتنون بتقديمه"[٢].

وهذا الذى ذكرناه فى قوله ـ تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر)

---

[١] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

[٢] التحرير والتنوير : ٤٠١/٣٠.

من حيث دلالة – أما وتقديم المفعول وفاء السببية يجرى في قوله – تعالى – (وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) والله أعلى وأعلم .

"والتعريف في السائل تعريف الجنس ، فيعم كل سائل : أى عما يسأل النبى – صلى الله عليه وسلم – عن مثله"(١).

والآية يبينة لجميع الخلق ، لأن كل واحد من الناس كان فقيراً فى الأصل فإذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء. قال إبراهيم بن أدهم : "القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة"(٢).

ومن الدقائق البلاغية فى الآيات ذلك التقديم الذكرى – وقد مر بيان معناه(٣) – وأعنى به تقديم قوله – تعالى – : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) على قوله – تعالى – : (وأما بنعمة ربك فحدث) حيث لم يراع فيه تقديم حق الله – تعالى – على حق العبد ، وإنما قدم حق العبد على حق الله – تعالى – لمعان لطيفة يهدى إليها السياق ، والسياق له أثر فاعل

---

(١) التحرير والتنوير : ٤٠٣/٣٠.

(٢) روح البيان : ٤٥٨/١٠، ٤٥٩.

(٣) البحث ص ٣٠٩، ٣١٠.

في تحديد الدلالات . وقد ذكروا من أسرار هذا التقديم : أنه سبحانه وتعالى ـ غنى عن العالمين أو لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقى ـ من الأدنى إلى الأعلى ـ أو لمراعاة الفواصل ، والنظم الشريف يوحى بجل هذه التوجيهات . يقول الألوسى ـ رحمه الله : "لم يراع الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل ـ فإنه سبحانه وتعالى ـ غنى عن العالمين، وقيل لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقى ، أو لمراعاة الفواصل ، ونظر فى كل ذلك"[١] .

ولا يمكننا أن ندع قول الألوسى ـ رحمه الله ـ "ونظر فى كل ذلك " ولذا قلنا بجل ، ولم نقل بكل ، لأن رعاية المحافظة على الفاصلة هنا ـ تتحقق من غير مراعاة هذا التقديم الذكرى، والله أعلى وأعلم .

والنهى فى قوله ـ تعالى ـ : (فلا تقهر ... فلا تنهر) والأمر فى قوله ـ تعالى ـ : (فحدث) للوجوب ، وهو خطاب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحكم عام له ولأمته . قال القرطبى : "الخطاب للنبى والحكم عام له ولغيره"[٢].

---

[١] روح المعانى : ١٦٥/٣٠.

[٢] تفسير القرطبى : ١٠٢/٢٠.

ولا يخفى لطف وجمال وحسن الفاصلة في قوله ـ تعالى ـ (تقهر ـ تنهر) وهو ما نبه إليه السيوطي ـ رحمه الله ـ وعده من زياداته بعد أن قسم الفاصلة إلى : مطرف ، ومتوازى، ومرصع ، ومتوازن . قال "بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل :

الأول : التشريع ...والثاني : الاستلزام وعد من أسمائه الالتزام والإعنات وهو أن يلتزم في الشعر والنثر حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل الرومي بشرط عدم الكلفة مثال التزام حرف : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) التزم الهاء قبل الراء"[١].

ومما يزيد جمال وحسن هذه الفاصلة كما يقول العلوى اليمنى : "أن تكونا متساويتين في أنفسهما من غير زيادة ولا نقصان ، وهذا كقوله ـ تعالى ـ : "... وقوله ـ تعالى ـ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر)[٢] ..."[٣] .

---

(١) شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، ص ١٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م ، وينظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣٣/٢ ، وينظر التحبير فى علم التفسير له ، ص ٣٠٤.

(٢) الضحى : ٩، ١٠.

(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ، ٣٥٤/٣،دار الكتب العلمية ،=

والعسكرى يرى : "أن فى القرآن سجعاً لكنه على درجة عالية من البداعة والروعة التى يفوق بها سجع البشر ، فهو مؤنس للنفس وممتع للسمع مع تجلية وخدمة للمعنى ، وأنه لا نهى عن سجع إلا إذا كان متكلفاً ثقيلاً"[(١)] .

يقول : "لا يحسن منثور الكلام، ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن ؛ لأنه فى نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه ... وأما ما زووج بينه بالفواصل فهو كثير"[(٢)] وذكر منه الآيتين".

وترى دقة النظم الشريف إذا تأملت قوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث"[(٣)]،

=بيروت، بدون .

[(١)] دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، ا.د/ يحي محمد يحيى: ٢٣٧ ، ط ١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

[(٢)] كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٦٠، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

[(٣)] الضحى : ٦ـ١١.

وقد تقدم جملة من هذه المعاني فأغنى عن إعادته ـ هنا[١] ـ ومن هذه المعاني اللطيفة : اللف والنشر ، وبعد مراجعة ما تيسر لنا مما ذكره أئمة التفسير المحدثون والقدماء في توجيه اللف والنشر في الآيات الكريمة نجد أن أنظار المفسرين تختلف في تحديد صورة هذا اللون البديعي الرائق البديع ، فالتفصيل قد يكون على طريقة اللف والنشر المشوش أو المرتب ، وهذا إنما يتوقف على بيان معنى السائل في قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر)[٢] ، فإن كان المراد بالسائل سائل المعروف المستجدى يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المشوش ، فيكون الأول من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ (فأما اليتيم فلا تقهر) للأول من اللف ، هو قوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ويكون الثاني من النشر ، وهو قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر) للثالث من اللف وهو قوله ـ تعالى ـ (ووجدك عائلاً فأغنى) ، والثالث من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ : "وأما بنعمة ربك فحدث" للثاني من اللف ، وهو قوله ـ تعالى ـ : "ووجدك ضالاً فهدى" . يقول الآلوسي ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر الآيات وبين ما فيها من در المعاني

---

[١] البحث ص ٢٩٥ وما بعدها .

[٢] الضحى : ٩ ، ١٠ .

وغرر البلاغة : "وهذه الجمل الثلاث مرتبة على ما قبلها ، فقيل : على اللف والنشر المشوش ، وحاصل المعنى : أنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك وهداك وأغناك ، فمهما يكن من شئ ، فلا تنس نعمة الله ــ تعالى ــ عليك فى هذه الثلاث ، واقتد بالله ــ تعالى ــ فتعطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر ، وقوله ــ تعالى ــ : "وأما بنعمة ربك...) إلخ فى مقابلة قوله ــ سبحانه : (ووجدك ضالاً فهدى) لعمومه وشموله لهدايته ــ عليه الصلاة والسلام ــ من الضلال بتعليم الشرائع وغير ذلك من النعم"[١].

وإن كان المراد بالسائل فى الآية الشريفة طالب العلم لا المستجد يكون التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، فيكون الترتيب فى قوله ــ تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) يماثل الترتيب فى قوله ــ تعالى ــ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة فحدث) ، وعلى هذا يكون الأول من النشر للأول من اللف والثانى من النشر للثانى من اللف والثالث من النشر للثالث من اللف .

---

[١] روح المعانى للألوسى : ١٦٤/٣٠ ، ١٦٥ ، وينظر حاشية الشهاب : ٣٧٣/٨، وحاشية الجمل ٥٥٤/٤.

قال الطيبي : "الظاهر أن المراد بالسائل طالب العلم لا المستجد ، وعليه لا مانع من كون التفصيل على الترتيب ، فيقال : إنه ـ تعالى ـ ذكر أحواله ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على وفق الترتيب الخارجي بأن يراد بهدايته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يعم توفيقه للنظر الصحيح في صباه، فقد كان ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ موفقاً لذلك ، ولذا لم يعبد ـ عليه الصلاة والسلام ـ صنماً ، أو يراد بإغنائه ما كان بعد البعثة ، ثم فصل ـ سبحانه ـ ذلك على الترتيب ، فجعل عدم قهر اليتيم في مقابلة إيوائه ـ تعالى ـ له ـ عليه الصلاة والسلام ـ في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم المتعلم منه في مقابلة هدايته له ، والتحدث بالنعمة في مقابلة الغنى وإن كانت النعمة شاملة له ولغيره"[1]. وهذا كلام من رسخت قدمه في فهم كلام العرب . ولسماحة الطاهر ابن عاشور في هذه الآيات بحث جيد وتوجيه حسن وهو وإن كان لا يخالف من سبقه من المفسرين في توجيه اللف والنشر في الآيات الكريمة على طريقة اللف والنشر المرتب أو المشوش إلا أنه يصرح وينص على رد كل نشر إلى لغة في الآيات . يقول : "وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل

[1] المراجع السابقة والصفحات نفسها .

بثلاثة أعمال تقابلها ، فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، وذلك ما درج عليه الطيبي ، ويجري على تفسير سفيان بن عيينة (السائل) بالسائل عن الدين والهدى[١]، فقوله : (فأما اليتيم فلا تقهر) مقابل لقوله : (ألم يجدك يتيماً فآوى) لا محالة ، أي فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتم ، فكن أنت مكرماً للأيتام رفيقاً بهم ، فجمع ذلك في النهي عن قهره ... وقوله (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله (ووجدك ضالاً فهدى) ... والتعريف في (السائل) تعريف الجنس ، فيعم كل سائل أي عما يسأل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن مثله ، ويكون النشر على ترتيب اللف ، فإن فسر (السائل) بسائل المعروف كان مقابل قوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) وكان من النشر المشوش ، أي المخالف لترتيب اللف ... "فإن جعل قوله : (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله: (ووجدك عائلاً فأغنى) على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) مقابل قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضاً ، وكان المراد بنعمة ربه : نعمة الهداية إلى الدين الحق"[٢].

---

[١] تفسير القرطبي : ٢٠/١٠١ .

[٢] التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ٣٠/٤٠١: ٤٠٣ بتصرف .

هذا ما ذكره بعض أئمة التفسير في الآيات ، وهو لا يخرج عن كلام أئمة البلاغة في مصطلح اللف والنشر ، فالسكاكي ـ رحمه الله ـ يقول : " ... أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له"[١].

وبدر الدين بن مالك يذيل تعريفه بتقسيم اللف والنشر إلى مرتب أو غير مرتب ، فهو عنده : "أن تلف شيئين في الذكر أو أكثر ثم يتبعهما متعلقات بهما إما على الترتيب في اللف ... وإما على العكس..."[٢].

وقد أفاض شراح التلخيص في بيان أقسامه وشواهده وقالوا: (اللف والنشر ، وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ... ثقة بأن السامع يرده إليه ... فالأول : وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل : ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف بأن

---

[١] مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ٢٠٠ ط(١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

[٢] المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، تحقيق ، د/ حسني عبد الجليل يوسف ، ص ٢٤٦، ط١ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

يكون اللف من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف ، والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر ... وإما على غير ترتيبه : أي ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب ... أو مختلطاً ... والثاني وهو : أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال..."[١].

والنظم الشريف آثر فحدث على فخبِّر في قوله ــ تعالى ــ: " وأما بنعمة ربك فحدث"[٢] ليكون ذكر النعمة منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ حديثاً لا ينساه ويوجده ساعة غب ساعة"[٣].

وتأمل رهافة السياق في قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث)[٤] ولماذا خالف نسق الفواصل في آخر آية ؟ والجواب : أن مخالفة نسق الفواصل إنما كان "لأمر تقتضيه حساسية معنوية بالغة الدقة في اللطف والإيناس ، هي أن حديثه بنعمة ربه ينبغي أن يكون خافتاً في نبرته وفي الفرط بعد الفرط حتى لا يذهب به هذا الحديث مذاهب الغرور أو الرياء ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإن كان معصوماً من هذا فإن أمته من ورائه في

---

[١] ينظر شروح التلخيص على ترتيبها ، ٣٢٩/٤ ، وما بعدها .

[٢] الضحى آية ١١.

[٣] روح المعاني للألوسي : ١٦٤/٣٠.

[٤] الضحى : الآيات ٩ ــ ١١.

كل خطاب إلا ما كان مختصاً بـه ، وهـذا ليس واحـداً منـها : أقول : إن الحديث بالنعمة جاء مخالفاً لنسق الفواصل في السورة لتشير هذه المخالفة إلى أنه ليس على سجية السياق الدافق والناهى نهياً وجدانياً متصلاً عن قهر اليتيم وقهر السائل، وإنما هو أمر بإذاعة النعمة مشروط بشروط ذكرها علماء الملة[١] ، وأساسها أن يكون مقصده بالحديث عن النعمة اللطف وأن يقتدى به غيره ، وأمن على نفسه الفتنة من الغرور والرياء، أما النهى عن قهر اليتيم وقهر السائل فذانك من المعانى التى تستثار لها النفوس حتى تنفعل بها انفعال طاعة وانقياد"[٢].

وتنتهى هذه السورة ، وسورة الشرح وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين : الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذى ينسم على روح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه الودود الرحيم ، والشعور بالعطف على شخصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم في هذه الآونة التى اقتضت ذلك الود الجميل"[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب : ٤٨٦/٣١.

[٢] خصائص التراكيب ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

[٣] فى ظلال القرآن : ٣٩٣٠/٦ ، ٣٩٣١.

وسورة الضحى وسورة الانشراح درتان يتيمتـــان غاليتـان لمـا فيهما من الحكم والمعـــارف[١].

هذا ما هدانا إليه المولـــى ـ عـز وجـل ـ فـى هـذا العمـل منبهين إلى أننا لم نستقص كـــل الأســرار البلاغيـة فـى السـورة الكريمة ، ولست فى حاجة إلى أن أنبـــه إلـــى أن بلاغـة القـرآن لا تنضب ، وإلى أن الكشف عن أسراره ومعانيـــه ممـا لا يحيـط بـه العقـل ، فـإن القـرآن العظيـم لا ينضـب معينـه ، ولا تنقضـى عجائبه.

تم بعون الله ـ تعالى ، ونسأل الله ـ تعـالى ـ أن يجعـل كـل ما نأتيه ونقصده وننتخبـه لوجهـه خالصـاً وإلـى رضـاه ـ عـز وجل ـ مؤدياً ، ولثوابـه مقتضيـاً وللزلفـى عنـده موجبـاً بمنـه وفضله ورحمتـه.

والحمد لله وحده ، وصلواته على سـيدنا محمـد وآلـه وصحبـه وسلامه وهو حسبنا ونعم الوكيـل.!!

د. عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر الشريف

---

[١] روح البيان ، ١٠/٤٥٩، ٤٦٠.

ثبت بأهم مراجع البحث

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ط٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٣ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٤ـ أسباب النزول للسيوطي ، تحقيق الأستاذ/ قرني أبو عميرة ، مكتبة نصير ، بدون .

٥ـ أسباب النزول للواحدي النيسابوري ، مكتبة المتنبي ، بدون .

٦ـ أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، تحقيق / عبد القادر أحمد عطا ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٧ـ الإسناد أحواله ومقاماته ، دراسة تحليلية ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٨ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون .

٩ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢م .

١٠ـ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للمرحوم ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

١١ـ الإيضاح للخطيب القزويني ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٢ـ الإيضاح للخطيب القزويني ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

١٣ـ البحر المحيط لأبي حيان ، طبعة ثانية ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٤ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، بدون .

١٥- البلاغة العالية (علم المعانى) للشيخ/ عبد المتعال الصعيدى ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ .

١٦- التحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٧- التحرير والتنوير لسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

١٨- التصوير الفنى فى القرآن للشهيد ، سيد قطب ، ط١٠ ، دار المعارف ، ١٩٨٦م .

١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة دار التراث ، بدون .

٢٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزيادى ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

٢١- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

٢٢- حاشية الشهاب على البيضاوى ، دار صادر بيروت ، بدون .

٢٣- الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، للمرحوم أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .

٢٤- خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ط ٢ ، مكتبه وهبه ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٥- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٦- دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، أ.د/ يحيى محمد يحيى ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٢٧- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢٨- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ط١ ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٩- روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ / إسماعيل حقى البروسوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

٣٠- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ، ط٤، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١- سنن الترمذى ، تحقيق الأستاذ/ إبراهيم عطوة ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣٢- شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

٣٣- صحيح البخارى بحاشية السندى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، بدون .

٣٤- الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى اليمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٣٦- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للسبكى ، ضمن شروح التلخيص ، طبع دار السرور ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٣٧- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.

٣٨- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده .

٣٩- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون .

٤٠- فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، ط ١٠ ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٤١- القاموس للفيروزآبادى ، دار الجيل، بيروت بدون .

٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٤٣- مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، عرض وتحليل ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد، رسالة دكتوراه مخطوط كلية اللغة العربية ، القاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٤- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .

٤٥- مختار الصحاح للرازى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م.

٤٦. مختصر المعانى فى علوم البلاغة لسعد الدين التفتازانى ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، بدون.

٤٧. المصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم ، تحقيق د/ حسنى عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٨. المصباح المنير للرافعى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٤٩. المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣١هـ .

٥٠ـ المعجم الوجيز ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م .

٥١. مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير) للفخر الرازى ، ط١ ، دار الغد العربى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥٢. مفتاح العلوم للسكاكى ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

٥٣. المفردات فى غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلانى ، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٥٤. مقدمة تفسير ابن النقيب، طبعة الخانجى .

٥٥ـ مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى ضمن الشروح ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣١٧هـ .

٥٦. الناسخ والمنسوخ للواحدى بهامش أسباب النزول له ، مكتبة المتنبى ، بدون .

في رحاب الإعراب القرآني

للأستاذ الدكتور

علـي أحمد طلـب

أستـاذ اللغويـات المتفرغ فى

كلية اللغــة العربية بأسيــوط

وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغويات

فى رحاب الإعراب القرآنى

للأستاذ الدكتور
علي أحمد طلب
أستاذ اللغويات المتفرغ فى
كلية اللغة العربية بأسيوط
وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغويات

أولا : فى التوابع :

١ـ النعت :

النعت هو أحد التوابع الأربعة التى تشارك ما قبلها فى الإعراب لفظا أو محلا ، وهو من حيث الدلالة حقيقى مثل قرأت الكتاب المفيد ، أو سببى مثل قرأت كتابا منظمةً أبوابُه ، وصادقت رجلا كريما أصلُه ،

ومن حيث اللفظ مفرد مثل جاورت رجلا صالحا ، والمفرد أما مشتق كهذا المثال : فهمت الدرس المشروح ، وهذا رجل صبور ، وشربت ماء عذبا .

أو مؤول بالمشتق مثل : صديقى هذا مخلص ، وسورة البقرة سورة مدنية ، وأحمد رجل ذو مروءة .

أو جملة فعلية مثل : شاهدت رجلا يصلى ، وهذا طالب ذاكر درسه .

أو جملة اسمية مثل: أكلت فاكهةً طعمُــها لذيــذ .

أو شبه جملة وهو ظرف مثل : غرد عصفــور فــوق الشــجرة.

أو جاء مجرور مثل : هذا رجل مـــن الكـــرام .

ويجوز حذف المنعــوت بالجملـــة وشـــبهها ـ قياســا ـ بشـــرط أن يكون بعض اسم ســـابق مجـــرور بــــ (مِــنْ) كقولـــهم : "منَّـــا ظعَن، ومنَّـــا أقـــام" ، وكقولـــه تعـــالى : (ومـــا منـــا إلا لـــه مقـــام معلوم)[١] ، أو مجرور بـــ (فى) مثل : فـــى النـــاس دونَ ذلـــك .

ويتعجب دارس النحو إذ يجد كل هـــــذه الأنـــواع والأحكـــام قـــد اجتمعت شواهدها القرآنية فـــــى آيـــة واحـــدة مـــن طـــوال الآيـــات القرآنية ، فى الآية الخامسة عشرة مـــن ســـورة ، محمـــد صلـــى الله عليه وسلم أو سورة القتـــــال :

(مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنـــــهار مـــن مـــاء غـــير آســـن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار مـــــن خمـــر لـــذة للشـــاربين وأنها من عسل مصفى ولهم فيها من كـــــل الثمـــرات ومغفـــرة مـــن ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميمـــا فقطـــع أمعـــاءهم) .

وَلْنبدَأْ بإعراب الآية الكريمة إعرابـــــا تفصيليـــا ، ثـــم نبيـــن مـــا

---

[١] سورة الصافات ، ١٦٤ .

فيها من أحوال النعت وأحكامــــه .

الإعــراب :

(مثل الجنة التي وعد المتقــون) :

مثل : مبتــدأ .

الجنة : مضاف إليــه[١] .

التي : نعت للجنة مبني على السكون في محــل جـر .

وُعِد : فعل ماضي مبني للمجـــهول .

المتقون : نائب فاعل مرفوع بـــالواو .

وجملـة (وعـد المتقـون) : لا محـل لــها مــن الإعــراب صلـة الموصول ، والعائد محذوف تقديــره "وُعِدَهــا" .

وفي خَبر المبتدأ عـــدة آراء :

أ ــ قيل : محذوف تقديره مما يتلــى عليكــم مثــل الجنــة ، وهــذا توجيه ســيبويه[٢] .

ب ــ وقيــل : تقديــره جنــة فيــها أنـــهار ، وهـــذا مذهـــب الزجــاجي[٣].

---

[١] انظر التبيان ١١٦١/٢ ، وقيل المثل زائد فتكون الجنة في موضع مبتدأ ، وانظر الــدر المصــون للسمين الحلبي ، ٦٩/٩ .

[٢] انظر إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٧١/٣ ، الدر اللقيط ٦٩٠/٩ .

[٣] انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩/٥ .

جـ ـ وقيل : الجملة الأسمية "فيـــها أنـــهار"[١] .

د ـ وقيل : "كمن هو خالد فى النار" والكاف اســـم بمعنـــى مثـــل ، أى مثَلُ هؤلاء فـــى الخـــير كمثـــل هـــؤلاء فـــى الشـــر ، أى هؤلاء كهؤلاء ، وهذا تخريـــج الكســـائى[٢] .

ووافق الزمخشرىُّ الكسائىَّ فى أن خبر المبتـــدأ هـــو كمـــن هـــو خالد فى النار ، ولكنه جعل الكلام علـــى تقديـــر همـــزة الإســـتفهام فقال :

فإن قلت : مـــا معنـــى (مثـــل الجنـــة التـــى وعـــد المتقـــون فيـــها أنهار ، ... (كمن هو خالد فى النـــار) ؟

قلت : هو كلام فـــى صـــورة الإثبـــات ومعنـــى النفـــى والإنكـــار ، لإنطوائه تحت حكم كلام مصدر بحـــرف الإنكـــار ، ودخولـــه فـــى حيزه ، وإنخراطه فى سلكه ، وهـــو قولـــه تعـــالى : (أفمـــن كـــان على بينة من ربه كمن زين له سوء عملـــه) ، فكأنـــه قيـــل : أمثـــل الجنة كمن هو خالد فى النار ؟ أى كمثل جزاء مـــن هـــو خـــالد فـــى النـــار؟

فإن قلت : فلم عُرِّىَ من حرف الإنكار ؟ ومـــا فـــائدة التعريـــة ؟ .

---

[١] انظر التبيان ١١٦١/٢ ، والدر المصون ٦٩١/٩ .

[٢] انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١٧٢/٣ .

قلت : تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بدينه والتابع لهواه ، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يُسْقَى أهلُها الجحيم[١] .

(فيها أنهار من ماء غير آسن) :

فيها : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

أنهار : مبتدأ مؤخر .

من ماء : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لأنهار .

غير : نعت لـ (ماء) وهو مضاف .

آسن : مضاف إليه .

والجملة الأسمية (فيها أنهار) : تحتمل أن تكون خبر المبتدأ فهى فى محل رفع ، وأن تكون نعتا للخبر المحذوف ، والتقدير جنة فيها أنهار فتكون فى محل رفع أيضا ، وأن تكون مستأنفة فلا يكون لها محل من الإعراب .

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) :

الواو : عاطفة .

أنهار : تحتمل أن تكون معطوفة على (أنهار) الأولى ، فيكون

---

[١] الكشاف ٣/٥٣٣ ، وانظر الدر المصون ، ٩/٦٩١ .

الكلام من عطـــف المفـــردات ، ويحتمـــل أن تكـــون مبتـــدأ خـــبره محذوف تقديره (وفيها أنهار) فيكون الكلام مـــن عطـــف الجمـــل .

من لبن : نعت شبه جملــــة .

لم يتغير طعمه : الجملة الفعلية المنفية فـــى محـــل جـــر نعـــت لــــ (لبن).

(وأنهار من خمر لذة للشــــاربين) :

أنهار : كإعراب أنهار الثانيــــة .

من خمر : نعت أنـــهار .

لــذة : نعت لخمر مجـــرور .

للشاربين : جار ومجرور متعلق بــ "لـــذة" لأنـــه وصـــف مشـــتق ، أو بمحذوف نعت لـــه .

(وأنهار من عسل مصفـــى) :

أنهار : كإعراب الثانية والثالثـــة .

من عسل : نعت شبه جملـــة .

مصفى : نعت مجرور علامة جره كسرة مقـــدرة للتعـــذر .

(ولهم فيها من كل الثمـــرات) :

الواو : عاطفـــة .

لهم : جار ومجرور متعلق بمحذوف خـــبر مقـــدم .

فيها : جار ومجرور متعلق بمحذوف حال مـــن ضمـــير الاســـتقرار

المحذوف ، أو متعلق بما تعلق به لـــــهم .

ومن كـــل الثمـــرات : جـــار ومجـــرور متعلـــق بمحـــذوف نعـــت لمنعوت محذوف تقديره : ولهم زوجـــان ، أو صنـــف ، وقيـــل :

مِنْ : زائــدة .

كل : مبتدأ مرفـــوع ، وعلامـــة رفعـــه ضمـــة مقـــدرة منـــع مـــن ظهورها إشـــتغال المحـــل بحركـــة حـــرف الجـــر الزائـــد ، وكـــل مضـــاف .

الثمرات : مضاف إليـــه .

وهذا على مذهب الكوفيين والأخفـــش الـــذى لا يشـــترط تنكـــير مجرور (من) الزائـــدة .

(ومغفـــرة من ربـــهم) :

الـــواو : عاطفـــة .

مغفرة : تحتمل وجـــهين[1] :

أ ــ أن تكون معطوفة على المبتـــدأ المقـــدر .

ب ــ وأن تكون مبتدأ خبره محذوف ، أى ولـــــهم مغفـــرة .

من ربـــهم : جـــار ومجـــرور متعلـــق بمحـــذوف نعـــت لمغفـــرة ، وضمير الغائبين مضاف إليـــه .

---

[1] انظر التبيان للعكبرى ١١٦٢/٢ ، الدر المصون ٦٩٣/٩ .

(كمن هو خالد فى النـــار) :

الكاف : اسم بمعنى مثل ، خبر مبتدأ محـــذوف تقديـــره : أمـــن هـــو فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النـــار[١] ، أو خـــبر المبتـــدأ الـــذى هو مثل الجنة[٢] ، وعليهما فهى فى موضــــع رفـــع .

وقيل : مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير "يُشَـــبِّهون" وعلـــى هـــذا فالكاف فـــــى موضـــع نصـــب[٣] ، والكـــاف : مضـــاف ، ومـــن : مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محـــل جـــر تحتمـــل أن تكـــون اسما موصولا وأن تكون نكـــرة موصوفـــة .

هو خالد : جملة اسمية لا محل لها مـــن الإعـــراب صلـــة "مـــن" إن قدرناها موصولة ، أو فى محل جر صفة "مـــن" إن قدرناهـــا نكـــرة موصوفـــة .

فى النار : جار ومجرور متعلق بـــــ "خـــالد" .

(وسقوا ماء حميمـــا) :

الواو : عاطفـــة .

سُقِىَ : فعل ماضى مبنى للمجـــهول ، وواو الجماعـــة نـــائب فـــاعل مبنى على السكون فى محل رفـــــع .

---

(١) انظر تفسير الجلالين ١٤٧/٤ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٩٦/٨ .

(٣) انظر التبيان ١١٦٣/٢ .

ماء : مفعول به ثان منصـــوب .

والجملة الفعلية : معطوفة على الجملة الاســـمية الواقعـــة صلـــة أو صفة .

حميما : نعت منصـــوب .

(فقطع أمعـــاءهم) :

أمعاء : مفعول به ، وضمير الغائبين مضـــاف إليـــه .

والجملة الفعلية : معطوفة بالفاء على الجملـــة الســـابقة .

النعوت فى هـذه الآيـة الكريمـة :

١ ــ النعـــت المفـــرد :

أ ــ المشـــتق :

مصفّى : (اسم مفعـــول) .

لذة : مؤنث لذ بمعنى لذيذ[١] ، صفـــة مشـــبهة .

حميما : صفة مشـــبهة .

ب ــ المؤول بالمشـــتق :

التى وعد المتقون : اسم موصول مؤول باســـم المفعـــول .

---

[١] جاء فى المعجم : لذيلذ لذذا ولذاذا ، فهو لذ بمعنى لذيذ وهى لذة .

وقد جاز بعضهم أن يكون "لذة" وصفا مؤنثا بمعنى لذيذة ، وأن تكـــون مصـــدرا ، وعلـــى الإحتمال الثانى فهو نعت مؤول بالمشتق (انظر الفتوحات الإلهية ١٤٧/٤)

غير آسن : غير اسم جامد مؤول بالمشتق .

٢ ــ النعت بالجملة :

أ ــ الجملة الفعلية : "لم يتغير طعمه" .

ب ــ الجملة الاسمية : "هو خالد" على أحد الاحتمالين[١]

٣ ــ شبه الجملة :

من ماء ــ من لبن ــ من خمر ــ من عسل ــ من كل الثمرات ــ من ربهم .

وشبه الجملة ــ في هذه النعوت الستة ــ جار ومجرور .

وقد اشتملت الآية على حذف المنعوت في قوله تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات) : إذ التقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات .

ولم يرد فيها نعت سببي ، ولا نعت بظرف زمان أو مكان .

٢ ــ من ألفاظ التوكيد المعنوي (أجمعون) :

من ألفاظ التوكيد التي تدل على الإحاطة والشمول "كِلَا وكلتا" لتوكيد المثنى ، و "كل وأجمع وعامّة" لتوكيد الجمع ، أو المفرد ذي الأجزاء مثل : جاء الوالدان كلاهما ، وحفظت

---

[١] على احتمال أن يكون (من) نكرة موصوفة بالجملة الاسمية .

السورتين كلتيهما ، وحضر الطلاب كلهم ، وجاءت الطالبات كلهن ، وحفظت القرآنَ كلَّه ، وأكرمت الضيوف أجمعين ، وآمنت بالأنبياءِ كلِّهم أجمعين .

قال ابن مالك فى الألفية :

وكــلّا اذكر - فى الشمول - وكِلَا ... كِلْتَا جميعاً بالضمير مُوصَلا
واستعملوا - أيضا - ككُلٍّ فاعِلَة ... من عمّ فى التوكيد مِثْلَ النافلة
وبعد كُلٍّ أكدوا بأَجْمَعَا ... جمعاءَ أجمعين ثمّ جُمَعَا
ودونَ كُلٍّ قد يجئُ أجْمَعُ ... جمعاءُ أجمعون ثم جُمَعُ

وظاهر كلام ابن مالك – فى البيت الأخير – أن التوكيد بـ أجمع وفروعه وهى :

جمعاء : لتوكيد المفرد المؤنث .

أجمعون : لتوكيد جمع الذكور .

جُمَع : لتوكيد جمع الإناث بدون أن يتقدمها التوكيد بـ (كل) قليل لأنه عبر بلفظ (قَد) التى هى – فى كلامه السابق – للتقليل، لا للتحقيق ولا للتقريب .

والعجيب أن شراح الألفية لم يعترضوا على ابن مالك فى هذا الحكم على كثرة إعتراضاتهم عليه فى أحكام أخرى[1].

---

[1] ابن عقيل فى – شرحه للألفية – أشار إلى قول ابن مالك المذكور بقوله : وزعم المصنف أن التوكيد بهن دون أن يسبقهن كل قليل ، و لم يزد على ذلك ، و لم يذكر آية قرآنية،وإنما استشهد ببيتين من الشعر ، وانظر شرح ابن عقيل ٢/٣٠٩ بتحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .

وبالرجوع إلى الأسلوب القرآني الذى هو أوثق شواهد النحو العربى نتبين أن التوكيد بأجمع ، دون أن يسبق بـ (كل) هو الكثير الغالب ، وأن التوكيد به بعد كل هو القليل وبيان ذلك فيما يأتى :

أن التوكيد بـ (أجمعين) ورد فى القرآن الكريم ستا وعشرين مرة ــ فى ستَّ عشرَةَ سورة قرآنية هى :

البقرة (١٦١) ، وآل عمران (٨٧) ، والأنعام (١٤٩) ، والأعراف (١٨ ، ١٢٤) ، هود (١١٩) ، يوسف (٩٣) ، الحجر (٣٠ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٩٣) ، النحل (٩) ، الأنبياء (٣٧) ، الشعراء (٤٩ ، ٦٥ ، ٩٥ ، ١٧٠) ، النمل (٥١) ، السجدة (١٣) ، الصافات (١٣٤) ، ص (٧٣ ، ٨٢ ، ٨٥) ، الزخرف (٥٥) ، الدخان (٤٠) .

وقد جاء التوكيد بأجمعين بعد (كلهم) فى آيتين فقط :

- فى الآية (٣٠) من سورة الحجر : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين) .
- والآية (٣٧) من سورة ص : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) .

وجاء التوكيد بـ (أجمعين)من غير أن تسبق بـ (كل) فى

أربع وعشرين آيــة[١].

وبالتأمل فى الآيــات القرآنيــة التــى ورد فيــها التوكيــد بــ (أجمعين) يتضح ما يــأتى :

١ ــ جاءت (أجمعون) مؤكدة لاسم ظاهر مرفــوع ثــلاث مــرات، فى الآيتين السابقتين اللتين سُــبِقَتْ فيــهما بلفــظ "كــل" ، وفــى الآية (٩٥) من سورة الشعراء (فكبكبوا فيــها هــم والغــاوون ، وجنود إبليس أجمعــون) .

٢ ــ لــم تــأت مؤكــدة لضمــير رفــع مســتتر ولا متصــل ، ولا منفصــل .

٣ ــ جاءت مؤكدة لاسم منصــوب لفظــا أو محــلا ثــلاث عشــرة مرة .

أ ــ جاءت مؤكدة لاسم ظاهر منصوب أربــع مــرات :

- فى الآية (٦٥) من ســورة الشــعراء : (وأنجينــا موســى ومــن معه أجمعيــن) .
- وفــى الآيــة (١١٢) مــن ســورة الشــعراء : (فنجينــاه وأهلــه أجمعيــن).
- وفى الآية (٥١) من سورة النحــل : (فكــان عاقبــة أمرهــم أنــا

---

[١] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى ، صــ ١١٧ .

دمرناهم وقومهم أجمعيـــن) .

- وفى الآية (١٣٤) مـــن ســورة الصافـــات : (إذ نجينـــاه وقومـــه أجمعيـن) .

ب ــ وفى تسع آيات جاءت مؤكدة لضمير نصـــــب متصـــل :

- فى الآية (١٤٩) من سورة الأنعام : (قـــل فللـــه الحجـــة البالغـــة فلو شاء لهداكم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (١٢٤) مـــــن ســـورة الأعـــراف : (لأقطعـــن أيديكـــم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكـــم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (٣٩) من سورة الحجر : (لأزينـــــن لـــهم فـــى الأرض ولأغوينهم أجمعيـــن) .
- وفـــى الآيـــة (٩٣) مـــن ســـورة الحجـــر : (فوربـــك لنســـألنهم أجمعيـن) .
- وفى الآية (٩) من سورة النحل : (ولو شـــاء لـــهداكم أجمعيـــن).
- وفى الآية (٣٧) من سورة الأنبيـــاء : (إنـــهم كـــانوا قـــوم ســـوء فأغرقناهم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (٨٢) من ســــورة ص : (قـــال فَبِعِـزَّتِـكَ لأغوينـــهم أجمعيـن) .
- وفى الآية (٥٥) من ســـورة الزخـــرف : (فلمـــا آســـفونا انتقمنـــا منهم فأغرقناهم أجمعيـــن) .
- وفـــى الآيـــة (٤٩) مـــن ســـورة الشـــعراء : (لأقطعـــن أيديكـــم

وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) .

٤ ـ ولم تأت مؤكدة لضمير نصب منفصل .

٥ ـ وقد جاءت مؤكدة لمجرور فى عشر آيات :

أ ـ فى خمس آيات جاءت مؤكدة لاسم ظاهر مجرور هى :

- الآية (١٦١) فى سورة البقرة : (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .
- الآية (٨٧) فى سورة آل عمران : (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .
- الآية (١١٩) فى سورة هود : (لأملأن جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين) .
- الآية (٩٣) فى سورة يوسف : (وآتونى بأهلكم أجمعين) .
- الآية (١٣) فى سورة السجدة : (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

ب ـ وجاءت جارة لضمير أربع مرات :

- فى الآية (١٨) فى سورة الأعراف : (لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) .
- فى الآية (٤٣) من سورة الحجر : (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) .
- وفى الآية (٥٩) من سورة الحجر : (إلا آل لوط إنا

لمنجوهم أجمعيـــن).

- وفى الآية (٤٠) فى سورة الدخـــان : (إن يـــوم الفصـــل ميقاتـــهم أجمعيـن) .

ج ـ وجاءت محتملة لتوكيد الاسم الظـــاهر أو الضمـــير فـــى آيـــة واحدة :

- فى الآية (٨٥) فى ســـورة ص : (لأمـــلان جـــهنم منـــك وممـــن تبعك منهم أجمعيـــن) .

لفظ (أجمعين) فى هذه الآية الكريمة توكيـــد معنـــوى مجـــرور، وعلامة جره الياء ، لأنه ملحق بجمع المذكر الســـالم ، وهـــو مؤكـــد لمجرور يحتمل أن يكـــون الاســـم الظـــاهر (مَـــنْ) ، وهـــو اســـم موصول مبنى على السكون فـــى محـــل جـــر بـــــ (مِـــنْ) وصلـــة الموصـــول الجملـــة الفعليـــة (تبعـــك) ويحتمـــل أن يكـــون توكيـــدا الضمير المخاطب ، وما عطف عليـــه .

قال أبو حيان : "الظاهر أن (أجمعيـــن) تـــأكيد للمحـــدث عنـــه ، والمعطوف عليه ، وهو ضمير إبليس ومن عطـــف عليـــه"[1]

ومما سبق يتضـــح أن :

١ ـــ لفـــظ (أجمعيـــن) جـــاء مؤكـــدا للاســـم الظـــاهر اثنتـــى

---

[1] البحر المحيط ١/١١/٤ .

عشرة مـرة :

- في ثلاث منها جاء مؤكدا لمرفـــوع .
- وفي خمس منها جاء مؤكـــدا لمنصــوب .
- وفي أربع منها جاء مؤكـــدا لمجــرور .
- وفي آية واحدة يحتمل أن يكون مؤكـــدا لاســم ظــاهر معطــوف على ضمير ، أولهما معـــا .
- وفي ثلاث عشرة مرة جاء مؤكدا لضمــــير متصــل .
- وفي تسع منها جاء مؤكدا لضمير نصـــب متصــل .
- وفي أربع منها جاء توكيدا لضمـــير جــر .

وأنه لــم يــأت مؤكــدا لضمــير منفصــل ، ولا ضمــير رفــع متصل، ولا ضمير مســـتتر .

٢ ــ وأن ضمائر الجر المؤكدة بـــأجمعين منـــها ضمـــير مجـــرور بالحرف، والباقي مجرور بالإضافة .

٣ ــ وأن الضمائر المتصلـــة التـــي أُكِّـــدَتْ بـــأجمعين منـــها ثلاثـــة للمخاطبين ، وسبعة للغــــائبين .

٤ ــ لم يأت (أجمعون) مؤكدا لجمــــع الإنـــاث ولا لضمـــيرِ هــنَّ ، كما لم يأت مؤكدا لمفرد ذي أجزاء ، ولا لجمع مذكـــر ســـالم.

وإنما جاء مؤكدا لجمع تكسير في الآيتيـــن اللتيــن سُــبِقَ فيــهما

بلفظ (كـل) .

٥ ـ وأن لفظ (أجمعين) لم يـأت فـي القـرآن الكريـم إلا توكيـدا معنويا .

٦ ـ وأن الأصل والغـالب أن يسـتعمل مؤكّدا بـدون أن تسـبقه (كل) وأن القليـل أن يـأتي مسـبوقا بـها ، فقـد سُبِقَ بكـلٍّ مرتين، وأتى بدونها أربعا وعشـرين مـرة .

وهكذا يثبت الإستقراء القرآنـي مخالفـةَ قـاعدةٍ نحويـة اعتمـد النحاة فى تقريرها على الإستشـهاد بالشـعر .

فَقَوْلُ ابن مالك فى الشـافية الكافيـة (١١٦٩/٣) :

وبعد كـل أكـدوا بأجمعـا ... جمعـاء أجمعيـن ثـم جُمَعَـا
ودون كـل قد يجـئ أجْمَـعُ ... جمعـاءُ أجمعـون ثم جُمَـعُ

وقد ذكر نص البيتين فى الألفية كمـا سـبق .

وأكد ذلك فى التسهيل ، فقـال :

"ويتبع كلَّه أجمـعُ ، وكلَّـها جَمْعَـاءُ ، وكلَّـهم أجمعـون ، وكلَّـهُنّ جُمَعُ ، وقدْ يُغْنِينَ عن كلٍّ : يخالف استقراءَ مـا جـاء فـي أسـلوب القرآن الكريـم" .

وينبغي أن يكون نص البيت الثانى من بيتى ابـن مـالك :

وَبَعْد كـلّ قد يجـئ أجْمَـع ... جمعـاء أجمعـون ثم جُمَـع

وفى قوله تعالى : (فأغرقناهم أجمعيـن) (الحجـر : ٩٣) .

قال أبو حيان : (أجمعين) توكيد للضمير المنصوب ، وقد كثر التوكيد بأجمعين غيرَ تابع لـ (كُلّهم) فى القرآن ، فكان ذلك حجة على ابن مالك فى زعمه أن التوكيد بأجمعين قليل ، وأن الكثير استعماله تابعا لـ (كلهم)[1].

٣ ـ التوكيد بالنفس والأنفس :

من ألفاظ التوكيد المعنوى النفس والعين ، وهما يؤكدان ذات المتبوع ، ويمنعان احتمال إرادة التجوز فى الإسناد ، ويشترط للتوكيد بهما أن يسبقا بمؤكد ، وأن يضافا إلى ضميره ، وأن يفردا مع المفرد مثل : رأيت الرئيس نفسه ، ويجمعا جمع قلة على وزن "أَفْعُلٍ" مع المثنى والجمع فيقال : رأيت الفائزين أنفسهما ، وشاهدت الوزراء أنفسهم .

قال ابن مالك :

بالنفس والعين الاسم أكدا ... مَعْ ضمير طابقِ المؤكَّدا
واجمعهما بأفعُلٍ إن تبعا ... ما ليس واحدا تكن متَّبِعَا

وعلى هذا فلفظ (نفسه) ، فى قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه)[2] لا يعرب توكيدا وإن أضيف إلى ضمير لفظ الجلالة

---

[1] البحر المحيط ٣٣٠/٦ ، وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القسم الثالث ، ١١/٤ .

[2] آل عمران ، الآيتان ٢٨ ، ٣٠

الذى يسبقه ، لمخالفتهما إعرابيا ، إذ لفـــظ الجلالـــة مرفـــوع علـــى أنه فـــاعل (يحـــذّر) ، و (نفـــس) مفعـــول ثـــان ، والمفعـــول الأول ضمير المخاطبين فى (يحذركـــم) .

وفى قوله تعالى : (أولم يـــروا أنـــا نســـوق المـــاء إلـــى الأرض الجرز فنخـــرج بـــه زرعـــا تـــأكل منـــه أنعامـــهم وأنفســـهم أفـــلا يبصـــرون)[١].

(أنفســـهم) ليســـت توكيـــدا معنويـــا للاســـم الـــذى قبلـــها ، وإن أضيفت إلى ضمير الجمع ، وشاركت ما قبلـــها فـــى الرفـــع ، لأنـــه فصل بينهما حرف الواو ، فـــ (أنفس) فى هـــذه الآيـــة ، معطـــوف عطف نسق ــ بالواو ــ على (أنعام) فهو تـــابع لمـــا قبلـــه ، وليـــس توكيدا له ، وقد حلت أنفسهم محل الضمير المنفصـــل (هـــم) .

وفى قوله تعالى : (إن الله لا يظلم النـــاس شـــيئا ولكـــن النـــاس أنفسهم يظلمـــون)[٢]

(أنفسهم) ليس توكيدا معنويا ، وإن شـــارك مـــا قبلـــه فـــى نـــوع الإعراب ، وهو النصـــب وأضيـــف إلـــى ضمـــيره ، لأن المعنـــى يخالف ذلك ، ولأن سبب نصب الاسم الأول وهـــو النـــاس .

---

(١) السجدة ، ٢٧ .

(٢) سورة يونس ، ٤٤ .

أنه اسم (لكنّ) ، وسبب نصب الاسم الثانى (أنفسهم) أنه مفعول به مقدم للفعل يَظْلِمون ، والآية تفيد نَفْىَ ظلم الله للناس ، وتخبر بظلم الناس لأنفسهم .

هذا هو الظاهر فى إعراب كلمة (أنفسهم) وفقا لهذا المعنى الواضح الظاهر .

وذهب بعضهم إلى جواز إعرابه توكيدا للناس ، والمقصود بذلك نسبة الظلم إلى الناس بعد نفيه عن الله عز وجل وهذا وجه ضعيف[1].

وبذلك يكون التوكيد بالنفس أو الأنفس لم يرد فى القرآن الكريم عند جمهور النحاة ، ومعربى القرآن الكريم .

٤ ـ التوكيد بـ (جميع) :

لفظ (جميع) من ألفاظ الإحاطة والشمول ، ويعرب توكيدا معنويا بشرط أن يسْبِقَ بمؤكَّد ويضاف إلى ضميره مثل : الناسُ جميعُهم يتضرعون إلى الله وقت الشدة ، ومثل أكرمت الضيوف جميعَهم ، وحفظت القرآنَ جميعَه .

---

[1] أجاز صاحب الفتوحات الإلهية (٢ ، ٣٤٦) أن تكون أنفسهم توكيدًا للناس ، وأن تكون مفعولا مقدما ليظلمون .

فإن لم تسبق بمتبوع ، أو لم تضف إلـــى ضمـــير الاســم الـــذى قبلها لا تكون توكيدا معنويا ، وإنمـــا تعـــرب حســب موقعــها فـــى الجملة ، وإن كان معنى الإحاطـــة لا يفارقـــها .

ففى قوله تعـــالى : (إليــه مرجعكــم جميعـــا)[١] جميعـــا ليســت توكيدا معنويا ، وإنمــــا هـــى (حـــال) مؤكَّـــدة ، وصـــاحب الحـــال ضمير المخاطبين الذى أضيف إليـــه (مَرْجِـــع) .

وكذلـــك فـــى قولـــه تعـــالى : (والأرض جميعـــا قبضتـــه يـــوم القيامـــة)[٢].

(جميعـــا) حـــال وليســت توكيـــدا معنويـــا ، وصـــاحب الحـــال (الأرض) ، وخبر الأرض (قَبْضَــــــة) .

وفى قوله تعالى : (وسخر لكـــم مـــا فـــى الســموات ومـــا فـــى الأرض جميعا منـــه)[٣] .

(جميعا) ليس توكيدا معنويا وإن شـــارك مـــا قبلـــه وهـــو (مـــا) الموصولة ، وما عطف عليها فى الإعراب لأنـــه لـــم يضـــف إلـــى ضميره ، وإنما هو حال مؤكـــدة .

---

(١) سورة يونس ٤ .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

(٣) صورة الجاثية ١٣ .

وكذلك فى قوله تعالى : (قل لله الشفاعة جميعا)[١] (جميعا) حال من الشفاعة . قال مكى : "وأتى جميع ، وليس قبله إلا لفظ واحد ، لأن الشفاعة مصدر يدل على التقليل والكثير ، فحمل "جميع" على المعنى"[٢].

ولم يرد لفظ (جميع) توكيدا معنويا فى القرآن الكريم ، ولفظ (جميع) يدل على الجمع والشمول حيث وقع ولا يعرب توكيدا معنويا إلا إذا سُبِقَ بمؤكد ، وأضيف إلى ضميره مثل : الناس جميعهم ميتون .

٥ ـ عطف البيان :

يستشهد النحاة لعطف البيان بأحد هذين البيتين من الرجز .

١ ـ قول ذى الرمة[٣] :

إنى وأسطارٍ سُطِرْنَ سَطْرا لقائلٌ : يا نَصْرُ نصْرٌ نصْرا

جاعلين (نصر) الثانى عطف بيان مراعى فيه لفظ المتبوع المبنى على الضم لأنه منادى معرفة و "نصرا" الثالث المنصوب عطفَ بيان آخر مراعًى فيه محل المتبوع ، لأنه فى

---

(١) سورة الزمر ٤٤ .

(٢) إعراب مشكل القرآن تحقيق د/ حاتم صالح الضامن ٢/٦٣٢ .

(٣) بيتان من الرجز فى ملحقات ديوانه ، ١٧٢ .

محل نصب[١] .

٢ ـ قول الراجز :

أَقْسَمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ما مَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ[٢]

على تقدير (عمر) عطفَ بيان لـ (أبو حفص).

ويكادون يجمعون على أن التابع في الرجز عطف بيان ، مع إختلافهم في بيت ذي الرمة ، فقد أنكر ذلك ابن الطراوة لأن الشئ لا يبين نفسه ، وجعل هذا من باب التوكيد اللفظي ، وتابعه على ذلك ابن معطى ، وابن مالك ، وجمال الدين ابن الناظم[٣].

وابن هشام في شرح شذور الذهب ذكر البيتين ، وفي أوضح المسالك اقتصر على الرجز الثاني فقط[٤] .

---

(١) انظر شرح شذور الذهب ، ٥١٩ .

(٢) بيتان من الرجز لأعرابي طلب من عمر رضي الله عنه أن يعطيه ناقة من إبل الصدقة بدلا من ناقته الدبراء والنقباء فامتنع .

(٣) انظر شرح شذور الذهب ٥١٥ ، ٥٢٠ ، وشرح ابن الناظم تحقيق د/ السيد عبد الحميد إذ قال ابن الناظم : "يا نصر نصر نصرا" من التوكيد اللفظي : أتبع أولا على اللفظ ، وثانيا على الموضع ، ويجوز أن يكون "نصرا" المنصوب مصدرا بمعنى الدعاء ... وأكثر النحويين يجعل التابع في هذا البيت عطف بيان وليس بصحيح" .

(٤) انظر أوضح المسالك ٣٤٧/٣ .

ومن شواهد عطف البيان فى القرآن الكريم قوله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس)[١] ، فالبيت الحرام عطف بيان للكعبة[٢] .

وقوله تعالى : (وقولهم إنا قتلنها المسيح عيسى بن مريم)[٣]، (عيسى) عطف بيان[٤] .

وقوله تعالى : (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق)[٥] ، إبراهيم ، وإسحاق بيان لأبويك[٦] .

وقوله تعالى : (واذكر عبدنا داود)[٧] ، (داود) بيان (عبدنا)[٨] .

وقوله تعالى : (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى

---

(١) سورة المائدة ، ٩٧ .

(٢) انظر تفسير الكشاف ٦٤٦/١ ، وتفسير المنسفى ٣٠٤/٣ .

(٣) المائدة ، ١٥٧ .

(٤) انظر الدر المصون ١٤٥/٤ .

(٥) سورة يوسف ، ٦ .

(٦) انظر النسفى ٢١٢/٢ .

(٧) سورة ص ، ١٧ .

(٨) انظر الدر المصون للسمين الحلبى ، ٣٦٩/٩ .

وهارون)[١] (رب موسى وهارون) بيان لـــ (رب العــالمين).

وقوله تعـــالى : (ألــم تــر كيــف فعــل ربــك بعــاد إرم ذات العماد)[٢] ، (إرم) ، عطف بيــان لعــاد[٣].

وقد اختلف النحويون فى وقوع عطــف البيــان فــى النكــرات ، فمنعــه جمــهور البصرييــن ، وأجــازه الكوفيــون ، وأبــو علــى الفارسى ، والزمخشرى[٤] ، وتبعهم ابــن مــالك .

ومن شــواهدهم القرآنيــة علــى وقوعــه فــى النكــرات قولــه تعالى:

(ويسقى من ماء صديـــد)[٥] ، (وبدلنــاهم بجنتيــهم جنتيــن ذواتــى أكل خمط وأثل)[٦] ، (خمط وأثل) بيــان للجنتيــن .

وقوله تعالى : (أو كفارة طعــام مســاكين)[٧] فــى قــراءة مــن

---

[١] سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .

[٢] سورة الفجر ٣ ، ٤ .

[٣] انظر الدر المصون ٧٨١/١٠ ، والكشاف ٢٥٠/٤ .

[٤] انظر الكشاف ٣٧١/٢ ، ٢٥٠/٤ .

[٥] سورة إبراهيم ، ١٦ .

[٦] سورة سبأ ١٦ .

[٧] سورة المائدة ، ٩٥ .

نون كفـارة[١].

وقولـه تعـالى : (يوقـد مـن شـجرة مباركـة زيتونـة)[٢] ، (زيتونة) عطف بيان لشـجرة .

فالتابع فى الآيات المذكورة عطف بيـان ، وقـد بُيِّنَت النكـرة بنكرة أخص منها ، وجمهور البصريين يجعلون هـذا التـابع بـدلا، وكونه عطف بيان أظـهر .

وفى آيات كثيرة يجيز معربـو القـرآن والمفسـرون أن يكـون التابع عطف بيان أو بدلا مطابقـا .

ومن ذلك قوله تعالى : (وإلى عاد أخـاهم هـودا)[٣].

وقوله تعالى : (وقال موسى لأخيـه هـارون)[٤] .

وقوله تعالى : (وإلى مدين أخـاهم شعيبـا)[٥] .

وقوله تعالى : (وإذ قال إبراهيـم لأبيـه آزر)[٦]

---

[١] أوضح المسالك ، ٣/٣٤٨ .

[٢] سورة النور ، ٣٥ .

[٣] سورة الأعراف ، ٦٥ .

[٤] سورة الأعراف ، ١٤٢ .

[٥] سورة هود ٨٥ .

[٦] سورة الأنعام ، ٧٤ .

وقوله تعالى : (وتذرون أحسن الخـــالقين الله ربكـــم)[١] .

وقوله تعالى : (إنك بالواد المقـــدس طـــوى)[٢]

٦ ـ إبدال الجملة من المفـــرد :

تتفق كتب النحو فى الإستشهاد على وقـــوع الجملـــة بـــدلا مـــن المفرد بقول الشـــاعر :

إلى اللـــه أشكـــو بالمدينة حاجَةً وبالشـــام أخرى كيـــف يلتقيـــان[٣]؟

فجملة (كيف يلتقيان) فى محل جـــر لأنـــها بـــدل اشـــتمال مـــن (حاجة) وما عطف عليـــها أى : إلـــى الله أشـــكو هـــاتين الحـــاجتين تعذر التقائـــهما[٤] .

وفى القرآن الكريم شواهد كثـــيرة لإبـــدال الجملـــة مـــن المفـــرد منها :

قوله تعالى : (أفلم ينظروا إلى الســـماء فوقـــهم كيـــف بنيناهـــا)[٥] ،

---

[١] سورة الصافات ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

[٢] سورة النازعات ١٦ .

[٣] البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو فى ملحقات ديوانه ، وفى أوضح المسالك ٤٠٨/٣ .

[٤] أوضح المسالك ٤٠٨/٣ .

[٥] سورة ق ، ٦ .

جملة (كيف بنيناها) فى محل جر بدلا مـــن الســماء[١] .

وقوله تعالى : (ويســألونك عــن الســاعة أيــان مرســاها)[٢] ، الجملة الأسمية (أيان مرساها) بدل مـــن الســاعة فــهى فـــى محــل جر[٣].

وقوله تعالى : (انظر إلى العظــام كيــف ننشــزها ثــم نكســوها لحما)[٤] ، الجملة الاستفهامية بدل من العظام[٥] ، فـــهى فـــى محــل جر ، وجملة "نكسوها" معطوفـــة عليــها ، فــهى فـــى محــل جــر أيضا ، و(لحما) مفعول ثان للفعــل نكســو .

وقوله تعالى : (أفلا ينظرون إلـــى الإبــل كيــف خلقــت وإلـــى السماء كيف رفعت وإلـــى الجبــال كيــف نصبــت ، وإلـــى الأرض كيف ســطحت)[٦] .

كل جملة من الجمل الاستفهامية الأربــع فـــى محــل جــر بــدلا

---

(١) انظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين ١٨٥/٤ .

(٢) سورة النازعات ، ٤٢ .

(٣) انظر البحر المحيط ٤٣/٤ ، والبحر المحيط ٤٣٤/٤ .

(٤) سورة البقرة ، ٢٥٩ .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٩٤/٢ ، المغنى لابن هشام ٦٤٨ .

(٦) سورة الغاشية ، ١٣ ـــ ٢٠ .

من الاسم المجرور قبلـــها[١] .

والملحوظ فى الجمل التـــى أبدلـت مــن المفــرد فــى الآيــات السابقة كلها ، أنها استفهامية وقد أبدلت بدل اشـــتمال ، وفــى ذلــك دليل على أنه يكثر إبدال الجملـــة الاســـتفهامية مــن الاســم المفــرد بدل اشتمال فى القرآن الكريـــم .

٧ ـ ما ظاهره أنه تابع وليـس بتـابع :

١ ـ فى قوله تعالى : (لا يستوى أصحاب النـــار وأصحـاب الجنـة أصحاب الجنة هم الفـــائزن)[٢] .

الظاهر أن (أصحاب الجنة) ، وقد ذكـــر مرتيــن متتــاليتين مـــع اتفاق الإعراب توكيد لفظى وهى فى الحقيقة ليـــس كذلــك .

لأن الأول من جملة ، والثانى من جملـــة أخـــرى .

فالأول فاعل (يستوى) والثانى مبتـــدأ وخـــبره (الفـــائزون) فـــهو خبر مفرد وهم ضمير فصل لا محل له مــــن الإعــراب .

ويجوز أن يكون (هم) مبتـــدأ خـــبره الفـــائزون ، وجملـــة (هـــم

---

(١) انظر البحر المحيط ٤٦٤/٨ ، تفسير الآلوسى ١١٦/٣٠ ، تفسير أبى السعود ١٥٠/٩ ، حاشـية الجمل ١٨٩/٤ .

(٢) سورة الحشر ، ٢ .

الفائزون) فى محل رفع خبر المبتـــدأ .

وبهذا يظهر أن سبب رفـــع الأول غـــير ســبب رفـع الثـــانى ، فالثانى ليس تابعا لـــلأول .

٢ ــ وفى قوله تعالى : (ولما جاءهم رسول مـــن عبـــد الله مصـــدق لما معهم نبذ فريق من الذيـــن أوتـــوا الكتـــاب كتـــاب الله وراء ظـــهروهم)[١] .

الظاهر أن (كتـــاب الله) بـــدل مـــن (الكتـــاب) لاتفاقـــهما لفظـــا ومعنى وإعرابـــا .

وهذا ليس صحيحا لعدم تبعية الثـــانى لـــلأول وإن اشـــتركا فـــى النصب واللفـــظ لأن الأول وهـــو (الكتـــاب) مفعـــول ثـــان للفعـــل (أوتِىَ) المبنى للمجـــهول ، والمفعـــول الأول (واو) الجماعـــة التـــى هى نائب الفـــاعل[٢] .

أما (كتاب الله) فهو مفعول به لفعل (نبَـــذ) ، وفاعلـــه (الذيـــن) ، وجملـــة (أوتـــوا الكتـــاب) لا محـــل لـــها مـــن الإعـــراب صلـــة الموصـــول.

---

[١] سورة البقرة ، ١٠١ .

[٢] انظر الدر المصون ، ٢٧/٢ .

٣ ـ وفي قوله تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق)[١] .

الظاهر أن الاسم الموصول (الذى) فى محل نصب على أنه نعت لكلمة (العلم) وليس الأمر كذلك .

لأن (العلم) مفعول ثان للفعل (أوتِى) المبنى للمجهول ، أما (الذى) فهو مفعول أول للمضارع (يَرَى) وهو مضارع (رأى) العلمية التى تنصب مفعولين ومفعوله الثانى (الحق) ، و (هو) ضمير[٢].

ثانيا : جواب الشرط المنفى بـ (لا) يجوز اقترانه بالفاء إذا كان مضارعا :

بالتأمل فى هاتين الآيتين :

(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم)[٣] .

(قل إن افترينه فلا تملكون لى شيئا)[٤] .

تجد فى كل منهما أسلوب شرط أداته (إن) التى تجزم فعلين،

---

[١] سورة سبأ ٦ .

[٢] انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣/٦٣٦ .

[٣] سورة فاطر ١٤ .

[٤] سورة الأحقاف ، ٨ .

وفعل الشرط فى الآية الأولى (تدعوهم) وهـو مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف النون ، وجواب الشرط (لا يسمعوا) وهو مضارع منفى بـ (لا) النافية ، مجزوم – أيضا ، وعلامة جزمه حذف النون .

أما فى الآية الثانية ففعل الشرط (افترى) وهو ماض سند إلى تاء الفاعل مبنى على الفتح المقدر فى محل جزم .

وجواب الشرط (فلا تملكون) وهو جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ (لا) مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، وواو الجماعة فاعل والجملة الفعلية المقترنة بالفاء فى محل جزم جواب الشرط .

ويشكل إعراب الآية الثانية على من يعرفون ضابط وجوب إقتران جواب الشرط بالفاء ممثلا فى قولهم:

اسمية ، طلبية ، وبجامد وبما وقَدْ ولَنْ بالتنفيس

إذ لا يجدون الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) ضمن هذه الأنواع السبعة التى يجب اقترانها بالفاء إذا وقعت جوابا لشرط جازم ، ومع ذلك جاءت فى الآية الثانية مقترنة بالفاء .

وحلا لهذا الإشكال أقول :

إن هذا الضابط الذى يشمل الجملة الأسمية ، والطلبية بأنواعها، والفعلية التى فعلها جامد ، والمنفية بـ (ما) ، أو المنفية بـ

(لن) ، أو المقترنة بـ السين أو بـ سوف أو قَدْ هو للجمل التى يجب اقترانها بالفاء إذا وقعت جوابا .

أما المضارع المنفى بـ (لا) فيجوز اقترانه بالفاء ، فَيَرْفَعُ المضارع ، وتكون الجملة المنفية فى محل جزم كالآية الثانية : (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) ، ويجوز عدم إقترانه ، فيجزم المضارع ، كما فى الآية الأولى (إن تدعوهم لا يسمعوا).

وبالوجهين جاءت أساليب الشرط فى القرآن الكريم على النحو التالى :

أ ــ جاءت جملة الشرط الفعلية المنفية بـ (لا) غير مقترنة بالفاء سبع عشرة مرة :

١ ــ (ومنهم من إن تأمنه بدينا لا يؤده إليك) (آل عمران ٧٥)

٢ ــ (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) (آل عمران ١٣٠) .

٣ ــ (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) (الأنعام ٢٥) .

٤ ، ٥ ــ (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) (الأعراف ١٤٦) .

٦ ــ (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) (الأنعام ٧٠) .

٧ ــ (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) (الأعراف ١٩٣)

٨ ــ (وإن تدعوهم إلى الـهدى لا يسـمعوا) (الأعـراف ١٩٨)

٩ ــ (وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكـم إلا ولا ذمـة) (التوبـة ٨)

١٠ ــ (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوهـا) (إبراهيـم ٣٤)

١١ ــ (وإن تعـدوا نعمـة الله لا تحصوهـا إن الله لغفـور رحيـم) (النحـل ١٨)

١٢ ــ (أينما يوجهه لا يأت بخـير) (النحـل ٧٦)

١٣ ــ (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يسـتنقذوه منـه) (الحـج ٧١)

١٤ ــ (إن تدعوهم لا يسمعوا دعـاءكم) (فـاطر ١٤)

١٥ ــ (وإن تدع مثقلة إلى حملـها لا يحمـل منـه شـئ) (فـاطر ١٨)

١٦ ــ (إن يردن الرحمن بضـر لا تغـن عنـى شـفاعتهم شـيئا) (يـس ٢٣)

١٧ ــ (وإن تطيعوا الله ورسـوله لا يلتكـم مـن أعمـالكم شـيئا) (الحجـرات ٨) .

ب ــ وجاءت جملة الشرط الفعليـة المنفيـة بـ "لا" فـى جـواب الشرط الجازم مقترنة بالفاء ثمـانى مـرات :

١ ــ (فإن طلقها فلا تحل له من بعـد حتـى تنكـح زوجـا غـيره) (البقـرة ٢٣٠)

٢ ــ (ومن جاء بالسيئة فلا يجـزى إلا مثلـها) (الأنعـام ١٦٠)

٣ ـ (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) (طه ١٦٢)

٤ ـ (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) (القصص ٨٤)

٥ ـ (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) (الروم ٣٩)

٦ ـ (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) (الأحقاف ٨)

٧ ـ (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) (النمل ٤٠)

٨ ـ (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) (الجن ١٣)

وهذا على قراءة الجمهور (فلا يخافُ) أما على قراءة ابن كثير (فلا يَخَفْ) فالفاء واجبة لأن (لا) ناهية والجملة طلبية[1]

هذا عن ورود جملة المضارع المنفى بـ (لا) جوابا لشرط جازم ، ونسبة اقترانه بالفاء ٨/١٥ وأداة الشرط الجازمة فى كل المواضع هى (إنْ) الشرطية ما عدا آية واحدة كانت أداة الشرط فيها هى (أينما) فى قوله تعالى : (أينما بوجهه لا

---

[1] انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ، ٤٢٤ .

يأت بخـير).

أما (إذا) الشرطية وهى أداة شـــرط غــير جازمـــة ، فقــد جــاء جوابها فى القرآن الكريـــم جملـــة فعليـــة منفيـــة بـــ (لا) مقترنـــة بالفاء، وغير مقترنة بــــها :

أ ــ جاءت غير مقترنة بالفاء فى ســـتة مواضـــع :

١ ــ (فإذا جـــاء أجلـــهم فـــلا يســـتأخرون ســـاعة ولا يســـتقدمون) (النحـــل ٦٢)

٢ ــ (وإذا رأى الذين ظلموا العـــذاب فـــلا يخفـــف عنـــهم ولا هـــم ينظرون) (النحـــل ٨٥)

٣ ــ (وإذا ذكروا لا يذكـــرون) (الصافـــات ١٣)

٤ ــ (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعـــون) (المرســـلات ٤٨)

٥ ــ (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) (ســـورة نـــوح ٢١)

٦ ــ (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يســـجدون) (الانشـــقاق ٢١)

ب ــ وجاءت مقترنة بالفاء فـــى موضعيـــن :

١ ــ (لكل أمة أجل إذا جـــاء أجلـــهم فـــلا يســـتأخرون ســـاعة ولا يستقدمون) (يونـــس ٤٩)

٢ ــ (وإذا رأى الذين ظلموا العـــذاب فـــلا يخفـــف عنـــهم ولا هـــم ينظرون) (النحـــل ٨٥).

ثالثا : مشكلات نحوية وصرفية :

١ـ قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) (الروم ٢٤)

تأتي هذه الآية الكريمة ضمن ست آيات من سورة الروم يذكرنا الله فيها بآيات قدرته ودلائل وجوده ، وكل آية من هذه الآيات الكريمة تبدأ بالجار والمجرور (ومن آياته) :

(ومن آياته أن خلقكم من تراب) .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم).

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) .

(ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) .

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

ونلحظ في الآيات الخمس ـ غير هذه الآية ـ أن بعد الجار والمجرور مصدرا صريحا مرفوعا في الآيتين الثالثة والرابعة ، وهذا المصدر مبتدأ خبره الجار والمجرور الذي تقدم عليه ، وبعد الجار والمجرور مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع في ثلاث آيات هي الأولى والثانية والسادسة ، وهذا المصدر المؤول مبتدأ ـ أيضا ـ كالمصدر الصريح ،

والإشكال النحوى فى الآية الخامسة (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) لأن هذه الآية وإن بدئت بجار ومجرور كالآيات الخمس ، فإنه لم يقع فيها بعد هذا الجار والمجرور مصدر صريح ولا مؤول ، وإنما وقع فعل مضارع مرفوع (يريكم) وظاهر الكلام أنه جملة اسمية تقدم فيها الخبر كسائر الآيات المماثلة فأين المبتدأ ؟ وما إعراب (بريكم) ؟ أو بعبارة أصح : ما موقع يريكم من الإعراب ؟

وللعلماء فى حل ذلك الإشكال : أربعة أقوال :

أ ــ أن (يريكم) فى تأويل مصدر على تقدير أن والأصل ومن آياته أن يُرِيَكم ، ثم حذفت أن لدلالة نظائرها عليها ، فارتفع المضارع ولكنها منوية فى الكلام والفعل معها فى تأويل مصدر

ب ــ أن الفعل بدون (أن) مقدر بمصدر فهو فى تأويل مصدر بدون أداة سبك فيكون التقدير فى هذين الوجهين ومن آياته إراءته إياكم البرْقَ فـ "من آياته" فى موضع رفع على أنه خبر المبتدأ[1] .

ج ــ أن جملة (يريكم) فى محل رفع صفة لمبتدأ محذوف تقديره

---

[1] البحر المحيط لأبى حيان ٧/١٦٧ .

ومن آياته آيةٌ يُريكم البرقَ بها[١] ، وحـــذف الموصـــوف علـــى هذا التخريج حذف قياسي ، لكون النعـــت جملـــة ، والمنعـــوت بعض اسم سابق مجرور بـ (مِنْ) وعلـــى هـــذا الوجـــه يكـــون قد حُذِفَ شيئان الموصوف وعائد جملـــة الصفـــة ، ويجـــوز أن يكون التقدير (ومن آياتـــه شـــئ أو ســـحاب يريكـــم الـــبرق) ، فيكون فاعل يريكم ضمير الموصوف المحـــذوف ، فيكـــون قـــد حذف الموصوف دون عائد جملـــة الصفـــة .

د ـــ أن الجار والمجرور (من آياته) متعلـــق بمحـــذوف حـــال مـــن المفعول به وهو البرق والتقدير : ويريكـــم الـــبرق كائنـــا مـــن آياته ، وحق الواو أن تدخل على الفعل ولكن لمـــا قُـــدِّمَ الحـــال وكانت من جملة المعطـــوف أولاهـــا الـــوَاوَ وحَسَّـــن ذلـــك أن الجار والمجرور فى حكـــم الظـــرف[٢] فـــهو كقولـــه تعـــالى : (آتنا فى الدنيا حسنة وفـــى الآخـــرة حســـنة)[٣] ، وعلـــى هـــذا الوجه تكون (من) لابتداء الغايـــة[٤].

والوجه الأول وهـــو كـــون (يريكـــم) مصـــدرا مـــؤولا بتقديـــر

---

[١] البيان فى إعراب غريب القرآن للأنبارى .

[٢] التبيان فى إعراب القرآن ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ .

[٣] البقرة ٢٠١ .

[٤] وفى الأوجه الثلاثة السابقة تدل (من) على التبعيض .

(أن) أقوى الأوجه الأربعة لأنـــه ليس فيـه إلا حـذف أن ورفـع المضارع بعد حذفها لأنه على هذا الوجه تكـون الآيـة متسـقة فـى الإعراب مع مثيلاتـها ، وحسَّنَ حـذْفَ أن ذكرُهـا فـى الآيـات الأخـرى .

وعلى الوجهين الأول والثانى خرج النحاة المثـل المشـهور : "تسمع بالمعيدى خير من أن تراه" على روايـة الرفـع[١] .

أما (خوفا وطمعا) فمنصوبان علـى أنـهما حـالان أى خـائفين وطامعين[٢] وصاحب الحـال ضمـير المخـاطبين فـى (يريكـم) وأفردا لأنهما مصدران ، وقيـل همـا مفعـول لأجلـه ومعطـوف عليه والتقدير : يريكم الـبرق إراءة خـوف وإراءة طمـع فحـذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامـه فـانتصب .

٢ - (ولله الأسمـاء الحسـنى)[٣]،(فـأولئك لهـم الدرجـات العـلا)[٤]:

يشكل على كثير من المتقفين وصف الجمع بـالمفرد فـى مثـل:

---

(١) تفسير النسفى ٣/٢٧٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/١٦٧ ، وتفسير أبى السعود ٧/٥٧ .

(٣) الأعراف ١٨٠ .

(٤) طه ٧٥ .

فلان طالب بالدراسات العليا ــ وقد يتجــرأ بعضـــهم فيخطـــئ ذلـــك قائلا الصواب (الدراسات العُلَا) محتجا بـــأن العليـــا اسـم تفضيـــل لأنها مؤنث لأعلى ، واسم التفضيل إذا كـــان محلـــى (بـــأل) يجـــب أن يطابق المفضل فـــى النـــوع والعـــدد ، ولمـــا كـــانت الدراســـات جمعا مؤنثا وجب جمع العليا فقيل : العُلا على نحـــو مـــا جـــاء فـــى قوله تعالى : (فأولئك لهم الدرجـــات العـــلا) .

والحق أن الوجهين جـــائزان (الإفـــراد والجمـــع) وبـــهما جـــاء أسلوب القرآن الكريم والإفراد فى القرآن أكثر مـــن الجمـــع ، ومـــن شواهد الإفراد قوله تعـــالى : (ولله الأســـماء الحســـنى) ، (إن هـــذا لفى الصحف الأولى)[1] (هذا نذير من النـــذر الأولـــى)[2] .

وإنما جاز الإفراد والجمع ، وإن كـــان الإفـــراد يخـــالف قـــاعدة وجوب التطابق بين النعـــت الحقيقـــى ومنعوتـــه لأن هنـــاك قـــاعدة نحوية أخرى تخصص عموم القـــاعدة الســـابقة خلاصتـــها أنـــه إذا كان المنعوت جمعـــا لمـــا لا يعقـــل وجـــب تـــأنيث النعـــت وجـــاز إفراده، وجمعه جمـــع تكســـير أو جمـــع مؤنـــث ســـالما وبالأوجـــه الثلاثة جاء البيان القرآنـــى .

---

(١) الأعلى ١٨ .

(٢) النجم ٥٦ .

فمن إفراد النعت قوله تعالى : (فيــها ســرر مرفوعــة وأكــواب موضوعــة ونمــارق مصفوفــة وزرابــى مبثوثــة)[١] ، وقولــــه سبحانه: (على سرر موضونــــة)[٢]

ومن جمعه جمــع تكسـير قولــه تعــالى : (وينشــئ الســحاب الثقــال)[٣] ، (إنــى أرى ســبع بقــرات ســمان يأكلــهن ســبع عجاف)[٤]، (فأولئك لهم الدرجــات العــلا) .

ومن وصف جمع ما لا يعقل بجمع مؤنث ســالم قولــه تعــالى : (الحج أشــهر معلومــات)[٥] ، (أياما معــدودات)[٦] ، (فــى أيــام نحســات)[٧] .

ولعلك قد تأكدت ــ من هذه الشــواهد ــ أنــه ــ يصــح لــك أن تقول هذه قواعد ثابتة وهذه قواعد ثابتات ، وهــذه قواعــد ثوابــت ، وأن تقول ــ أيضا ــ أعجبــت بــهذه الأســماء الحســنى ، وبــهذه

---

(١) الغاشية ١٣ ــ ١٦ .

(٢) الواقعة ١٥ .

(٣) الرعد ١٢ .

(٤) يوسف ٤٣ .

(٥) البقرة ١٩٧ .

(٦) البقرة ١٨٤ .

(٧) فصلت ١٦ .

الأسماء الحسان ، وبهذه الأسماء الحَسَن ، وأنه لا حرج في أن يقال : الدراسات العليا ، والدراسات العُلا ، والأولى أولى لشهرتها .

٣ـ كلَّ عام وأنتم بخير ... كلَّ عام أنتم بخير :

هذه عبارة مشهورة تجرى على الألسنة تهنئة بالأعياد ، وقد سمعت أكثر من مثقف غير متخصص يخطئ الصورة الأولى ـ التي تتوسطها الواو ويزعم أن الصواب "كل عام أنتم بخير" بدون الواو .

والحق أن كلتا الصورتين صحيحة سليمة .

وتوجيه ذلك فيما يأتي :

أ ـ في الصورة الأولى :

الواو ـ حالية والجملة الأسمية ـ بعدها ـ في محل نصب حال وكلمة كل يجوز رفعها ويجوز نصبها ،

فعلى الرفع تحتمل أن تكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير: كل عام يمر وأنتم بخير .

وأن تكون فاعلا لفعل محذوف تقديره : يمر كل عام وأنتم بخير .

وعلى النصب تكون مفعولا به لفعل متعد محذوف تقديره :

تشهدون كل عام وأنتم بخـــير .

ب ـ وفى الصورة الثانيـــة :

يتعين نصب (كل) علـــى الظرفيـــة الزمانيـــة والتقديـــر : أنـــتم بخير كلَّ عام ، والظرف متعلق بما تعلـــق بـــه الجـــار والمجـــرور الواقع خبرا ، كما فى قوله تعالى : (كل يوم هو فـــى شـــأن) ، قـــال النسفى (٤/٢١٠) وينتصب كل يوم ظرفا بما دل عليـــه (هـــو فـــى شأن) .

٤ ـ (فبأى آلاء ربكمـا تكذبـان) :

هذه الآية الكريمة من أشهر آى القـــرآن الكريـــم ، وقـــد ذكـــرت فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ولـــم تذكـــر فـــى غـــير هـــذه الســورة .

وتعنى دراسة هذه الآية بالإجابة عن الأســـئلة الآتيـــة :

ما معنى آلاء ؟ وما نوع الفـــاء ؟ ومـــا معنـــى اليـــاء ؟ ومـــا نـــوع أى ؟ وما سبب تقدم الجار والمجرور ؟ ومـــا حكـــم ذلـــك التقديـــم ؟ ولم أسند الفعل إلى ألف الاثنين ؟ ومـــا ســـر تكريـــر هـــذه الآيـــة ؟ وهل يعد ذلك التكرير من قبيل التوكيـــد اللفظـــى ؟

معنـــى (آلاء) :

آلاء : نعـــم ، وهـــى جمـــع تكســير علـــى وزن (أفعـــال) ،

وأصلها (أألاو) وقعت الهمزة ثانية ساكنة بعد همزة مفتوحة فقلبت ألفا ، وتطرفت الواو بعد ألف زائدة فوجب قلبها همزة قال الجوهري: "والآلاء : النعم ، واحدها : (ألا) بالفتح ، وقد يكسر ويكتب بالياء مثل مِعًى وأمعاء"[١]

وقال اليزيدي : آلاء الله : نعم الله واحدها ألًا وإلو[٢]

وفي المفردات : الواحد ألا وإلي نحو : أنًا وإنًى لواحد الآناء[٣].

وفي المصباح المنير : الإلي : مقصور ، وتفتح الهمزة ، وتكسر: النعمة ، والجمع : الآلاء على وزن الأفعال ، مثل : سبب وأسباب لكن أبدلت الهمزة التي هي فاء ألفا استثقالا لاجتماع همزتين[٤] .

وفي لسان العرب : الآلاء : النعم ، واحدها ألا ـ بالفتح ـ وإلى وإلي[٥] .

---

[١] الصحاح ٢٢٧٠ .

[٢] غريب القرآن وتفسيره ليحيى بن المبارك اليزيدي ، ١٤٧ .

[٣] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ٢٢ .

[٤] المصباح المنير ٢٠ .

[٥] لسان العرب ١١٩ .

ومما سبق يظهر لنا أن مفرد آلاء ألا ــ بالفتح ، وإلى ــ بالكسر وإلى ، وإلو ــ بالياء والواو/والفاء ــ في هذه الآية عاطفة أو استئنافية .

وأىّ استفهامية[1] ، مجرورة بالياء وأىّ مضاف وآلاء مضاف إليه وآلاء مضاف (ورب) مضاف إليه ورب مضاف وضمير المخاطبين مضاف إليه .

ففى هذه الآية الكريمة : ثلاثة أسماء مضافة ، وثلاثة أسماء مضاف إليه ، والاسم الأول (أى) مضاف فقط ، والاسم الأخير ضمير المخاطبين ــ مضاف إليه فقط ، والثاني والثالث كل منهما مضاف ومضاف إليه ــ كما رأيت ــ والجار والمجرور متعلق بالمضارع (تكذبان) .

(تكذبان) : مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والألف فاعل مبنى على السكون في محل رفع فالآية ــ كما ترى مكونة من جملة فعلية واحدة .

وقد قدم الجار والمجرور على الفعل لكون المجرور اسم استفهام وهذا التقديم واجب لأن لأسماء الاستفهام صدر الكلام

---

[1] أى لها أربعة أنواع : استفهامية وشرطية وموصولة ووصف دال على الكمال ، انظر شرح ابن عقيل ٣/٦٥ ، والمعجم الوسيط ١/٣٥ .

فيجب تقديمها سواء أكانت مبتدأ مثل : أيكـــم يـأتينى بعرشـــها[١] أم خيرا مثل كيـــف حـــالك ؟ أم مفعـولا بـــه مثـل (فـــأى آيـــات الله (تنكرون) ؟[٢] ، أم مجرورا بـــالحرف كمـــا فـــى هـــذه الآيـــة ـ أم بالإضافة مثل : دار من تقصد ؟ وإنما وجه الخطـــاب لاثنيـــن لأنـــه موجه للثقلين : الإنس والجن ، ولكن الجانَّ لـــم يسـبق ذكــره فـــى الآيات الثنتى عشرة السابقة على أول آية ذكـــرت فيـــها (فبـــأى آلاء ربكما تكذبان) ، فقيل فى تعليل ذلـــك : لدلالـــة الأنـــام عليـــهما فـــى قوله تعالى : (والأرض وضعـــها للأنـــام)[٣] .

وقال الفراء : فى ذلك وجـــهان :

أحدهمـــا : أن العـــرب تخـــاطب الواحـــد بفعـــل الاثنيـــن فيقـــال : أرحلاها وازجراها يا غـــلام .

والوجه الآخر : أن الذكر أريد فى الإنســـان والجـــان فجـــرى لـــهما من أول السورة إلى آخرهـــا[٤] .

---

(١) النمل ٣٨ .

(٢) غافر ٨١ .

(٣) الرحمن ١٠ .

(٤) معانى القرآن للفراء ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى وعلى النجدى ناصف ٣/١١٤ .

وقال ابن قتيبة[١] ، لأنه ذكرهم[٢] بعـــد وقـــال : (وخلـــق الجـــان من مارج من نار) (الآيــــة ١٥) .

وعن السر فى تكرير هذه الآية يقـــول الكرمــــانى :

كرر الآية إحدى وثلاثين مرة ، ثمانية منــــها ذكـــرت عقيـــب آيـــات فيها تعداد عجــــائب خلـــق الله ، وبدائـــع صنعـــه ، ومبـــدأ الخلـــق ومعادهم ثم سبعة منها عقيب آيــــات فيـــها ذكـــر النـــار وشـــدائدها على عدد أبـــواب جـــهنم ، وحســـن ذكـــر الآلاء عقيبـــها لأن فـــى صرفها ودفعـــها نعمـــا تـــوازى النعـــم المذكـــورة أو لأنـــها حلـــت بالأعداء ، وذلك يعد من أكبر النعمــــــاء .

وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنـــات وأهلـــها علـــى عـــدد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتيـــــن دونـــهما .

فمن اعتقـــد الثمانيـــة الأولـــى وعمـــل بموجبـــها اســـتحق كلتـــا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة الســـابقة ، والله تعـــالى أعلـــم[٣] .

أما معنى الباء ووظيفتها فى هـــذه الآيـــة الكريمـــة فيدلنـــا عليـــه أن الفعل الذى تعلقت به الباء وهو (يكـــــذب) مضـــارع (كـــذب) ، و

---

[١] تأويل مشكل القرآن ، ٢٢٨ .

[٢] لعله يعنى قوله تعالى : (يا معشر الإنس والجن ...)

[٣] أسرار التكرير ف القرآن للكرمانى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ١٩٨ .

كذب) يتعدى بنفسه ويتعدى بالباء فمن الأول قوله تعالى : (فكذبوه فعقروها)[١] ، ومن الثانى قوله ـ سبحانه ـ : (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه)[٢] .

والظاهر أن "كذب" يتعدى بنفسه إذا تعلق بالمخبر ـ كما فى الآية السابقة وكما فى قوله ـ عز وجل ـ : (كذبت ثمود المرسلين)[٣] ، وقوله ـ سبحانه ـ : (فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)[٤] .

ويتعدى بالباء إذا تعلق بالمخْبَر به قال تعالى : (وكذبوا بآيتنا كذابا)[٥] ، (أرأيت الذى يكذب بالدين)[٦] ، (كذبت قوم لوط بالنذر)[٧] .

فالباء ـ فى قوله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) للتعدية لأن التكذيب متعلق بالآلاء لا بصاحب الآلاء .

---

(١) الشمس ١٤ .

(٢) الزمر ، ٣٢ .

(٣) الشعراء ١٢٣ .

(٤) القمر ٩ .

(٥) النبأ ٢٨ .

(٦) أول الماعون .

(٧) القمر ٣٣ .

وتكرير هذه الآية ـ فى هذه السورة ـ لا يعـد توكيـدا لفظيـا، لأن كل مرة ذكرت فيها هذه الجملة الفعليـة قصـد منـها التذكـير بالنعمة ، التى ذكرت قبلها فالمعنى مختلف وإن اتحـد اللفـظ وفـى التوكيد اللفظى يعاد اللفظ أو مرادفه دالا على المعنـى نفسـه الـذى دل عليه اللفظ الأول المؤكد ، ومثل ذلك يقال فـى تكريـر : (ويـل يومئذ للمكذبين) فى سـورة المرسـلات[١] .

وكلمة (آلاء) وردت مرتين فى غير هذه السـورة الكريمـة : وردت فى سورة الأعراف ـ على لسـان صـالح عليـه السـلام : (فـاذكروا آلاء الله ولا تعثـوا فـى الأرض مفسـدين)[٢] ، وفـى سورة النجم فى قوله تعالى : (فبأى آلاء ربـك تتمـارى) ، وبذلـك تكون هذه الكلمة قد وردت ثلاثا وثلاثين مـرة فـى ثـلاث سـورة من الذكر الحكيـم .

٥ـ المماراة والتمـارى :

قال تعالى : (أفتمارونه علـى مـا يـرى ـ فبـأى آلاء ربـك تتمـارى) .

وردت هاتان الآيتان الكريمتان فى سـورة النجـم (١٢/٥٥) .

---

[١] انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، جـ ٣ ، صـ ٧٩ ، ٨٠ .

[٢] الآية ٧٤ .

أفتمارونه : أفتجاد لونه من المراء ، وهو الجدال ، قال تعالى : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا)[١] .

تتمارى : تتشكك ، من المرية وهى الشك .

الفعل الأول : (تمارونه) مضارع مسند لواو الجماعة ماضيه (مارى) على وزن (فاعل) ثلاثى ناقص مزيد بحرف ومصدره (مراء) وهمزته منقلبة عن ياء ، و (مماراة) ومجرده (مَرَى) من باب "ضرب" جاء فى القاموس المحيط : مرى الناقة يمريها ، مسح ضرعها ، فأَمْرَتْ هى : درَّ لبنها ... والمرية ـ بالكسر والضم ـ الشك ، والجدل وماراه مماراة ومراء فامترى فيه وتمارى : شك[٢] وعند إسناده إلى واو الجماعة حذفت لامه وهى الياء وضم ما قبل واو الجماعة .

(تتمارى) مضارع على وزن (تتفاعل) ماضيه (تمارى) ثلاثى ناقص مزيد بحرفين هما الميم والألف ومصدره (التمارى) وأصله (التمارُى) ـ بضم الراء ـ على وزن التفاعل ، ثم كسر ما قبل الياء لمناسبتها كما فى التقاضى

---

[١] الكهف / ٢٢ ، قال النسفى ٣/٩ : فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرة غير متعمق فيه ، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب .

[٢] القاموس المحيط ٤/٣٨٩ ، انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٣١٤

والتفانى والتدانى ولئلا تقلـــب واوا .

ويظهر لنا مما سبق أن كلا مـــن (تمـــارون) ، (تتمـــارى) يعـــود إلى أصل واحد وهو المرى والمرية بمعنى الجـــدال والشـــك .

وأنهما يختلفان فى ثلاثة أشـــياء :

١ ــ (تمارون) ماضيه مـــارى ثلاثـــى مزيـــد بحـــرف واحـــد ، و (تتمارى) ماضيه تمارى ثلاثى مزيـــد بحرفيـــن .

٢ ــ أن مصدر الأول مراء ومماراة ومصـــدر الثـــانى التمـــارى .

٣ ــ أن الأول (تمارون) متعد ، والثـــانى (تتمـــارى) لازم .

والصلة بين الشك والجـــدل قويـــة ، لأن الجـــدال ــ غالبـــا ــ لا يكون إلا فى الأمور التى هى موضع تردد وشـــك عنـــد المجـــادل .

قال الراغب الأصفـــهانى[١] :

المرية : التردد فى الأمر ، وهو أخص من الشـــك ، قـــال تعـــالى : (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه)[٢] ، (فلاتَـــك فـــى مريـــة ممـــا يعبد هـــؤلاء)[٣] .

---

[١] المفردات فى غريب القرآن ، ٤٦٧ .

[٢] الحج /٤٤ .

[٣] هود /١٠٩ .

والإمتراء والممارأة : المحاجة فيما فيه مرية ، قال تعالى : (قول الحق الذى فيه يمترون)[١] ، ويمترى على وزن (يفتعل) وماضيه (امترى) من (الامتراء) بزيادة الهمزة والتاء .

٦ـ (فكيف كان نكير)[٢] :

يشكل على كثير من أبنائنا الطلاب إعراب مثل هذه الآية إذ يرون بعد كان اسما على آخره كسرة ، أو يرون المفعول به صحيح الآخر ، وعلى آخره كسرة كما فى قوله تعالى : (بل لما يذوقوا عذاب)[٣] ، (ربنا وتقبل دعاء)[٤] ، أو يرون المضارع مختوما بنون مكسورة كما فى قوله تعالى : (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين)[٥].

والكسرة فى هذه الكلمات وما أشبهها كسرة المناسبة التى تسبق ياء المتكلم ، والغالب فى القرآن الكريم حذف ياء المتكلم

---

(١) مريم / ٣٤ .

(٢) وردت هذه الجملة فى أربعة مواضع فى القرآن الكريم : الحج ٤٤ ، سبأ ٤٥ ، وفاطر ٢٦ ، والملك ١٨ .

(٣) ص / ٨ .

(٤) إبراهيم / ٤٠ .

(٥) الصافات ٩٩ .

وإبقاء الكسرة دليلا عليها ، فى أواخــــر الآيـــات الكريمـــة ، ســواء أكانت متصلة باسم أم بفعل ، والكسرة فى آخــر الفعــل تــدل علـــى ياء متكلم محذوفة وتعرب مفعــولا بــه كمــا فـــى (ســيهدين) قـــال تعالى : (يا عباد فـــإتقون)[١] ، وهـــذه النـــون نـــون الوقايـــة التـــى تتصل بآخر المضارع والأمر حمايـــــة لآخــر الفعــل مــن الكســر الذى تقتضيه ياء المتكلم ، أما الكسرة فى آخــر الاســم فتــدل علـــى إضافته لهذه الياء المحذوفة وهذا الاسم حســـب موقعـــه الإعرابـــى، يرفع أو ينصب أو يجر بحركة مقدرة منــع مــن ظـــهورها اشـــتغال المحل بحركة مُنَاسَبة والياء المحذوفة ضمير مبنـــى علـــى الســـكون فى محل جر لأنها مضاف إليـــه .

بعد ذلك التوضيح نعـــود ـ بعــون الله ـ إلـــى إعــراب الآيـــة التى صدر بها هذا المبحث وهى : (فكيف كـــان نكـــير) .

الفاء : حرف عطف أو اســـتئناف .

كيف : اسم استفهام مبنى على الفتـــح فـــى محـــل نصـــب علـــى الحالية إن كانت كان تامة ترفع فـــاعلا .

وعلى أنها خبر كان إن قدرناهـــا ناقصـــة .

---

(١) سورة الزمر .

(نكير) فاعل كـان ـ علـى الاحتمـال الأول أو اسمها علـى الاحتمال الثانى وعلـى الاحتمـالين هـو مرفـوع وعلامـة رفعـه ضمة مقدره منع من ظهورها اشـتغال المحـل بحركـة المناسـبة ، وياء المتكلم التى دلت عليها كسرة المناسـبة مضـاف إليـه مبنـى على السكون فى محل جـر .

ومثل هذا إعـراب (فكيـف كـان عذابـى ونـذر)[١] ، وكلمـة (نذر) معطوفة على اسم كان أو فاعلها مرفوعـة وعلامـة رفعـها ضمة مقدرة منع من ظهورها كسـرة المناسـبة .

والحمـد لله أولا وآخـرا والصـلاة والسـلام علـى المبعـوث رحمة للعالمين ، من ختـم الله بـه الرسـل وأرسـله للنـاس كافـة هاديا ومبشرا ونذيرا ، سيد الخلـق ورسـول الحـق ، محمـد بـن عبد الله وعلى آله وصحبـه ،

أ.د/على أحمد طلب
الأستاذ المتفرغ فى كلية اللغة العربية بأسيوط

---

[١] القمر/ ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .

أهم مراجع البحث

١ - القرآن الكريم .

٢ - أسرار التكرير في القرآن الكريم للكرماني ، تحقيق : أحمد عبد القادر عطا .

٣ - إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د. زهير عابد .

٤ - إعراب مشكل القرآن لمكي بن أبي طالب ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن.

٥ - ألفية ابن مالك في النحو والصرف .

٦ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ : محمد محي الدين عبد الحميد .

٧ - البحر المحيط لأبي حيان ، مصورة ، الطبعة الأولى .

٨ - البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه .

٩ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد صقر .

١٠ - التبيان في إعراب القرآن للعكبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

١١ - تفسير الآلوسي (روح المعاني) .

١٢ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .

١٣ - تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي ، وجلال الدين المحلي) .

١٤ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) .

١٥ - حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية) .

١٦ - حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية .

١٧ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .

١٨ - الدر اللقيط من البحر المحيط لابن مكتوم ، مطبوع على هامش البحر المحيط .

١٩ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط .

٢٠ - ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراء .

٢١ـ ديوان عمر بن أبى ربيعة ، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب .

٢٢ـ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٣ـ شرح ابن الناظم للألفية تحقيق د/ عبد الحميد السيد عبد الحميد .

٢٤ـ شرح شذور الذهب لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٥ـ غريب القرآن وتفسيره ليحيى بن المبارك اليزيدى ، تحقيق محمد سليم الحاج .

٢٦ـ القاموس المحيط للفيروزابادى ، مصورة ، الطبعة الأولى .

٢٧ـ كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

٢٨ـ كتاب السبعة لابن مجاهد تحقيق د/ شوقى ضيف .

٢٩ـ الكشاف للزمخشرى .

٣٠ـ (لا) واستعمالاتها فى القرآن الكريم ، د/ على أحمد طلب .

٣١ـ لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف .

٣٢ـ المصباح المنير للفيومى ، تحقيق د/ عبد العظيم الشناوى ، طبعة دار المعارف .

٣٣ـ معانى القرآن للفراء ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى ، الأستاذ على النجدى ناصف .

٣٤ـ معانى القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق د. عبد الجليل شلبى .

٣٥ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى .

٣٦ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣٧ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٣٨ـ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى .

من صور الامتناع من نقض الغرض عند العرب وأسراره النحوية والصرفية

للدكتور
محمود أحمد شحاته حسانين
أستاذ مساعد بقسم اللغويات
كلية اللغـة العربية بجرجا

من صور الامتناع من نقض الغرض عند العرب وأسراره النحوية والصرفية

الدكتور
محمود أحمد شحاته حسانين
أستاذ مساعد بقسم اللغويات
كلية اللغة العربية بجرجا

مقدمة :

الحمد لله العلى العظيم ، والصلاة والسلام على النبى الأمين، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابته الغر المحجلين ، ومن نهج نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين .

وبعد ...،

فهذا بحث وفقنى الله – تعالى – إلى جمع جزيئاته المتناثرة، فى بطون أمهات الكتب ، بعد جهد يعلم الله به .

والذى حفزنى على إختياره ما رأيته من آراء نحوية وصرفية مختلفة فى بعض المسائل ، كحكم حذف الخبر مع (كان) أو إحدى أخواتها ، وكحكم حذف عامل المصدر المؤكد ، وكإمتناع تنوين المضاف ، وكأيهما أولى بالحذف : هل ألف المصدر ، أو واو المفعول – من المعل العين – أو الحرف

الأصلى الذى هو عين الفعـــل ؟

وكامتناع إدغام أول المثلين إذا كانا فـــى وزن ملحـــق .

ونحو ذلك ، وما سبق من حجـــج لكـــل رأى ، ومـــا جـــاء مـــن ردود عليـــها .

لذا سألت الله ــ عز وجل ــ أن يوفقنى إلـــى جمـــع شـــتات مـــا تناثر ، فى بطون الكتب لـــهذه القضايـــا ، حتـــى يســـهل الرجـــوع إليها ــ عند الحاجة ــ فكان ــ بعونـــه وفضلـــه ــ هـــذا البحـــث ؛ الذى جاء عنوانـــه :

(من صور الإمتناع من نقض الغرض عند العرب ، وأسراره النحوية والصرفية)

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون فـــى : مقدمـــة ، وفصليـــن، وخاتمـــة .

أما المقدمة : فقد ذكرت فيـــها الســـبب الداعـــى لـــهذا البحـــث ، وخطة السير فى إعـــداده .

وأما الفصـــل الأول : فقـــد أفردتـــه للمســـائل النحويـــة ، وقـــد اشتمل على تسعة مباحث وهـــى :

المبحث الأول : امتناع تعريف الفعل وتنوينه .

المبحث الثانى : امتناع وصف العلم الذى لا شريك له فى العلمية .

المبحث الثالث : حكم حذف الخبر مع (كــان) ، و (ليس) .

المبحث الرابع : امتناع حذف عامل المصــدر المؤكـد .

المبحث الخامس : امتناع حذف المقسم عليه وتبقيــة القســم .

المبحث السادس : امتناع تنوين المضاف ، وقلــة حــذف المضــاف إليه .

المبحث السابع : الامتناع ــ قياسا ــ مــن حــذف الموصـوف ، أو الصفة ، أو المؤكـد .

المبحث الثامن : حذف نون الرفع ، وامتناع حــذف نــون التوكيـد، عند اجتماعـهما .

المبحث التاسع : امتناع إلحاق من بــ (أفعــل) التفضيـل المقـرون بــ (أل) .

وأما الفصل الثاني : فقــد أفردتــه للمســائل الصرفيــة ، وقــد اشتمل على أربعة مباحث ، وهـــي :

المبحث الأول : حذف العين مــن مصــدر الفعـل المعـل العيـن ، ومن اســم المفعــول مــن نحــو : (قــال) ، و (بــاع) علــى رأى الأخفـش .

المبحث الثــانى : امتنــاع تثنيــة المثنــى ، وحــذف تــاء المفــرد المؤنث، عند جمعه بالألف والتــاء .

المبحث الثالث : امتناع تحريك هــاء الســكت .

المبحث الرابع : امتناع إدغام الملحــــق .

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التـــى توصلــت إليــها من خلال هذا البحــث .

وقد رتبت هذه المباحث على حســب ترتيــب أبــواب الألفيــة ، لسهولة الرجوع إلى المطلوب عند الحاجة وأحيانا قــد أجمــع أكـثر من موضوع فى مسألة واحدة ، وذلك لوجــود حكــم واحــد يشـمل الجميع ، كما فى الامتناع مــن حــذف الموصــوف ، أو الصفــة ، أو المؤكـد .

أو لأن الحكم يشمل الجميع ـ عند مــن قــال بــه ـ كمــا فــى حذف العين من مصدر الفعل المُعَـلّ العيـن ، ومــن اســم مفعولــه من الثلاثى ، عند الأخفــش .

والله يعلم أننى قد بذلت ـ فـى هــذا الموضــوع ـ مــا وفقـت إليه من جهد ووقت ـ رجاء أن ينال رضــا الله ، ثــم رضـا أهــل العلم ومُحبيــه ، ولعلــه يضيــف إلــى المكتبــة العربيــة جديــدا ، ويوضع فى ميزان الحسنات يــوم أن نلقــاه .

وآخر دعوانا أن الحمــد لله رب العــالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبــه وسـلم .

الفصل الأول
الصـــور النحويـــة

المبحث الأول
امتناع تعريف الفعل وتنوينه

الغرض من الفعل إفادته ، فلابـــد مـــن أن يكـون منكـــورا ، لا يسوغ تعريفه ، لأنه لـــو كـــان معرفـــة لمـــا كـــان مســـتفادا ، لأن المعروف قد غَنِيَ بتعريفه عن اجتلابه ، لِيُفَاد مـــن جملـــة الكـــلام ، ولذلك قيـــل : إن حكـــم الجـــزء المســـتفاد مـــن الجملـــة أن يكـــون منكورا ، والمفاد هو الفعل لا الفـــاعل ، ولذلـــك لـــو أخـــبر بمـــا لا شك فيه ، لعجب منـــه .

فلما كان كذلك ، لم يجز تعريف ما وضعه علـــى التنكـــير .

ألا تراه يجرى وصفا على النكـــرة ، نحـــو : (مـــررتُ برجـــلٍ يقرأ) ، فهذا كقولك : (قَـــارِئٌ) .

ولو كان معرفة لاستحال جريه وصفا علـــى النكـــرة[1] .

---

[1] ينظر الخصائص : ٣/٢٣٣ .

ولذلك نجد أداة التعريف اختصت بالاسم ، ولم تدخل على الفعل .

قال الأشموني : "أصل معنى (أل) التعريف ، وهو لا يكون إلا للاسم"[(١)] أ.هـ

لأن وضع الفعل على التنكير والإبهام[(٢)].

فحرف التعريف في اختصاصه بالاسم ، كحرف التنفيس في اختصاصه بالفعل ، فكما لا يدخل حرف التنفيس على اسم ، لا يدخل حرف التعريف على فعل[(٣)].

فلو عرف الفعل ، لكان نقضا للغرض الذي وضع من أجله.

قال في الهمع : "من علامات الاسم حرف التعريف ، إذ لاحظ لغير الاسم في التعريف"[(٤)] أ.هـ .

أما (أل) الموصولة : فذهب الجمهور : إلى أنها اختصت بالاسم ـ أيضا ـ وأن دخولها على الفعل ضرورة .

---

(١) ينظر الأشموني : ١/٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ينظر الصبان : ١/٤٠ .

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ١/٢٠١ ، ٢٠٢ ، وراجع الأشموني : ١/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) ينظر الهمع : ١/٥ .

وذهب ابن مالك[١] ، وبعض الكوفيين : إلى جواز دخولها على الفعل إختيارا .

وقال الشيخ عبد القاهر : هو من أقبح الضرورات .

ومنه قول الشاعر :

ما أنتَ بالحكمِ التُرضَى حُكُومتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجدلِ[٢]

فأدخل (أل) على (تُرْضَى) وهو فعل مضارع .

والذى سوغ دخول (أل) عليه ، كونه يشبه الوصف نحو : مَرْضِىٌّ .

وحجة الناظم ومن وافقه : أن الشاعر متمكن من أن يقول : المُرَضَى[٣] .

---

[١] ينظر شرح التسهيل : ٢٠١/١ ، ٢٠٢ ، وراجع الأشمونى : ١٦٥/١ .

[٢] من البسيط ، وقائله الفرزدق ، يهجو إعرابيا فضل جريرا عليه وعلى الأخطل .

المفردات : الحكم : الذى يحكمه الخصمان ، الأصيل : الحسيب ، الجدل : شدة الخصومة .

والشاهد فى قوله : (الترضى) حيث أدخل (أل) على (ترضى) وهو فعل مضارع مبنى للمجهول ، و (حكومته) نائب الفاعل به .

من مواضعه : شرح التسهيل لابن مالك ٢٠١/١ ، وأوضح المسالك : ٢٠/١ ، ١٥٠ ، والتصريح : ٣٨/١ ، ١٤٢ ، والهمع : ٨٥/١ ، والأشمونى : ١٦٥/١ .

[٣] ينظر التصريح : ٣٨/١ ، ٣٩ ، ١٤٢ ، والأشمونى : ١٦٥/١ ، والصبان : ٣٧/١ ، ٣٨ .

وهذا بناء على مذهبه ، من أن الضرورة ما اضطر إليها الشاعر ، ولم يجد عنها مندوحة .

وضعف مذهب ابن مالك : بأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها ، بنظم تركيب آخر[1] .

وفي المسألة مذهب ثالث : وهو الجواز على قلة[2].

وأما إمتناع تنوين[3] الفعل ، واختصاصه بالاسم ، فلأن معاني التنوين الأربعة — وهي الدلالة على الأمكنية ، والتنكير ، والمقابلة ، والعوض — لا تتأتى في غير الاسم .

قال في شرح التسهيل : "وأما : التنوين ، فإما أن يدل على بقاء الأصالة ، وهو تنوين الصرف ، كـ (رجل) ، و (زيد) فلا يلحق غير الاسم ، إذ الأصالة له ، فيدل على بقائها .

وإما أن يدل على تنكير ما هو صالح للتعريف ، كـ (صهٍ)، و(أفٍّ) فلا يلحق غير اسم ، لعدم الحاجة إليه .

---

(1) ينظر الصبان : ١/١٦٥ .

(2) ينظر التصريح : ١/١٤٢ ، والصبان : ١/١٦٥ .

(3) التنوين — في الأصل — مصدر نونت الكلمة ، أي : أدخلت عليها نونا .

وفي الإصطلاح : نون ساكنة أصالة ، تلحق الآخر لفظا ، لا خطأ ، لغير توكيد ، أو روى .

أ.هـ ، التصريح بمضمون التوضيح : ١/٣٠ ، ٣١ .

وإما أن يكون عوضا عن مضاف إليـــه ، كـــــ (حِينَئِــذٍ) ، فــلا يلحق غير اسم ، لأن الإضافة مــن خصائصـــه .

وإما أن يكون دليلا على مقابلـــة جمـــع مؤنـــث بجمـــع مذكـــر ، كـــــ (مُسْــلِمَاتٍ) ، فــلا يلحــق غــير اســم ، لأن الجمـــع مـــن خصائصه"[١] . أ.هـــ

[١] شرح التسهيل لابن مالك : ١١/١ ، وراجع الهمع : ٧٩/٢ ، ٨٠ .

المبحث الثاني

امتناع وصف العلم الذي لا شريك له في العلمية

العلم : مأخوذ إما من علم الأمير ، أو من علم الثوب ، لكونه علامة على المسمى .

أو من العلم ، إذ به يعلم المسمي بعينه عند ذكره .

وفي الاصطلاح : ما علق على شئ بعينه ، غير متناول ما أشبهه .

وقيل : هو ما وضع لتعيين المسمى[١] .

وقيل : هو المخصوص مطلقا غلبة ، أو تعليقا بمسمى غير مقدر الشياع ، أو الشائع الجاري مجراه[٢] .

وذهب الكوفيون[٣] والسيرافي : إلى أن الاسم العلم أعرف

---

(١) ينظر شرح ألفية ابن معطي : ١/٦٣٤ .

(٢) ينظر الارتشاف : ١/٤٦٩ .

(٣) وذهب قوم : إلى أن عرف المعارف المضمر ، ثم الاسم العلم ، ثم المبهم ثم ما فيه الألف واللام. وذهب قوم : إلى أن المبهم أعرف المعارف ، ثم المضمر ، ثم العلم ، ثم ما فيه الألف واللام وهو رأي أبي بكر بن السراج ، ينظر بن يعيش : ٥/٨٧ .

المعارف ، ثم المضمر ، ثم المبهم ، ثم ما عـرف بـالألف والـلام.

واحتجوا : بأن العلم لا اشتراك فيه في أصـل الوضـع ، وإنمـا تقع الشركة عارضة ، فلا أثر لـهـا[1] .

والأصل في المعارف ألا توصف مطلقـا ، لأن وضعـها علـى التخصيص ، إلا أنه لما كـان يعـرض فـي شـئ منـها شـركة ، احتاج إلى الوصف ، لإزالة الشـركة العارضـة[2] .

أما : إذا كان العلم مختصا بمسمى واحـد ، واشـتهر بـه ، فـلا يحتـاج إلـى وصـف ـ حينئـذ ـ كـان ذلـك نقضـا للغـرض الذي وضع مـن أجلـه ، لأنـه وضـع ليغنـي عـن الأوصـاف الكثيرة .

أما : إذا كثر المُسَمَّوْنَ به ، فإنه يوصـف ، لأنـه ـ حينئـذ ـ يدخله اللبس .

قال ابن جني : "مـا كـان مـن الأعـلام لا شـريك لـه فـي العلمية، فإنه لا يوصـف ، وذلـك كقولنـا : (الفـرزدق) ، فإنـه لا يوصف ، فيقال : التميمي ، ولا نحو ذلك ، لأنه لـم يسـم بـه أحـد غيره ، وإذا نكرته باسمه الذي هو (هَمَّام) جـاز وصفـه ، فقلـت :

---

[1] ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٥/٨٧ .

[2] ينظر شرح ألفية ابن معطي : ١/٧٥١ .

هَمَّامُ بنُ غَالبٍ ، لأنَّ (هماماً) شُورِكَ فيه ، فجاز لذلك إلحاق الوصف له".

فإن قلت : فقد يكثر في الأنساب ، وصف كثير من الأعلام التي لا شركة فيها ، نحو قولهم : "فلانُ بنُ يَشْجُبَ[١] بنُ يَعْرُبَ بنُ قَحْطَانَ" ، ونظائره كثيرة .

قيل : ليس الغرض إلا التنقل به ، والتصعد إلى فوق ، وإعلام السامع وجه النسب ، وأن فلانا اسم أبيه كذا ، واسم جده كذا ، واسم أبي جده كذا .

فإنما البغية بذلك استمرار النسب ، وذكر الآباء شيئاً فشيئا على تـوال .

وعلى هذا يجوز ـ أيضا ـ أن يقال : الفرزدق بن غالب .

فأما على التخليص والتخصيص فلا[٢] . أ.هـ .

وأن الوصف الممتنع للأعلام التي لا شريك لها في العلمية،

---

[١] بنو الشجب : قبيلة من كلب ، و(يشجب) : حي ، وهو : يشجب بن يعرب بن قحطان . أ.هـ .

اللسان : ٢١٩٦/٤ ، وراجع تاج العروس ٣٠٩/١ .

[٢] الخصائص : ٢٣٩/٣ .

إنما هو الوصف الـــدال علـــى توضيـــح المعرفـــة ، أمـــا الوصـــف المقصود به غير ذلك من الأغراض كـــالمدح أو الـــذم أو الـــترحم، فلا مانع من وصف العلم المتمـــيز بـــه مثـــل :"بســم الله الرحمــن الرحيم".

المبحث الثالث
حكم حذف الخبر مع (كان) و (ليس)

اختلف النحاة فى حكم حذف خبر (كان) أو إحدى أخواتها على مذاهب ، نذكرها فيما يلى :

١ ـ ذهب ابن مالك ، وتبعه الدماميني[١] : إلى أن لا يجوز حذف الخبر فى الجميع ، إلا مع (ليس) فيجوز حذف خبرها ، اختيارا ، ولو بلا قرينة ، إذا كان اسمها نكرة عامة ، تشبيها بـ (لا) .

قال فى شرح التسهيل : "ولإفادة (ليس) النفى اختصت من بين أخواتها بجواز الاقتصار على اسمها ، دون قرينة زائدة على كون الاسم نكرة عامة ، لأنه بذلك يشبه اسم (لا) فيجوز أن يساويه فى الاستغناء به عن الخبر ، كقول الشاعر :

أَلاَ يَا ليلُ ويحكِ نَبئِينَا ... فَأَمَّا الجودُ منكِ فليسَ جُودُ[٢]

---

[١] ينظر تعليق الفرائد : ٣/٢١٦ .

[٢] من الوافر ، وقائله عبد الرحمن بن حسان .

والشاهد فى قوله : (فليس جود) ، حيث حذف خبر (ليس) وسوغ ذلك كون الاسم نكرة عامة ، تشبيها بـ (لا) .

من مواضعه : الكتاب : ١/٣٨٦ ، والهمع : ١/١١٦ .

أراد : ليس منك جود ، أو ليس عندك جود .

ومثله قول الآخر :

يئستم وخِلتم أنَّـهُ لَيْسَ ناصـرٌ ... فَبُوئتمْ من نَصْرنـا خَيرَ مَعْقِلِ[١]

وحكى سيبويه[٢] : ليس أحد ، أي ليس هنا أحد"[٣] . أ.هـ .

وما قاله ابن مالك ذهب إليه الفراء ، وقال : يجوز في (ليس) خاصة أن يقول : (ليْسَ أحدٌ) ، لأن الكلام قد يتوهم تمامه بـ (ليس) ، أو نكرة كقوله : (ما مِنْ أَحدٍ)[٤].

٢ ـ ذهب بعض النحاة ـ منهم أبو حيان وأصحابه ـ : إلى أنه لا يجوز حذف خبر (كان) ، لا اقتصارا ، ولا اختصارا ، وإن كان قياسه الحذف ، لأنه في الأصل خبر عن المبتدأ ، وفي الحال مشبه بالمفعول به ، لأنه منصوب بعد مرفوع .

ولكن منع من حذفه مانع آخر ، وهو : كونه عوضا من المصدر ، فلو حذف لكان نقضا للغرض الذي جئ به من أجله،

---

(١) من الطويل : ولم اهتد إلى قائله .

والشاهد في قوله : (ليس ناصر) ، وهو كالذي قبله .

من مواضعه : الارتشاف : ٢/٩٤ ، واضع : ١/١١٦ .

(٢) ينظر الكتاب : ٢/٣٤٦ .

(٣) شرح التسهيل : ١/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٤) ينظر اضع : ١/١١٦ .

وأما : ما ورد من حذفه ، فهو ــ عندهم ــ ضرورة .

قال في الارتشاف : "ولا يكون حذف الخبر عند أصحابنا إلا في الضرورة ، وذلك أنه لا يجوز عندهم حذف الاسم ، ولا حذف الخبر ، لا اقتصارا ولا اختصارا ، إلا أنه قد يرد حذف الخبر في الشعر ، وليس يختص حذفه بـ (ليس) ، بل قد سمع في غيرها نحو :

فَـإنْ قصَـدُوا لِمُرِّ الحقِّ فأقْصِـد ... وإنْ جَارُوا فَجُـر حتَّى يَصِيرُوا[1]

أي : تبعا لك"[2] . أ.هـ .

٣ ــ ذهب بعض النحاة : إلى جواز حذف الخبر اختصارا ، كأن يقال ــ في جواب من قال : أكنت غائبا : كنت .

وتقول : أكان زيد يقوم ، فيقال : قد كان[3] .

وهذا المذهب هو ما تميل إليه النفس ، إذ لا مانع من حذف الخبر اختصارا ، كما في الأمثلة السابقة ، لدلالة قرينة السؤال

---

(١) من الوافر ، وقائله : عمرو بن الأهتم .

والشاهد في قوله : (يصيروا) ، حيث حذف خبر (صار) ، أي ، يصيروا تبعا لك ، ولا يقاس على هذا ونحوه .

(٢) ينظر الارتشاف : ٢/٩٥ ، وراجع الهمع : ١/١١٦ ، والأشباه والنظائر : ١/٢٨٨ .

(٣) راجع الإرتشاف : ٢/٩٥ .

على ما حذف ، ولذلك جاز حذف خـــبر (ليــس) تخفيفــا واســتغناء بعلم المخاطب بما يراد ، كما في قولـــهم (ليــس أحــد) أي : ليــس هنا أحـد .

إلا أن ابن مالك جعل المحذوف فـــي هــذا دون قرينـــة ، ولكــن علم المخاطب بما يغني عـــن القرينـــة .

المبحث الرابع
إمتناع حذف عامل المصدر المؤكد

ذهب ابن مالك : إلـــى أنـــه لا يجـوز حـذف عـــامل المصـدر المؤكد ، معللا لذلك : بأن المصدر المؤكد مســـوق لتقريـــر عاملـــه وتقويته ، والحذف مناف لذلــك ، فلـم يجــز ، لأنـــه ــ حينئــذ ــ يكون نقضا للغرض الذى جئ بـــه .

قال فى شرح الكافيـــة : "المَصْـــدر المؤكـــد يقصـــد بـــه تقويـــة عامله وتقرير معناه ، بخلاف المصدر المبيـــن عـــددا ، أو نوعـــا ، فإنه يدل على معنى زائد على معنى الفعل ، فأشـــبه المفعـــول بـــه ، فجاز حذف عامله ، كمـــا جـــاز حـــذف عـــامل المفعـــول بـــه"[١] . أ.هـــ .

ونازع ابن الناظم والده ــ فى هذه المسألة ــ بمـــا حاصلـــه : أنه إن أراد أن المصدر المؤكد ، يقصد بـــه تقويـــة عاملـــه وتقريـــر معناه دائما ، فلا شـــك أن حذفـــه منـــاف لذلـــك القصـــد ، ولكنـــه ممنوع ولا دليل عليـــه .

وأن أراد أن المصدر المؤكـــد يقصـــد بـــه التقويـــة والتقريـــر ،

---

[١] شرح الكافية الشافية : ٢/٦٥٧ ، ٦٥٨ ، وراجع الأشمونى : ٢/١١٥ .

وقد يقصد به التقرير ، فمسلم ، ولكن لا نسلم أن الحذف منافٍ لذلك القصد ، لأنه إذا جاز أن يقرر معنى العامل المذكور ، بتوكيده بالمصدر فلأن يجوز أن يقرر معنى العامل المحذوف ، لدلالة قرينة عليه أحق وأولى .

وبأنه قد حذف جوازا ، إذا كان خبر اسم عين في غير تكرير ولا حصر ، في نحو : (أَنْتَ سيراً) وحذف وجوبا مع التكرير في نحو : (أنت سيراً سيراً) ، و (ما أنتَ إلاَّ سيراً) .

وفي غير ذلك ، نحو : (سقياً ورعياً) ، و (حمداً وشكراً لا كُفراً) .

فَمَنْعُ مثلِ هذا ، إما : للسهو عن وروده .

وإما : للبناء على أن المسوغ لحذف العامل فيه ، نية التخصيص[1] ، وهو دعوى على خلاف الأصل ولا يقتضيها فحوى الكلام[2] .

ورد ابنُ عقيل منازعة ابن الناظم ، بأن جميع الأسئلة التي ذكرها ابن الناظم ليست من المصدر المؤكد في شيء ، بل

---

(1) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ١/٣٢٩ .

(2) أي : فتجعل مصادر نوعية ، ويقدر لها نعتا محذوفا ، أي : سقيا عظيما ، أو نافعا ، وهكذا.
ينظر حاشية يس على التصريح : ١/٣٢٩ ، ٣٣٠ .

المصدر فيها نائب مناب الفعل ، عوض منه ، دال على ما يدل عليه ، بدليل عدم جواز الجمع بينهما .

قال ابن عقيل : "وقول ابن المصنف : إن قوله : "وحذف عامل المؤكد امتنع" سهو منه ـ لأن قولك : (ضرباً زيداً) مصدر مؤكد ، وعامله محذوف وجوبا ـ ليس بصحيح .

وما استدل به على دعواه من وجوب حذف عامل المؤكد ، ليس منه ، وذلك لأنّ (ضرباً زيداً) ، ليس من التأكيد في شيء ، بل هو أمر خالٍ من التأكيد ، بمثابة : اضربْ زيداً ، لأنه واقع موقعه ، فكما أن (اضربْ زيداً) لا تأكيد فيه ، فكذلك (ضرباً زيداً) .

وكذلك جميع الأمثلة التي ذكرها ، ليست من باب التأكيد في شيء ، لأن المصدر فيها نائب مناب العامل ، دال على ما يدل عليه ، وهو عوض منه ، ويدل على ذلك عدم جواز الجمع بينهما ، ولا شيء من المؤكدات يمتنع الجمع بينها وبين المؤكد .

ومما يدل على أنّ (ضرباً زيداً) ـ ونحوه ـ ليس من المصدر المؤكد لعامله : أن المصدر المؤكد لا خلاف في أنه لا يعمل ، واختلفوا في المصدر الواقع موقع الفعل ، هل يعمل أو لا ؟

والصحيح أنه يعمل ، فـ (زيداً) ـ في قولك : (ضرباً زيداً) ـ منصوب بـ (ضرباً) على الأصح .

وقيل : إنه منصوب بالفعل المحذوف ، وهو : (اضربْ) .

فعلى القول الأول : ناب : (ضرباً) عن (اضربْ) في الدلالة على معناه ، وفي العمل .

وعلى القول الثاني : ناب عنه في الدلالة على المعنى دون العمل[1]" أ.هـ .

وقول ابن عقيل : "إن جميع الأمثلة التي ذكرها ابن الناظم ، ليست من المؤكد في شيء ، بل المصدر فيها نائب مناب الفعل ... الخ" : فيه نظر .

لأنه لا يأتي في نحو : (أنت سيراً) ، إذ يجوز أن يقال : (أنتَ تسيرُ سَيراً) .

كما أنه يلزم من كلامه : زيادة أقسام المصدر على الثلاثة المذكورة في قول الناظم :

"توكيداً أو نوعاً يُبِيِّنُ أو عَدَد"

إلا أن يكون مراده : أن تلك الأمثلة ليست من المؤكد الآن ،

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل : ١/٥٦٣ ، ٥٦٤ .

وإن كانت منه بحسب الأصـــــل[(١)] .

قال الشيخ يس : معلقا على قول الموضـح ـ الذى نقلـه عنـه الشيخ خالد ـ : "والحق أن المصدر النائب عن فعلـه مـن قسـم المصدر المؤكد" ـ أى : بحسب الأصل ، وأمـا بحسـب الحـال ، فهى بدل من أفعالها ، وبه يجمع بين كلام النـاظم ومـن اعـترض.

ثم إن إطلاق كونها من المؤكد بحسـب الأصـل مشـكل ، فـإن منها ما هو من النوعى[(٢)(٣)] أ.هـــــ .

وما ذهب إليه ابن مالك هو ما تميـل إليـه النفـس ، لأن حـذف عامل المصدر المؤكد يعد نقضـا للغـرض الـذى جـئ بـالمصدر من أجلـه .

قال الشاطبى ـ فيما نقله عنه الشـيخ خـالد ـ : "إن مـا قالـه ابن الناظم غير لازم ، لأنه إذا أريد تقريـر معنـى العـامل ، فقـد قصد الإتيان بلفظ آخـر ، يقـرر معنـى اللفـظ الآخـر ويؤكـده ،

---

(١) ينظر الصبان على الأشمونى : ١١٦/٢ .

(٢) أى : كقوله تعالى : (فضرب الرقاب) ، أى : فاضربوه ضرب الرقـاب ، ينظـر التصريـح : ٣٣١/١ .

(٣) حاشية يس على شرح التصريح : ٣٣٠/١ .

فحذفه مع هذا القصد نقض للغـــرض"(١) أ.هـــــ .

وأما قول ابن مـــالك :

"والحذفُ حَتْمٌ مَعَ آتٍ بدلاً   مِـــنْ فِعْلِـــهِ ..."

فهذا مستثنى من قولـــه :

"وَحَذْفُ عَاملِ المُؤكدِ امْتَنَـــعْ ..."

قال الشيخ خالد ــ نقلا عن الموضح فى بعـــض حواشـــيه علـــى الخلاصة ــ : "والحق أن المصدر النـــائب عـــن فعلـــه مـــن قســـم المصدر المؤكد ، وهى فى معنى الاستثناء مـــن قولـــه :

"وحذف عامل المؤكد امتنـــع ..."(٢) أ.هـــــ .

---

(١) شرح التصريح : ٣٢٩/١ .

(٢) شرح التصريح : ٣٣٠/١ .

المبحث الخامس

امتناع حذف المقسم عليه وتبقية القسم

القسم جملة يجاء بها لتوكيد جملة ، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء .

وكلتاهما اسمية وفعلية .

والمؤكدة هي الأولى ، والمؤكدة هي الثانية ، وهي المسماة جوابا .

قال ابن مالك :

جُمْلَةٌ اسميةٌ أو فِعليةٌ   للقسمِ اجعلْ قاصِداً إليهْ

نحو : (على عهده) و (أقسم .... به) وجملة الجواب تختم[1] .

وينقسم إلى صريح ، وغير صريح :

فالقسم الصريح : هو ما يعلم بمجرد لفظه كون الناطق به مقسما ، كـ : (أحلفُ باللهِ) ، و (أنَا حالِفٌ باللهِ) ، و (لَعَمْرُ اللهِ) ، و (أَيْمُنُ اللهِ).

والقسم غير الصريح : ما ليس كذلك ، نحو : (عِلْمُ اللهِ) ، و (عَاهَدتُ اللهَ) ، و (وَاثَقْتُ الله) ، و (عليَّ عَهدُ الله) ، و (فِي

---

[1] ينظر شرح الكافية الشافية : ٢/٨٣٣ ، ٨٣٤ .

ذِمَّتِي مِيثَاقٌ) .

فليس بمجرد النطق بشئ من هذا الكلام ، يعلم كونه قسما ، بل بقرينة ، كذكر جواب بعده ، نحو : (عَلَيَّ عَهْدُ الله لأنصرنَّ دينَه) ، ومنه قوله ــ تعالى ــ : (نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ الله)[1] ، ويدل على أنه ــ هنا ــ قسم ، كسر همزة (إن) بعده ، وتسميته يمينا في قوله ــ تعالى ــ : (اتَّخذُوا أَيمَانَهُم[2] جُنَّةً[3]) .

وأدواته : "الباء ، والواو ، والتاء ، واللام ، و(من)[4] ، وأيمن" .

وأكثر هذه الأدوات الواو ، ثم الباء ، وهما يدخلان على محلوف به ، تقول : (واللهِ لأفعلنَّ) و (باللهِ لأفعلنَّ)[5] .

والباء : هي أصل حروف القسم ، لأنها حرف إضافة ، ومعناه : الإلصاق ، فأضافت معنى القسم إلى المقسم به ، وألصقته به ، نحو قولك : (أَحْلِفُ باللهِ) ، كما توصل الباء المرور إلى الممرور به ، في

---

(١) سورة المنافقون من الآية ١ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ١٦ .

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٣/١٩٥ ، ١٩٦ .

(٤) قالوا في القسم : (مِن ربي إنك لأشر) ، وأجازوا ضم ميم (من) هذه ، وزعم بعضهم أن (من) مختصر من (أيمن) .

(٥) ينظر الأصول ١/٤٣٠ ، والارتشاف : ٢/٤٧٦ .

قولك : (مَرَرْتُ بزيدٍ) .

فالباء من حروف الجر بمنزلة (من) ، و (فى) ، فلذلك قلنا : أنــها أصل حروف القسم ، وغيرها إنما هو محمول عليها .

والواو بدل من الباء ، والتاء بدل من الواو ، لأنها أبدلــت منــها كثيرا فى نحو قولهم : (تُجاه) ، و (تُراث)[1] .

أركان القسم :

يشتمل القسم علـــى ثلاثـــة أشـــياء : جملــة مؤكــدة ، وجملــة مؤكدة، واسم مقسم بـــه .

فالجملة الأولى : هـــى : أقسـم ، وأحلـف ، ونحوهمــا : مــن أشهد ، وأعلم ، وهى الجملـــة المؤكـــدة ، وكذلــك :"لعمــرك اللهِ ، وأيمن الله" .

والجملة المؤكدة : هى الثانية المقســم عليــها .

فإن كانت فعـــلا وقـــع القســـم عليـــه ، نحـــو : (أَحْلِـفُ بـــاللهِ لَتنطَلِقَنَّ) ، وإن كان الذى تلقاه حرفا بعد اسم وخـــبر ، فـــالذى يقـــع عليه القسم فى المعنى الخبر ، كقولــــك : (وَاللهِ إنَّ زَيــداً لَمُنْطَلِــقٌ)، و(واللهِ لزيدٌ قَائِمٌ) ، فالقسم يؤكد الإنطـــلاق والقيـــام ، دون (زيـــد) .

---

[1] ينظر ابن يعيش : ٩/٩٩ ، وراجع شرح الكافية الشافية ٢/٨٦٢ .

وأما : المقسم بـه : فكل اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته ، ونحو ذلك مما يعظم عندهم[1] .

الغرض من القسم :

الغرض من القسم : توكيد ما يقسم عليه ، من نفي أو إثبات، كقولك : (واللهِ لأقومنَّ) ، و (واللهِ لا أقومُ) ، فأنت أكدت خبرك ، لتزيل الشك عن المخاطب .

فإذا قلت:والله ، وسكت ، أو : بالله ، ووقفت ، لم يكن لذلك معنى ، حتى تقسم على أمر من الأمور ، لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط ، وإنما أردت أن تخبر بأمر آخر ، وهو قولك : (لأفعلنَّ) وأكدته بقولك : (واللهِ) . أو (أحلفُ باللهِ) .

ونظير ذلك من الجمل الشرط والجزاء ، فإنها وإن كانت جملة ، فقد خرجت عن أحكام الجمل ، من جهة أنها لا تفيد حتى ينضم إليها الجزاء[2].

قال ابن جني : لا يجوز حذف المقسم عليه وتبقية القسم ، لأن الغرض إنما هو توكيد المقسم عليه بالقسم ، فمحال أن

---

[1] ينظر ابن يعيش : ٩/٩٣ .

[2] راجع الأصول : ١/٤٣١ ، وابن يعيش : ٩/٩٠ ، ٩١ .

يؤتى بالمؤكد ، ويحذف المؤكد ، لأنه نقـــض للغـــرض[١] .

الأمور التي تغني عن جواب القسم :

يستغني عن جـــواب القســـم بمعمولـــه ، كقولـــه ــ تعـــالى ــ : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)[٢] ، أي : لَتُبعثُنَّ يـــَوْمَ ترجـــفُ الرَّاجفـــةُ .

ويكثر الاستغناء بقسم مقرون بأحد حـــروف الإجابـــة ، وهـــي : (بلى)، و (نعم) ، ومرادفتـــها : (إِيْ) و (إنْ) و (أَجَـــل) و (جَـــيْرِ) ، كقوله تعالى: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَـــى وَرَبِّنَـــا)[٣] .

وكقولك ــ لمن قـــال : أتفعـــل كـــذا ــ : لا واللهِ ، ونعَـــمْ واللهِ ، وإِيْ واللهِ ، وإنْ واللهِ ، وأَجَـــلْ واللهِ ، وجَـــيْرِ وَاللهِ .

وزعم قوم أَنَّ (جَيْرِ) اسم بمعنـــى : (حقـــاً) .

والصحيح : أنها حرف بمعنى (نَعَـــمْ) لأن كـــل موضـــع وقعـــت فيه (جير) يصلح أن تقع فيه (نعم) ، وليـــس كـــل موضـــع وقعـــت فيه يصلح أن توقع فيه (حقا) ، فإلحاقها بـ (نعـــم) أولـــى[٤] .

---

[١] ينظر الاشباه والنظائر : ٢٨٨/١ .

[٢] سورة النازعات ، الآية ٦ .

[٣] سورة الأنعام من الآية ٣٠ .

[٤] ينظر شرح التسهيل : ٢١٩/٣ ، وراجع الإرتشاف : ٤٩٣/٢ ، ٤٩٤ ، والهمع : ٤٤/٢ .

اجتماع الشرط والقسم في كلام واحد :

وكذلك إذا اجتمع في كلام واحد قسم وأداة شرط ، ولم تكن الأداة (لو) ، و (لولا) استغنى بجواب ما تقدم منهما ، عن جواب المتأخر ، إن لم يتقدم عليهما ذو خبر .

فالاستغناء بجواب القسم لتقدمه ، نحو قوله ـ تعالى ـ : (لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)[1] ، فجملة (لا يأتون) جوابُ قسم سابق على الشرط ، وهو أن يدل على تقدمه تقدم اللام ، في (لئن) ، لأنها موطئة لقسم قبلها ، وجواب الشرط محذوف وجوبا ، استغناء عنه بجواب القسم .

والاستغناء بجواب الشرط لتقدمه ، نحو : (إنْ تَقُمْ واللهِ أَقُمْ)، فحذف جواب القسم ، استغناء عنه بجواب الشرط وهو : (أَقُم)[2] .

فلو تقدم عليهما ذو خبر ، جاز جعل الجواب للشرط مع تأخره ، ولم يجب ، خلافاً لابن مالك في شرح التسهيل[3]

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٨٨ .

(٢) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٢١٦/٣ ، والتصريح بمضمون التوضيح : ٢٥٣/٢ .

(٣) ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ .

والكافية(١) ، وخالف ذلك فى الخلاصة ، فقال :

وإنْ تواليا وقَبْلُ ذُو خَبَر　　فالشَّرْطُ رَجِّحْ مُطْلَقاً بلا حَذَر

وذلك نحو : (زيدٌ واللهِ إنْ يَقُمْ أَقُمْ) .

وجاز جعل الجواب للقسم ، لتقدمه ، نحو : (زَيدٌ واللهِ إنْ يَقُمْ لأَقُومَنَّ) .

والأرجح مراعاة الشرط ، تقدم أو تأخر .

ذكر هذا ابن عصفور وغيره ، وجرى عليه الناظم فى الخلاصة .

وإنما رجح جعل الجواب للشرط ، مع تقدم ذى خبر ، لأن سقوط الشرط يخل بمعنى الجملة التى هو منها ، بخلاف القسم ، فإنه مسوق لمجرد التوكيد(٢) .

ولا يجوز جعل الجواب للشرط مع تأخره عن القسم ، إن لم يتقدمهما ذو خبر ، فلا يجوز : واللهِ إنْ قَامَ زَيدٌ أَقُمْ ، خلافاً لابن مالك(٣)، حيث ذكر أن الشرط إذا أُخِّرَ عن القسم ، ولم يتقدم عليهما ذو خبر ، فالأكثرُ الاستغناءُ عن جوابه بجواب

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية : ٨٨١/٢ ، ٨٨٨ .

(٢) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢٥٣/٢ ، والأشمونى / ٢٩ .

(٣) ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ ، وشرح الكافية الشافية : ٨٨٩/٢ ــ ٨٩١ .

القسم ، ولا يمتنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخره ، مستدلاً لذلك بنحو قول الشاعر :

لئن مُنيتَ بنا عن غبِّ معركةٍ   لا تُلفنا عَنْ دماءِ القومِ نَنْتَفِل[1]

وخلافاً للفراء – أيضاً – حيث أجاز هذا ، مستدلاً بقوله :

لئنْ كانَ ما حدَّثتُه اليومَ صادقاً   أَصُمْ في نَهارِ القيظِ للشمسِ باديا
وأركبُ حماراً بينَ سرجٍ وفروةٍ   وأُعْرِ منَ الخاتامِ صُغْرَى شِمَاليَا[2]

وهذا عند البصريين ضرورة ، واللام في (لئن) زائدة ، لا

---

[1] من البسيط ، وقائله الأعشى .

المفردات : منيت : بليت ، غب معركة : غب الشئ عاقبته ، أى : حالة كوننا منفصلين عن عاقبة معركة ، لا تلفنا : أى لا تجدنا ، انتفل منه : تبرأ وانتفى .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٢/٨٠٩ ، ٨٨٩ ، ٣/١٦١٧ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/٢١٦ ، والأشمونى : ٤/٢٩ .

[2] البيت من الطويل ، وقائلتهما امرأة فصيحة من عقيل .

المفردات : القيظ : شدة الحر ، بادية : بارزا للشمس ، الخاتام : لغة فى الخاتم ، صغرى شماليا: الخنصر . والمعنى : أنها تعتذر للمخاطب عن ذنب حكى عنها ، مؤكدة ذلك بنذر هذا الصوم الشاق ، والدعاء على نفسها بالهيئة التى ينادى بها على المجرم .

والشاهد فى قولها : (أصم) حيث أكتفى به عن جواب القسم المقدر ، الموطأ له باللام . وقيل : اللام زائدة ، وترجيح الشرط فى الأبيات ضرورة .

من مواضعه : معانى القرآن للفراء : ٢/١٣٠ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٢/١٧١ ، وشرح الكافية الشافية : ٢/٨٩١ ، والتصريح : ٢/٢٥٤ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى : ٢/٦١٠ ، والأشمونى : ٤/٢٩ .

موطئة للقسم[١] .

فلو كانت أداة الشرط (لو) ، أو (لولا) فذهب ابن مالك : إلى أنه يستغنى بجوابها مطلقا ، عن جواب القسم .

قال في شرح التسهيل : "فلو كانت أداة الشرط (لو) ، أو (لولا) ، استغنى بجوابها عن جواب القسم مطلقا ، نحو : (واللهِ لو فَعلتَ لَفعلتُ)، و (لو فعلتَ واللهِ لفعلتُ) ، وكذا لو تقدم عليها ذو خبر ، أو كان بدل (لو) ، (لولا)"[٢] . أ.هـ .

وصحح الأشمونى مذهب ابن مالك ، قال الأشمونى : "وأما الشرط الامتناعى ، نحو : (لو) ، و (لولا) ، فإنه يتعين الاستغناء بجوابه ، تقدم القسم أو تأخر ، كقوله :

فأقسِمُ لو أبدى النَدَى سَوَادَهُ ... لَمَا مَسَحَتْ تلكَ المَسَالاتِ عَامِرُ[٣]

---

[١] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ ، وراجع الإرتشاف : ٤٩٠/٢ ، والهمع: ٤٣/٢ ، والأشمونى : ٢٩/٤ ، ٣٠ .

[٢] شرح التسهيل لابن مالك : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

[٣] من الطويل ، ولم أهتد لقائله .

المفردات : أبدى : أظهر ، الندى : مجلس القوم ومتحدثهم ، سواده : شخصه ، المسالات : جمع مسألة وهى : جانب اللحية ، وأراد بعامر قبيلة فى قريش .

والمعنى : أن الشاعر يحلف أن الممدوح ، لو حضر مجلس القوم ، لما قدر أحد منهم أن يمسحوا شواربهم ، من هيبته وسطوته على الناس .

والشاهد فى قوله:(لما مسحت) ، حيث جعل جوابا لـ (لو) ، واستغنى به عن جواب القسم=

وكقوله :

وَاللهِ لـولا اللهِ مـا اهْتَدَيْنَـا وَلا تَصَدَّقْنَـا وَلا صَلَّيْنَـا[١]

نص على ذلك فى الكافية[٢] والتسهيل[٣] وهو الصحيح .

وذهب ابن عصفور : إلى أن الجواب فى ذلك القسم ، لتقدمه ولزوم كونه ماضيا ، لأنه مغنٍ عن جواب (لو) ، و (لولا) وجوابهما لا يكون إلا ماضيا"[٤] أ.هـ .

وما ذهب إليه ابن عصفور ، نسبه أبو حيان[٥] للجمهور .

وذكر السيوطى[٦] والأشمونى[٧] : أن مقتضى كلام ابن

=وهذا متعين عند ابن مالك .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٨٩٣/٢ ، والمقاصد النحوية : ٤٥٠/٤ ، والأشمونى : ٢٨/٤

(١) رجز ، نسبه بعضهم لعبد الله بن رواحة – رضى الله عنه – ونسبه بعضهم لعامر ابن الأكوع والشاهد فى قوله : (ما اهتدينا) ، حيث جعل جوابا لـ (لولا) ، واستغنى به عن جواب القسم.
من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٨٩٤/٢ ، والهمع : ٤٣/٢ ، والأشمونى : ٢٨/٤ .

(٢) ينظر شرح الكافية الشافية : ٨٩٣/٢ ، ٨٩٤ .

(٣) ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

(٤) الأشمونى : ٢٨/٤ .

(٥) ينظر الهمع : ٤٣/٢ .

(٦) ينظر المرجع السابق : ٤٣/٢ .

(٧) ينظر الأشمونى : ٢٨/٤ .

مالك في التسهيل : أنه لا حذف ، وأن (لو) ، و (لولا) ومدخولهما جواب القسم ، حيث قال : وتصدر – أي جملة المقسم عليه – في الشرط الامتناعي بـ (لو) ، و (لولا)[١] .

قال الصبان : "وهذا قول ثالث ، غير ما نص عليه المصنف في الكافية ، وغير ما ذهب إليه ابن عصفور"[٢] أ.هـ.

وما نسبه السيوطي والأشموني إلى ابن مالك ، في هذا الأخير موافقٌ لما قال به في التسهيل وشرحه في موضع[٣] ، وفي موضع آخر[٤] ذكر أنه يستغني بجواب (لو) ، و (لولا) عن جواب القسم ، وهو ما أشرت إليه سابقا[٥] .

كما ذكر في الكافية وشرحها أنه يستغني بجوابها عن جواب القسم ، حيث قال :

وبِجوابِ (لَوْ) وَ (لَوْلاَ) اسْتَغْنَيَنَـا ... حَتْماً إِذَا ما تَلَـوا أو تليَـا[٦] أ.هـ

---

[١] ينظر شرح التسهيل : ٢٠٥/٣ ، ٢٠٦ .

[٢] ينظر حاشية الصبان : ٢٨/٤ .

[٣] ينظر شرح التسهيل : ٢٠٥/٣ ، ٢٠٦ .

[٤] ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

[٥] ينظر صـ ١٤ من البحث .

[٦] شرح الكافية الشافية : ٨٨١/٢ ، وراجع : ٨٩٣/٢ ، ٨٩٤ .

ويمكن القول : بأن تعين كـــون الجـــواب للشـــرط الامتنـــاعي ، مقيد بعد صلاحه جوابـــا للقســـم ، قـــال الســـيوطي : "ونقـــل عـــن بعضهم : أنه إن لم يصلح جوابا للقســـم ، بـــأن نفـــي بـــ (لـــم) ، نحو : (وَاللهِ لو قامَ زَيدٌ لم يَقُمْ عَمرٌو) ، أو بـــ (مـــا) مـــع الـــلام ، نحو : (واللهِ لَوْ قامَ عمروٌ لما قَامَ زَيـــدٌ) ، تَعيـــَّنَ جعلـــه لـــ (لـــو) وهو تقييد لمحل الخلاف لا قول آخـــر"[١] أ.هـــ .

---

[١] ينظر الهمع : ٤٣/٢ .

المبحث السادس
امتناع تنوين المضاف ، وقلة حذف المضاف إليه

المضاف في غاية الحاجة إلى المضاف إليه ، فهو كالجزء منه ، لذلك امتنعوا من إلحاق التنوين له ، لأن التنوين يدل على الانفصال ، فهو مؤذن بالوقف ، والإضافة تدل على الاتصال ، فلا يفصل به بين ما جعلا كالشيئ الواحد .

وأيضا التنوين دليل التنكير ، والإضافة موضوعة للتعريف أو التخصيص ، فالجمع بينهما جمع بين ضدين[١] .

ولا يرد على ذلك تنوين الأعلام ، نحو : (زيد) ، و (بكر) لأن الأعلام لما ضارعت النكرات بألفاظها ، جاز تنوينها ، إذ كان تعرفها معنوياً ، لا لفظياً ، لأنه لا لامَ تعريفٍ فيها ولا إضافة[٢] .

وأما حذف المضاف إليه ، فذكر ابن يعيش أنه أقل من حذف المضاف ، وأبعد قياسا .

قال في شرح المفصل : "أعلمْ أنه قد جاء عنهم حذف

---

(١) ينظر الخصائص : ٣/٢٤٠ ، والتصريح مع حاشية يس : ٢/٢٤ .

(٢) ينظر الخصائص : ٣/٢٤٠ .

المضاف إليه، وهو أقل من حذف المضاف وأبعد قياسا ، وذلك لأن الغرض من المضاف إليه التعريف والتخصيص ، وإذا كان الغرض منه ذلك وحذف ، كان نقضاً للغرض ، وتراجعاً عن المقصود ، فمن ذلك قولهم : (إذ) ، و (حِينَئِذٍ) ، وأصله أن (إذ) تكون مضافة إلى جملة ، إما إبتدائية وإما فعلية ، نحو : (جئتُكَ إذا الحَجَّاجُ أميرٌ ، وإذْ قَامَ زَيدٌ) ، وإذ كانت إنما تضاف إلى جملة ، لتوضحها وتزيل إبهامها ، فإذا تقدمتها جملة ، إما فعلية وإما اسمية ، ربما حذفوا الجملة المضاف إليها (إذ) ، لدلالة الجملة المتقدمة عليها ، فجاءوا بالتنوين بعد (إذ) عوضا من المحذوف ، وذلك نحو قولهم: (إذْ) من قول الشاعر :

نَهَيتُكَ عن طِلابِكَ أمَّ عَمْرٍو … بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إذٍ صَحِيحُ[1]

وأصله : وأنتَ إذْ نَهَيتُكَ ، فحذف الجملة وعوض منها التنوين .

---

[1] من الوافر ، وقائله أبو ذؤيب الهذلي ، يخاطب قلبه ، وهو سليم يستطيع التخلص من الحب في بدايته ، قبل أن يستحكم فيه .

والشاهد في قوله : (إذ) حيث جاء بالتنوين عوضا من الجملة المحذوفة ، والتقدير : وأنت إذ نهيتك .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٢/٩٤٠ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/٢٥١ ، ومغني اللبيب : ١/٨٦ .

ومثله : (حينئـذٍ وساعتئذٍ ، ويومئـذٍ) ، والمـراد : حيـنَ إذْ كانَ كذا كذا ، وساعةَ إذْ كـانَ كـذا وكـذا ، ويـومَ إذْ كـانَ كـذا وكذا"[1] . أ.هـ .

* وفيما قاله ابن يعيش نظر ، فالمضاف إليـه يجـوز حذفـه ، إذا عطف علـى المضـاف اسـم عـامل فـى مثـل المضـاف إليـه المحذوف، كقولهم : (خُذْ رُبْعَ وَنِصْفَ مـَا حَصَـل) .

قال فى التصريح : "والأصل : خُذْ رُبْعَ مـَا حَصَـل وَنِصْفَ ، فحذفوا : (ما حَصَـل) الأول المضـاف إليـه (ربـع) لدلالـة (مـا حصل) الثانى المضـاف إليـه نصـف ، أبقـوا المضـاف الأول ، وهو (ربع) على حالـه فلـم يُنَـوَّن ؛ لأن المضـاف إليـه منـوى لفظه، وعطف عليه نصف ، وهو اسم مضـاف عـامل فـى (مـا حصل) الجر بالإضافة إليه ، و (مـا حصـل) المذكـور مثـل (مـا حصل) المحذوف لفظا ومعنـى" .

وهذه المسـألة لـها شـبه ببـاب التنـازع ، فـإن (ربـع) ، و (نصف) يتنازعان (ما حصل) ، فـأعمل الثـانى لِقُربِـهِ ، وحـذف معمول الأول لأنه فضلـة .

وذهب سيبويه : إلى أنـها مـن بـاب الفصـل بيـن المضـاف

---

[1] شرح المفصل لابن يعيش : ٢٩/٣ .

والمضاف إليه .

والأصل : خُذْ ربعَ ما حصلَ ونصفَه ، ثم أقحم (ونصفه) بين المضاف والمضاف إليه ، فصار : ربع ونصفه ما حصل ، ثم حذف الهاء إصلاحاً للفظِ ، فصار : ربع ونصف ما حصل .

ومثل هذا عند سيبويه والجمهور : لا يجوز إلا في الشعر .

واختار الناظم أنه من الحذف الأول لدلالة الثاني عليه ، فلا فصل ، فهي جائزة قياساً وسماعاً ، وإليها أشار بقوله في النظم:

ويُحذَفُ الثاني فيَبْقَى الأوَّلُ ... كَحَالِهِ إذَا بِهِ يَتَّصِلُ
بشرطِ عطفٍ وإضافةٍ إلَى ... مثلِ الَّذِي لَهُ أضَفْتَ الأَوَّلا[١]

ونعل مراد ابن يعيش ببعده قياساً وقلته استعمالاً ، أى : بالنسبة إلى حذف المضاف ، أو إذا لم يدل دليل على المحذوف.

قال ابن مالك : "والاستعمال في الأسماء الناقصة الدلالة قليل ، وهو في الأسماء التامة الدلالة كثير ، فمن شواهده في النثر قول بعض العرب : "قَطَعَ اللهُ الغداةَ يَدَ وَرِجْلَ مَنْ قَالَهَا"

---

[١] شرح التصريح : ٥٦/٢ ، ٥٧ ، وارجع ابن عقيل : ٧٨/٢ ــ ٨١ .

ومن شواهده فى النظم قولـــه :

سَقَى الأرضينَ الغيثُ سَهْلَ وحَزْنَها فَنِيطتْ عُرَى الآمالِ بالزرعِ والضَّرْعِ [١][٢]

وقال فى التصريح : "ومن غير الغالب قولـــه : "أبـدَأُ بـِذَا مِـنْ أوَّلَ" بالخفض من غير تنوين ، علـــى نيـــة لفـــظ المضــاف إليـــه ، أى : من أول الأمــــر .

وقـــراءة ابـــن محيـــض : (فَـــلا خَـــوفُ عَلَيْـــهِمْ ولا هُـــمْ يَحْزَنُوْن)[٣] ، بالرفع مـــن غـــير تنويـــن ، أى : فـــلا خـــوف شـــئ عليهم"[٤] أ.هــــ .

---

[١] من الطويل ، ولم أهتدِ لقائله .

المفردات : الغيث : المطر ، الحزن : ما غلظ مـــن الأرض ، والســـهل وخلافـــه ، نيطـــت : تعلقت ، العرى : جمع عروة ، الآمال : جمع أمل ، وهو الرجاء ، الضرع : كل ذات خـــف أو ظلف .

والمعنى : أن المطر قد عم كل الأرض ، فقوى رجاء الناس فى نماء الزرع ، وغزارة الألبان .

والشاهد فى قوله : (سهل حزنها) ، حيث حذف المضاف إليه وأبقى المضاف ـــ وهـــو قولـــه : (سهل) على حالة قبل الحذف من غير تنوين ، لأن المضاف عطف عليه اسم مضاف إلى مثـــل المحذوف من الأسم الأول .

من مواضعه : شرح ابن عقيل : ٧٩/٢ ، والأشمونى : ٢٤٧/٢ .

[٢] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ .

[٣] سورة البقرة من الآية ٣٨ .

[٤] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٥٧/٢ ، وراجع ابن عقيل : ٨٠/٢ .

وقال فى المغنى : "وسُمِعَ : سَلامٌ عَليكم ، فيحتمل حذف المضاف إليه ، أى : سلامُ اللهِ عليكم ، أو إضمار أل"[١] أ.هـ.

---

[١] ينظر مغني اللبيب : ٦٢٤/٢ .

المبحث السابع
الامتناع ـ قياساً ـ من حذف الموصوف . أو الصفة . أو المؤكد

أولاً : الامتناع من حذف الموصوف . أو الصفة :

الصفة والموصوف كالشيء الواحد ، فالبيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما ، لذلك كان القياس أن لا يحذف واحد منهما ، لأن حذف أحدهما نقض للغرض ، وتراجع عما اعتزموه .

فالموصوف القياس يأبى حذفه لذلك ، ولأنه ربما وقع بحذفه لبس ، فإذا قلت : مَرَرْتُ بطويلٍ ، لم يعلم من ظاهر اللفظ أن الممرور به إنسان ، أو رمح ، أو ثوب ، ونحو ذلك مما قد يوصف بالطول[١] .

وأجاز بعضهم حذفه ، إذا قصد الإبهام على السامع[٢] .

لكن إذا علم النعت أو المنعوت جاز حذفه ، ويكثر ذلك في المنعوت ويقل في النعت .

---

(١) ينظر ابن يعيش : ٥٩/٣ .

(٢) ينظر حاشية الصبان : ٧٠/٣ .

وشرط حذف المنعوت ، إمـــا كـــون النعـــت صالحـــا لمباشـــرة العامل ، نحـــو قولـــه ــ تعـــالى : (أَنِ اعْمَـلْ سَـابِغَاتٍ)[١] ، أى : دروعات ســـابغات .

وأما كون المنعوت بعض اسم مخفوض بـــ (مـــن) ، أو (فـــى) كقولهم : (مِنَّا ظَعَنَ ، ومِنَّا أَقَامَ) ، أى : مِنَّـــا فريـــقٌ ظَعَـــنَ ، ومنَّـــا فَرِيقٌ أَقَامَ ، وكقولهم : (مَا فى النَّـــاسِ إِلَّا شَـــكَرٌ أَوْ كَفْـــرٌ) ، أَىْ: إلَّا رَجُلٌ شُكْرٍ ، أو رَجُلٌ كُفْـــرٍ .

فإنْ لم يصلح النعت لمباشـــرة العـــامل ، ولـــم يكـــن المنعـــوت بعض ما قبله من مجرور بـــ (من) ، أو (فى) امتنـــع ذلـــك إلا فـــى الضرورة ، كقولـــه :

كَأَنَّك مِنْ جِمَـــالِ بَنِـــى أُقَيْـشٍ ... يُقَعْقِـعُ بَيْنَ رِجْلَيْـــهِ بِشَـنِّ[٢][٣]

---

[١] سورة سبأ من الآية ١١ .

[٢] من الوافر ، وقائله النابغة الذبيانى ، والبيت بديوانه ، صـــ ١٩٤ .

المفردات : أقيش : حى من عكل ، أو من أشجع ، أو من اليمن ، وقيل من الجن ، يقعقـــع : يصوت ، الشن : القربة اليابسة ، وهو يصف مخاطبة بسرعة الغضب ، وشدة النفور .

والشاهد فى قوله : (كأنك من جمال) ، حيث حذف الموصوف ، والتقدير : كأنك جمل مـــن جمال بنى أقيش .

من مواضعه : الكتاب : ٣٤٥/٢ ، وابن يعيش : ٦١/١ ، ٥٩/٣ ، ٦٠ ، والأشمونى : ٧١/٣.

[٣] ينظر الأشمونى : ٧٠/٣ ، ٧١ ، وراجع التصريح : ١١٨/٢ .

قال ابن يعيش : "فأما إذا كانت الصفة غير جارية على الفعل ، نحو : (مررتُ برجلٍ أيِّ رَجُلٍ ، وأَيِّمَا رَجُلٍ) ، فإنه يمتنع حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، لأن معناه كامل ، وليس من لفظ الفعل .

وكذلك لو كانت الصفة جملة ، نحو : (مررتُ برجلٍ قَامَ أَخُوه) ، و (لقيتُ غلاماً وَجْهُهُ حَسَنٌ) ، لم يجز حذف الموصوف فيه أيضا ، لأنه لا يحسن إقامة الصفة مقام الموصوف فيه ، ألا تراك لو قلت : مررتُ بقَامَ أخوه ، أو : لقيتُ وَجْهُه حَسَنٌ ، لم يحسن وربما جاء شيء من ذلك ، وما أقله ، فمن ذلك قول النابغة : "كأنك من جمالِ بني أقيش ... الخ"[١]" .أ.هـ .

وأما النعت ، فيجوز حذفه إن عُلِمَ ، كقوله ـ تعالى ـ : (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)[٢] ، أي : كل سفينة صالحة ، بدليل أنه قُرِئَ كذلك .

وكقوله تعالى : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ)[٣] ، أي

---

[١] ينظر ابن يعيش : ٣/٦٠ .

[٢] سورة الكهف من الآية ٧٩ .

[٣] سورة الأحقاف من الآية ٢٥ .

سُلِّطَتْ عليـه[١] .

ثانيا : الإمتنـاع من حذف المؤكد :

لا يحذف المؤكد ، ويقـام المؤكـد مقامـه علـى الأصـح ، لأن الغرض من التوكيد التقوية ، والحـذف ينافيـه .

وأجاز الخليل وسيبويه ــ وتبعهما جماعــة ــ نحـو : (مـررتُ بزيدٍ وأتانى أخـوهُ أنفسُـهُمَا) ، وقـدره الخليـل : همُـا صَاحِبَـاى أنفسُـهُمَا .

ويجوز أن ينصب بتقدير : أَعْنِيْـهمَا أَنْفُسَـهُمَا[٢] .

---

[١] ينظر مغنى اللبيب : ٦٢٧/٢ ، والأشمونى : ٧١/٣ .

[٢] ينظر مغنى اللبيب : ٦٠٨/٢ ، ٦٠٩ ، والأشمونى مع حاشية الصبان : ٨٤/٣ .

المبحث الثامن

حذف نون الرفع ، وامتناع حذف نون التوكيد ، عند اجتماعهما[(١)]

إذا اجتمعت نون التوكيد ، ونون الرفع ، حذفت نون الرفع ، ولم تحذف نون التوكيد ، لفوات المقصود منها بحذفها ، لعدم ما يدل عليها :

بخلاف نون الرفع ، فإنها وإن أتى بها لمعنى مقصود ، لكن لا يفوت بحذفها ، لوجود الدليل عليها ، وهو أن الفعل معرب مرفوع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم ، فيعلم ــ حينئذ ــ أن نون الرفع مقدرة .

وأيضا فإن نون الرفع جزءُ كلمة ، والمؤكِّدةُ كلمةٌ قائمةٌ مقامَ تكرير الفعل ، وحذفُ جزءٍ أسهلُ من حذف ما ليس جزءاً.

ولدلالة المؤكدة ــ أبدا ــ على معنى ، كانت أولى بالبقاء

---

(١) ينظر في هذه المسألة : الكتاب : ٥١٩/٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وابن يعيش : ٣٧/٩ ، ٣٨ ، وشرح الكافية الشافية : ١٧٥/١ ، ١٧٦ ، ١٤١٥/٣ ــ ١٤١٧ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣٦/١ ، ٥١ ، والارتشاف : ٣٠٧/١ ، ٤٢٠ ، والتصريح : ٥٧/١ ، والأشموني مع حاشية الصبان : ٦١/١ ، ٦٢ ، ٢٢٢/٣ ، والموسوعة النحوية الصرفية ليوسف المطوع : ٧٩/٣ ، ٨٠ .

من نون الرفع ، لأنها – في الغالب – لا تدل على معنى ، فما يدل أبدا أولى بالبقاء مما يدل في بعض الأحوال[١] .

وذلك نحو : (هل تَضْرِبَانِّ يا زَيْدانِ) ، و (هل تَضْرِبُنَّ يا زَيدونَ)، و (هل تَضْرِبِنَّ يا هِنْدُ) .

والأصل : هل تَضْرِبَانِنَّ ، وتَضربُونَنَّ ، وتَضربينَنَّ ، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال ، ولم تحذف نون التوكيد لفوات المقصود – كما سبق – ثم حذفت الواو والياء لإلتقاء الساكنين ، وبقيت الضمة والكسرة دليلاً على المحذوف .

ولم تحذف الألف – فيما أسند إلى ألف الاثنين – لئلا يلتبس بفعل الواحد[٢]

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ١/١٧٦ .

[٢] ينظر الأشموني مع حاشية الصبان : ١/٦١ ، ٦٢ ، وراجع : ٣/٢٢٢ ، والتصريح : ١/٥٧ .

المبحث التاسع
امتناع إلحاق (من) بـ (أفعل التفضيل) المقرون بـ (أل)[1]

يمتنعُ وصلُ (مِنْ) الجارة للمفضول عليه بـ (أفعل) التفضيل إذا كان مقروناً بـ (أل)، فـ (مِنْ)، و (أَلْ) يتعاقبان، ولا يجتمعان .

ووجه الامتناع : أَنَّ (أل) تفيد من التعريف، أكثر مما تفيده (مِنْ) من التخصيص ، فالجمع بينهما نقيضٌ للغرض الذي جيء بـ (أل) لأجله .

فإذا قلت : "زيدٌ أفضلُ مِنْ عَمروٍ" ، دَلَّ هذا على فضل (زيد) على (عمرو) فحسب .

أما إذا قلت : (الأفضلُ) دخل فيه عمروٌ ، وغيرُهُ .

فـ (مِنْ) تقتضي تفضيله على المجرور بها لا غير ، واللام

---

(١) ينظر في هذه المسألة : الخصائص : ٣/٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وابن يعيش : ٦/١٠٣ ، ١٠٤ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/٥٧ ، ٥٨ ، وشرح الكافية الشافية : ٢/١١٣٤ ، ١١٣٥ ، والارتشاف : ٣/٢٢٠ ، ٢٢١ ، وابن عقيل : ٢/١٧٩ ، ١٨٠ ، ومغني اللبيب : ٢/٥٧٢ ، والتصريح بمضمون التوضيح : ٢/١٠٤ ، والأشموني مع حاشية الصبان : ٣/٤٥ — ٤٧ .

تقتضي تفضيله عليه وعلى غـــيره[١] .

قال ابن جني : "يمتنع إلحاق (مـــن) بـــ (أفعـل) إذا عرفتــه باللام ، نحو : (الأحسنُ منه ، والأطــولُ منــه) ، وذلــك أن (مـــن) تُكسِبُ ما يتصلُ بها من (أفعل) هذا تخصيصـــاً مـــا .

ألا تراك لو قلتَ : (دخلتُ البصـــرةَ فرأيـــتُ أفضـــلَ مِنْ ابـــنِ سيرينَ) ، لم يسبق الوهمُ إلا إلـــى الحســن ـ رضـــى الله عنـــه ـ فبـــ (من) صَحَّتْ لك هذه الفـــائدة .

وإذا قلـــت : (الأحســن أو الأفضـــل) ، أو نحـــو ذلـــك ، فقـــد استوعبت اللام من التعريف ، أكثر مما تفيـــده (مـــن) مـــن حصتـــها من التخصيص ، فكرهوا أن يتراجعوا بعـــد مـــا حكـــوا مـــن قـــوة التعريف ، إلى الإعتراف بضعفه ، إذ هم أتبعوه مـــن الدلالـــة علـــى حاجتـــه إليـــها وإلـــى قـــدر مـــا تفيـــده مـــن التخصيـــص المفـــاد منه"[٢] أ.هـــ .

وقد تعلق الجاحظ بظاهر قـــول الأعشـــى :

وَلَسْـــتَ بالأكثـــرِ منهم حَصًى ... وإنَّمَـــا العِـــزَّةُ لِلْكَاثـــرِ[٣]

---

[١] ينظر ابن يعيش : ١٠٤/٦ ، وراجع التصريح : ١٠٤/٢ ، والصبان ٤٧/٣ .

[٢] ينظر الخصائص : ٢٣٣/٣ ، ٢٣٤ .

[٣] من السريع ، وقائله الأعشى كما ذكر . =

وزعم أنَّ في ذلك نقصاً لمَا أصلَّه النحويون ، من امتناع الجمع بين الألف واللام و (من) في هذا الضرب .

وفيما ذهب إليه الجاحظ نَظَرٌ .

فالبيت الذي تمسك به مؤول ، إمَّا : على زيادة (أل) في (الأكثر) ، أو : على أن (مِنْ) ليست متعلقة بـ (الأكثرِ) المعرف بـ (أل) وإنما هي متعلقةٌ بـ (أكثر) منكراً محذوفاً مبدلاً من (أكثر) المذكور ، بدل نكرة من معرفة ، والأصل : بالأكثر أكثر منهم .

أو على أنَّ (مِنْ) بمعنى (في) ، أي : فيهم .

أو على أن (مِنْ) لبيان الجنس ، أي : من بينهم .

أو متعلقة بـ (ليس) لما فيه من رائحة قولك : انتفى ، وَاغْتُفِرَ الفصلُ بين (أفعل) وتمييزه للضرورة(١) .

=والشاهد في قوله : (بالأكثر) فإن ظاهره الجمع بين (أل) الداخلة على (أفعل) التفضيل ، و(من) الجارة للمفضول عليه . وقد خرجه العلماء كما ذكر .

من مواضعه : الخصائص : ٢٤٣/٣ ، وابن يعيش : ١٠٣/٦ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٥٨/٣ ، والارتشاف : ٢٢١/٣ ، ومغني اللبيب : ٥٧٢/٢ ، والأشموني : ٤٧/٣ ، وشذا العرف ، صـ ٨٠ .

(١) ينظر مغني اللبيب : ٥٧٢/٢ ، والتصريح بمضمون التوضيح : ١٠٤/٢ ، وشذا العرف ، ص ٨٠ .

فإن كانت (من) غير داخلة على المفضول ، جاز الجمع بينها وبين ذي (أل) ، كقول الشاعر :

فَهُـمُ الأقْـرَبُـونَ مِنْ كُلِّ خَيْـرٍ ... وَهُـمُ الأبْعَـدُونَ مِنْ كُلِّ ذَمِّ[1][2]

---

[1] من الخفيف ، ولم أهتد إلى قائله .

والشاهد فيه وصل (من) بـ (أفعل) التفضيل المقرون بـ (أل) لأنها غير جارة للمفضل عليه .

من مواضعه : الارتشاف : ٣/٢٢١ ، والصبان : ٣/٤٧ ، والنحو الوافي : ٣/٤١٢ .

[2] ينظر الارتشاف : ٣/٢٢١ ، والصبان : ٣/٤٦ ، ٤٧ .

الفصل الثانى
الصور الصرفية

المبحث الأول
حذف العين من مصدر الفعل المعل العين ، ومن اسم المفعول من نحو : (قال) ، و(باع) على رأى الأخفش

قياس مصدر (أفعل) إفعال ، نحو : (أَكْرَمَ إِكْرَام) .

وقياس مصدر (استفعل) استفعال ، نحو : (اسْتَخْرَجَ ، اسْتِخْرَاج) .

فإذا كان (أفعل) ، أو (استفعل) معتل العين ، نُقِلَتْ حركة العين إلى الفاء الساكنة قبلها ، فتقلب العين ألفا ، لتحركها ـ فى الأصل ـ وانفتاح ما قبلها فى اللفظ ـ فيلتقى ساكنان ـ وهما :

الألف المنقلبة عن العين ، وألف المصدر ـ فتحذف إحداهما ، وتعوض عنها التاء ، نحو : (أَقَامَ إِقَامَةً) ، و (أَعَانَ إِعَانَةً) و (اسْتَقَامَ اسْتِقَامَةً) ، و (اسْتَعَاذَ اسْتِعَاذَةً) .

ويصاغ اسم المفعول من الثلاثى على زنة (مفعول) ، نحو : (مَضْرُوْب) ، و (مَعْلُوم) من : (ضُرِبَ وعُلِمَ) .

فإن كان الفعل معتل العين ، نحو : (بَاعَ ، وقَالَ) ، جاء اسم

المفعول على (مَبِيع ، ومَقُـــوْل) .

وأصل (مَبِيع ، ومَقُوْل) : مَبْيُـــوْع ، ومَقْـــوُوْل ، فنقلـــت حركـــة العين إلى الساكن الصحيح قبلها ، فـــالتقى ســـاكنان ، عيـــن الكلمـــة و (واو) مفعول ، فوجب حـــذف أحدهمـــا[١] .

وللعلماء ــ فى هذا والذى قبلـــه ــ مذهبـــان :

١ــ ذهب الخليل وسيبويه إلى أن المحذوف مـــن نحـــو : (إِقَامَـــة) ، و (إِسْتِقَامَة) هـــو ألـــف المصـــدر ، فـــوزن المصـــدر عندهمـــا : (إِفْعَلَة، واسْتِفْعَلَة) .

والمحذوف من نحو : (مَبِيْـــع) ، ومَقُـــوْل ، هـــو واو مفعـــول ، فوزن (مَبِيْع) ــ عندهما ــ : (مَفِعْـــل) ، و (مَقُـــوْل) : (مَفُعْـــل) .

٢ ــ ذهب الأخفش والفراء : إلى أن المحـــذوف ــ فيمـــا سبق ــ هو عين الفعـــل .

وعلى هذا فوزن المصـــدر ــ عندهمـــا ــ مـــن نحـــو (إِقَامَـــة ، وإِسْتِقَامَة) : (إِفَالَة ، وإِسْـــتِفَالَة) .

ووزن اسم المفعـــول مـــن (مَبِيْـــع) : (مَفِيْـــل) ، ومـــن نحْـــو :

---

[١] راجع شرح الكافية الشافية : ٢١٤٢/٤ ، والتصريح : ٧٥/٢ ، والتبيان فى تصريف الأسمـــاء ، صـــ ٣٠ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، والضياء فى تصريف الأسماء ، صـــ ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٣ ، والواضـــح فى تصريف الأسماء ، صـــ ٢٤ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(مَقُوْل) : (مَفُــوْل) .

حجة كل فريــق :

حجة الخليل وسيبويه علـــى أن المحــذوف الحــرف الزائــد ، لا عين الكلمة تتمثل فـــى :

أ ــ أن الزائد هو الأولى بالحذف ، قياسا علـــى نحــو : (تعزيــة)، حيث حذف المدة الزائـــدة .

ب ــ أنه قريب من الطرف الذى هو محـــل التغيــير .

ج ــ أن الثقل نشأ منـــه .

د ــ أن فى حذف الواو ــ مـــن اسم المفعـــول ــ وإبقـــاء العيــن فرقًا بين الواوى واليـــائى .

هـــ ــ أن الياء فى اسم المفعول اليائى هى الثابتــــة بعـــد الحـــذف ، (كمَبِيْع) فيحكم بأن المحذوف من الأجوف اليـــائى هـــو الـــواو ، وكذلك يطرد الحكم فى الـــواوى .

وأما حجـــة الأخفـــش ــ علـــى أن المحـــذوف عيـــن الكلمـــة ــ فتتمثل فـــى :

أ ــ أن عين المصدر واسم المفعول لغـــير معنـــى ، أمـــا الزائـــد ، فقد جاء لمعنــــى ، وهـــو الدلالـــة علـــى المصدريـــة والمفعوليـــة ، وحذف مالا معنى له أسهل من حـــــذف مـــا لـــه معنـــى ، لأنـــه إذا

حذف ما جاء لمعنى ، لأنه إذا حذف ما جاء لمعنـــى ، كـان حذفـه نقضاً للغرض الذى جئ به من أجلـــه .

كما أنه لما اجتمعت التاءان فى تَتَذَكَّـــرُوْن ــ ونحـوه ــ حذفـت الثانية ، ولم تحذف الأولى ؛ حيث كـانت لمعنـــى .

ب ــ أن الأصل إذا التقى سـاكنان ، والأول حـرف مـد ، حـذف الأول .

ج ــ أنه قد عوض عن المحـذوف تـاء ، والتعويـض إنمـا عـهد عن الأصلى ، لا الزائـد[١] .

واختـار المذهـب الثـانى المـازنى ، والزمخشـرى ، وابـن يعيـش[٢] .

قال المازنى : "وكلا الوجهين حسـن جميـل ، وقـول الأخفـش أقيس" أ.هـــ .

ورد ابن جنى قول المـازنى بقولـه : "وقولـه هـذا عجيـب ، وإن كان قد ناقض فيه فيما يجـئ"[٣] أ.هــ .

---

(١) راجع الممتع : ٢/٤٥٥ ، ٤٥٦ ؛ والتبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ٣١ ، ٥٣ .

(٢) ينظر شرح المفصل : ٦/٥٨ ، وراجع حاشية ابن جماعة على مجموعة الشافية بشرح الجاربردى: ١/٦٥ .

(٣) ينظر المنصف : ١/٢٩١ ، وراجع : ١/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

أمـا واو (مَفْعُـول) إذا حُذِفَـتْ ، فـالميم تـدل علـى معنـى المفعوليـة[١] .

وكذلك التاء المعوضة من الألف المحذوفة ، تـدل علـى معنـى المصدريـة .

هذا ، ومذهـب الخليـل وسـيبويه هـو المتفـق مـع مذهـب الجمـهور[٢] .

---

[١] ينظر الممتع : ٢/٤٥٦ ، ٤٥٧ ، وراجع : ٢/٤٩٠ .

[٢] ينظر الضياء في تصريف الأسماء ، صـ ٩٣ .

المبحث الثانى
امتناع تثنية المثنى
وحذف تاء المفرد المؤنث عند جمعه بالألف والتاء

المقصود من التثنية : الدلالة على اثنين أو اثنتين ، متفقين فى اللفظ ، بلفظ واحد يغنى عن العطف ، قصداً للإيجاز ، وذلك بزيادة ألف ونون فى حال الرفع ، وياء ونون فى حالتى النصب والجر ، نحو : (جَاءَ المُحَمَّدَانِ والفَاطِمَتَانِ) ، فحرف التثنية يغنى عن قولك : جَاءَ محمدٌ ومحمدٌ ، وجَاءَتْ فَاطِمةٌ وفَاطِمةٌ .

ومن شروط تثنية الاسم : أن يكون مفردا ، فلا يثنى المثنى، ولا الجمع السالم ، لئلا يلزم اجتماع إعرابين فى كلمة[١].

ولان علامة التثنية جئ بها لغرض معين ، وهو الدلالة على التثنية بإيجاز ــ كما سبق ــ فلو ثُنِيَ المُثَنَّى ، لكان ذلك نقضاً للغرض الذى جئ من أجله بعلامة التثنية .

---

(١) ينظر الهمع : ٤٢/١ ، والتبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ١٠٤ ، ١٠٥ ، والضياء فى تصريف الأسماء : صـ ١٧٦ ، ١٧٧ .

قال ابن جنى : "لم يُثَنَّ المُثَنى ، لأن ما حصل فيه من علم التثنية مُؤْذِن بكون اثنين ، وما يلحقه من علم التثنية ثانياً ، يؤذن بكونه في الحال الأولى مفردا ، وهذا هو الانتقاض والانتكاث لا غير"[١] أ.هـ .

وإذا أريد الجمع بالألف والتاء ، لما فيه تماء التأنيث ، حذفت تاء التأنيث – من المفرد – وجوبا ، ويجعل ما قبلها كأنه الآخر ، لئلا يجمع بين علامتي تأنيث .

فيقال في جمع فاطمة ، ومسلمة : (فاطمات) ، و (مسلمات) .

ولا يقال : فاطمتات ، ولا مسلمتات ؛ لأن إلحاق التأنيث لإخراج المذكر قبله ، ونقله إلى حكمه ، فما نُقِل إلى التأنيث كان مذكرا قبل نقله إليه ، كـ (قَائِمٌ) من (قَائِمَةٌ) ، و (ظَرِيفٌ) من (ظَرِيفة) ، فلو ذهبت تلحق للعلامة العلامة ، لنقضت الغرض ، وذلك أن التاء في (قَائِمَةٌ) ، قد أفادت تأنيثه وحصلت له حكمه ، فلو ذهبت تُلحقها علامة أخرى ، فتقول : قَائِمَات ، لنقضت ما أثبت من التأنيث الثاني له ، لأن في ذلك إيذاناً بأن الأول به لم يكن مؤنثاً ، وكنت أعطيت اليد بصحة تأنيثه ،

---

(١) الخصائص : ٢٣٥/٣ .

لحصول ما حصل فيه من علمـــه .

وهذا هو النقض والبداء البتـــه[١] .

وإنما كان حذف التاء الأولى أولـــى ــ أعنـــى : تـــاء المفـــرد ، نحو : (مُسْلِمَةٌ) ، و (صَالِحَةٌ) ــ لأن فـــى الثانيـــة زيـــادةَ معنـــى ، إذ الأولى تدل على التـــأنيث فقـــط ، والثانيـــة تـــدل علـــى التـــأنيث والجمع ، وهى حرف الإعـــراب ، فلمـــا كـــان فـــى الثانيـــة زيـــادة معنى ، كان تبقيتها وحذف الأولـــى أولـــى[٢] .

قال ابن جنى : "فإن قيل : قد يُجْمَـــع الجمـــعُ ، نحـــو : (أَكْلُـــبٍ وأَكَالِب) ، و (أَسْقِيَةٌ وأَسَاقٍ) ، فكيف القوْل فـــى ذلـــك ؟

قيل له : فرق بينهما أن علمى التـــأنيث فـــى (مســـلماتٍ) ، لـــو قيل : مســـلمتات ، لكانـــا لمعنـــى واحـــد ، وهـــو التـــأنيث فيـــهما جميعًـــا

وليس كذلك التكسير معنيًّا فـــى : (أَكْلُـــبٍ ، وأَكَـــالِب) ، وذلـــك أن معنى (أَكْلُب) : أنـــها دون العشـــرة ، ومعنـــى (أَكَـــالِب) : أنـــها

---

[١] ينظر الخصائص : ٢٣٥/٣ ، وراجع اللباب فى علـــل البنـــاء والإعـــراب : ١١٨/١ ، ١١٩ ، وشرح الكافية الشافية : ١٠٢٨/٤ ، والتصريح : ٢٧٩/٢ ، والمســـع : ٢٣/١ ، وتصريـــف الأسماء للطنطاوى ، صـــ ١٩٦ ، والتبيان ، صـــ ١٢٠ .

[٢] ينظر الإنصاف : ٤٣/١ .

للكثرة التى أول رتبتها فوق العشرة ، فهذان معنيان ــ كما تراهما ــ اثنان ، فلم ينكر اجتماع لفظيهما ، لاختلاف معنييهما.

فإن قلت : فهلا أجازوا على هذا : (مُسْلِمَتَات) ، فكانت التاء الأولى لتأنيث الواحد والتاء الثانية لتأنيث الجماعة .

قيل : كيف تصرفت الحال ، فلم تفد واحدة من التاءين شيئًا غير التأنيث البته ، فأما عدة المؤنث فى إفراده وجمعه ، فلم يفد العلمان ، فيجوز اجتماعهما ، كما جاز تكسير التكسير فى نحو: (أَكْلُب وأَكَالِب) .

فإن قلت : فقد يجمع أيضا جمع الكثرة ، نحو : (بُيُوْتٌ ، وبُيُوتَات) ، ونحو قولهم : صَوَاحِبَاتُ يوسفَ ، ومُوَالِيَات العرب .... .

قيل : جمع ذلك وما كان مثله ــ وما أكثره ــ إنما جاز ، لأنه لا ينكر أن يكون جمعان أحدهما أكثر من صاحبه ، وكلاهما مثال للكثرة ، ألا ترى أن مائة للكثرة ، وألفا أيضا كذلك ، وعشرة آلاف أيضا كذلك ، ثم على هذا ونحوه .

فكأَنَّ (بيوتًا) مائة ، و (بيُوتَات) مائة ألف ... وإذا كان كذلك ، علمت اختلاف المعنيين لإختلاف اللفظين .

وإذا آلَ بك الأمرُ إلى هذا ، لم تبـقَ وراءه مضطربـاً ...

وجواب ثان : أنك تُكثِّرُ نحـو : أَكْلُـب ، لمجيئـه علـى أمثلـة الآحاد ، فلما جاءت هذه المجيء جرت مجرى الآحـاد ، فيجـاز تكسيرها كما يجوز تكسـيرها ... .

فإن قلت : فهلا ثنيت التثنية ، كما جمعـت الجمـع .

قيل : قـد كفتنـا العـرب بقولـهم : (أَرْبَعَـةٌ) عـن قولـهم : اثنانَانِ.

وأيضا فكرهوا أن يجمعوا فى (اثْنَانَـانِ) بيـن إعرابيـن متفقيـن كانا أو مختلفيـن .

وليس شئ من ذلك فى نحو : (أَكْلُب ، و أكَـالِب)"[1] أ.هـ .

حكم المثنى وجمع المؤنث السالم . إذا سُمِّيَ بهما :

إذا سُمِّيَ بالمثنى ، لم تجز تثنيته ، لئلا يجتمع فى الاسـم الواحـد إعرابان ، كما سبق .

فلو جعل إعرابه فى النون ، جاز أن يُثَنَّى .

وأما نحو : (مُسْلِمَات ، وهِنْدَات) ـ علما ـ فيجوز أن يُقَال فيـه :

---

[1] ينظر الخصائص : ٣/٢٣٦ ـ ٢٣٨ بتصرف .

(مُسْلِمَتَانِ) ـــ فى حال التثنية ـــ إذ لا محذوف فى ذلك .

ويقال فى جمعه : (هِنْدَاتٌ) ، و (مُسْلِمَاتٌ) ، بحذف الألف والتــــاء الأولين ، لا الأخريين الحادثين[١] .

---

[١] ينظر الكتاب : ٣٩٢/٣ ، ٣٩٣ ، والخصائص : ٦٥/٣ ، والإنصاف : ٤٢/١ ، ٤٣ ، وشرح الكافية الشافية : ١٨٠٦/٤ ، والهمع : ٤٣/١ ، والأشباه والنظائر : ٢١٤/٢ .

المبحث الثالث

امتنع تحريك هاء السكت

سميت هاء السكت بذلك ، لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة .

والغرض منها : التوصل إلى بقاء الحركة في الوقف ، كما اجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى بقاء السكون في الإبتداء(١) .

والأصل فيها أن تكون ساكنة ، لأنها إنما زيدت لأجل الوقف ، والوقف لا يكون إلا على ساكن ، ومنه سُمِيَّ وقفا ، لأنه وقوف عن الحركة ، فتحريكه يناقض الغرض الذى جئ بالهاء لأجله(٢) .

حكم زيادة هاء السكت :

زيادة هاء السكت على ضربين :

١ ـ لازمة .

٢ ـ غير لازمة .

فاللازمة تكون في مواطن ، من أهمها ما يلي :

أ ـ (ما) الاستفهامية إذا جُرَّتْ باسم ، نحو قولك ـ في إعتداءِ

(١) ينظر التصريح : ٣٤٤/٢ ، والصبان : ٢١٤/٤ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر : ٢٨٩/١ .

من اعتدى ـ : اعتداء مَـــهْ .

وكقولك ـ في مجئ من جئت ـ : مجــئ مــه[١] .

ب ـ الفعل المعتل اللام ، الذي بقـــى بعـــد الحـــذف علـــى حـــرف واحد .

كقولك ـ في (قِ زيدًا ، ولا تَقِ عمْرًا) : قـــهِ ، ولا تقـــهِ .

ونحو : (عِهْ) ، أمر مـــن (وَعَـــى) ، و (رِهْ) أمـــر مـــن (رأى) (يَــرَى)[٢].

وإنما لزمت الهاء في هذين النوعين ، لبقاء كـــل واحـــدة منـــهما ـ بعد الحذف ـ على حرف واحـــد ، والوقـــف لا يكـــون إلا علـــى ساكن ، والابتداء لا يكون إلا بمتحرك ، فلابـــد بعـــد الإبتـــداء مـــن حرف يُوقَفُ عليه ، فجئ بهاءالسكت لتـــؤدى هـــذا الغـــرض[٣] .

وكذا إذا بَقِيَ الفعل ـ بعـــد الحـــذف ـ علـــى حرفيـــن أحدهمـــا زائدة ، نحو : (لا تَقِهْ) ، و (لم يَعِهْ) ، و(لـــم يَـــرَهْ) .

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية : ١٩٩٩/٤ ، والهمع : ٢١٠/٢ ، والأشموني : ٢١٥/٤ .

(٢) ينظر ابن يعيش : ٤٥/٩ ، وشـــرح الكافيـــة الشـــافية : ١٩٩٩/٤ ، والهمـــع : ٢١٠/٢ ، والأشموني: ٢١٥/٤ .

(٣) ينظر التبيان في تصريف الأسماء ، صـــ ٣٤٣ .

وهذا ما ذهب إليه ابن مالك ، معللاً لذلك : بأن حرف المضارعة زائد ، فزيادة هاء السكت واجبة ، لبقائه على أصل واحد[١] .

وفيما ذهب إليه ابن مالك في هذا نظر ، لأن حرف المضارعة كالجزء من الفعل الذى اتصل به ، فما المانع أن تكون هاء السكت معه جائزة ، كما جازت في (ما) الاستفهامية.

بل كون حرف المضارعة كالجزء من الفعل ، أقوى من كون حرف الجر كالجزء من (ما) ، لأن حرف المضارعة لا تقوم بنية المضارع إلا به[٢] .

وقد رَدَّ ابنُ هشام ما ذهب إليه ابنُ مالك بقوله : "وهذا مردود بإجماع المسلمين على وجوب الوقف ــ إذا أردوا أن يقفوا على نحو : (وَلَمْ أَكُ)[٣] ، ونحو : (وَمَنْ تَقِ)[٤] بترك الهاء ، خوف الالتباس بالضمير المنصوب"[٥] أ.هـ .

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ٤/١٩٩٩ ، والأشموني : ٤/٢١٥ .

[٢] ينظر الصبان : ٤/٢١٥ .

[٣] سورة مريم من الآية ٢٠ .

[٤] أى : من قوله ــ تعالى ــ : (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ، سورة غافر من الآية ٩ .

[٥] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٣٤٤ .

وغير اللازمة تحقق في مواطن من أهمها ما يلي :
أ ـ (ما) الاستفهامية إذا جُرَّتْ بحرف ، نحو : (فِيمَهْ) ، و (لِمَهْ) ، و (عَمَّهْ) والمراد : فِيم ، ولِمَ ، وعَمَّ .

والأصل فِيمَا ، ولِمَا ، وعَمَّا ، دخلت حروف الجر على (ما) الاستفهامية ، ثم حذفت الألف للفرق بين الأخبار والاستخبار ، وبَقِيتْ الفتحة تدل على الألف المحذوفة ، ثم كرهوا أن يقفوا بالسكون ، فيزول الدليل والمدلول عليه ، فأتوا بالهاء ليقع الوقف عليها بالسكون ، وتَسْلَمُ الفتحةُ التي هي دليل على المحذوف[١] .

وإنما حذفت الألف في (ما) الاستفهامية ، ولم تحذف في الشرطية ولا في الموصولة لإرادة الفرق بين الاستفهامية وبينهما ، وكانت الألف في الاستفهامية أولى بالحذف ، لاستقلال الاستفهامية ، بخلاف الشرطية ، فإنها متصلة بما بعدها ، وبخلاف الموصولة ، فإنها والصلة كالاسم الواحد[٢] .

وعلة جواز إلحاق الهاء لـ (ما) الاستفهامية ـ في هذا الوجه ـ : أن الجار الحرفي كالجزء ، لإتصاله بـ (ما) لفظا

---

(١) ينظر ابن يعيش : ٩/٤٥ .

(٢) ينظر الأشموني : ٤/٢١٧ ، والسراج المنير ، صـ ١٦٢ .

وخطا ، بخلاف الجر بالاسم ، فوجب إلحاق الهاء للمجرورة بالاسم ، لبقائها على حرف واحد[١] .

والأكثر والأجود فى قياس العربية الإتيان بالهاء[٢] .

وزعم بعضهم أن زيادة الهاء ، عوضٌ من الألف الذاهبة .

واعتُرِض هذا بأن العوض يكون لازماً ، وهاء السكت ليست لازمة فى كل المواطن[٣] .

ب ـ الفعل المحذوف الآخِر ، إذا بَقِىَ على أكثر من حرف ـ خلافاً لابن مالك ، فيما بَقِىَ على حرفين أحدهما زائد ، كما سبق ـ مثل لم يَعِهْ ـ ولم يَرْمِهْ ، واخْشَهْ ، وكقوله ـ تعالى ـ: (بِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)[٤] ، أمر من (يَقْتَدِى) والهاء فيه للسكت ساكنة ، ومن كسرها ، فهى ضمير المصدر .

وكقوله ـ تعالى ـ : (لَمْ يَتَسَنَّهْ)[٥] ، على القول بأنه من السنة ، واحدة السنين ، وأن لامها واو محذوفة .

---

[١] ينظر الأشمونى : ٢١٧/٤ .

[٢] ينظر شرح الكافية الشافية : ١٩٩٩/٤ ، والأشمونى : ٢١٧/٤٠ ، والتبيان ، صـ ٣٤٤ .

[٣] ينظر الارتشاف : ٤٠٥/١ .

[٤] سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

[٥] سورة البقرة من الآية : ٢٥٩ .

والأصل : يَتَسَنَوْ ، قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحذفت الألف للجازم ، ثم لحقت هاء السكت في الوقف . وهذا اختيار المبرد .

وأما إذا قلنا : إن لام (سَنَة) هاء ــ على رأى الحجازيين ــ فالهاء في (يَتَسَنَّهْ) أصلية ، لأنها لام الفعل ، وهو مجزوم بالسكون .

وأما على القول : بأنه من الحمأ المسنون ، فأصله : يَتَسَنَنْ بثلاث نونات ، أبدلت النون الثالثة ألفًا كراهة اجتماع الأمثال ، فالهاء ــ على هذا ــ للسكت .

والفاعل في الجميع ضمير مفرد ، عائد على الطعام والشراب[١] .

جـ ــ كل مبنى على حركة بناء لازمًا غير عارض ، ولم يشبه المعرب ، نحو : كَيْفَهْ ، وثَمَّهْ ، ولَيْتَهْ ، وحَيّهَلَهْ ، وأنَّهْ .

ونحو ياء المتكلم ــ المفتوحة ــ كما في قوله ــ تعالى ــ : (كِتَابِيَهْ) ، (حِسَابِيَهْ) ، و (مَالِيَهْ)[٢] ،

---

[١] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٣٤٤ .

[٢] سورة الحاقة من الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .

و(سُلْطَانِيَهْ)[١] .

وكذلك (هُوَ ، وهِيَ) فيمن فتحَ في الوصـــل ككـاف الخطـــاب، فإنه يقول فى الوقف : (هُـوَهْ ، وهِيَـهْ)[٢] .

ومنه قوله ــ تعالى ــ : (وَمَـــا أَدْرَاكَ ماهِيَـــهْ)[٣] .

د ــ المثنـــى والمجمـــوع علـــى حـــدة : نحـــو : (مُسْـــلِمَانَهْ) ، و (مُسْلِمُونَهْ) ، لأن إعرابهما بـــالحروف .

ومنع ذلك ابن خروف ، وغلطه ابنُ الضائع فـــى ذلـــك .

قال فى التصريح : "وتلحق المثنـــى والمجمـــوع علـــى حـــده ، لأن إعرابهما بالحروف ، وليست حركة النـــون بـــإعراب" .

قال ابن الضائع : "وغلط ابن خروف فى المنـــع"[٤] أ.هـــ .

هـــ ــ عند من أجرى الوصـــل مجـــرى الوقـــف : كقـــراءة غـــير حمزة والكســـائى : (لَـمْ يَتَسَـنَّهْ وانْظُـرْ)[٥] ، و (فَبِـهُدَاهُمُ اقْتَـدِهْ

---

[١] ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٤٥/٩ ، وشرح الكافية الشافية : ٢٠٠٠/٤ ، والتصريح مـع حاشية يس : ٣٤٥/٢ ، والتبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

[٢] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٣٤٥/٢ .

[٣] سورة القارعة الآية ١٠ .

[٤] ينظر التصريح : ٣٤٥/٢ .

[٥] سورة البقرة من الآية : ٢٥٩ .

قُلْ)[١]، بإثبات هاء السكت في الدرج فيهما ، وأتى بـ (انْظُرْ) في الأول ، و (قُلْ) في الثاني ، ليبين كيفية الوصل[٢] .

والخلاف في إثبات الهاء في الوصل ، أما في الوقف فثابتة وفاقا[٣].

حكم تحريك هاء السكت :

هاء السكت جئ بها لبيان الحركات ، وقد يُؤتى بها لبيان حروف المد واللين .

وقد اجتلبت لأجل الوقف ، لذا الأصل فيها أن تكون ساكنة، لأن الوقف لا يكون إلا على ساكن ، ومنه سُمِّيَ وقفاً ، فتحريكها يناقض الغرض الذي جِئَ بها لأجله ـ كما سبق ـ وهو لحن وخروج عن كلام العرب ، وهذا ما قال به الزمخشري[٤] ، وتبعه ابن يعيش .

قال ابن يعيش : "اعلم أنه قد يؤتى بهذه الهاء لبيان حروف

---

[١] سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

[٢] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٣٤٦/٢ ، وراجع الكافية الشافية : ٢٠٠١/٢ ، والأشموني : ٢١٩/٤ ، والهمع : ٢١١/٢ .

[٣] ينظر الصبان : ٢١٩/٤ .

[٤] ينظر المفصل بشرح ابن يعيش : ٤٦/٩ .

المد واللين ، كما يُؤتَى بها لبيان الحركات ، نحو : (وَازَيدَاهْ وَاعُمَرَاهْ) ، و (وَاغُلامُهُوهْ) ، و (انْقِطَاعَ ظَهْرِيه) ، لئلا يزيل الوقف ما فيها من المد .

ولا تكون هذه الهاء إلا ساكنةً ، لأنها موضوعة للوقف ، والوقف إنما يكون على الساكن ، وتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب ، لأنه لا يجوز ثبات هذه الهاء فى الوصل فتحرك ، بل إذا وصلت استغنيت عنها بما بعدها من الكلام ، تقول : (وَازَيدَاهْ) ، فإذا وصلت قلت : (وازيدا وعُمَرَاهْ) ، فتلحق الهاء الذى تقف عليه ، وتسقطها من الذى تصله ، فأما قول الشاعر :

يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاجِيَه ... إِذَا أَتَى قَرَّبْتُهُ لِلسَّانِيَهْ[1]

فضرورة ، وهو ردئ فى الكلام لا يجوز ، وإنما اضطر

---

[1] رجز . لم أهتد لقائله .

المفردات : ناجية : اسم شخص ، وبنو ناجية قوم من العرب ، والسانية : الدلو العظيمة وآداتها، والناقة التى يسقى عليها من البئر ،وأراد بتقريب الحمار للسانية : أن يسقى عليه من البئر بالدلو العظيمة .

والشاهد فى قوله : (يا مرحباه بحمار ناجية) ، حيث أثبت هاء السكت محركة فى الوصل ، ويروى بضم الهاء وكسرها ، ويروى : دنا بدل : أتى .

من مواضعه : الخصائص : ٣٥٨/٢ ، والمنصف : ١٤٢/٣ ، وابن يعيش : ٤٦/٩ ، ٤٧ ، والخزانة : ٣٨٧/٢ ، ٢٦٩/٧ ، ٢٧٢ ، ٤٦٠/١١ .

الشاعر ــ حين وصل ــ إلى التحريــك ، لأنــه لا يجتمــع ســاكنان في الوصل على غير شــرطه إلا حــرك .

وقد رُوِيَ بضم الهاء وكســرها ، فالكســر لإلتقــاء الســاكنين ، والضم على التشــبيه بــهاء الضمــير فــي نحــو : (عَصَــاهُ) ، و (رَحَاهُ)"[1] أ.هــــ .

وقد اضطربت أقوالُ العلماءْ ، فــي إثبــات هــاء السـكت فــي الوصل وتحريكــها :

فقيل : إن ذلك ضـــرورة .

وقيل : إنه لغة لبعض العـــرب .

وأجاز الفراء[2] إثباتها في الوصل ، مكســـورة ومضمومـــة[3].

وذكر ابن جني أن ثبوت الهاء في الوصل محركـــة ، إنمـــا هــو منزلة الوصل والوقف ، قال في الخصـــائص : "فثبــات الــهاء فــي (مَرْحَبَاهُ) ليس على حد الوقف ، ولا على حـــد الوصـــل .

---

[1] ينظر ابن يعيش : ٤٦/٩ ، ٤٧ ، وراجع التبيان في تصريف الأسماء ، صـــ ٣٤٧ .

[2] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٤٠٨/٣ ، والأشموني : ١٧٠/٣ .

[3] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٤٠٨/٣ ، ٤١٦ ، والتصريح : ١٨٣/٢ ، والهمع : ١٨٠/١ ، والأشموني : ١٧٠/٣ .

أما : الوقف فَيُؤْذِنُ بأنها ساكنة : (يَــا مَرْحَبَــاهْ) .

وأما الوصل : فيــؤذن بحذفــها أصــلا : (يَــا مَرْحَبَــاً بِحِمَــار نَاجِيَة) .

فثباتــــها إذا فــــى الوصــــل متحركـــة منزلــــة بيــــن المنزلتين"[١] أ.هـــ.

[١] ينظر الخصائص : ٢/٣٥٩ .

المبحث الرابع
امتناع إدغام الملحق

الإدغام لغة : الإدخال

واصطلاحا : رَفْعُكَ اللسان ووضعك إيـاه دفعـة واحـدة ، بعـد إدخال أحدهما فى الآخـر[1] .

وإذا اجتمع حرفان مثلان فـي كلمـة ، وجـب إدغـام أولـهما بشروط ، منـها :

أن لا يكون الحرفان فـي وزن ملحـق ، فـإن كـان فـي وزن ملحق ، امتنع الإدغـام .

وهذا الحكم يشمل ثلاثة أنواع مـن الإلحـاق :

١ ــ ما حصل فيه الإلحاق بزائد قبل المثليـن ، نحـو : (هَيْلَـلَ) ــ إذا أكثر من لا إله إلا الله ــ فإن اليـاء فيـه مزيـدة للإلحـاق بـ (دَحْـرَج) .

٢ ــ ما حصل فيه الإلحاق بزيادة أحـد المثليـن ، نحـو : (جَلْبَبْتُ)

---

[1] ينظر التصريح : ٣٨٩/٢ ، وراجع الممتع : ٦٣١/٢ ، والارتشاف : ١٦٣/١ .

، فإن إحدى بائيه مزيدة للإلحاق بـــــ (دَحْـــرَجَ)[١] .

٣ ــ ما حصل فيه الإلحاق بزيادة أحـــد المثليـــن وغـيره ، نحــو : (اقْعَنْسَـــسَ) ، فإنـــه ملحـــق بـــ (احْرَنْجَـــــم) ، والإلحـــاق حصل فيـــه بالســين الثانيــة ــ علـــى المختـــار ــ وبالـــهمزة والنـــون[٢] .

وإنما امتنع إدغام أحد المثلين ــ فـــي الملحقـــات ــ لاســتلزامه فوات ما قصـــد مـــن الإلحـــاق ، إذ لـــو أدغـــم لأدى إلـــى نقـــض الغرض الذى جئ بزيادة الحرف لأجلــــه ، وهـــو موازنـــة الملحـــق للملحق به ، فينكسر الـــوزن بالإدغـــام[٣] .

قال ابـــــن يعيـــش : "الإدغـــام إنمـــا جِـــئَ بــه لضــــرب مـــن التخفيف ، فإذا أدى ذلك إلى فساد عُدِلَ عنه إلـــى الأصـــل ، وكـــان احتمال التثقيل أسهل عندهم ، وذلك على ثلاثـــة أضـــرب :
أحدهما : أن يكون الحرف الثـــانى مـــن المثليـــن مزيـــداً للإلحـــاق، نحو قولهم ــ فـــي الفعـــل ــ : (جَلْبَـــبَ) ، و (شَـــمْلَلَ) ، فـــالحرف

---

[١] ينظر الأشمونى : ٣٤٨/٤ .

[٢] ينظر التصريح : ٣٩٩/٢ ، والصبان : ٣٤٨/٤ .

[٣] ينظر شرح الكافية الشافية : ٢١٧٨/٤ ، والتصريح : ٣٩٩/٢ ، والأشمونى : ٣٤٨/٤ ، وشرح متن الشافية للجاربردى : ٢٣٢/٢ .

الثانى من المثلين كرر ليلحق ببناء (دَحْـــرَجَ) ، فلــو أُدغِمَــتْ لــزم أن تقول : (جَلَبَّ) ، و (شَمَلَّ) فتسكن المثل الأولـــى لتنقـل حركتــه إلى الساكن قبله ، فيخرج عن أن يكـــون موازنـًــا لــــ (دَحْـرَج) ، فيبطل غـــرض الإلحــاق ، والأحكــام الموضوعــة للتخفيــف ، إذا أدت إلى نقض أغراض مقصـــودة تُرِكــت .

ومثلـــه ــ فـــى الاســــم ــ : (مَـــهْدَدْ) ، و (قَـــرْدَدٌ)[1] ، و (قُعْدَد)[2]، (رَمْدَد)[3] ، فـ (مَهْدَد) ، : علـــم مـــن أســماء النســاء ، وهو فَعْلَـلٌ.

قال سيبويه : "الميم فيه من نفس الكلمـــة ، ولـــو كـــانت زائـــدة لأدغمت ، مثل : (مَفَرٌّ) ، و (مَـــرَدٌّ)" .

فثبت أن الدال ملحقة ، والملحــق لا يدغـــم .

وكذلك : (قُعْدَد) ملحق بـــت (بُرْثُــن) ، و(رِمْــدِدْ) ملحــق بــــ (زِبْرِجْ) .

---

[1] قردد : اسم جبل ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وهو ملحق بـــ (جعفر) ، ينظر الكتاب : ٤/٤٢٤ .

[2] الـــ (قعدد) : القريب الآباء من الجد الأكبر ، والبعيد الآباء منه .

وهو ملحق بـــ (جعشم) ، و (جندب) عند سيبويه ، ينظر الكتاب : ٤/٤٢٥ .

[3] الرماد معروف ، ويقال : رماد رمدد ، أى : هالك ، ينظر الصحاح : ١/٤٧٤ .

وكذلك : (عَفَنْجَج)[١] ، و (أَلَنْــدَد)[٢] ملحقــان بـــ (سَــفَرْجَل) في الخماسي»[٣] أ.هـــ .

(١) الضخم الأحمق ، ينظر الصحاح : ١/٣٢٩ ، وراجع المنصف : ٣/٩ .

(٢) الألندد واليلندد : الشديد الخصومة ، ينظر اللسان : (لدد) .

(٣) ينظر ابن يعيش : ١٠/١٢٢ ، ١٢٣ .

خاتمة

وبعد هذه الدراسة لتلك المسائل النحوية والصرفية ، استطعت أن أخرج بنتائج ، كان من أهمها :

١ ـ أن الفعل وضعه على التنكير والإبهام ، لأن الغرض منه إفادته ، ولذلك لم يدخله التعريف .

وإنما اختص التعريف بالاسم ، فلو عُرِّفَ الفعل لكان ذلك نقضا للغرض الذى جئ به من أجله .

٢ ـ امتنع الفعل من التنوين الذى يلحق الآخر لفظا ، لغير توكيد أو روى ، لأن معانى التنوين الأربعة لا تتأتى فى غير الاسم .

٣ ـ امتنع وصف العلم الذى اختَص بمسمى واحد واشتهر به ، لأنه وضع ليغنى عن الأوصاف الكثيرة ، فلو وُصِفَ لكان ذلك نقضاً للغرض الذى وُضِعَ من أجله .

أما إذا كثر المسمون به ، فلا مانع من وصفه ، لأنه ـ حينئذ ـ يدخله اللبس .

٤ ـ لا يجوز حذف خبر (كان) ـ عند بعض النحاة ـ لا اقتصاراً ولا اختصاراً ـ وإن كان قياس ذلك الحذف ، لأنه

في الأصل خبر عن المبتدأ ــ لأنــه عِـوَضٌ مــن المصــدر . فلو حُذِفَ لكان ذلك نقضا للغــرض الــذى جــئ بــه لأجلــه ، وقالوا : إن ما ورد من حذفه ، فــهو ضــرورة .

وأجاز بعضهم حذفه اختصاراً . وأجــاز الفــراء وابــن مــالك : حذف الخبر مع (ليس) اختيــارا ، إذا كــان اســمها نكــرة عامــة ، لأن الكلام قد يتوهم تمامه بــ (ليـــس) .

٥ ــ منع بعــض النحـاة حـذف عــامل المصــدر المؤكـد ، لأن المصدر جِئَ به لتقوية عامله والحذف ينــافى ذلــك .

ونازع ابن الناظم فى هــذه المسـألة ، حيــث ذكــر أن عــامل المصدر حُذِفَ جوازا ، إذا كان خــبرا عــن اســم عيــن ، وحــذف وجوباً مع التكرير ، وساق أمثلة لذلـــك .

وَرَدَّ ابنُ عقيل منازعة ابن الناظم ، وذكـــر أن مــا اســتدل بــه على وجوب حذف عامل المصدر المؤكد ، ليس مـــن بــاب التــأكيد فى شئ ، بل المصدر فيها نــائب منــاب العــامل وعُــوِّضَ منـــه ، بدليل عدم جواز الجمع بينـــهما ، ولا شــئ مــن المؤكـدات يمتنــع الجمع بينه وبين المؤكـــد .

وفيما قاله ابن عقيل نظـــر ، إذ لا مــانع مــن أن يقــال : أنــت تسيرُ سيرًا .

والحق أن المصدر النائب عن فعله من قسم المصدر المؤكد ، لكنه في معنى الاستثناء من قول الناظم :

"وَحَذْفُ عَامِلِ المؤكِدِ امْتَنَع"

٦ ــ أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات، لذلك لا يجوز حذف المقسم عليه وتبقية القسم ، فاستحال الإتيان بالمؤكد وحذف المؤكد ، لأن ذلك يعني نقض الغرض الذي جِئَ بالقسم لأجله .

وقد يُستغنى عن جواب القسم بمعموله ، أو بقسم مقرون بأحد حروف الإجابة ، أو بجواب شرط مقدم على القسم .

٧ ــ أن المضاف كالجزء من المضاف إليه ، فلذلك لا يلحقه التنوين ، لأن التنوين يدل على الإنفصال ، والإضافة تدل على الإتصال ، ولا يفصل بين ما جعلا كشيء واحد .

كما أن الإضافة موضوعة للتعريف أو التخصيص ، والتنوين دليل التنكير ، فالجمع بينهما جمع بين ضدين .

٨ ــ أن حذف المضاف إليه أقل من حذف المضاف وأبعد قياسا ، لأن الغرض من المضاف إليه التعريف أو التخصيص ، فإذا حذف كان نقضا للغرض وتراجعا عن المقصود ، ويجوز حذف المضاف إليه ، إذا عطف على المضاف اسم

عامل في مثل المضاف إليه المحذوف ، نحو قولهم : (خُذْ رُبْعَ ونِصْفَ ما حَصَل) .

وهذا عند سيبويه من باب الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهو لا يجوز إلا فى الشعر عنده وعند الجمهور .

وأجاز ابن مالك نحو هذا قياساً وسماعاً ، وجعله من حذف الأول لدلالة الثانى عليه .

٩ ـ أن الصفة والموصوف كالشئ الواحد ، لأن البيان والإيضاح يحصل من مجموعهما ، لذلك كان القياس ألا يحذف واحد منهما ، لأن حذف أحدهما نقض للغرض ، وتراجع عما التزموه .

وأجاز بعضهم حذف الموصوف ، إذا قُصِد الإبهام على السامع .

أمّا إذا عُلِم النعت أو المنعوت ، فحذفه جائز ، ويكثر هذا فى المنعوت ويقل فى النعت .

١٠ ـ أن الغرض من التوكيد التقوية ، لذلك لا يحذف المؤكد ويقام المؤكد مقامه ـ على الأصح ـ لأن الحذف ينافى ذلك الغرض .

١١ ـ أن نون التوكيد إذا اجتمعت مع نون الرفع ، حذفت نون

الرفع وامتنع حذف نون التوكيد ، لفوات المقصود منها إذا حذفت ، إذ لا دليل عليها ، ولأنها قائمة مقام تكرير الفعل، ودالة على معنى ، لذا كانت أولى بالبقاء من نون الرفع.

١٢ ـ ذهب الفراء والأخفش : إلى أن المحذوف من (أفعل ، واستفعل) ـ المعل للعين) إنما هو العين ، وكذلك في اسم المفعول من نحو : (قال وباع) لأن عين المصدر واسم المفعول لغير معنى ، بخلاف ألف المصدر وواو مفعول ، فقد جاءتا لمعنى ، وحذف مالا معنى له أولى ، بخلاف ما جاء لمعنى ، فإن حذفه نقض للغرض الذى جيئ به لأجله ، كما أنه عوض عن المحذوف ، والتعويض عهد عن الأصلى .

وذهب الخليل وسيبويه : إلى أن المحذوف من نحو ما ذكر، إنما هو ألف المصدر ، وواو المفعول ، لأن الزائد هو الأولى بالحذف ، كما أنه في حذف واو مفعول وإبقاء العين ، فرق بين الواوى واليائى .

١٣ ـ يمتنع إلحاق (مِنْ) بـ (أفعل التفضيل) إذا كان معرفاً بـ (أل) ، لأن (مِنْ) تكسب (أفعل) تخصيصا ما ، أما (أل) فتستوعب من التعريف أكثر مما تفيده (مِنْ) من

التخصيص، فالجمع بينهما نقض للغرض .

فإن كانت (مِنْ) غير داخلة على المفضول ، جاز الجمع بينها وبين ذى (أل) .

١٤ ــ أنه لا يجوز تثنية المثنى ، لأن ما حصل فيه من علم التثنية أولا ، يؤذن بكونه اثنين وما يلحقه من علامة التأنيث ثانيا يؤذن بكونه فى الحال الأولى مفردا ، وهذا يعنى نقض الغرض الذى جئ بالعلامة من أجله فى الحالة الأولى ، كما أنه يلزم منه اجتماع إعرابين فى كلمة .

١٥ ــ إذا أريد جمع ما فيه تاء التأنيث بالألف والتاء ، حذفت تاء المفرد ، لأن التاء فى المفرد أفادت تأنيثه وحصلت له حكمه ، فلو ذهبت تلحقها علامة أخرى ، كأن تقول ــ فى (قائِمة) مثلا : قائِمَتات ، لنقضت ما أثبت من التأني الثانى له ، لأن فى ذلك إيذاناً بأنه فى الأول لم يكن مؤنثا .

١٦ ــ أن هاء السكت زيدت لأجل الوقف ، فلا تكون إلا ساكنة ، لأن الوقف لا يكون إلا على ساكن ، فإذا حركتها فقد نقضت الغرض الذى جِئتَ بالهاء لأجله ، فتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب .

ولا يجوز إثباتها فى الوصل ، وأجاز الفراء إثباتها فى

الوصل مكسورة ومضمومة وجعله ابن جني منزلة بين الوصل والوقف .

١٧ ــ إذا اجتمع مثلان فى كلمة وَجبَ إدغامُ أولهما ، فإن كانا فى وزن ملحق امتنع الإدغام ، إذ لو أدغِمَ لأدى إلى نقض الغرض الذى جئ بزيادة الحرف لأجله وهو موازنة الملحَق الملحَق بِهِ ، وحيتئذ ينكسر الوزن بالإدغام .

هذا والله من وراء القصد ، وهو حسبى ونعم الوكيل

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د/ محمود أحمد شحاته حسانين
أستاذ مساعد بقسم اللغويات بجرجا

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان ، تحقيق الدكتور / مصطفى أحمد النماس ، طبعة النسر الذهبى ، الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، طبعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- الأصول فى النحو لابن السراج ، تحقيق الدكتور / عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى ، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- تاج العروس للزبيدى ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- التبيان فى تصريف الأسماء ، تأليف الدكتور / أحمد حسن كحيل ، مطبعة السعادة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- تصريف الأسماء للشيخ الطنطاوى ، مطبعة وادى الملوك ، الطبعة الخامسة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- تعليق الفرائد على تسيل الفوائد للدمامينى ، تحقيق الدكتور / محمد عبد الرحمن المفدى ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردى لمتن الشافية ، عالم الكتب ، بيروت .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر .
- حاشية يس على شرح التصريح ، مطبعة عيسى الحلبي ، مصر .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ / عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح / عبد السلام هارون ، مطبعة المدني ، الناشر مكتبة الخانجي ، مصر .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق / محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق الدكتور / حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- السراج المنير في الصرف ، للدكتور / محمد عبد الحميد سعد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م ، مطبعة السعادة ، مصر .
- شذا العرف في فن الصرف للشيخ / أحمد الحملاوي ، مطابع الأمل ، جدة ، الطبعة الرابعة .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر .
- شرح ألفية ابن معطي المسمى بالمباحث الخفية في حل مشكلات الدرة الألفية لعبد العزيز بن جمعة ، تحقيق ودراسة / علي موسى الشوملي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الناشر مكتبة الخريجي .
- شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق الدكتور / عبد الرحمن السيد ، والدكتور / محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ / خالد الأزهري ، وبهامشه حاشية الشيخ يس ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، مصر .

- شرح الجاربردى على متن الشافية ومعه حاشية ابن جماعة على الشرح المذكور ، عالم الكتب ، بيروت .
- شرح شواهد المغنى للسيوطى ، تصحيح وتعليق الشيخ / محمد محمود الشنقيطى ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق الدكتور / عبد المنعم أحمد هريدى ، دار المأمون للتراث ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .
- الصحاح للجوهرى ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر .
- الضياء فى تصريف الأسماء ، تأليف الدكتور / مصطفى أحمد النماس ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .
- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
- فهارس كتاب سيبويه ودراسة له ، صنع الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
- كتاب سيبويه ، تحقيق / عبد السلام هارون .
- الجزء الأول : مطبعة المدنى ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

والجزء الثانى : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

والجزء الثالث : مكتبة الخانجى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

والجزء الرابع : دار الجيل للطباعة ، الفجالة ، الطبعة الثانية : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض .

والجزء الخامس : مطبعة المدنى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ،

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض .

- اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري .
- لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف ، مصر .
- معاني القرآن للفراء ، تحقيق الدكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، والأستاذ / على النجدى ناصف .
- الجزء الأول : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .
- والجزء الثاني : طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- والجزء الثالث : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٧٢م .
- معجم شواهد العربية ، تأليف / عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، الناشر مكتبة الخانجي ، مصر .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- المفصل بشرح ابن يعيش ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني ، على هامش خزانة الأدب ، طبعة بولاق .
- الممتع في التصريف لابن عصفور ، تحقيق الدكتور / فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني) ، تحقيق الأستاذ / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، طبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

- الموسوعة النحوية والصرفية ، تأليف الدكتور / يوسف أحمد المطوع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، جامعة الكويت .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية للسيوطى عنى بتصحيحه السيد / محمد بدر النعسانى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- الواضح فى تصريف الأسماء (القسم الأول) ، تأليف الدكتور / محمد عبد الله الحميد سعد ، دار التوفيقية للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

من صيغ العربية وأوزانها
(فَعُلَ)
دراسة نحوية تصريفية

للدكتور
لطفى عبد الرحيم أحمد خليل
مدرسة اللغويات
فى كلية اللغة العربية بأسيوط

من صيغ العربية وأوزانها (فَعُـــل)

دراسة نحوية تصريفية

للدكتور
لطفي عبد الرحيم أحمد خليل
مدرس اللغويـــــات
في كلية اللغــة العربية بأسيـــوط

الحمــد لله رب العـــالمين ، والصـــلاة والســلام علـــى أشـــرف الأنبياء وخـــاتم المرســلين ، ســيدنا محمــد وعلـــى آلــه وصحبــه أجمعيــن ...

وبعــــــــد ... ،

فقد قسم اللغويون الأبنية قسمين : أحدهمـــا للأســماء ، والآخــر للأفعال ، وبالمقارنة بيــــن أبنيـــة الأســماء والأفعـــال ، يلاحــظ أن أبنية الأفعال محدودة إذ تبلغ بضعة وعشـــرين بنـــاء ، وأمـــا أبنيـــة الأسماء فعددها كبير جــدا .

وقد وقع اختياري على صيغـــة مـــن صيـــغ العربيـــة الخاصـــة بالأفعال وهي صيغة (فعُل) بفتح الفاء وضـــم العيـــن إحـــدى أبنيـــة الثلاثي المجـــرد.

وقد عمدت هذه الدراسة إلى بيان مـــا يـــأتي :

١ــ بيان كيفية صوغ (فعُل) من الصحيح ، ومن المعتل بأنواعهما ، وكذا صوغها من الأفعال الناقصة .

٢ــ بيان حكم (فعُل) من حيث التعدى واللزوم ، وموقف علماء التصريف.

٣ــ الوقوف على التصاريف المختلفة لـ (فعُل) كالمضارع ، والأمر، والمصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ، واسم التفضيل .

٤ــ إيراد المعانى الوظيفية ، والدلالات المتعددة لصيغة (فَعُل) ، واستخلاص ما ذكره العلماء فى كتبهم ، وبخاصة سيبويه فى كتابه ، وكذلك إيراد العلاقة بين (فَعُل) وغيرها من الأبنية الأخرى مما يدل على أن هذا البناء (فَعُل) أصدق مثال تطبيقى للفكرة القائلة بتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد .

٥ــ بيان أثر لغات العرب ولهجاتهم فى صيغة (فَعُل) ، والوقوف على ذلك من خلال القرآن الكريم وقرآءاته.

٦ــ دلالة (فَعُل) على التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح ، أو الذم ، وذلك بتحويل الفعل المتعدى إلى هذه الصيغة .

من هنا يتبين لنا أن علماء النحو والتصريف تناولوا هذه

الصيغة في أبواب متفرقة ، ومواضع متناثرة فتحدثوا عنها في (الميزان الصرفي ، وأبواب المجرد ، والمزيد) ، (المتعدى واللازم) ، و(المصادر) ، و(المشتقات) ، و(التعجب) ، و(المدح والذم) .

لذلك حاولت أن أجمع كل ما يتعلق بهذه الصيغة ، وأن أضم شتاتها في ثنايا هذا البحث حتى أوفر لدارس اللغة ، والنحو ، والصرف كل ما يهمه عن صيغة (فعْل) .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أبنية الثلاثي المجرد :

اختلف الصرفيون في تقسيم أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، فمنهم من نظر إلى عين الفعل في الماضي فعدها ستة أبواب هي :

(فَعَل يفعُل) و(فَعَل يفعِل) ، و(فَعَل يفعَل) و(فعِل يفعَل) و(فعُل يفعُل) و(فعِل يفعِل) .

ومنهم من نظر إلى حركة عين الفعل الماضي فعدها ثلاثة وهي : (فعَل ، وفعِل ، وفعُل)[١] كضرب ، وعلم ، وظرف ، ومنهم من زاد على الثلاثة رابعا وهو (فُعِل) المبني للمفعول[٢] ، ومنهم من قصرها على الأبنية الثلاثة التي تختلف فيها حركة عين المضارع عنها في الماضي وهي : (فعَل يفعُل) ، و (فعَل يفعِل) ، و (فعِل يفعَل) ، ويعدونها دعائم الأبواب لاختلاف

---

(١) ينظر الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، ٣٨/٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٧ ، طبعة عالم الكتب بيروت ، والتصريح للشيخ خالد الأزهري ٣٥٧/٢ ، طبعة الحلبي .

(٢) اختلف في (فعل) المبني للمفعول فقيل إنه أصل برأسه ، وإليه ذهب المبرد وابن الطراوة والكوفيون وقيل : إنه فرع من فعل الفاعل وإليه ذهب جمهور البصريين .

ينظر : التصريح ٣٥٧/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١٦٤/٢ ، الطبعة الأولى .

حركاتهن فى الماضى ، والمستقبل ولكثرتهن[(١)] .

صياغة (فَعُل) :

أولا : صياغتها من الصحيح :

الفعل الصحيح هو ما خلت أصوله من أحرف العلة وهى : الألف والواو والياء نحو : كتب وجلس ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام : سالم ، ومهموز ، ومضعف .

وفيما يلى توضيح لصياغة (فعُل) من هذه الأنواع :

١ ـ من السالم :

السالم هو : ما سلمت أصوله من أحرف العلة والهمزة ، والتضعيف ، ويصاغ منه (فعُل) وهو أكثر أنواع الصحيح استعمالا فى هذه الصيغة نحو : شرُف ، وحسُن ، وقبُح .

٢ ـ من المهموز :

كما يصاغ (فعُل) من الصحيح السالم ، يصاغ أيضا من المهموز ، وهو ما كان أحد أصوله همزة نحو (أَجُن الماءُ)[(٢)]

---

(١) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها للأستاذ / هاشم طه شلاش ، صـ ٢١ ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف .

(٢) قال ابن منظور : "هذه عن ثعلب" ، انظر : لسان العرب (أجن) ، ٨/١٣ ، طبعة دار صادر بيروت .

أي : تغير طعمه ، و(أَبَلَ الرجل) أي : تنسك[١] ، و (أَخُذَ اللبن) أي : حمض ، و (أَنِضَ اللحم) أي : لم ينضج[٢] ، ونحو: (كؤم ، وبؤس) ، ونحو : (بطؤ ، ودنؤ) .

وإذا نظرنا إلى (فعُل) المهموز الفاء وجدنا أمثلته تذخر بها كتب اللغة والمعاجم لكن لا وجود لها في الاستعمال اللغوي على الرغم من قلة حروفها ، وسهولة نطقها .

ولعل السبب في ذلك أن هذه الأفعال تأتي ملازمة لأسماء بعدها ، فمثلا (أَخُذ) ملازمة للبن ، و (أَنِض) ملازمة للحم وهكذا .

٣ ـ من المضاعف :

يقصد بالمضاعف هنا ما كانت عينه ولامه من جنس واحد، وقد ذكر الصرفيون أن المضاعف يستثقل مجيئه من صيغة (فَعُل) إلا في أفعال قليلة ذكر منها يونس فعلا مضاعفا جاء على وزن (فَعُل) وهو (لَبُبَ) يقال : لبُب فلان أي : صار لبيبا[٣]، قال سيبويه : "وزعم يونس أن من العرب من يقول :

---

(١) ينظر اللسان (أبل) ، ١١/٧ .

(٢) ينظر اللسان (أنض) ، ١١٥/٧ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (أنض) ، ٨٢١ .

(٣) ينظر : اللسان (لبب) ، ٧٣٠/١ .

لببت تَلَبَّ كما قالوا : ظرُفت تظرُف"(١) .

وزاد ابن خالويه على (لب) فعلا آخر ، وهو (عَزَّ) فقال : "ليس فى كلام العرب ما جاء من المضاعف على فَعُلْت إلا قولهم : لَبُبْتَ يا رجل ذكره يونس ، ولبب الرجل كل ذلك من اللب ، وقولهم : عزُزت الشاةُ : إذا قل لبنها من قولهم : شاة عزوز ، إذا كانت ضيقة الأحاليل قليلة اللبن. وهى ضد الفتوح"(٢) .

وذكر رضى الدين الاستراباذى ، وقال بعضهم : "عزت الناقة أى : ضاق إحليلها تعُز بالضم ، وشرَّ ، ودمَّ أى : صار دميما وثلاثتها فَعُل بالضم"(٣) .

وهناك فعلان آخران زادهما ابن منظور وهما : (حَبُب ، وشَرُر) قال : "وحَبُبْتَ إليه : صرت حبيبا ، ولا نظير له إلا شرُرْتَ من الشر ، وما حكاه سيبويه عن يونس قولهم : لبُبْتَ

---

(١) الكتاب ٣٧/٤ ، وينظر أيضا : فى تصريف الأفعال ، د/ عبد الرحمن محمد شاهين ، صـ ٣٩ ، منشورات مكتبة الشباب .

(٢) ليس فى كلام العرب لابن خالويه ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، صـ ٧٣ ، ٧٤ ، وينظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وأخرون ، ٧٨/٢ .

(٣) ينظر : شرح الرضى للشافية ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين ، ٧٨/١ ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت .

من اللـب"[١] .

وذكر السيوطي بعض هذه الأفعال وهي : (شررت ، وخففت ، ودممت)[٢] .

وفي الصحاح ما يدل على إنكار الجوهري لهذه الأفعال التي جاءت على صيغة (فعُل) من المضاعف ما عدا (لبُب) حيث قال : "وحكى يونس بن حبيب : لبُبت بالضم ، وهو نادر لا نظير له من المضاعف"[٣] .

مما سبق يتبين لنا أن الأفعال التي تصاغ على (فعُل) من المضاعف قليلة ، وقد علل سيبويه لذلك بأن (فعُل) وزن ثقيل ، والتضعيف ثقيل أيضاً فحاد العرب إلى وزن غير (فعُل) قال : "واعلم أن ما كان من التضعيف من هذه الأشياء فإنه لا يكاد يكون فيه (فَعُلْتُ ، وفَعُل) ؛ لأنهم قد يستثقلون (فَعُل) والتضعيف فلما اجتمعا حادوا إلى غير ذلك وهو قولك : ذل يذل ذلا وذلة وذليل ، وقالوا : شح يشح ، وقالوا : شحِحت ،

---

[١] اللسان (حبب) ٢٩١/١ ، و (سرر) ٣٥٧/٤ ، ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، صـ ٣٠ .

[٢] ينظر : المزهر ٣٧/٢ .

[٣] الصحاح للجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار (لبب) ٢١٦/١ ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، وينظر : شرح الرضي للشافية ، ٧٨/١ .

كما قالوا : بخِلت ، وذلك ؛ لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة، ألا ترى أن (فَعِل) أكثر في الكلام من (فعُل) ، والياء أخف عليهم من الواو وأكثر"[١] .

وقال أيضا في موضع آخر : "وزعم يونس أن من العرب من يقول لببُت تلب كما قالوا : ظرُفت تظرف ، وإنما قل هذا ؛ لأن هذه الضمة تستثقل فيما ذكرتُ لك ، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا فروا منهما"[٢] .

وعلة الثقل التي ذكرها سيبويه أشار إليها أيضا ابن قتيبة حيث قال : "والمضاعف يستثقل فيه فعُل يفعُل نحو : ذلّ يذِل ، وفلّ يفِل ، وشحّ يشِح إلا حرفا حكاه يونس : لببُت تلُب من اللب"[٣] .

وإذا نظرنا إلى هذه الأفعال التي جاءت على صيغة (فعُل) من المضاعف نجد أنه قد شاركها في لفظها وزنان آخران هما: (فَعِل) بالكسر مع (لببِت) و (فَعَل) بالفتح مع غيرها من الأفعال

---

[١] الكتاب ٤/٣٦ ، ٣٧ .

[٢] الكتاب ٤/٣٧ ، وينظر : شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش تحقيق ، د/ فخر الدين قباوة ، صـ ٤٧ .

[٣] أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق / محمد الدالي ، صـ ٤٧٢ ، طبع : مؤسسة الرسالة .

الأخرى ، وهذا يؤكد لنا ورود تداخل اللغات في هذه الأفعال حيث وردت بضم العين ، وفتحها ، وكسرها ، وأكثرها استعمالا هو الفتح والكسر ، وليس الضم يؤكد هذا ما أشار إليه العلماء بأقوالهم في هذا الصدد :

أ ــ قال سيبويه : "وقالوا : لَبَّ يلَبّ"[١] .

ب ــ وقال الجوهري عن (لببت) بالضم : "وهو نادر لا نظير له في المضاعف"[٢] .

جـ ــ وقال ابن يعيش : "والأكثر : لبِبت بالكسر تلَبّ"[٣] .

د ــ وقال ابن مالك : "ولم يرد فعُل مضاعفا إلا قليلا مشروكا"[٤] .

هـ ــ وقال الرضي : "ولم يأت شرُدت بالضم بل شردت بالفتح والكسر"[٥] .

و ــ وقال السيوطي : "وما رواه يونس : لببُت تلب ، والأعم :

---

(١) الكتاب ٤/٣٧

(٢) الصحاح (لبب) ١/٢١٦ .

(٣) شرح الملوكي ٤٧ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ، ٣/٤٣٥ ، طبعة دار هجر .

(٥) شرح الشافية ١/٧٨ .

لَبِبَت تَلَب"[١] .

ويمكن أن نخلص من هذه المسألة فيقال : إن (فَعُل) لا يصاغ من المضاعف إلا فى أفعال قليلة مسموعة عن العرب ، ووافقت إحدى لغات العرب نحو : لببُت[٢] ، وحببُت ، ودممُت.

وقد ذكر الرضى احتمالا آخر فى هذه المسألة وهو نقل هذه الأفعال من (فَعَل) بالفتح أو الكسر إلى صيغة (فعُل) بالضم بقصد التعجب قال : "إن المضاعف قد ينقل إلى (فعُل) فى التعجب مثل : حببُت ، فلا يستعمل حبَّ وشدَّ بمعنى صار حبيبا وشديدا إلا فى التعجب"[٣] .

ثانيا : صياغتها من المعتل :

١ ـ من المثال :

أ ـ المثال الواوى :

تأتى صيغة (فعُل) من المثال الواوى الفاء نحو : وضُع ، ووضُؤ ، ومضارعه يأتى على (يفعُل) نحو : يوضُع ، ويوضُؤ

---

[١] المزهر ٢/٩٤ .

[٢] ينظر : القاموس المحيط (لبب) ، ١٧٠ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ، د/ محمد عبد الخالق عضيمة ، ١١٥ .

[٣] شرح الشافية ١/٧٨ بتصرف .

، ولا تحذف منه الواو كما حذفت مع الكسر في (يَعِد) ، ولا تقلب ألفا كما قلبت في (ياجل) ؛ لأنه بناء موضوع للزوم والثبات فلم يغير لذلك[1] .

وهذا ما أشار إليه سيبويه ، بقوله : "وقالوا : وضُؤ يوضُؤ، ووضَع يوضَع ، فأتموا ما كان على (فعل) ؛ لأنهم لم يجدوا في (فَعُل) مصرفا إلى (يَفْعِل) ، كما وجدوه في باب (فَعَل) نحو: ضرب ، وقتل ، وحسب ، فلما لم يكن يدخله هذه الأشياء وجرى على مثال واحد سلموه وكرهوا الحذف لئلا يدخل في باب ما يختلف يفْعَل منه ، فألزموه التسليم لذلك"[2] .

ب ــ المثال اليائي :

ذكر العلماء أن المثال اليائي (وهو ما كانت فاؤه ياء) لا يصاغ منه (فعُل) بضم العين ، وإنما يصاغ منه (فعَل) بفتح العين أو (فعِل) بكسرها نحو : ينَع ويئس ، وييس .

قال ابن يعيش : "وأما ما كان فاؤه الياء فإنه يجئ الماضي منه على (فعَل) مفتوح العين وعلى (فعِل) مكسور العين ، ولم

---

(١) ينظر : شرح الملوكي ٥٠ ، ٥١ .

(٢) الكتاب ٤/٥٣ ، ٥٤ .

يأت منه (فعُل) مضموم العين فيمـــا أعلــم"[١] .

ومن خلال الاطلاع والبحث تبين وجــود بعــض الأفعــال يائيــة الفاء على وزن (فَعُل) بضم العين نحـــو (يَمُــن)[٢] ، و (يَسُــر)[٣] ، و (يَتُــم)[٤] .

والناظر لهذه الأفعال يجد أنـــها قــد تــأتى ــ أحيانــا ــ بفتــح العين ، وقد أشار إلى ذلك ســيبويه فقــال : "وذلــك قولــك : يَسَــر يَيْسِر وَيَمَن يَيْمِن"[٥] ، كما أشار إلى ذلـــك أيضــا ابــن يعيــش[٦] ، ولعل ذلك من تداخل اللغـــات .

وهناك احتمال آخر ، وهو أن هذه الأفعال التـــى جــاءت علـــى (فَعُل) مما فاؤه ياء قد حولت من (فَعَل) بفتـــح العيــن إلـــى صيغــة (فَعُل) بضم العين لقصــد التعجــب ، خاصــة وأن معنـــى التعجــب واضح وجلى فى هذه الأفعـــال .

---

[١] شرح الملوكى ٥١ .

[٢] ذكره ابن منظور فى اللسان (يمن) ٤٥٨/١٣ والفيروزآبادى فى القاموس المحيط (يمن) ١٦٠١ .

[٣] ذكره الرضى فى شرح الشافية ١٢٩/١ .

[٤] ذكره الجوهرى أنه من باب (علم) ينظر : الصحاح (يتم) ٢٠٦٤/٥ .

[٥] الكتاب ٥٤/٤ .

[٦] ينظر : شرح الملوكى ، صـــ ٥١ .

٢ ـ سنن الأجوف :

أ ـ الأجوف الواوي :

الذي يطالع كتب اللغة يجد أن العرب قد استعملت (فعُل) من الأجوف الواوي ، ومن أمثلته : (طال)[١] ، يقول ابن يعيش: "وأما (فعُل) فمنه : طال يطول : إذا أردت خلاف قصر، وهو غير متعد كما أن (قصُر) غير متعد كذلك ، فهذا من المعتل نظير (ظرُف) في الصحيح ؛ ألا ترى أنهم قالوا في الاسم منه : طويل كما قالوا : ظريف"[٢] .

وإذا نظرنا إلى هذا الفعل (طال) وجدنا له استعمالا خاصا في القرآن الكريم حيث لم يرد إلا لازما ومعناه : ضد قصر من ذلك قوله تعالى : (أفطالَ عليكمُ العهدُ)[٣] ، (حتّى طال عليهمُ العُمُر)[٤] ، (فطالَ عليهمُ الأمدُ)[٥] .

وقد جاءت الآيات على نمط واحد حيث ذكر أولا الفعل (طال) ثم جاء بعده حرف الجر (على) جارا لضمير ، ثم جاء

---

[١] ينظر : الكتاب ٤/٣٤٠ .

[٢] شرح الملوكي ٥٦ .

[٣] من الآية ٨٦ من سورة طه .

[٤] من الآية ٤٤ في سورة الأنبياء .

[٥] من الآية ١٦ في سورة الحديد .

بعده الفاعل اسما ظـاهرا .

وذهب الكسائي إلى أن وزن (قال) : (فَعُـل) ، وقـال سيبويه: "لا يجوز ذلك لأنه لا يتعـدى"[١] .

وأما (كاد) فاختلف في أصلـها ووزنـها ، وهـل عينـها واوا أو ياء ؟ قيل : إن ألف (كاد) أصلـها واو ، وقيـل : يـاء[٢] ، وحكـى سيبويه (كُدْتَ) بضم الكاف علـى وزن (فَعُلْـتَ)[٣] .

ب ــ الأجوف اليـائي :

ذكر علماء التصريف أن الأجـوف اليـائي لا يجـئ مـن بـاب (فعُل) ، وذكروا فعلا واحدا فقط هو الذي جـاء علـى (فعُـل) مـن الأجوف اليـائي وهـو (هيُـؤ الرجُـل) أي : صـار ذا هيئـة[٤] ، وحكموا عليه بالشذوذ[٥] ، ولذلـك يقـول ابـن منظـور : "يقـال : هَيُؤَ بضم الياء ، وقد خرج مخرج المبالغة ، فلحـق ببـاب قولـهم:

---

(١) الكتاب ٤/٣٤٠ ، ٣٤١ ، وينظر : شرح الملوكي ٥٣ ، والمزهر ٢/٧٠ .

(٢) ينظر : الهمع ١/١٢٩ .

(٣) ينظر : الكتاب ٣/١١ ، ٤/٤٠ ، ٣٤٣ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق / محمد الدالي : ٤٨٤ .

(٤) ينظر : شرح الرضي للشافية ١/٧٦ ، والمزهر ٢/٣٧ ، والهمع ٢/١٦١ ، والمغني في تصريف الأفعال ١١٥ .

(٥) ينظر : إرتشاف الضرب لأبي حيان تحقيق د/ مصطفى النماس ١/٧٦ ، والهمع ٢/٦١ .

قَضُوَ الرجل : إذا جاد قضاؤه ، فكما يبنى (فَعُـــل) ممـــا لامـــه يـــاء كذلك خرج هذا على أصله فى (فَعُل) مما عينه يـــــاء ، وعلتـــه فـــى ذلك أن هذا بناء لا يتصرف لمضارعتــــه ممـــا فيـــه مـــن المبالغـــة لباب التعجب ، ونعم وبئس فلما لم يتصرف احتملـــوا فيـــه خروجـــه فى هذا الموضع مخالفا للبـــــاب"[1] .

أما ابن يعيش فقد رفض مجـــئ (فَعُــل) مـــن الأجـــوف اليـــائى قال : "ولم يأت من هذا (فعُل) بالضم كأنـــــهم رفضـــوا هـــذا البنـــاء فى هذا الباب لما يلزم من قلب الياء فـــــى المضـــارع"[2] .

وإذا نظرنا إلى الفعل (هَيُؤَ) وجدنا أن الياء فيـــه قـــد تحركـــت ، وانفتح ما قبلها فكان ينبغى قلبها ألفا ، لكن هذا لـــــم يحـــدث ؛ لأنـــها لو قلبت ألفا لحدث إعلال بالنقل فى مضارعـــه بنقـــل حركتـــها إلـــى مـــا قبلـــها وقلبـــها واوا ؛ لأن المضـــارع يتبـــع المـــاضى فـــــى الإعلال فيصـــــير (هـــاء يَـــهُوء) فيحصـــل الانتقـــال مـــن الأخـــف إلى الأثقـــل[3] .

من هنا نجد أن (فَعُل) من الأجوف اليائى قليـــل حيـــث لـــم يـــرد

---

(1) اللسان (حيا) ١٨٨/١ .

(2) شرح الملوكى ٥٨ .

(3) ينظر : شرح الرضى للشافية ٧٦/١ .

من ذلك إلا فعل واحد كما تقدم . ولعـــل السـبب فـي ذلـك لـزوم قلب الياء فى المضارع ، واستثقال الضمـــة علـــى اليـــاء ، ولذلـك استغنى عن (فَعُل) بالوزنين الآخرين (فَعَل) بفتـــح العيـــن و (فَعِـل) بكســـرها .

وقد ذكر ابن مالك بعض الأفعال التى استعملت فـــى اللغـــة مـــن الأجوف اليائى ، وأصلها (فَعُـــل) بضـــم العيـــن وهـــى : (طـاب ، وبانَ ، ولانَ ، وهاءَ ، وناءَ) وقد قلبت اليـــاء فيـــها ألفـــا لتحركـــها وانفتاح ما قبلها ، قال ابن مـــالك ــ رحمـــه الله ــ : "ويـــدل علـــى أن أصل هذه الأفعال أن تكون (فَعُل) دلالتـــها علـــى معـــان طبعيـــة أو كالطبعية فى اللـــزوم ، ولذلـــك جـــاءت أســـماء فاعليـــها علـــى (فعيل) فى المضـــاعف ، والمعتـــل الـــلام ، وعلـــى (فيعـــل) فـــى المعتل العين ؛ لأن فَيْعِلا فيمـــا اعتلـــت عينـــه ممـــا حـــق فعلـــه أن يكون على (فَعُل) ناب عن (فعيل) فـــى ذوات اليـــاء كلـــها كطيّب وأخواتها إلا فى نَاءَ اللحـــم"[1] .

كما أشار ابن مالك إلى ذلك فى موضع آخـــر فقـــال : "وأهمـــل (فَعُل) فيما عينه ياء استغناء عنه بـــ (فَعِل) كـــلان يليـــن ، وطـــاب يطيب ، وبان يبين إلا ما شذ من قولهم : هَيُـــؤ الشـــئ فـــهو هيّـــئ :

---

[1] شرح التسهيل ٣/٤٤١ .

إذ حسنت هيئتـــه"[١] .

وهناك احتمال آخر ، وهو أن هـــذه الأفعـــال مـــن بـــاب (فَعَـــل يَفْعِل) بفتح العين فى المـــاضى وكســـرها فـــى المضـــارع فيقـــال : طاب يطيب ، والأصل : يَطْيِبُ فأعلت بالنقل حيـــث نقلـــت حركـــة حرف العلة (وهى كســـرة اليـــاء) إلـــى الســـاكن الصحيـــح قبلـــها فصارت يَطِيب ، وهو ما نميل إليـــه ، والله أعلـــم .

٣ ــ مـــن النـــاقص :

أ ــ النـاقص الـــواوى :

يصاغ (فَعُل) من الناقص الواوى ، ومـــن أمثلـــة ذلـــك مـــا ورد مسموعا نحو : بهُو يبْهو فهو بـــهيٌّ ، أى : صـــار بـــهيًا ، وســـرُوَ الرجل يسْرو فهو سرىّ أى : صار ســـريا ، ونَـــهُوَ الرجـــل ينـــهو فهو نَهِىّ : أى صار ذا نُهْيَـــة ، وهـــى العقـــل ، وبـــذُو يبـــذُو فـــهو بذىّ[٢] ، وَرَخُو أى : صار رخـــوا[٣] .

---

[١] شرح التسهيل ٣/٤٣٦ .

[٢] تنظر هذه الأمثلة المذكورة فى الكتاب ٤/٤٨ ، وشرح الملوكى ٦٠ ، وشـــرح الشـــافية للرضـــى ١/٧٦ . وارتشاف الضرب ١/٧٦ ، والهمع ٢/... ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

[٣] ينظر : اللسان (رخا) ١٤/٣١٤ .

ب ـ الناقص اليائى :

ذكر بعض علماء التصريف أن (فعُل) لا يأتى من الناقص اليائى إلا ما ورد سماعا فى لفظين هما : (نَهُو ، وبَهُو)[١] ، وحكموا عليهما بالشذوذ للاستغناء عنهما بـ (فعِل) المكسور العين[٢] ، واقتصر الرضى على الأخير فقال : "وجاء من الناقص اليائى حرف واحد متصرف وهو : بَهُو الرجل يبهو بمعنى يبهى أى : صار بهيا"[٣] ، كما اقتصر على الأول (نَهُو) ابن مالك[٤] .

وقد أجاز بعض العلماء صوغ (فَعُل) من الناقص اليائى بكثرة ، وساقوا لذلك نفس الأمثلة التى تقدم ذكرها فى الناقص الواوى وهى (سرُو ، وبهُو ، وبذُو ، ونهُو ، وسخُو) فالواو فى هذه الأفعال بدل من ياء لضمة ما قبلها[٥] .

ولسيبويه نظرة أخرى إلى هذه الأفعال السابقة حيث عدها من قبيل الناقص الواوى ، وبهذا نفى صوغ (فَعُل) من الناقص

---

(١) ينظر المزهر ٣٧/٢ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

(٢) ينظر : الهمع ١٦١/٢ .

(٣) شرح الشافية ٧٦/١ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل ٤٣٦/٣ .

(٥) ينظر : ارتشاف الضرب ٧٦/١ ، والمزهر ٣٧/٢ ، والهمع ١٦١/٢ ، وأوزان الفعل ومعانيها ٣١ .

اليائى يشير إلى هذا بقوله : "وأما (فعُل) فيكون فى الواو نحو : سرُو يسرو ، ولا يكون فى الياء ؛ لأنهم يفرون من الواو إليها فلم يكونوا لينتقلوا الأخف إلى الأثقل فيلزمها ذلك فى تصرف الفعل"[١] .

وقد يجئ – على قلة – فى باب التعجب (فعُل) من الناقص اليائى ، ولا يتصرف كنعم وبئس، فلا يكون له مضارع نحو (قَضُوَ الرجل) أى : ما أقضاه ، ورَمُوَت اليد : أى ما أرماها[٢].

وقد أجاز ابن يعيش مجئ المضارع منه فقال : "والمضارع منه يقضُو ويرمُو"[٣] .

٤ – من اللفيف :

من خلال تتبع كتب اللغة والتصريف – على قدر اجتهادى – لم أقف على استعمال لصيغة (فَعُل) من هذا النوع من الفعل المعتل بنوعيه سواء أكان مقرونا أم مفروقا والله أعلم بالصواب.

---

[١] الكتاب ٣٨٢/٤ .

[٢] يقال ذلك : إذا جاد قضاؤه ، وأجاد الرمى يراجع : شرح الرضى للشافية ٧٦/١ .

[٣] شرح الملوكى ٦١ .

ثالثا : صياغتها من الأفعال الناقصة :

صياغة (فعُل) من الأفعال الناقصة مقصورة على ثلاثة أفعال هى : كان ، وليس ، وكاد ، وتفصيل الحديث عن ذلك فيما يلى :

١ ـ (كان) :

فى وزن (كان) خلاف فقيل : إنها على وزن (فَعَل) بفتح العين ، وهو الأصح ، وقال الكسائى : "إنها على وزن (فعُل) بضم العين" ، ورد بأنه لو كان كذلك لم يقولوا فيه : كائن لأن الوصف من (فَعُل) : فَعِيل[١] .

٢ ـ (ليس) :

ذهب الجمهور إلى أن (ليس) على وزن (فَعِل) بالكسر[٢] خفف ولزم التخفيف لثقل الكسرة على الياء ، واستدل لذلك بأنها لو كانت بالفتح لصارت إلى (لاس) بالقلب كباع أو بالضم لقيل فيها (لُسْت) بضم اللام ، ولا يقال إلا (لَسْتَ) بفتحها ، قال أبو حيان : "والأكثر فتح اللام ، وروى لُست بضم اللام ، وهو يدل

---

[١] ينظر : ارتشاف الضرب ٧٦/٢ ، والهمع ١١٥/١ .

[٢] ينظر : الكتاب ٣٤٣/٣ ، والمنصف ٢٥٨/١ .

على بنائها على (فَعُل) بضم العين كَـهَيُؤ"[١] ، وحكى الفراء أن بعضهم قال : لِسْتَ بكسر اللام[٢] .

٣ ـ (كاد) :

اختلف في ألف (كاد) فقيل أصلها : واو ، وقيل أصلها ياء، وحكى سيبويه (كُدْتَ) بضم الكاف ، ولكنه حكم عليه بالشذوذ[٣].

(فَعُل) بين التعدى واللزوم :

قسم اللغويون الفعل إلى : متعد ويسمى متجاوزا ، وواقعا ، وإلى لازم ويسمى قاصرا ، وعرفوا المتعدى بأنه ما تجاوز الفاعل إلى مفعول به بنفسه ، واللازم ما لم يتجاوز الفاعل إلى مفعول به نحو : قعد ، وخرج .

والنظر في أوزان الفعل يوضح لنا أن بعضا قد استعمل متعديا ، وبعضا اسْتُعمل لازما ، ومنها ما استعمل لازما ومتعديا بحسب المراد ، وقد يغلب أحد الأمرين في الوزن

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/٧٢ .

(٢) ينظر : الجنى الداني للمرادى ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، صـ ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، والهمع ١/١١٥ ، والفعل : زمانه وأبنيته ، د/ إبراهيم السامرائي ٦٤ ، ٦٥ ، طبع مؤسسة الرسالة .

(٣) ينظر : الكتاب ٣/١١ ، ٤/٤٠ ، ٣٤٣ ، والهمع ١/١٢٩ .

الواحد لكثرة الاستعمال ، وقد يستعمل الوزن متعديا ويشذ لزومه ، أو يستعمل لازما ويشذ تعديه .

والذى يعنينا هنا من هذه الأوزان صيغة (فَعُل) وسوف نبين حكمها من حيث التعدى واللزوم .

اتفق علماء التصريف على أن أوزان الثلاثى المجرد تستعمل أحيانا لازمة ، وأحيانا متعدية لكنهم اختلفوا فى وزن (فَعُل) من حيث التعدى واللزوم ، وذلك على رأيين :

أولهما : أن (فعُل) لا يكون إلا لازما ؛ لأنه يكثر فى الطبائع والسجايا ، وهى الصفات الملازمة لصاحبها نحو : الحسن ، والقبح ، والطول ، والقصر ، والكبر ، والصغر ، والسهولة ، والصعوبة ، ونحو ذلك[١] .

ولما كان (فَعُل) موضوعا لأفعال الغرائز والسجايا ومن شأن السجية أن تلازم صاحبها ولا تتعداه إلى غيره لذا كانت أفعال هذا الباب كلها لازمة غير متعدية نحو : كَرُم ، وظرُف ، وهذا الرأى أشار إليه بعض العلماء منهم سيبويه ، وابن قتيبة وابن جنى ، والرضى .

---

[١] ينظر : المغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ .

قال سيبويه : "وليس في الكلام (فَعُلْتُــــه) متعديــا"[١] .

وقال ابن قتيبة : "والخصـــال التـــى تكـــون فـــى الإنســـان مـــن الحسن ، والقبـــح ، والشـــدة ، والضعـــف ، والجـــرأة ، والجبـــن ، والصغر ، والعظم تأتى على (فَعُلَ يَفْعُــلُ) ، وليســت تتعــدى"[٢] .

وقال ابن جنى : "هذا باب على حديـــه لا يكـــون متعديـــا أبـــدا ، إنما يكون للهيئة التى يكون الشئ عليـــها نحـــو (مـــا كـــان ظريفـــا ولقد ظرف ، وما كان شريفا ولقد شرف فتبـــاعد هـــذا الفعـــل مـــن باب (فَعِلَ وفَعَلَ) اللذين قد يكون كل واحـــد منـــهما متعديـــا وغـــير متعد"[٣] .

وكذلك ذكر الرضـــى لـــزوم هـــذا الـــوزن ؛ لأنـــه يـــأتى فـــى الغرائز ، والغريزة لازمة لصاحبها ولا تتعـــدى إلـــى غـــيره[٤] .

الرأى الآخر : أن (فَعُل) تـــارة يكـــون لازمـــا ، وتـــارة يكـــون متعديا ، والتعدى يكون إما بالتضمين أو التحويـــل كمـــا أشـــار ابـــن مالك لذلك بقوله : "ولم يرد (فَعُــل) مضاعفـــا إلا قليـــلا مشـــروكا ،

---

[١] الكتاب ٤/٣٨ .

[٢] أدب الكاتب ٤٧١ .

[٣] المنصف لابن جنى ، تحقيق / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، ١/١٨٨ ، طبعة الحلبى .

[٤] ينظر شرح الشافية ١/٧٤ .

ولا متعديا إلا بتضمين أو تحويـــــل"[١] .

وتوضيح ذلك فيما يلـــى :

أ- تعدى (فَعُل) بالتضمين :

سمع تعدى (فعُل) بالتضمين[٢] فـــى كلمتيـن همـا : (رَحُـب ، وطلُع) .

أما (رحُب) فقد ضمن معنى (وسِـع) فـى كلمـة واحـدة وهـى قولهم : (رحبتك الـدار) .

قال السيوطى : "لـم يـأت (فعُلـت) بـالضم متعديـا إلا كلمـة واحدة رواها الخليل وهى قولهم : رحبتـك الـدار"[٣] .

وقيل : الأصل (رحبت بك) فحذف الجار توسـعا ، وهـو قـول ابن الحاجب ، وحكم عليه الرضى بأنه تعسـف لا معنـى لـه[٤] .

وفى الصحاح قال الخليل : قال نصـر بـن سـيار : "أرحُبكـم الدخولَ فى طاعة الكِرمانى ؟ أى : أوسعكم ، قـال : وهـى شـاذة،

---

(١) شرح التسهيل ٤٣٥/٣ ، وينظر : إرتشاف الضرب ٧٦/١ .

(٢) يراد بالتضمين : ان يودى فعل مودى فعل آخر فيعطى حكمه فى التعدية كتضمين (رحب) معنـى (وسع) وغير ذلك .

(٣) المزهر ٧٠/٢ ، وينظر : المغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ ، وفى تصريف الأفعال ٣٩ .

(٤) ينظر : شرح الرضى للشافية ٧٤/١ ، ٧٥ .

ولم يجئ في الصحيح (فَعُل) بضم العين متعديـــا غــيره"[١] .

وأما الكلمة الثانية وهى (طَلُع) فقد اســـتعملت فـــى قولـــهم (وإن بِشْرا قد طلُع اليمن) أى : بلـــغ ووصـــل[٢] .

وقد ذكر ابن هشام أنه لم يرد مـــــن (فعُـــل) متعديـــا ســـماعا إلا فعلان هما (رَحُب ، وَطَلُع) بفتح أولـــهما وضـــم ثانيـــهما لتضمنـــهما معنى (وسع) ، و (بلـــغ)[٣] .

والناظر فى كتب المعاجم الحديثـــة يجـــد أن التعـــدى بـــالتضمين فى (فعُل) ليس مقصورا على الفعليـــن الســـابقين (رحـــب ، وطلـــع) بل إن هناك فعلا ثالثا وهو (وَجُز) قـــد ورد فـــى المعجـــم الوســـيط وفيه ويقال : وجُز فى منطقه يَوجـــز وجْـــزا ووجـــازة أى : قصـــر فى بلاغـــة[٤] .

وهذه الأفعال السابقة التى جاءت متعديـــة بـــالتضمين لـــها تمـــيز

---

[١] الصحاح (رحب) ١٣٤/١ ، ١٣٥ .

[٢] ينظر : شرح الأشموني للألفية ٩٧/٣ ، ٢٤١/٤ ، طبعة الحلبي وفيه أن قائله : علي بن أبي طـــالب رضي الله عنه ، والمزهر ٣٧/٢ ، وفى اللسان (طلع) ٢٣٦/٨ ، وفى الحديث : هذا بشر قـــد طلـــع اليمن أى : قصدها بالسين فى (يسر) وضبط اللام فى (طلع) بالفتح .

[٣] ينظر : مغني اللبيب لابن هشام تحقيق د/ مازن المبارك ، صـــ ٤٩٤ .

[٤] المعجم الوسيط تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون وآخرين (وجز) ١٠٢٥/٢ ، مطبوعات مجمـــع اللغة العربية .

خاص عن بقية الأفعال الأخرى التـــى جـــاءت علـــى وزن (فَعُـــل) ولعل هذا يشير إلى أنه لغة مـــن لغـــات العـــرب ، وهـــى (هذيـــل) يؤيد هذا ما جاء فى اللســـان : (أن أبـــا علـــى الفارســـى حكـــى أن هذيلا تعديها إذا كانت قابلة للتعدى بمعناهـــا كقولـــه :

ولـم تبصـر العيـن فيهـا كلابـا[١]

ب ـ تعدى (فعُل) بالتحويل :

تقدم أن (فَعُل) قد يكون لازمـــا ، ومتعديـــا ، وتعديتـــها ـــ عنـــد أصحاب هذا الرأى ـــ يكـــون إمـــا بـــالتضمين أو التحويـــل ، وقـــد تقدم الحديث عن تعديتها بـــالتضمين .

والآن نتحدث عن تعديتها بالتحويل ، ويقصـــد بذلـــك أن تحـــول عن (فَعَل) أو (فَعِل) معتلى العيـــن نحـــو : رُمتـــه وطُلتـــه[٢] ، قـــال ابن مالك عن هذه الصيغـــة (فعُـــل) : "ولا متعديـــا إلا بتضميـــن أو تحويـــل"[٣] .

ويقول أيضا فى موضـــع آخـــر : "والأصـــل فـــى هـــذا النـــوع

---

[١] ينظر : اللسان (رحب) ٤١٥/١ ، والقاموس المحيط (رحب) ١١٤ .

[٢] ينظر : المنصف ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

[٣] شرح التسهيل ٤٣٥/٣ ، وينظر ارتشاف الضرب ٧٦/١ ، والمزهر ٣٧/٢ ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

(فَعُلْته) بفتح العين ، فحول إلى (فعل) ونقلت الضمة إلى الفاء والحاصل أن (فَعَل) الذى عينه واو حين عرض حذف عينه لسكون لامه حول إلى (فَعُل) واستصحب ما كان له من التعدية ؛ لأن الضمة عارضة فلم يعتد بها"[١] .

من هنا يتبين لنا أن الأصل فى (فَعُل) أن تستعمل لازمة ، وهذا ما أيدته نصوص العلماء السابق ذكرها فى الرأى الأول .

ولكن هل الصحيح كالمعتل فى هذا الحكم (اللزوم) ؟ هذا ما سنعرفه من خلال ما ذكره العلماء فى هذا الصدد :
قال ابن قتيبة : "وما كان على (فَعُلت) فإنه لا يتعدى إلى مفعول ، لا تقول (فَعُلْته) نحو : مَكُث ، وكَرُم ، وعظُم ، وظَرُف ، ولا يقال (طُلْته) ؛ لأنه (فَعُلت) ، وأما قولهم (قُلْته) ، فإن أصلها (فَعَلْت) معتلة من (فعلت) ، فحولت إليها ليغيروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعتل ، فلو لم يحولوها وجعلوها تعتل من (فعلت) نحو (قولْت) لكانت ألفاً"[٢] .

وفى هذا دلالة على رفض ابن قتيبة تعدية (فَعُل) مطلقاً

---

[١] شرح التسهيل ٤٣٦/٣ ، ٤٣٧ .

[٢] أدب الكاتب ٤٧١ ، وينظر الكتاب ٣٤٠/٢ ، ٣٤١ .

يستوى فى ذلك الصحيح والمعتـــل .

ونقل السيوطى عن الصحاح قوله : "ولـم يجئ فـى الصحيح (فَعُل) بضم العين متعديا غـــيره" .

وأمـا المعتـل فقـد اختلفـوا فيـه ، قـال الكسـائى : "أصـل قُلْتُـه : قُوُلْتُـه" ، وقـال سـيبويه : "لا يجـوز ذلـــك ؛ لأنـــه يتعـدى"[١] .

وفى هـــذا النـص دلالـة علـى انفـراد كـل مـن الصحيـح والمعتل بحكم خـاص .

تعدية (فَعُل) بحرف الجر :

إذا قلنا إن (فَعُل) يجـوز أن تسـتعمل متعديـة ، فـهل تتعـدى بنفسها أو بحرف الجر ؟ تؤكد كتـب اللغـة والمعـاجم أن الغـالب فى (فَعُل) الصحيح العين تعديتـه بحـرف الجـر ، وعـدم تعديـه بنفسه ، ومما يؤكد ذلك ورود هـذه الصيغـة فـى القـرآن الكريـم متعدية بحرف الجر فى الآيـات التاليـة :

قوله تعالى : (وإن كان كبر عليـك إعراضـهم)[٢] .

---

[١] المزهر ٧٠/٢ ، والصحاح (رحب) ١٣٥/١ ، وينظر الكتـاب ٣٤١/٢ ، واللسـان (رحـب) ٤١٥/١ .

[٢] الآية ٣٥ من سورة الأنعام .

وقوله تعالى : (ثقلت فـــى الســموات والأرض)[١] .

وقوله تعالى : (ولكن بعدت عليـــهم الشـــقة)[٢] .

وقوله تعالى : (إن كان كبر عليكـــم مقـــامى)[٣] .

وقوله تعالى : (قال بصرت بما لم يبصـــروا بـــه)[٤] .

وقوله تعالى : (فلما أحسوا باسنا إذا هم منـــها يركضـــون)[٥] .

وقوله تعالى : (فبصرت به عن جنب وهـــم لا يشـــعرون)[٦] .

وقوله تعالى : (كبر على المشركين ما تدعوهـــم إليـــه)[٧] .

ففى هـــذه الآيـــات وجدنـــا أن (فَعُـــل) الصحيـــح العيـــن جـــاء متعديا بحرف الجـــر .

ويقوى ذلك أيضا ما جاء فى كتـــاب معجـــم الأفعـــال المتعديـــة بحرف تأليف : موسى بن محمد المليـــانى الأحمـــدى ، حيـــث أورد صاحب المعجم حوالى عشـــرين فعـــلا تقريبـــا جـــاءت علـــى وزن

---

[١] الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

[٢] الآية ٤٢ من سورة التوبة .

[٣] الآية ٧١ من سورة يونس .

[٤] الآية ٩٦ من سورة طه .

[٥] الآية ١٢ من سورة الأنبياء .

[٦] الآية ١١ من سورة القصص .

[٧] الآية ١٣ من سورة الشورى .

(فَعُل) متعدية بحرف الجــر .

وهنا رأيت ــ بدورى ــ أن أجمع هذه الأفعـــال المتفرقــة مــن هذا المعجم ، مع إثبات المادة ، ورقم الصفحـــة منـــه ، وفيمـــا يلـــى حصر لهذه الأفعـــال :

١ ــ (بَصُر) : (بصر بالشئ يبصـــر بصـــارة ، وبصـــارة : علمـــه ورآه)[١] .

٢ ــ (بَعُـــد) : (بعد به يبعد بعدا : ضـــد قـــرب)[٢] .

٣ ــ (ثَقُـــل) : (ثقل إلى الأرض يثقل ثقلا وثقالـــة : أخلـد إليـــها واطمـــأن)[٣] .

٤ ــ (جَـــدُر) : (جدر بالشـــئ يجـــدر جـــدارة : كـــان خليقـــا بـــه وأهلا لـــه)[٤] .

٥ ــ (حَـــرُم) : (حرم الشئ عليـــه ، لـــم يحـــل لـــه ، وحرمـــت المرأة على زوجها : لم تحل لـــه بعـــد)[٥] .

---

[١] معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ١٨ .

[٢] معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ١٩ .

[٣] معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ٢٨ .

[٤] المصدر السابق ، صـــ ٣١ .

[٥] المصدر السابق ، صـــ ٥٣ .

٦ ـ (حَقَرَ) : (حقر فى عينى حقارة ، وتحاقرت إليه نفسه: تصاغرت)[١] .

٧ ـ (خَبَرَ) : (خبر الشئ يخبر خبرا : علمه بحقيقته وكنهه)[٢] .

٨ ـ (خَشَنَ) : (خشن عليه صدره يخشن خشنا وخشونة : وجد عليه)[٣] .

٩ ـ (خَلَقَ) : (خلق بكذا وخلق له ، وخلق منه يخلق خلاقة: صار به خليقا وجديرا)[٤] .

١٠ ـ (رَطُبَ) : (رطب لسانى بذكر الله تعالى يرطب رطوبة ، وهو رطيب به)[٥] .

١١ ـ (سَهُلَ) : (سهله الله عليه وسهله له : يسره وصيره له سهلا)[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، صـ ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، صـ ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، صـ ٨٠ .

(٤) المصدر السابق ، صـ ٨٩ .

(٥) المصدر السابق ، صـ ١٢٩ .

(٦) المصدر السابق ، صـ ١٦٥ .

١٢ ــ (طَهُـــر) : (طهرت المرآة مـــن الحيــض : انقطــع عنـــها دمـــه)[١] .

١٣ ــ (عَمُــــق) : (عمق النظر فى الأمـــور : بـــالغ فيـــه)[٢] .

١٤ ــ (عَنُـــف) : (عنف يعنف عنفا وعنافة عليـــه ، وعنـــف بـــه فهو عنيف : لم يكن ذا رفق بــــأمره)[٣] .

١٥ ــ (فَـــرُس) : (فرس فراسة بعينـــه ونظـــره : أدرك بـــالنظر ما فى البـــاطن)[٤] .

١٦ ــ (فَسُـــــل) : (فسل فسولة فى الأمـــر : قـــل نشـــاطه)[٥] .

١٧ ــ (فَصُـــح) : (أفصـــح الكـــلام وأفصـــــح بـــــه : تكلـــــم بالفصاحـــة)[٦] .

١٨ ــ (قَـــــرُب) : (قرب منه وإليه ، واقـــترب منـــى ، ويقـــرب

---

(١) المصدر السابق ، صـــ ٢٢١ .

(٢) المصدر السابق ، صـــ ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، صـــ ٢٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، صـــ ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق ، صـــ ٢٧٥ .

(٦) المصدر السابق ، صـــ ٢٧٥ .

إلى الله بكــذا)[١] .

١٩ ــ (كَبُــــــر) : (كبر الأمر ، وكبر علـــــى ذلــك : إذا شــق عليك ، وكبر الرجل في قـــدره)[٢] .

٢٠ ــ (كَـــرُم) : (كــرم علينــا فــلان كرامــة ، وأكــرم نفســه بالتقوى ، وأكرمها عن المعـــاصى)[٣] .

٢١ ــ (مَكُـــنَ) : (مكن : مكنه من الشـــئ ، ومكــن لـــه : جعــل له عليه ســلطانا)[٤] .

كل هذه الأفعال الســـابقة جــاءت علــى وزن (فَعُــل) الصحيــح العين ، وتعدت بحرف الجـــر .

أما (فَعُل) المعتل فلم يرد إلا لازما ، ويتضـــح ذلــك مــن خـــلال ما سبق عند الحديث عن الفعـــل (طــال) واســتعماله فـــى القــرآن الكريم[٥] ، ويستثنى من ذلك الفعـــل (قــال) الــذى جعــل الكســائى

---

(١) المصدر السابق ، صـــ ٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، صـــ ٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق ، صـــ ٣١٢ .

(٤) المصدر السابق ، صـــ ٣٥٤ .

(٥) ينظر ص ٥٠٣ من البحث .

وزنها (فَعِل) وعند غيره أن وزنها (فَعَل)[1] .

لزوم (فعل) بالتحويل :

يأتى الفعل لازما بعدة طرق إما بالأصالة[2] ، أو التنزيل ، أو التحويل ، ومعناه : أن يحول الفعل المتعدى إلى وزن (فعل) لقصد التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح أو الذم ، وبهذا يصير لازما بالتحويل نحو : فهم ، وحمد ، وحكى الكسائى أنه كان يقول فى هذا : (قضو الرجل ، ودعو الرجل) : إذا أجاد القضاء، وأحسن الدعاء[3] ؛ قال تعالى : (كَبُرتْ كلمةً تخرج من أفواههم)[4] ، (وحسن أولئك رفيقا)[5] ، ويقال : ضرب الرجل وفهم أى : ما أضربه وما أفهمه[6] .

قال الأزهرى : "وكل فعل ثلاثي متصرف تام مثبت قابل للتفاضل مبنى للفاعل ليس الوصف منه على أفعل فعلاء صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على (فَعُل) بضم العين إما

---

(١) ينظر صـ٥٠٣ من البحث .

(٢) وقد تقدم الحديث عن ذلك فى صـ ٥١١ .

(٣) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، وشرح الملوكى ٦١ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

(٤) الآية ٥ من سورة الكهف .

(٥) الآية ٦٩ من سورة النساء .

(٦) ينظر : أوزان الأفعال ومعانيها ٢٢١ .

بالأصالة كظَرُف ، وشَرُف أو بالتحويل بـــأن يكــون فـــى الأصـــل مفتوح العين كضَرَب ، وقَتَل أو مكســـورها كعَلِـم ، وفَـــهِم ، بضـــم العين فيهن ، وإنما حولـــت لتلحـــق بـــالغرائز ، ولتصـــير قـــاصرة كنعم"[١] .

وسـائل تعديـة (فَعُـل) بغـير التضمين أو التحويـل :

تقدم أن (فعُل) تتعـــدى إمـــا بـــالتضمين ، وذلـــك فـــى بعـــض الكلمات التى وردت سماعا ، أو بالتحويل عـــن (فَعَـــل) أو (فَعِــل).

ومن خلال الاســتقراء أمكـــن الوقـــوف علـــى وســـائل أخـــرى لتعدية (فعُل) يمكن توضيحها فيمـــا يلـــى :

١ ــ إدخال حرف الجر المناسب للمعنـــى[٢] ، وقـــد ورد ذلـــك فـــى القرآن الكريم قال تعالى : (ثقُلـــتْ فـــى الســـمواتِ والأرضِ)[٣] ، (فبَصُرتْ به عن جُنُـــب)[٤] .

٢ ــ تحويل (فعُل) إلى (استفعل) للطلب ، أو النســـبة للشـــئ نحـــو:

---

(١) التصريح ٢/٩٨ .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧/٦٥ ، والنحو الوافى د. عباس حســـن ٢/١٥٩ ، طبعـــة دار المعارف .

(٣) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ١١ من سورة القصص .

(استقبحت الظلم) أى : نسبت القبح إلى الظلم ، فأصل (استقبحت الظلم) : قَبُح الظلم ، وهو لازم فصار بنقله إلى (استفعل) متعديا[١] .

٣ ــ إثبات همزة النقل فى أول (فَعُل) ، ودخولها فى اللازم قياسى دون المتعدى ، وقيل : قياسى فيه ، وفى المتعدى إلى واحد ، وقيل : النقل بالهمزة كله سماعى[٢] .

وقد أشار سيبويه إلى هذا فقال : "وإذا أردت أن غيره أدخله فى ذلك يبنى الفعل منه على أفعَلْت ، ومن ذلك أيضا : مَكُث وأمكثته"[٣] .

٤ ــ تضعيف العين نحو : نَبُل زيد ، ونبّلته ، والمراد : حملته على ذلك ، وجعلته يفعله ، ولذلك صار متعديا بعد أن لم يكن كذلك[٤] .

وقد ذكر سيبويه هذه الوسيلة أيضا فقال : "وتقول : مَلُح وملحته ، وسمعنا من العرب من يقول : أملحته كما تقول :

---

[١] ينظر : حاشية الصبان ٩٦/٢ .

[٢] ينظر : حاشية الصبان ٩٦/٢ .

[٣] الكتاب ٥٥/٤ .

[٤] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٥/٧ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

أفزعته ، وقالوا : ظَرُف ، وظرفته ، ونبـل ونبلتـه ، ولا يستنكر أفعلت فيهما ، ولكن هذا أكثر ، واستغنى بـه"[١] .

٥ ـ تحويل (فعُل) إلى (أفعَل) بقصد التعجب سماعا ؛ لأن من صيغ التعجب السماعية (أفعل) بغير (ما) التعجبية ، وذلك نحو (حَسن) فإنه لازم ، فإذا حول إلى (أفعل) وقيل : أحسنت عملا ، أى : ما أحسن عملك صار متعديا ، وقد نقل هذا أبو حيان فقال : "وزاد الكوفيون (أفْعَل) بغير (ما) مسندة إلى الفاعل"[٢] .

٦ ـ صوغ الفعل على (فَعلْت) لإفادة المغالبة نحو : كَرمت زيدا أكرمه أى : غلبته فى الكرم ، وهذه الأفعال التى تحول إلى (فَعَل) للمغالبة تكون مضمومة العين فى المضارع[٣] .

الفرق بين (فَعَل) و (أفعَل) :

الوزنان يتفقان فى اللزوم ، وعدم تعديهما ، ولكنهما يختلفان فى معناهما ، وذلك نحو (سرَع وأسرع) ، و (بطؤ وأبطأ) وقد

---

(١) الكتاب ٤/٥٥ .

(٢) ارتشاف الضرب ٣/٣٧ .

(٣) ينظر الكتاب ٤/٦٨ ، وشرح الأشمونى ٢/٩٦ ، والهمع ٢/١٦٣ ، والنحو الوافى ٢/١٦٧ .

أشار سيبويه إلى ذلك فقال : "وأسرع : عجل ، وأبطأ : احتبس، وأما سرُع وبطُؤ فكأنهما غريزة كقولك : خف ، وثقل ، ولا تعديهما إلى شيء"[١] .

وفى شرح الرضى للشافية وقولهم : "أسرع وأبطأ فى : سرُع وبطُؤ الهمزة فيهما للنقل بل الثلاثى والمزيد فيه معا غير متعديين لكن الفرق بينهما أن سرع وبطؤ أبلغ ؛ لأنهما كأنهما غريزة كصغر وكبر"[٢] .

تصاريف (فَعُل) :

يقصد بهذا ما يتصرف من (فَعُل) كالمضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم التفضيل .

وتوضيح الحديث عن هذه النقاط فيما يلى :

أولا : المضارع :

ذكر الصرفيون أن الماضى إذا كان على وزن (فَعُل) بضم العين ، فقياس مضارعه ضم عينه أيضا أى أن مضارع (فَعُل) هو : (يَفْعُل) بضم العين .

---

(١) الكتاب ٤/٥٦ .

(٢) شرح الرضى للشافية ١/٨٧ .

وقد أشار إلى ذلك سيبويه ، قال : "كما قالوا : (فَعُل يفعُل) فلزموا الضمة..."[١] .

وقال ابنى جنى : "فأما قولهم : كَرُم يكرُم فإنهم أقروا فى عين مضارعه حركة الماضى ؛ لأن هذا باب على حدته لا يكون متعديا أبدا إنما يكون للهيئة التى يكون الشئ عليها"[٢] ، وقال أيضا فى الخصائص : "وكذلك قولهم : إن كان الماضى على (فَعُل) فالمضارع منه على (يَفْعُل) فلو أنك على هذا سمعت ماضيا على (فَعُل) لقلت فى مضارعه : (يَفْعُل) ، وإن لم تسمع ذلك ، كأن يسمع سامع ضَؤُل ، ولا يسمع مضارعه فإنه يقول فيه : يَضْؤُل ، وإن لم يسمع ذلك ؛ ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه ؛ لأنه لو كان محتاجا إلى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التى وضعها المتقدمون ، وتقبلوها ، وعمل بها المتأخرون معنى يفاد ، ولا غرض ينتحيه الاعتماد"[٣] .

وقال ابن يعيش : "وأما (فَعُل) مضموم العين ، فلا يكون إلا

---

(١) الكتاب ٣٨/٤ .

(٢) المنصف ١٨٨/١ .

(٣) الخصائص ٤١/٢ ، ٤٢ .

غـير متعـد نحـو : كَـرُم وظَـرُف ، ولا يكـون مضارعـه إلا مضموما نحو : يكرُم ويظرُف ؛ لأنـه موضـوع للغرائـز والهيئـة من غير أن يفعل بغيره شـيئا"[١] .

وقال الرضى : "اعلم أن ضم عين مضـارع (فَعُـل) المضمـوم العين قياسى لا ينكسـر"[٢] .

لم جعلت الضمة فى هذا البـاب دون الفتحـة والكسـرة ؟

لقد ذكر ابن جنى علة ذلك بقوله : "فلـم يدخـل فـى مضـارع (فَعُل) كسر ولا فتح كما جاء (قتَـل يقتُـل وفضِـل يفضَـل) ، لأن (فعُل) لا يتعدى فلم يقو قوة (فَعَل وفَعِل) المتعدييـن ، فدخـلا عليـه ولم يدخل عليـهما"[٣] .

كما ذكر أيضا فى موضع آخر قال : "جعلت الضمـة فـى هـذا الباب دون الفتحة والكسرة ؛ لأن ما يتعدى من الأفعـال أكـثر ممـا لا يتعدى ، فجعلت الضمة فى عين ما لا يتعـدى لقلتـه ، وخصـوا المتعدى بالفتح والكسر لكثرته وخفة الفتحـة والكسـرة هربـا مـن

---

[١] شرح المفصل ١٥٣/٧ .

[٢] شرح الشافية ١٣٨/١ .

[٣] المنصف ١٨٩/١ .

أن يكثر من كلامهم ما يستثقلونه"[١] .

كما جعل السيوطى علة لزوم الضمة فى مضارع (فَعُل) هو رعاية التناسب بين الألفاظ ومعانيها فقال : "أو كان الماضى على (فعُل) بالضم ضمت أيضا فى المضارع نحو : ظرُف يظرُف ؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة فاختير الماضى والمضارع فيه حركة لا تحصل إلا بانضمام إحدى الشفتين إلى الأخرى رعاية للتناسب بين الألفاظ ومعانيها"[٢] .

شذوذ فتح عين مضارع (فعُل) :

إن ضم عين مضارع (فعُل) هو القياس المطرد فى اللغة ، ولكن نقل بعض العلماء مجئ مضارع (فَعُل) بفتح العين أى على وزن (يَفْعَل) ، وحكموا على ذلك بالشذوذ .

قال سيبويه : "وقد قال بعض العرب : كُدت تكاد فقال : فَعُلت تَفعَل ... وهذا قول الخليل ، وهو شاذ فى بابه"[٣].

وقال ابن جنى : "وحكى سيبويه : كُدت أكاد ، وهذا من الشاذ ، وكأنه إنما جاء (كُدت أكاد) على وزن (فَعُل يَفْعَلُ) لأحد

---

[١] المنصف ١/١٨٩ .

[٢] الهمع ٢/١٦٤ .

[٣] الكتاب ٤/٤٠ .

أمرين :

- إما أن يكون اجترئ عليه بأن أخرج عن بابـــه لضعفــه بــاعتلال عينه .
- وإما أن يكون عوض عن اعتلال عينـــه ، فقــوى بضــرب مــن التصرف ليس لنظـــيره"(١) .

وقال ابن يعيش : "ولم يشذ منه شئ إلا مـــا حكـــاه ســيبويه مـــن أن بعضهم قال : كَدت تَكاد ، والقيـــاس : تكـــود"(٢) .

وقـــال الرضـــى : "اعلـــم أن ضـــم عيـــن مضـــارع (فَعُـــل) المضموع العين قيـــاس لا ينكســـر إلا فـــى كلمـــة واحـــدة وهـــى : كُدْت بالضم تَكاد ، وهو شـــاذ"(٣) .

صوغ المضارع من (فعُل) المنقــول للتعجــب :

تقدم فيما سبق أن الفعل المتعـــدى يحـــول إلـــى صيغـــة (فَعُـــل) لقصد التعجب ، أو المبالغة ، أو المـــدح ، أو الـــذم فيصـــير لازمـــا نحو : (قضُو الرجـــل : إذا أجـــاد القضـــاء ، ورمُـــوَ الرجـــل : إذا

---

(١) المنصف ١٨٩/١ .

(٢) شرح الملوكى ٤٤ .

(٣) شرح الشافية ١٣٨/١ ، ويراجع أيضا : ارتشاف الضـــرب ٧٦/١ ، والمزهـــر ٣٧/٢ ، والمخصـــع ١٦٤/٢ ، وفى اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس صـــ ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

أجاد الرمـــى)[١] .

وذكر أكثر النحاة إن المضارع لا يأتى مـــن هـــذا النـــوع إلا أن ابن يعيش أجاز صوغ المضارع منــه فقـــال : "وأمـــا (فَعُـــل) فقـــد قالوا : قَضُوَ الرجل ، ورَمُـــوَ إذا حـــذق القضـــاء وأجـــاد الرمـــى ، وهى من الياء ألا تـــرى إلـــى ظـــهورها فـــى قضيْــت ورميْــت ، والنضارع منه : يقضُو ويرمُو ، ولا يختلـــف ذلـــك فاعرفـــه"[٢] .

ثانيـــا : الأمـــر :

إن صيغة الأمر من (فَعُل) لا تختلف عـــن صوغـــها مـــن (فَعَـــل يَفْعُل) حيث أن المستقبل منهما واحـــــد .

ثالثـا : المصـدر :

من المعلوم أن أكثر مصـــادر الفعـــل الثلاثـــى المجـــرد تتوقـــف على الســـماع .

ويأتى مصدر (فَعُل) على عدة صور ذكر ســـيبويه جملـــة منـــها جاءت على أوزان مختلفة حســـب دلالتـــها[٣] .

---

[١] ينظر صـــــ من البحث .

[٢] شرح الملوكى ٦١ .

[٣] ينظر : الكتاب ٤/١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ .

وقد ذكر بعض العلماء لـ (فَعُل) مصدرين قياسيين وهما (فُعُولة ، وفَعَالة) نحو : صعب صعوبة ، وسهل سهولة ، وفصح فصاحة ، وجزل جزالة ، وما عدا ذلك فهو مسموع[١] .

كما نقل الأزهرى ، والأشمونى أن الزجاجي وابن عصفور ذكرا أن (الفُعْلَة) بضم الفاء وسكون العين قياسى فى مصدر (فعُل) مضموم العين ، وهو خلاف ما قاله سيبويه[٢] .

ويختلف تناول العلماء لهذين الوزنين (فُعُولة وفَعَالة) فمنهم من ذكرهما بدون تحديد ضابط لهما ، ومنهم من وضع ضابطا لهما كما أشار إلى ذلك العلامة الخضرى ، فقال : "وقد ذكر ابن الناظم ضابطا لكل منهما فقال فى شرح اللامية : إذا كان الوصف من (فَعُل) المضموم على فعيل كمليح وظريف وشجيع فقياسه فَعَالة كمَلاحة وظَرَافة وشَجَاعة ، أو على (فَعْلَ) كسهْل ، وصعْب وعذْب فقياسه فُعُولة كسُهولة ، وصُعوبة وعذوبة"[٣] .

والناظر لهذا الضابط يجده قد قصر مصدر (فَعُل) على هذين الوزنين (فُعُولة وفَعَالة) فقط ، مع أن له أوزانا أخرى

---

(١) ينظر : الأشمونى ٣٠٦/٢ ، والهمع ١٦٧/٢ .

(٢) ينظر : التصريح ٧٤/٢ ، وشرح الأشمونى ٣٠٦/٢ ، ويراجع الكتاب : ١٠/٤ ، ٢٨ وما بعدها .

(٣) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٣١/٢ ، المطبعة الأزهرية بمصر .

كثيرة يمكن وضع ضوابط لها من حيث معناها ودلالتها ، كما أشار إلى ذلك سيبويه[١] ، وكما نصت عليه كتب اللغة والمعاجم.

ويمكن تحديد هذه الضوابط على هذا النحو :

١ ــ ما دل على حسن أو قبح يصاغ مصدره على (فُعْل) نحو: حَسُن حسنا ، وقَبُح قبْحا[٢] ، و (فَعَالة) نحو : وسُم وَسامة ، وحقُر حقارة ، وهو أكثر الأوزان استعمالا ، ولذلك قال سيبويه: "وأما الفُعْل من هذه المصادر فنحو الحسن والقبح، والفَعالة أكثر"[٣] ، ويصاغ أيضا على (فُعُولة) نحو : قبُح قُبُوحة[٤] .

٢ ــ ما دل على الشدة والجرأة ، والجبن يصاغ على (فُعُولَة) نحو : سَهُل سُهولة[٥] ، و (فعالة) نحو : شَجُع شَجاعة[٦] ،

---

[١] ينظر : الكتاب ٤/٢٨ ــ ٣٥ .

[٢] ينظر أدب الكاتب ٦٢٧ .

[٣] الكتاب ٤/٢٨ .

[٤] ينظر : الكتاب ٤/٣٠ ، واللسان (قبح) ٢/٥٥٢ .

[٥] ينظر : الكتاب ٤/٣٢ ، وأدب الكاتب ٦٢٦ .

[٦] ينظر : الكتاب ٤/٣١ .

وكَمَش كماشة(١) ، و (فِعَل) نحو : غلـــظ غلَظـــا(٢) ، و (فُعْـــل) نحو : جبن جبْنـــا .

٣ ــ ما دل على لون يصاغ مصدره علـــى (فَعْلَـــة) نحـــو : شـــهِب شُهْبة ذكره ســـيبويه(٣) .

٤ ــ ما دل على صغر أو كبر يصاغ مصدر علـــى (فِعَـل) نحـــو : كبُر كِبَرا ، وصغُر صِغرا(٤) ، و (فَعَالة) نحـــو : كـــثُر كَثَـــارة، وهو أكثر الأوزان استعمالا ، ولـــذا قـــال ســـيبويه : "وقـــالوا : كثُر كَثَارة وهو كثير"(٥) ، ويصاغ أيضا علـــى (فَعْلَـــة) نحـــو : كَثُر كَـثْرة(٦) .

٥ ــ ما دل على داء يصاغ مصـــدره علـــى (فُعْـل) نحـــو : سـقُم سُقْما ذكره ســـيبويه(٧) .

---

(١) قال سيبويه : "وقالوا : كمش كماشة ، وهو كميش مثل : سرع ، والكماشـــة : الشـــجاعة" ، الكتاب ٣٢/٤ ، وينظر القاموس المحيط (كمش) ٧٨٠ .

(٢) ينظر : الكتاب ٣١/٤ ، ٣٢ ، واللسان (غلظ) ٤٤٩/٧ .

(٣) ينظر : الكتاب ٢٥/٤ ، واللسان (شهب) ٥٠٨/١ .

(٤) ينظر الكتاب ٣٠/٤ ، وأدب الكاتب ٦٢٧ .

(٥) الكتاب ٣٠/٤ .

(٦) ينظر اللسان (كثر) ١٣١/٥ .

(٧) ينظر : الكتاب ١٧/٤ ، ١٩ .

٦ ــ ما دل على الصيرورة يصاغ مصدره على (فَعَالَة) نحو : أَرُض الرجل أراضَه أى : صار متواضعاً[١] ، و (فُعُولَة) نحو : جَذُب المكان جُذُوبة أى : صار جذباً[٢] ، و (فُعُول) نحو : بدع بدوعا أى : إذا كان غاية فى كل شئ[٣] ، و (فَعَلان) نحو : وشُك وَشَكان أى : صار قريباً[٤] .

٧ ــ ما أتى من العقل يصاغ مصدره على (فِعْل) و (فَعْل) كما أشار إليه سيبويه بقوله : "وما أتى من العقل فهو نحو من هذا قالوا : حلُم حِلْماً ، وقالوا : ظَرُف ظَرْفاً ، وقالوا : رفُق رِفْقاً"[٥] .

٨ ــ ما دل على الرفعة والضعة[٦] يصاغ مصدره على (فَعَل) نحو : شرُف شرفا ، وكرُم كرما[٧] ، و (فعالة) نحو : لؤم

---

[١] ينظر : اللسان (أرض) ١١٣/٧ ، ١١٤ .

[٢] ينظر اللسان (جذب) ٢٥٦/١ ، والقاموس المحيط ٨٤ .

[٣] ينظر اللسان (بدع) ٧/٨ ، والقاموس المحيط (بدع) ٩٠٦ .

[٤] ينظر اللسان (وشك) ٥١٣/١٠ ، والقاموس المحيط (وشك) ١٢٣٦ .

[٥] الكتاب ٣٤/٤ ، ٣٥ .

[٦] ينظر : الكتاب ٣٢/٤ .

[٧] ينظر أدب الكاتب ٦٢٧ .

لآمة ، كما قالوا : قبُح قباحة ، ودنُؤ دناءة[١] .

هذه هى بعض الضوابط لمصدر (فَعُل) .

رابعا : **اسم الفاعل** :

تبين مما سبق أن الغالب فى (فَعُل) أن يكون لازما ؛ لأنه يكثر فى الطبائع والغرائز ، والسجايا ومن شأن السجية أن تلازم صاحبها ولا تتعداه إلى غيره .

ولما كان اسم الفاعل يدل على التجدد والحدوث كان مناسبا له أن يصاغ من الفعل المتعدى بكثرة ، ويقل صوغه من اللازم.

من هنا فقد اختلف العلماء فى صوغ اسم الفاعل من (فَعُل) وتوضيح ذلك فيما يلى :

١ ـ ذكر سيبويه صوغ اسم الفاعل من (فَعُل) فقال : "وقالوا : عقُرت عُقْرا كما قالوا : سقُمت سُقْما ، وقالوا : عاقر كما قالوا : ماكث"[٢] .

وقال أيضا فى موضع آخر : "وقالوا : طهُر طُهراً وطَهارة

---

[١] تنظر هذه الأوزان فى الكتاب ٣٣/٤ ، واللسان (دنا) ٢٧٢/١٤ .

[٢] الكتاب ١٩/٤ .

، كمكُث مكْثا ومــاكث"[١] .

من هنا نجد أن سيبويه اقتصر فـــى ذلــك علـــى ثلاثـــة أسـماء وهى : (عاقر ، ومــاكث ، وطــاهر) ممــا يــدل علـــى قلــة هــذا الصوغ وندرتـــه .

٢ ــ جعل ابن جنى صوغ اسـم الفــاعل مــن (فَعُــل) شــاذ فقــال وفاعل لا يجــئ مــن (فَعُــل) إلا شــاذ نحــو : حمُــض فــهو حامض ، وفرُه فهو فاره ، وخــثُر فــهو خــاثر .... وأمــا قولهم : طهُرت المرأة فهى طـــاهر ، وعقُــرت فــهى عــاقر ، وطلُقت فهى طالق فليست هذه الأحرف ونحوهــا جاريــة علـــى الفعــل ، وإنمــا هـــى بمعنـــى النســب كمــا تقــول فـــــى : حائض وطــامث[٢] .

٣ ــ كذلك حكم ابن يعيش بالشذوذ على صوغ فـــاعل مــن (فَعُــل) وأن الأكثر مجيئـــه علـــى وزن (فَعيــل) فقــال : "الاســم مــن (فَعُل) لم يأت على منهاج واحد ، بــل أتـــى علـــى ضـــروب ، فكما قالوا : ظريف وشريف مــن : ظـــرُف وشـــرُف ، فكذلــك قالوا : فرُه فهو فاره ، وطهُرت فهى طـــاهر ، وعقُــرت فــهى

---

[١] الكتاب ٢٩/٤ .

[٢] المنصف ٢٣٧/١ .

عاقر ، فجاء الاسم منه علـــى فـــاعل والبـــاب فـــى (فَعُـــل) أن يأتى الاسم منه على (فعيل) أو (فعـــال) و (فعيـــل) أكـــثر فـــإن خرج عن هذين البابين كان شاذا يحفظ ولا يقـــــاس عليـــه"[١] .

٤ ـــ قصر السيوطى ورود ذلـــك علـــى بعـــض الأســـماء الســـابق ذكرها فقال : "لم يأت (فَعُـــل) فـــهو فـــاعل إلا حرفـــان : فَـــرُه فهو فاره ، وعقُرت المرأة فـــهى عـــاقر ، وأمـــا طـــهُر فـــهو طاهر وحمُض فهو حـــامض ، ومثُـــل فـــهو مـــاثل فبخـــلاف ؛ لأنه يقال : حَمَض ، وطَهَر ومَثَـــــل"[٢] .

٥ ـــ ذكر الأشمونى أن صوغ اسم الفاعل من (فَعُـــل) قليـــل فقـــال : "وهو قليل فى (فَعُلْتُ) بضم العين كطهر فـــــهو طـــاهر ، ونعـــم فهو ناعم ، وفره فهو فـــاره"[٣] .

خامسا : صيغــة المبالغــة :

يجوز أن يحول اســـم الفـــاعل بقصـــد المبالغـــة والتكثـــير فـــى الحدث إلى صيـــغ أخـــرى تســـمى صيـــغ المبالغـــة وتصـــاغ مـــن مصدر المتعدى غالبا ، ويقل مـــن الـــلازم .

---

[١] شرح الملوكى ٥٤ .

[٢] المزهر ٨١/٢ .

[٣] شرح الأشمونى ٣١٣/٢ .

ولصيغ المبالغة خمسة أوزان مشهورة هي : (فعّال ، وفَعُول، ومفْعَال ، وفعيل ، وفَعِل) وهناك صيغ أخرى للمبالغة قليلة الاستعمال مقصورة على السماع منها (فَعَّلان ، وفعّالة ، وفَعِّيل ، وفعّال ، ومفْعيل ، وفَاعول ، وفعلة) وتعمل صيغ المبالغة عمل اسم الفاعل بشروطه ، وينطبق عليه جميع أحكامه[١] .

وقد ورد من الصيغ القياسية فى القرآن الكريم (فَعُول) كما فى قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)[٢] ، فـ (طهورا) من الفعل (طَهُرَ) على وزن (فَعُل) .

كما جاء أيضا صوغ (فُعَّال) من (فَعُل) وهى من الصيغ السماعية كما فى قوله تعالى : (ومكروا مكرا كُبَّارا)[٣] ، وقرئت أيضا (كُبَارا) بتخفيف الباء ، وهى قراءة عيسى وابن السمأل ، كما قرأ ابن محيصن (كِبَارا) بتخفيف الباء أيضا مع كسر الكاف[٤] .

---

[١] ينظر : التصريح ٦٧/٢ ، وشذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ، صـ ٧٤ .

[٢] الآية ٤٨ من سورة الفرقان .

[٣] الآية ٢٢ من سورة نوح .

[٤] ينظر : مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ، صـ ١٦٢ .

سادسا : الصفة المشبهة :

هى الصفة المصوغة لغير تفضيل من مصدر فعل لازم لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفادة معنى الحدوث[١] نحو : شُجاع ، وشَريف .

ويغلب بناؤها من لازم باب فَرِح ، وباب (شَرُف) ومن غيرهما قليلا نحو : سَيِّد وميِّت من : ساد يسود ، ومات يموت.

ويعنينا هنا صياغتها من باب (شَرُف) أى : ما كان على وزن (فَعُل) .

فإذا كان الفعل على وزن (فَعُل) فإن الصفة المشبهة تصاغ منه على الأوزان الآتية[٢] :

١ ـ فُعَال بالضم نحو : شُجاع ، وفُرات .

٢ ـ فَعَال بالفتح والتخفيف نحو : جَبان وحَصَان .

٣ ـ فَعَل بفتحتين نحو : حَسَن وبطَل .

٤ ـ فُعُل بضمتين نحو : جُنُب ، وهو قليل .

٥ ـ فَعْل بفتح فسكون نحو : ضَخْم من : ضَخُم .

---

[١] ينظر : التصريح ٢/٨٠ .

[٢] ينظر : شرح الرضى للشافية ١/١٤٨ ، وشذا العرف ٧٦ ، ٧٧ .

٦ ـ فِعْل بكسر فسكون نحو : مِلْح من مَلَحَ .

٧ ـ فُعْل بضم فسكون نحو : صُلْب من صَلُب .

٨ ـ فعيل نحو : كريم من كَرُم .

٩ ـ فاعل نحو : طاهر من طَهُر .

وربما اشترك (فاعل) و (فعيل) فى بناء واحد نحو : ماجد ومجيد ، ونابه ونبيه ، والأصل فى الصفة المشبهة أن تدل على الثبوت والاستمرار ، فإذا أريد بها التجدد والحدوث فإنها تحول إلى زنة (فاعل) نحو : زيد شاجع أمس ، وشارف غدا ، وحاسن وجهه[1] .

سابعا : اسم التفضيل :

هو الاسم المصوغ من المصدر على وزن (أفعل) للدلالة على أن شيئين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فى تلك الصفة نحو : محمد أفضل من على .

ولصوغه شروط معينة نص عليها العلماء[2] .

ويصاغ اسم التفضيل من (فَعُل) على وزن (أفعل) للمذكر

(١) ينظر : شذا العرف ٧٧ .

(٢) ينظر : التصريح ١٠١/٢ ، وشرح الأشمونى ٤٣/٣ ، وشذا العرف ٧٨ ، ٧٩ .

نحو (أحسن) من : حسُن و(أعظم) من : عظُـــم ، و (أطــهر) مــن: طهُر ، وعلى وزن (فُعْلى) للمؤنـــث نحـو : عُظْمــى ، وصُغـرى والغالب فيه أن يكون بصيغة المفــــرد .

وقد يجمع جمع مذكر سالما نحـــو (أقــرب) فإنــه يجمــع علــى (أقربيــن) ومنـــه قولـــه تعـــالى : (للرجـــال نصيـــب ممـــا تـــرك الوالـــدان والأقربـــون وللنســـاء نصيـــب ممـــا تـــرك الوالـــدان والأقربـــون)[١] .

كما جمع أيضا جمع تكســير نحـــو (أكـــبر) فإنـــه يجمـــع علـــى (أكابر) ومنه قوله تعالى : (وكذلك جعلنـــا فـــى كـــل قريـــة أكـــابر مجرميها)[٢] ، وقد جاء مطابقا لما بعده فـــى الجمـــع لـــوروده علـــى أصله من إفادة المفاضلـــة[٣] .

وفيما يلى أمثلة لصوغ اسم التفضيـــل مـــن (فَعُـــل) علـــى وزن (أفعل) فى القرآن الكريم وبيان لصـــوره المتعـــددة :

١ ــ قوله تعالى : (ليجزيـــهم الله أحســـن مـــا كـــانوا يعملـــون)[٤] ، فـــ (أحسن) على وزن (أفعـــل) وهـــو مصـــوغ مـــن (حسُـــن)

---

[١] الآية ٥ من سورة النساء .

[٢] الآية ١٢٣ من سورة الأنعام

[٣] ينظر : التصريح ١٠٥/٢ .

[٤] الآية ١٢١ من سورة التوبة .

(أحسن) على وزن (أفعل) وهو مصـــــوغ مـــن (حســـن) علــــى وزن (فعُل) ، وقد جاء مضافا إلى اسم الموصــــــول (مـــا) .

٢ ــ قوله تعالى : (فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكــــثر منـــك مـــالا وأعز نفراً)[١] ، فاسم التفضيـــــل (أكـــثر) وفعلــــه (كَـــثُر) علــــى وزن (فعُل) وكذلك (أعز نفرا) ، وقد جـــاء كـــل منـــهما نكـــرة مجردة مـــن (أل) والإضافـــة ، وملازمـــا للإفـــراد والتذكـــير ، وقد أثبتت (من) ومجرورها في قوله (أكثر منـــك) وحذفـــا فـــي قوله (وأعز نفرا) أي : منـــك[٢] .

٣ ــ قولـــه تعـــــالى : (قـــل أي شـــــئ أكـــبر شـــــهادة)[٣] ، اسم التفضيل (أكبر) على وزن (أفعل) وهو مصوغ مـــن (كـــبر) على وزن (فعُل) ، وقد جاء نكرة ، وما بعده منصوب .

ويصاغ أيضا من (فعُل) بضم العيـــن اســـم الزمـــان والمكـــان ، وكذا المصدر الميمي ، ويـــأتي علــى وزن (مفعَـل) بفتـــح العيـــن نحو : المكـــثر[٤] .

---

[١] الآية ٣٤ من سورة الكهف .

[٢] ينظر : التصريح ١٠٢/٢ .

[٣] الآية ١٩ من سورة الأنعام .

[٤] ينظر : شرح الرضي للشافية ١٨١/١ .

بناء (فعُل) للمجهول :

لا يجوز بناء (فَعُـــل) للمجـــهول ، وذلـــك لكونـــه لازمـــا فـــي الغالب ، ولا يبنى الفعل للمجهول حتـــى يكـــون متعديـــا ، ولكـــن إذا ناب الظرف عن الفاعل جاز ذلك ، وإلـــى هـــذا أشـــار ابـــن جنـــى بقوله : "وأما الفعل المبنى للمفعول فعلى مثال واحـــد وهـــو (فُعـــل) نحو : ضرب ، وقتل ، وهذا أصله (فَعَلَ أو فَعِلَ) ثـــم نقـــل فجعـــل حديثا عن المفعول ألا تـــرى أن (ضُـــرب) منقـــول مـــن ضـــرب ، ورُكب منقول من رَكب ، ولا يكون فُعِل منقولا مـــن فعُـــل أبـــداً "؛ لأن (فَعُل) لا يتعدى ، والفعل لا ينقـــل إلـــى (فُعِـــل) حتـــى يكـــون متعديا قبل النقل ، ألا تـــرى أن (ضَـــرَب) متعـــد فلذلـــك جـــاز أن تبنيه للمفعول فتقول (ضُرِب) وكذلك (رَكب) ثـــم تقـــول : (رُكـــب) و (فَعُل) لا يتعدى أبدا فلا يجوز أن تبنيه للمفعـــول ؛ لأنـــك إذا لـــم تذكر الفاعل ولم يكن ثم مفعول يقوم مقامـــه فـــي أن يجعـــل الفعـــل حديثا عنه بقى الفعل حديثا عن غير محدث عنـــه ، وهـــذا محـــال ، فإن أقمت الظرف مقام الفاعل جـــاز أن تبنـــى (فُعِـــل) مـــن (فَعُـــل) نحو : ظُرِف فى هذا المكـــان[١] .

---

(١) المنصف ٢٣/١ ، ٢٤ ، وينظر أيضا ، صـــ ٢١١ ، ٢١٢ .

معانى (فعُــل)[(١)] :

من خلال النظــر فــى الكتــب والمصــادر يلاحــظ أن أكثرهــا يتناول معانى صيغ المزيد ، أما المجــرد فقــد تشــير إليــه إشــارة عابرة .

ولصيغة (فَعُل) معان كثيرة ذكرها العلمــاء ، ويمكــن حصرهــا على النحو التــالى :

أولا : الدلالة على الطبــائع والغرائــز والســجايا والخصــال التــى تكون فى الأشياء ، وهى من أهم المعــانى لصيغــة (فَعُــل) ، وقــد صنف سيبويه هذه الدلالة تصنيفــا دقيقــا نســتخلصه مــن الكتــاب فيما يلــى :

١ ــ أما ما كان حسنا أو قبحا فإنه ممــا يبنــى فعلــه علــى (فَعُــل يَفعُلُ) ، وذلك قولك : قبُــح يقبــح ، ووسُــم يوسـم ، وجمُــل يجمل[(٢)] .وقالوا : بهُو يبــهو[(٣)] ، وشنُــع شــناعة[(٤)] ، وطــهر

---

(١) اعتمدت فى إيراد تلك المعانى على كتاب سيبويه ، ولسان العرب لابن منظــور الــذى يمكــن أن يعوض عن كتب اللغة الأخرى حيث اعتمد فى تأليفه على كتب عدة فى إيراد تلك المفردات .

(٢) الكتاب ٤/٢٨ .

(٣) البهاء : الحسن ، يقال : بهو يبهو بهاء فهو بهى ، ينظر اللسان (بها) ١٤/٩٩ .

(٤) يقال : شنع يشنع شناعة أى : قبح ، اللسان (شنع) ٨/١٨٦ .

طهرا ، ونظف نظافة[١] .

٢ ـ وما كان من الشدة والجرأة ، والضعف والجبن فإنه نحو من هذا نحو : ضعف ، وشجع ، وجرؤ ، وغلظ ، وسهل ، وسرع ، وبطؤ ، وكمش[٢] ، وحزن ، وصعب[٣] .

٣ ـ وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا نحو : عظم، ونبل ، وصغر ، وقدم ، وكثر ، وكبر[٤] .

٤ ـ وما كان من الرفعة والضعة فهو نحو من هذا نحو : شرف ، وكرم ، ولؤم ، ودفؤ ، وملؤ ، ووضع ، وأمر علينا[٥]

٥ ـ وما أتى من العقل فهو نحو من ذا قالوا : حلم يحلم[٦] ، وظرف ، ورفق ، ورزن ، وحصنت المرأة ، ورفع ،

---

[١] الكتاب ٢٩/٤ .

[٢] كمش كماشة وهو كميش مثل : سرع والكماشة : الشجاعة ، ينظر : الكتاب ٣٢/٤ ، والقاموس المحيط (كمش) ٧٨٠ .

[٣] الكتاب ٣١/٤ ، ٣٢ .

[٤] الكتاب ٣٠/٤ ، ٣١ .

[٥] الكتاب : ٣٢/٤ ـ ٣٤ .

[٦] الكتاب ٣٤/٤ .

وحمق ، وخــرق[١] .

وقد أشار إلى هذه الدلالات المذكورة لصيغة (فَعُــل) كثــير مــن العلمـاء :

أ ــ فقال ابن قتيبة : "والخصال التى تكــون فــى الإنســان مــن : الحسن والقبح ، والشــدة والضعــف ، والجــرأة ، والجبــن ، والصغر، والعظم تأتى على (فَعُل يَفْعُــل) نحــو : قبــح يقبــح ، وحســن يحســن ، وصغــر يصغــر ، وعظــم يعظــم ، وصعب يصعب ، وسرع يسرع وأشــبه ذلــك"[٢] .

ب ــ وقال ابن يعيش : "وأما (فَعُل) بضــم العيــن فــلا يكــون إلا غير متعد نحو : كــرُم وظــرف ، ولا يكــون مضارعــه إلا مضموما نحو : يكرُم ويظرُف ؛ لأنــه بــاب علــى حيالــه ، وموضع للغرائز والهيئة التــى يكــون عليــها الإنســان مــن غير أن يفعل بغيره شــيئا"[٣] .

جـ ــ وقال أبو حيان : "وأما (فَعُل) فيــأتى لمعنــى مطبــوع عليــه ممن هو قائم نحو : كرم ولــؤم أو كمطبــوع نحــو : حطــب

---

[١] الكتاب : ٣٤/٤ ــ ٣٦ .

[٢] أدب الكاتب ٤٧١ ، ٤٧٢ .

[٣] شرح الملوكى ٤٤ .

وفقُه أو شبهه نحو : جنُب شَبه بنجَس"(١) .

د ـ وقال الأزهرى ـ عند ذكر علامات اللازم ـ : "والثالثة أن تدل على سجية أى : الطبيعة والسليقة ، وهى ما ليس حركة جسم من وصف لازم للذات غير منفك عنها نحو : جبُن وشجُع ، من الأفعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة ، وضم عين الفعل لمناسبة انضمام الطبيعة إلى الذات عند صدور هذه الأفعال منها"(٢) .

هـ ـ وقال السيوطى : "والصفات بالجمال والقبح والعلل والأعراض تأتى أفعالها على (فَعُل)"(٣) ، وقال أيضا : "والمضموم للغرائز غالبا ككرُم ولؤُم ، وشعُر ، وفقُه"(٤).

ثانيا : من معانى (فَعُل) الدلالة على الصيرورة(٥) الوصفية نحو: سهُل أى : صار سهلا ، وصعُب أى : صار صعبا ، ووضُؤ الرجل أى : صار وَضِيئا(٦) ، وعرُب لسانه أى : صار

---

(١) ارتشاف الضرب ٧٦/١ .

(٢) التصريح ٣١٠/١ .

(٣) المزهر ٩٩/٢ .

(٤) الهمع ١٦١/٢ .

(٥) ينظر : اوزان الفعل ومعانيها ٢١٥ ، ٢٩٣ .

(٦) ينظر : اللسان (وضأ) ١٩٥/١ .

عربيا ، وبغُض الرجل أى : صــــار بغيضـــا ، وغلُــظ أى : صـــار غليظا ، وبلُغ : صار بليغـــا ، وعتُـــق : صـــار عتيقـــا[١] ، وفقُـــه : أى صار فقيـــها ، وجـــدُب المكـــان : صــــار جدبـــا[٢] ، ووشُـــك : صار قريبـــا[٣] .

ثالثا : الدلالة علـــى معنـــى : صــــار ذا نحـــو : لبُــب أى : صـــار ذالبّ[٤] ، وشحُم : صار ذا شحم فـــى بدنـــه[٥] .

رابعا : الدلالة على الأدواء والأسقام وما يـــنزّل منزلتـــها لكراهيتـــه وهو ما عبر عنه ســـيبويه بقولـــه : "فلمـــا صـــارت هـــذه الأشـــياء مكروهة عندهم صارت بمنزلـــــة الأوجـــاع ، وصـــار بمنزلـــة مـــا رَموا به مـــن الأدواء"[٦] .

وقد مثّل سيبويه لهذه الدلالة بقولـــــه : "وقـــال بعـــض العـــرب : سقَم كما قالوا : كرُم كرما ، وعسُـــــر عســـرا"[٧] .

---

[١] ينظر : اللسان (عتق) ٢٣٦/١٠ ، والقاموس المحيط ١١٧٠ .

[٢] اللسان (جدب) ٢٥٦/١ .

[٣] ينظر : اللسان (وشك) ٥١٣/١٠ ، والقاموس المحيط (وشك) ١٢٣ .

[٤] ينظر : اللسان (لبب) ٧٣٠/١ .

[٥] ينظر : اللسان (شحم) ٣١٩/١٢ ، والقاموس المحيط ١٤٥٤ .

[٦] الكتاب ٢١/٤ .

[٧] الكتاب ١٧/٤ .

وقال أيضا : "وقالوا : عقِرت عقرا كما قالوا : سقِمت سقماً"[١] .

وقال أيضا : "وقد قالوا : عسُر الأمر وهو عسير ، كما قالوا : سقُم وهو سقيم"[٢] .

خامسا : الدلالة على الكثرة[٣] نحو : وَبُؤت الأرض أى : كثر وباؤها[٤] ، وطمُع : كثر طمعا[٥] ، ولحُم : كثر لحمه[٦] .

سادسا : الدلالة على الألوان ، وقد أشار إليها سيبويه بقوله : "أما الألوان فإنها تبنى على أفعل ، ويكون الفعل على : فَعِلَ يَفْعَلَ ، وربما جاء الفعل على (فَعُل يُفْعُلُ) وذلك قولك : أدم يأدم أدمة ، ومن العرب من يقول : أدم يأدم أدمة .... وقالوا : كهِب يكهَب كهبة ، وشهَب يشهب شهبة"[٧] .

---

(١) الكتاب ٤/١٩ .

(٢) الكتاب ٤/٢١ .

(٣) ينظر : اوزان الفعل ومعانيها ٢٩٤ .

(٤) ينظر : اللسان (وبأ) ١/١٨٩ .

(٥) ينظر : اللسان (طمع) ٨/٢٤٠ .

(٦) ينظر : اللسان (لحم) ١٢/٥٣٥ .

(٧) الكتاب ٤/٢٥ .

سابعا : الدلالة على التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح ، أو الذم، وذلك لتحويل الفعل المتعدى إلى وزن (فَعُل) فيصير لازما بالتحويل نحو قوله تعالى : (وحسُن أولئك رفيقا)[١] ، ونحو : قضُو الرجل ، إذا أجاد القضاء ، وضرُب الرجل وفهُم أى : ما أضربه وما أفهمه[٢] ، ويقال : فصُح أى : ازداد فصاحة[٣] ، وجرُم : إذا عظم جرمه[٤] .

ثامنا : التشبيه ، أو المحاكاة[٥] نحو : حمُق : إذا فعل فعل الحمقى[٦] ، وعرُج : إذا مشى مشية الأعرج[٧] .

علاقة (فَعُل) بغيرها من الأبنية :

قد يتغير الوزن فى اللفظ الواحد نتيجة حركة عين الفعل ، الضم والفتح ، أو الضم والكسر ، أو الحركات الثلاث ، ومع ذلك فإن معنى الكلمة يبقى واحدا .

---

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، وشرح الملوكى ٦١ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

(٣) ينظر : اللسان (فصح) ٥٤٤/٢ .

(٤) اللسام (جرم) ٩١/١٢ .

(٥) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ٢٩٤ .

(٦) اللسان (حمق) ٦٧/١ .

(٧) اللسان (عرج) ٣٢٠/٢ ، ٣٢١ .

وسوف نوضح هنا العلاقة بين (فَعُـل) بضـم العيـن ، وغيرهـا من الأبنيـة :

أولا : العلاقـة بـين (فعُـل) بـالضم و (فعِـل) بالكسـر :

هناك بعض الأفعال التـي وردت مـرة بضـم العيـن ، ومـرة بكسرها ، مع اشتراك الوزنين فى الدلالة على أمـر مـا .

وهناك بعض الأمثلة التى توضح ذلك نوردها فيمـا يلـى :

١ ــ يشترك (فَعُل) و (فَعِل) فى الدلالة على الألـوان ، وقـد اشـار إلى ذلك سيبويه فقال : "أما الألوان فإنـها تبنـى علـى أفعـل ، ويكون الفعل على فَعِل يَفْعَل ، والمصـدر علـى فُعْلَـة أكـثر ، وربما جاء الفعل على (فَعُل يَفْعُـل) وذلـك قولـك : أَدِم يَـأْدَم أُدْمَة ، ومن العـرب مـن يقـول : أَدَمَ يَـأْدُمُ أُدْمَـة ، وشَـهِب يَشْهَبُ شُهْبَة ، وقَهِبَ يَقْـهَبُ قُهْبَـة ، وكَـهِبَ يَكْـهَبُ كُهْبَـة ، وقالوا : كَهُبَ يكْهُبُ كُهْبَة ، وشَهُبَ يشْـهُبُ شُـهْبَة"[1] .

٢ ــ يشـترك (فَعُـل) و (فَعِـل) فـى الدلالـة علـى الأدواء قـال سيبويه: "وقالوا : سَقِم يَسْقَم سُقْما ، وهو سَـقِيم ، وقـال بعـض العرب : سَقُم كما قالوا : كَرُم كَرَما وهـو كَرِيـم"[2] .

---

[1] الكتاب ٤/٢٥ .

[2] الكتاب ٤/١٧ .

وكذلك ما يقوم مقام الأدواء نحـو : عَسِـر يَعْسَـر عسْرا ... وقد قالوا : عَسُرَ الأمرْ وهـو عَسِير ، كما قـالوا : سَـقُم وهـو سَقِيم(١) .

٣ ـ يشترك (فَعُل) و (فَعِل) فـي نحـو : رفُـق ورفِـق ، وحمُـق وحمِـق(٢) .

٤ ـ ذكر ابن قتيبـة أمثلـة أخـرى وردت علـى هذيـن الوزنيـن (فَعُل) و (فَعِل) في بـاب فَعِلـت وفَعُلْـت بمعنـى فقـد أورد : سَفِه يَسْفه، وسفُه يسْفه ، وحَرِمت الصلاة علـى المـرأة تَحْـرَم ، وحَرُمَت تَحْرُم ، وسَرِى الرجـل يسْرَى ، وسَـرُو يسْـرُو ، وسَخِيَ يَسْخَى ، وسَخُو يسْخُو ، وقـال الفـراء : "قـد عَجِـف وعَجُف ، وحَمِـق وحَمُـق ، وسَـمِر وسَـمُر مـن الأسـمر ، وخرِق وخَـرُق"(٣) .

٥ ـ ذكر ابن مالك بعض هـذه الأمثلـة السـابقة لمشـاركة فعِـل لفعُل ، وزاد عليها : فَقِر وفَقُر ، ورَعِـن ورَعُـن(٤) .

---

(١) ينظر : الكتاب ٢١/٤ .

(٢) ينظر الكتاب ٣٥/٤ ، ٣٦ .

(٣) أدب الكاتب ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل ٤٣٦/٣ .

٦ ــ ومن هذه الأفعال أيضا (بَصُر وبَصِر) قال تعالى : (قال بَصُرْتُ بما لم يبصروا به)[١] ، قرأ الأعمش وأبو السمأل (بَصِرت) بكسر الصاد (بما لم يبصَروا) بفتح الصاد[٢] .

٧ ــ قد يغنى (فعِل) عن (فعُل) لزوما فى اليائى اللام[٣] ، وسماعا فى غيره ، فمثال ما لامه ياء نحو : (حيي فهو حَيِي ، وعَيِي فهو عييّ ، وغَبِي فهو غبى) ، ويدل على كون (فعُل) فى هذه الأفعال أصلا لـ (فعِل) أن كل واحد منهما يدل على معنى طبع عليه الفاعل أى : الحياة ، والعيى ، والغباوة ، وكذا الغنى : إذا أريد به غِنى المال فهو محمول على غنى النفس[٤] .

والاستغناء بفعِل عن (فعُل) فيما ليس لامه ياء نحو (قَوِى ، ونَقِي ، وسَمِن) وحقها أن تكون (فعُل) ؛ لأنها بمعنى : مَتُن ، ونظُف ، وشحُم ، وأضدادها : ضَعُف ، ونجُس ، وشحُت[٥] .

---

[١] الآية ٩٦ من سورة طه .

[٢] ينظر : مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ٩٢ ، والبحر المحيط لأبى حيان ٢٧٣/٦ ، طبعة دار الفكر .

[٣] ينظر : الهمع ١٦١/٢ .

[٤] شرح التسهيل لابن مالك ٤٣٩/٣ ، ويراجع ايضا : الكتاب ٣٢/٤ ــ ٣٥ .

[٥] شرح التسهيل لابن مالك ٤٣٩/٣ ، ويراجع ايضا : الكتاب ٣٢/٤ ــ ٣٥ .

٨ ــ ويغنى (فَعِل) عن (فعُل) فــى المضــاعف نحــو : شَــحِحت ، وضَننِت ، وقال سيبويه : "وقــالوا : شُــحِحت ، كمــا قــالوا : بَخِلت ، وذلك لأن الكســرة أخــف عليــهم مــن الضمــة ، ألا ترى أن (فَعِل) أكثر فى الكــلام مــن (فعُــل) ، والـيــاء أخــف عليهم من الواو وأكــثر"(١) .

٩ ــ يتحول (فَعِل) المتعــدى إلــى وزن (فَعُــل) بــالضم ، فيصــير لازما لغرض المبالغة والتعجب نحو (فَــهُم الرجــل) بمعنــى : ما أفهمــه(٢).

ثانيا : العلاقـة بين (فعُل) بـالضم و (فعَـل) بـالفتح :

١ ــ من معانى (فَعَـــل) النيابــة عــن (فعُــل) فــى المضــاعف ، واليــائى العيــن ، فالمضــاعف نحـــو : (جَلَلْــت فأنت جليل ، وعَززت فأنت عزيــز ، وحققَــت فــأنت حقيــق ، وعَففَــت فــأنت عفيــف ، ورَقَ فــهو رَقيـــق ، وذَلَّ فـــهو ذليل .

واليائى العين نحو : طاب يطيب فهو طيِّــب ، ولان يليــن فــهو

---

(١) الكتاب ٣٧/٤ .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

لَيِّن ، وبان يبين فهو بيّــن[١] .

ولذلك قال سيبويه : "واعلم أن مـــا كــان مــن التضعيــف مــن هذه الأشياء فإنه لا يكاد يكون فيــه (فَعُلــت) و (فَعُــل) لأنــهم قــد يستثقلون (فَعُل) والتضعيف فلما اجتمعــا حــادوا إلــى غــير ذلــك وهو قولك : ذل يــذل ذلاً"[٢] .

٢ ــ هناك بعض الأفعال التى يتفق لفظها ومعناهــا ، مــع اختــلاف وزنها حيث تستعمل مرة علــى وزن (فَعُــل) بــالضم ومــرة على وزن (فَعَل) بالفتح ، وقــد أورد ســيبويه لذلــك بعــض الأمثلة نوردها فيما يلــى :

أ ــ الفعل (طهُر وطهَر) قال : "طــهُر طــهْرا وطــهارة ، وطــاهر كمَكُث مُكْثا وماكث ، وقالوا : طَــهَرت المــرأة كمــا قــالوا : طَمَثت ، أدخلوها فى باب جلَست ومكَثــت لأن مَكَثــت نحــو : جلَست فى المعنــى"[٣] .

ب ــ الفعل (مكُث ومكَث) قال : "وقالوا : مكَــث يمكُــث مُكوثــا ، كما قالوا : قعد يقعد قعودا ، وقال بعضــهم (مَكُــث) شــبهوه

---

[١] ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣/٤٤١ .

[٢] الكتاب ٤/٣٦ .

[٣] الكتاب ٤/٢٩ ، ٣٠ .

بظرف ؛ لأنه فعل لا يتعــــدى"[١] .

جـ ــ حكى سيبويه عن بعضـــــهم (نضُــر ونضَــر)[٢] ، و (جبُــن وجبَن)[٣] ، و (نبُه ونبَــــه)[٤] .

كما ذكر هذه الأمثلة أيضا ابــن منظــور ، وأوردهــا بالوجـــهين (فَعُل) و (فَعَل)[٥] ، وقـــد حكـم ابــن قتيبــة علــى هــذه الامثلــة بالشّــذوذ[٦] .

٣ ــ أورد ابن قتيبة على هذين الوزنيـــــن (فَعُــل) و (فَعَــل) أمثلــة أخرى ذكرها في بـــاب (فَعُلــت) و (فَعَلــت) فقــال : "سَخَن يومنا يسخُن وسخُن ، وصلَح الشـــئ وصلُــح ، وشــحَب لونــه يشـــحَب وشَـــحُب لغـــة ، وخَــثَر اللبـــن يخـــــثُر وخَثَر ، ورَعَف الرجل يرعـــف ورَعُــف ، وطَــهَرت المــرأة وطَــهُرت"[٧] .

---

[١] الكتاب ٤/٩ ، ١٠ .

[٢] الكتاب ٤/٢٨ .

[٣] الكتاب ٤/٣٢ .

[٤] الكتاب ٤/٣٢ .

[٥] ينظر : اللسان (نضر) ٥/٢١٢ ، و (جبن) ١٣/٨٤ ، و (نبه) ١٣/٥٤٦ .

[٦] ينظر : أدب الكاتب ٤٧٢ .

[٧] أدب الكاتب ٤٧٦ .

٤ ـ كما أورد ابن جنى أيضا بعض هذه الأفعال وهى (خثُر وخثَر ، وحمُض وحمَض ، وشعُر وشعَر ، وطهُر وطهَر)[١] .

ثالثا : العلاقة بين (فعُل) بالضم و (فعَل) بالفتح والكسر :

هناك بعض الأفعال جاءت على الأوزان الثلاثة (فَعُل) بالضم و (فَعِل) بالكسر والفتح ، أى بإيراد الحركات الثلاث على عين الفعل .

وقد حصر ابن خالويه هذه الأفعال ، وجعلها خمسة وهى : (كمُل وكمِل ، وكمَل) و (كدُر الماء ، وكدَر ، وكدِر) ، (وخثُر العسل وخثِر وخثَر) و (سخُو الرجل وسخِو وسخَو) و (سَرِى وسرا وسَرُو)[٢] .

وقد ذكر هذه الأفعال أيضا ابن منظور نقلا عن ابن برى قال : "فى سرا ثلاث لغات (فَعُل) و (فَعِل) و (فَعَل) وكذلك : سَخِى وسخو ، ومن الصحيح : كمل ، وكدر وخثر ، فى كل

---

[١] ينظر الخصائص ٣٨١/١ .

[٢] ينظر : ليس فى كلام العرب ١٠٦ .

منهما ثلاث لغات"[١] .

رابعا : العلاقة بين (فعُل) بالضم و(افتعل) :

قد يغني (افتعل) عن (فعُل) ، وإليه أشار سيبويه بقوله : "ولم نسمعهم قالوا : فقر كما لم يقولوا في الشديد : شدد ، استغنوا باشتد وافتقر"[٢] .

وقال أيضا : "ولم نسمعهم قالوا : رفُع ، وعليه جاء رفيع وإن لم يتكلموا به ، واستغنوا بارتفع"[٣] .

خامسا : العلاقة بين (فعُل) بالضم و (افعالّ) :

قال سيبويه : "وقد يستغنى بافعال عن (فعُل) و (فعِل) ، وذلك نحو : ازراقّ، اخضارّ واصفارّ ، واحمارّ ، واشرابّ ، وابياضّ ، واسوادّ"[٤] .

مما سبق إيراده في العلاقة بين (فعُل) وغيرها من الأبنية يتبين لنا أن لختلاف الأوزان بالنسبة للفظ الواحد ، مع الاحتفاظ بالمعنى ورد عن العرب ، ولكنه لم يرد في لغة واحدة ، ولعل

---

[١] لسان العرب (سرا) ١٤/٣٧٨ .

[٢] الكتاب ٤/٣٣ .

[٣] الكتاب ٤/٣٣ .

[٤] الكتاب ٤/٢٦ .

هذا يرجع إلى ما يسمى (تداخل اللغات) (اللهجات) ، وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة[١] ، كما هو واضح من خلال النقل عنه كثيرا فى هذا الشأن وقد عقد ابن جنى لهذا بابا فى الخصائص أسماه (باب فى تركيب اللغات) ، وقد حكم على الذين فسروا هذا التداخل بالشذوذ بضعف النظر ، وقلة الفهم ، وإنما هى فى رأيه لغات تداخلت فتركبت ، يقول ابن جنى : "اعلم أن هذا موضع قد دعا أقواما ضعف نظرهم وخفت إلى تلقى ظاهر هذه اللغة أفهامهم أن جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وادعوا أنها موضوعة فى أصل اللغة على ما سمعوه بأخرة من أصحابها ، وأنسوا ما كان ينبغى أن يذكروه ، وأضاعوا ما كان واجبا أن يحفظوه"[٢] .

ثم قال ـ بعد أن ذكر عدة أمثلة لذلك : "واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتراكبت "[٣] .

وقد ذكر ابن منظور أن باب تركيب اللغتين باب واسع

---

[١] ينظر : الكتاب ٢٥/٤ ، ٢٦ .

[٢] الخصائص ٣٧٤/١ .

[٣] الخصائص ٣٧٥/١ .

يحمله جهال أهل اللغة على الشـــــذوذ[١] .

أثر لغات العرب في صيغة (فعُل) :

كان للغات العرب المختلفـــة أثــر واضـــح فـــي الفعــل ، وقــد حفظت لنا كتب اللغة شيئا من هـــذا التـــأثير .

ويعنينا في هذا المقام صيغة (فعُل) ومــــا ورد فيـــها مـــن لغـــات العرب .

١ـ تسكين عين (فعُل) مع بقاء فتحة الفاء :

عرف عن العرب أنهم قد يســـكنون مـــا كـــان مضمومـــا طلبـــا للخفة ، وقد ذكر سيبويه أن ذلـــك لغـــة بكـــر بـــن وائـــل ، وأنـــاس كثير من بني تميم ، وقد ضرب لذلك أمثلة مـــن نحـــو : كَـــرْم فـــي كَرُم[٢] .

وفيما يلي أمثلة على هذه اللغـــة :

أ ـــ قوله تعالى : (وحسن أولئـــك رفيقـــا)[٣] ، قـــرأ أبـــو الســـمأل

---

[١] ينظر لسان العرب (دوم) ٢١٣/١٢ .

[٢] ينظر : الكتاب ١١٣/٤ ، وشرح الرضي للشافية ٤٢/١ .

[٣] الآية ٦٩ من سورة النساء .

(وحسْن) بسكون السين وهى لغة تميم[١] .

وقال الزمخشرى : "وحسن أولئك رفيقا" فيه معنى التعجب كأنه قيل : وما أحسن أولئك رفيقا ، ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ (وحسْن) بسكون السين يقول المتعجب : حسن الوجه وجهك ، وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين[٢] .

ب ــ قوله تعالى : (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)[٣] ، قرأ زيد بن على (بما رَحْبت) بسكون الحاء ، وهى لغة تميم يسكنون ضمة (فَعُل) فيقولون فى (ظَرُف) (ظرْف)[٤].

جـ ــ قوله تعالى : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)[٥] ، قرئ (كبْرت) بسكون الباء وهى لغة تميم[٦] .

---

(١) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ٣٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٣ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٥٤٠/١ ، طبعة الحلبى .

(٣) الآية ٢٥ من سورة التوبة .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٢٤/٥ .

(٥) الآية ٥ من سورة الكهف .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٩٧/٦ .

٢ ـ تسكين عين (فعُل) ونقل ضمتها إلى الفاء :

يجوز في (فَعُل) الذي فيه معنى التعجب أن تنقل ضمة عينه إلى فائه ، وهي لغة بعض بني قيس قال أبو حيان عند قوله تعالى : (وحسن أولئك رفيقا) ، ويجوز (وحُسْن) بسكون السين، وضم الحاء ، على تقدير نقل حركة السين إليها ، وهي لغة بعض بني قيس[١] ، وقد قرئ بها أيضا قوله تعالى : (طوبى لهم وحسن مآب)[٢] .

تحويل الفعل المتعدي إلى (فعُل) بقصد التعجب أو المبالغة أو المدح أو الذم :

تقدم فيما سبق عند الحديث عن لزوم (فَعُل) بالتحويل[٣] أنه يجوز أن يحول الفعل الذي على وزن (فَعِل) بالكسر أو (فَعَل) بالفتح إلى صيغة (فَعُل) بالضم لقصد التعجب أو المبالغة أو المدح أو الذم .

وهنا نذكر أن الأفعال المحولة للدلالة على هذه المعاني تبدو قليلة ؛ لأنه لا يمكن تحويل جميع الأفعال لهذا الغرض ، وإنما

---

(١) البحر المحيط ٣/٢٨٩ ، وينظر الكشاف ١/٥٤٠

(٢) الآية ٢٩ من سورة الرعد ، مختصر في شواذ القرآن ٧١ .

(٣) ينظر ص من البحث .

ذلك مقصور على بعض الأفعال المعينة التي لها دلالة ملائمة لهذه المعاني ، وتصلح لأن تؤدى هذا الغرض المقصود كالأفعال (كبُر وحسُن ، وقضُو ، وحمُد ، ورمُو ، وفهُم) ، ولا يجوز تحويل (علم ، وجهل ، وسمِع) إلى (فعُل) بضم العين لعدم السماع[1] .

وقد ورد استعمال بعض هذه الأفعال لهذا الغرض كما في قوله تعالى : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)[2] ، أى : ما أكبرها ، و (حسنت مستقرا ومقاما)[3] ، أى : ما أحسنها .

ويلاحظ هنا أن صيغتي التعجب القياسيتين (ما أفعل) و (افعل به) وكذلك الصيغ السماعية أقوى في الدلالة على هذا المعنى من صيغة (فعُل) المحولة لهذا الغرض .

وكذلك في مقام المدح والذم نجد أن صيغتي (نعم وبئس)

---

(١) ينظر : إرتشاف الضرب ٣/٢٧ ، والتصريح ٢/٩٨ ، وشرح الأشمونى ٣/٤٠ .

(٢) الآية ٥ من سورة الكهف بنصب (كلمة) على التفسير وفى (كبرت) ضمير فاعل تقديره : كبرت مقالتهم : أتخذوا الله ولدا ، وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن أبى اسحاق (كبرت كلمة) بالرفع على أنها فاعل (كبرت) بمعنى : عظمت كلمتهم ، ينظر : مختصر فى شواذ القرىن ٨٠ ، ومشكل اعراب القرآن لمكى القيس ، تحقيق / ياسين السواس ٢/٣٦ .

(٣) الآية ٧٦ من سورة الفرقان .

أقوى فى الدلالة على هذا الغـــرض مـــن صيغـــة (فَعُـــل) المحولـــة إليه ، ولعل هذا هو السبب فى قلة الأفعـــال المحولـــة إلـــى (فَعُـــل) للدلالة على هذه المعـــانى .

ويعنينا فى هذا المقام أن نتحـــدث عـــن الفعليـــن (حبـــذا وســـاء) لمعرفة أصلهما وكيفية اســـتعمالهما .

١ـ حبـــذا :

(حبذا) مركبة من (حـــب) و (ذا) وأصلـــها : حَبُـــب علـــى وزن (فَعُل) بضم العين ، ومعنى (حب) : صـــار محبوبـــا ، وفيـــه لغتـــان ، فتح الحاء وضمها ، وعليهما روى قـــول الشـــاعر :

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجهـــا وحب بها مقتولة حين تقتـــل[1]

وإذا قلت : (حبـــذا) بـــتركيب (حـــب) مـــع (ذا) فتحـــت الحـــاء وجوبا ، وإذا قلت (حب) مجردة من (ذا) جـــاز فـــى الحـــاء الفتـــح والضم بنقل حركة العين إليـــها[2] .

---

(١) قائله : الأخطل ، وقد نسبه ابن يعيش لحسان ، وهو خطأ ، ويروى (فأطيب بها) .

والشاهد قوله (وحب) فإنه قد روى بفتح الحاء وضمها .

ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، وشرح الرضى للشـــافية ٤٣/١ ، ٧٧ ، وحاشية الخضرى ٤٦/٢ ، وديوان الأخطل صـــ ٤ .

(٢) ينظر : التصريح ١٠٠/٢ .

أوجه الإتفاق والخلاف بين (حبذا) و (نعم) :

أ ــ أوجه الإتفاق :

١ ــ أنهما فعلان ماضيان على الراجح ، وجامدان .

٢ ــ كل منهما يدل على إنشاء المدح العام بعد نقلهما إليه .

ب ــ أوجه الخلاف بينهما :

١ ــ يرى بعض العلماء أن (حبذا) مع دلالتها على المدح العام تدل على تقريب الممدوح من القلب وليس كذلك (نعم)[١] .

٢ ــ لا يجوز في (حبذا) إلا هيئة واحدة بخلاف (نعم) فقد سمع قولهم (نعما رجلين ونعموا رجالا) على ما حكاه الكسائي[٢].

٣ ــ أن مخصوص (حبذا) لا يتقدم بخلاف مخصوص (نعم) .

٤ ــ أن مخصوص (حبذا) يجوز ذكر التمييز قبله وبعده نحو : حبذا رجلا زيد ، وحبذا زيد رجلا ، بخلاف مخصوص (نعم) فإن تأخير التمييز عنه نادر[٣] .

٥ ــ أن (حبذا) لم ترد في القرآن الكريم بخلاف (نعم) فقد

---

[١] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٣٨/٧ .

[٢] ينظر : حاشية الصبان ٢٦/٣ ، والهمع ٨٤/٢ .

[٣] ينظر : إرتشاف الضرب ٣١/٣ ، وشرح الأشموني ٤٢/٣ ، ٤٣ .

وردت كثيرا فيـــه .

٢ـ ســاء :

من الأفعال التى تعامل معاملة (بئـس) فـــى إفــادة الــذم (ســـاء) ويدل على ذلك قول ابن مـــالك :

واجعـل كبئـس سـاء واجعـل فعـلا   مـن ذى ثلاثـــة كنعـــم مسـجلا[١]

وأصل (ساء) (سَوَأَ) بالفتح مـــن الســـوء ضـــد الســـرور مـــن : ساءه الأمر يسوءه : إذا أحزنه فـــهو متعـــد متصـــرف فحـــول إلـــى (فَعُل) بالضم فصار قاصرا ثم ضمن معنى (بئـــس) فصـــار جـــامدا محكوما له ولفاعله بما حكم لبئـــس[٢] .

استعمال (ساء) فى القرآن الكريـــم :

يدل الفعل (ساء) علـــى الــذم العــام ، وقــد كـــثر وروده فـــى القرآن الكريـــم .

وقد جاء على صور متنوعة نوضحها فيمـــا يلـــى :

أ ــ جاء بعد (ساء) (ما) فى عشـــرة مواضـــع :

١ ــ قـــال تعـــالى : (منـــهم أمـــة مقتصـــدة وكثـــير منـــهم ســـاء

---

(١) ألفية ابن مالك ، صـــ ١١٤ .

(٢) ينظر : التصريح ٢/٩٨ ، وشرح الأشمونى ٣/٣٩ ، واللسان (سوأ) ١/٩٥ .

ما يعملــون)[١] .

قال العكبرى : "(ساء) هنا بمعنــى (بئــس)"[٢] .

٢ ـ قال تعالى : (آلا ساء مــا يــزرون)[٣] .

(ساء) بمعنى (بئس) ويجــوز أن تكـون (ســاء) علــى بابــها ، ويكون المفعول محذوفا و (مــا) مصدريــة ، أو بمعنــى (الــذى) أو نكرة موصوفة ، وهى فى كل ذلــك فــاعل (ســاء) والتقديــر : ألا ساءهم وزرهــم[٤] .

٣ ـ قال تعالى : (وما كان لله فهو يصل إلــى شــركائهم ســاء مــا يحكمــون)[٥] .

٤ ـ قال تعالى : (إنهم ساء ما كــانوا يعملــون)[٦] .

٥ ـ قال تعالى : (ومــن أوزار الذيــن يضلونــهم بغــير علــم ألا

---

(١) الآية ٦٦ من سورة المائدة .

(٢) ينظر : التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٢٢٨ .

(٣) الآية ٣١ من سورة الأنعام .

(٤) ينظر : التبيان للعكبرى ٢٤٦ .

(٥) الآية ١٣٦ من سورة الأنعام .

(٦) الآية ٩ من سورة التوبة .

ساء ما يـزرون)[١] .

٦ ـ قال تعالى : (أيمسكه علـى هـون أم يدسـه فـى الـتراب ألا ساء ما يحكمـون)[٢] .

٧ ـ قال تعالى : (أم حسب الذيـن يعملـون السـيئات أن يسـبقونا ساء ما يحكمـون)[٣] .

٨ ـ قال تعالى : (سواء محياهم ومماتهم سـاء مـا يحكمـون)[٤] .

٩ ـ قال تعالى : (أعد الله لهم عذابا شـديدا إنـهم سـاء مـا كـان يعملـون)[٥] .

١٠ ـ قال تعالى : (إنهم ساء ما كـانوا يعملـون)[٦] .

ويلاحـظ فـى الآيـات السـابقة أن (مـا) فـاعل (سـاء) وأن المخصوص بالذم محذوف مما يدل علـى أن (سـاء) هنـا بمعنـى (بئس) ، وفاعلها كفاعل (بئـس) .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة النحل .

(٢) الآية ٥٩ من سورة النحل .

(٣) الآية ٤ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٢١ من سورة الجاثية .

(٥) الآية ١٥ من سورة المجادلة .

(٦) الآية ٢ من سورة المنافقون .

ب ـ جاء فاعل (ساء) ضميرا مستترا مفسـرا بتميـيز فـي تسـع آيات هـي :

١ ـ قال تعالى : (إنه كان فاحشة ومقتا وسـاء سـبيلا)[١] .

٢ ـ قال تعالى : (فأولئك مأواهم جهنم وسـاءت مصـيرا)[٢]

٣ ـ قال تعالى : (ومن يكن الشيطان له قرينـا فسـاء قرينـا)[٣] .

٤ ـ قال تعالى : (ساء مثلاً القوم الذين كذبـوا بآياتنـا)[٤] .

فالفاعل ضمير و(مثلا) تميـيز ، والمخصـوص بـالذم (القـوم) وهو مرفوع بالابتداء ومـا قبلـه خـبر أو مرفـوع علـى إضمـار مبتدأ تقديره : ساء المثل مثلاهم القـوم الذيـن[٥] .

وقرأ الجحدرى والأعمش (ساء مثل القوم) برفـع (مثـل) علـى أنها فاعل (سـاء)[٦] .

٥ ـ قـال تعـالى : (ولا تقربـوا الزنـا إنـه كـان فاحشـة

---

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) الآية ٩٧ من سورة النساء .

(٣) الآية ٣٨ من سورة النساء .

(٤) الآية ١١٧ من سورة الأعراف .

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١/٣٣٥ .

(٦) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ٥٣ .

وساء سبيلا)[١] .

٦ـ قال تعالى : (بئس الشراب وساءت مرتفقا)[٢] .

٧ ـ قال تعالى : (وساء لهم يوم القيامة حملاً)[٣] .

٨ ـ قال تعالى : (إنها ساءت مستقرا ومقاماً)[٤] .

(مستقرا) تمييز ، و (ساء) بمعنى (بئس)[٥] .

٩ ـ قال تعالى : (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)[٦] .

جـ ـ جاء فاعل (ساء) مضافا إلى ما فيه (أل) في ثلاث آيات هي :

١ ، ٢ ـ قال تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)[٧] .

٣ ـ قال تعالى : (فساء صباح المنذرين)[٨] .

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٢٩ من سورة الكهف .

(٣) الآية ١٠١ من سورة طه .

(٤) الآية ٦٦ من سورة الفرقان .

(٥) ينظر : التبيان للعكبري ٤٦١ .

(٦) الآية ٦ من سورة الفتح .

(٧) الآية ١٧٣ من سورة الشعراء ، ٥٨ من سورة النمل .

(٨) الآية ١٧٧ من سورة الصافات .

فالفاعل هنا اسم مضاف إلى ما فيه (أل) والمخصوص محذوف .

خلاف النحاة في إلحاق (فعُل) بباب (نعم وبئس) بقصد المدح أو الذم :

اختلف النحاة في (فَعُل) المراد به المدح أو الذم ، فذهب الفارسي وأكثر النحويين إلى جواز إلحاقه بباب (نعم وبئس) فقط، فلا يكون فاعلا إلا بما يكون فاعلا لهما ، وذهب الأخفش والمبرد إلى جواز إلحاقه بباب (نعم وبئس) ، فيجعل فاعلها كفاعلهما إذا لم يدخله معنى التعجب ، وإلى جواز إلحاقه بفعل التعجب ، فلا يجرى مجرى (نعم وبئس) في الفاعل ولا في بقية أحكامهما ، بل يكون فاعله ما يكون مفعولا لفعل التعجب فتقول: لضربت يدك ، ولضربت اليد[1] .

قلة استعمال (فعُل) في الأسماء :

ترد صيغة (فَعُل) في الأفعال بكثرة ، وفي الأسماء بقلة ، وقد ذكر ابن قتيبة أمثلة لاستعمال (فَعُل) في الأسماء في باب (فَعُل) و (فَعِل) نورد بعضا منها :

---

[1] ينظر : ارتشاف الضرب ٢٧/٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٣ ، والتصريح ٩٨/٢ .

قال : "رجل حذِر وحـــذُر ، و يقِـظويقُـظ ، وعجِـل وعجُـل ، وطمِع وطمُع ، فطِن وفطُن ، و حدِث وحـــدُث ، و فـرِح وفـرُح ، وندِس وندُس ، وبكِر فى حاجتـــه وبكُـر"[١] .

ومن أمثلة ذلك أيضا قراءة (وعبُد الطــاغوتِ)[٢] ، بضـم البـاء من (عبد) وكسر التاء مـن (الطــاغوت) وهـى قـراءة حمـزة[٣] ، وقد ذكرها ابن جنى أيضا فـــى المحتسـب[٤] .

وكذا قراءة (قالت نمُلة)[٥] بضم الميم ، وهـــى قـراءة المفضـل، وطلحة ، والمعتمر بن ســليمان[٦] .

وقال ابن جنى : "أما النملة بفتـح النـون وضـم الميـم فتقبلــها (النملة) بفتح النون وسكون الميم لأن فعُلا يخفف إلـــى فَعْـل كسَـبع إلى سَبْع ورجُل إلى رجْـــل"[٧] .

---

(١) أدب الكاتب ٥٣١ .

(٢) الآية ٦٠ من المائدة .

(٣) ينظر : كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد تحقيق د/ شوقى ضيف ، صـــ ٢٤٦ .

(٤) المحتسب لابن جنى ٢١٤/١ .

(٥) الآية ١٨ من النمل .

(٦) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ١١٠ .

(٧) المحتسب ١٣٧/٢ .

وبعـــــد ... ،

فلعلى أكون قد وفقت فـــى عــرض هــذا الموضـــوع داعيـــا الله تعالى أن يجعل فيه من العلم ما ينفـــــع ، والحمـــد لله الـــذى بنعمتـــه تتم الصالحات وصلى الله وسلم علـــــى نبينـــا محمـــد ، وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعيـــن .

د. لطفـــى عبد الرحيم احمد خليل
المدرس فى كلية اللغة العربية . أسـيوط

مراجع البحث

١ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق / محمد الدالى ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ .

٢ـ إرتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان تحقيق د. مصطفى النماس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٣ـ أوزان الفعل ومعانيها ، إعداد / هاشم طه شلاس ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧١م .

٤ـ البحر المحيط لأبى حيان ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٥ـ التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ، الناشر : مكتبة أسامة الإسلامية ، القاهرة .

٦ـ التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ، طبع عيسى الحلبى بمصر .

٧ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٨ـ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ، الطبعة السابعة ، المطبعة الأزهرية .

٩ـ حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، طبع عيسى الحلبى .

١٠ـ الخصائص لابن جنى تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ، الطبعة الثانية .

١١ـ شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ، طبع المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

١٢ـ شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى .

١٣- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ، د/ محمد بدوى المختون ، الطبعة الأولى ، دار هجر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٤- شرح الرضى للشافية ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢- ١٩٨٢م .

١٥- شرح المفصل لابن يعيش ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .

١٦- شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، الطبعة الأولى بالمكتبة العربية بحلب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٩م .

١٧- الصحاح للجوهرى تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، طبعة : دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٨- فى تصريف الأفعال ، د/ عبد الرحمن محمد شاهين ، منشورات مكتبة الشباب ، ١٩٨٢م ، القاهرة .

١٩- فى اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٠- القاموس المحيط للفيروزآبادى ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢١- كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقى ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف .

٢٢- الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .

٢٣- كتاب مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق / ياسين محمد السواس ، الطبعة الثانية ، دار المأمون للتراث بدمشق .

٢٤- الكشاف للزمخشرى ، طبعة الحلبى ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٢٥- لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٢٦- ليس فى كلام العرب لابن خالويه ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٧ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى ، تحقيق / على النجدى ناصف وآخرين ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

٢٨ـ مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ، طبعة مكتبة المتنبى ، القاهرة .

٢٩ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، دار الفكر ، القاهرة .

٣٠ـ معجم الأفعال المتعدية بحرف ، تأليف / موسى محمد المليانى الأحمدى ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

٣١ـ المعجم الوسيط ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون وآخرين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية .

٣٢ـ المغنى فى تصريف الأفعال ، د/ محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة دار الحديث ، القاهرة .

٣٣ـ مغنى اللبيب لابن هشام ، تحقيق د/ مازن المبارك ، محمد على حمد الله ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٤ـ المنصف لابن جنى تحقيق الأستاذين / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، طبعة مكتبة الحلبى ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

٣٥ـ النحو الوافى د/ عباس حسن ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

٣٦ـ همع الهوامع للسيوطى ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧هـ .

العلل والأمراض فى كتاب العين

للخليـــل بن أحمد الفراهيدي

للدكتور

علـيـــان بـن محمـــد الحازمـــى

الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف

كلية اللغة العربيــة ـ جامعة أم القـــرى

العلل والأمراض فى كتاب العين
للخليل بن أحمد الفراهيدي

للدكتور
عليان بن محمد الحازمى
الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

مقدمة البحث :

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظمته والصلاة والسلام على الهادى البشير محمد الرسول الأمين وبعد :

فتعد الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد ، إحدى الدعائم التى قامت عليها المعاجم العربية ، بشقيها معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ فعندما بدأ العلماء فى تدوين اللغة وجدوا أن العرب قد تركوا ثروة لغوية كبيرة شملت كل ما فى بيئتهم ومحيطهم ، فهب اللغويون لجمعها فصنفوا رسائل لغوية ذكروا فيها المطر ، والسحاب والرياح ، والسلاح ، والنبات ، وخلق الإنسان ، وخلق الفرس ، والأنواء ، والإبل ، والغنم ، والوحوش ، والحشرات ... هذه الرسائل بعضها حقق ونشر وبعضها ضاع وفقد .

وقد قام أحمد الشرقاوى إقبال بإحصاء وفهرسة هذه الرسائل

فى كتابه : (معجم المعاجم) فذكر كتبا فى خلــق الإنســان ، وخلــق الفــرس ، والإبــل ، والخيــل ، والــدلاء ، والبــئر ، والرحـــل ، والدارات ، كذلك بين ودرس حسين نصــار فــى كتابــه : (معــاجم على الموضوعات) ـ إضافة إلى ما كتبــه فــى (المعجــم العربــى) ـ رســائل تخــص الإبــل ، والغنــم والنبــات ، وكتــب الفــرق ، والمواضع ، ولكن لــم يــرد فــى فهرســة الشــرقاوى ولا دراســة حسين نصار أى ذكـــر لرســالة تنــاولت بــالتدوين ألفــاظ العلــل والأمراض ، كما أن كتب التراجم أيضا لم تشــر لأى رســالة مــن هذا النــوع .

إن أقدم ما نجده من ذكـــر لألفــاظ الأمــراض ورد عنــد أبــى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـــ فـــى كتابــه : "الغريــب المصنف" ثم تلاه ابن ســيده المتوفــى ســنة ٤٥٨هــــ فــى كتابــه الموسوعى : (المخصص) وقد اعتمد كــل مــن أبــى عبيــدة وابــن سيده فى مصنفيهما على من ســبقهما مــن العلمــاء ، بــل إن ابــن سيده نقل عن الخليل بن أحمد لذا رأيت أن اســتخلص ألفــاظ العلــل والأمراض مـــن (كتــاب العيــن) بإعتبــاره أول معجــم عربــى ، فجمعت الألفاظ وصنفتها إلـــى :

أمــراض الأذن والأنــف ، أمــراض البطــن ، أمــراض الجلــد ، أمراض الرأس ... وهكذا ، منتهيا بما يصيب المريـــض مـــن آثــار

المرض كالخدر (الفتور) ، والخنع (الغشيان) ثم رتبت ألفاظ كل مرض ترتيبا ألفبائيا وسردتها متبدءا بالأمراض التى تصيب الإنسان وأعقبتها بالأمراض التى تخص الحيوان واضعا إزاء كل لفظ رقم الجزء والصفحة ، أما الألفاظ التى وردت عند صاحب المخصص ولم أجدها فى كتاب العين فقد أشرت إلى موضعها فى المخصص وكان هدفى من هذا كله هو :

١ ــ بيان سبق الخليل بن أحمد وريادته وإعتماد الآخرين عليه.

٢ ــ إظهار أن كتاب العين كان أيضا نواة للمعاجم المتخصصة، وأنه يحتوى على ثروة لغوية علمية .

٣ ــ دفع ذوى الاختصاص إلى قراءة كتب التراث واستخلاص الألفاظ العلمية المتخصصة وتدوينها فى معاجم تحقق لنا النفاذ إلى أصول العلم وتكسب الطلاب معرفة بما فى لغتهم وتطلعهم على أن اللغة العربية قادرة على تمثل واستيعاب ما فى تلك العلوم وتنمى فهم القدرة على الإبداع .

تمهيـــد :

صناعة المعاجم علم له قواعد وأســس ، يعتمـد عليـها ، تبعـده عن مواطن القصور ، والزلل ، وتضبطـــه عـن كـل مـا يشـوش متنه ، ونصوصـــه ، مــن ســوء الــترتيب ، والتفسـير وتصنيـف المعجم فى أى لغة يتطلب أن تقدم ألفـــاظ اللغـــة واضحـــة ســـهلة ، ومبوبة ، وشاملة ، وخالية من كـــل مـــا يــؤدى إلـــى الإضطـــراب والإيــهام .

وقد كان للعرب إسهام فـــى صناعـــة المعـــاجم زاحمـــوا الأمـــم الصينية والهندية فدونوا ألفاظ العربيـــة وابتدعـــوا وابتكـــروا شـــتى أنواع المعاجم ، ولا نريد هنا أن نقوم شـــأن هـــذا الإســـهام ، فلقـــد تناوله باحثون كثر ، مـــا بيـــن مثبـــت أن العـــرب يصـــدرون فـــى تصنيفهم عن سبق ، وما بين قائل أنـــهم أخـــذوا عـــن غـــيرهم مـــن الأمم الأخـــرى[1] .

ومسألة التأثر والتأثير لا تسـلم منـــه أى أمـــة ولا لغـــة ، إلا إذا كان أهلها منعزليـــن .

وهذا لا يصح فى حق العرب ولا فـــى لغتـــهم ، ولكـــن الأمـــر

---

(1) Jonc A.haywood . Arabic Lexicography P. 1 – 10 .

الثابت أن هنالك أمورا فرضت على العرب النظر في لغتهم والتفكير فيها ، لقد كان القرآن الكريم مدعماة للبحث والتصنيف ، لأنه نقل العرب واللغة العربية نقلة عبر عنها ابن فارس بقوله : "كان العرب فى جاهليتهم على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم وقرابينهم فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ..."[١] .

إن ما ذكره ابن فارس فى نصه السابق ، يدل على أن الإسلام الكريم صرف العرب من حياة إلى حياة أخرى ، وربى فيهم ملكة الإستنباط ووجههم إلى التفكير في دقائق العلوم التى لم يكن لهم بها عهد وكانت علوم العربية من أوائل العلوم التى ظهرت ، وقد مرت هذه العلوم بمراحل شأنها شأن أى علم يبدأ على شكل ملاحظات وتدوينات وتفريعمات تنمو وتزداد مع الزمن .

وهذه الدراسة تهدف إلى بيان (العلل والأمراض) التى جاءت فى كتاب العين بإعتباره أول مصنف لغوى حاول فيه

---

[١] الصاحبى ٧٨ .

الخليل بن أحمد تدوين كلام العـــــرب كمـــا أنـــها لا تقتصـــر علـــى ســـرد الألفـــاظ واســـتخلاصها وإنمـــا تؤكـــد أن غالبيـــة أســـــماء الأمراض والعلل جاءت على وزن فعال وفعل ، كمـــــا تؤمـــى هـــذه الدراسة إلى أن فى ألفاظ اللغة ما هو موجـــود بـــالقوة وهـــو ألفـــاظ اللغة التى لم تستعمل والتى عبر عنها الخليـــــل بالمـــهمل ومـــا هـــو موجود بالفعل وهو المســـــتعمل .

كما أن هذه الدراسة ترجو أن تقفنا على نـــوع الأمـــراض التـــى كانت سائدة فى ذلك الزمن ، فكتاب العين ألـــف فـــى القـــرن الثـــانى الهجرى حيث إن وفاة الخليل بن أحمد تؤرخ فـــى ســـنة ١٧٥هـــ، وفى ذلك إشارة إلى أن الأمراض أنـــذاك محـــدودة ، فـــالعربى فـــى جزيرة العرب كان يعتمد فى غذائه علــــى مـــا أنتجتـــه بيئتـــه مـــن طعام وشراب ، فالإبل والأنعام تحتـــل المصـــدر الرئيســـى لطعامـــه ، كما كان يكثر الظعن والترحال ، ولكن مـــع هـــذا لـــم يسـلم مـــن الأمـــراض (كالعشـــى فـــى العيـــن) ، و (اســـتطلاق البطـــــن) ، و (البرص) ، و (الجذام) وغير ذلك ممـــا نجـــده مدونـــا فـــى المعجـــم العربـــى .

لـــذا تطمـــح هـــذه الدراســـة أن تدفـــع ذوى الاختصـــاص مـــن لغويين وأطباء وهيئات علمية أن تتبنى دراســـة إحصـــاء مـــا جـــاء فى المعاجم العربية من أسماء للأمراض والعلل فـــى معجـــم واحـــد

متخصص يكون مرجعا علميا وتأريخيا يعتمد عليه ، فالعلوم تتأسس بتأسيس المدونات ، وإذا أردنا للغة العربية أن تكون لغة العلم ، وأن تكون مزاحمة اللغات الأخرى ، فلابد من الاهتمام بتصنيف المعاجم المتخصصة ، وبهذا تتحقق لنا لغة علمية ، تستند على ما جاء في تراثنا ، ننفذ من خلاله إلى فكر قويم صحيح ، فالعلوم إذا درست بلغات غير اللغة الأم لا يكتسب محصلها إلا بعضا ونتفا من أصولها ولن ينفد إلى أعماق العلم إلا بلغته التي هي مرآة فكره وقوام عقله ، لذا اعتمدت هذه الدراسة على (كتاب العين) في استخلاص العلل والأمراض مع الإستعانة بكتب اللغة كما أفادت من دراسات لغوية ومعجمية معاصرة .

كتاب العين :

قد يقول قائل لماذا اعتمدت على كتاب العين في هذه الدراسة ؟ وتجاهلت المعاجم الأخرى ، مثل جمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري ، والصحاح للجوهري وغيرها .

إن السبب يكمن في أن لكتاب العين منزلة فريدة بين المعاجم العربية به افتتح التأليف المعجمي بمختلف طرقه ومناهجه ، فقد أثار هذا المعجم حركة علمية كبرى بما أثاره وحواه من مواد علمية ، وبما اتبعه من طريقة ومنهج في

إحصاء واستقصاء كلام العرب ، فمنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا ، وحركة تصنيف المعاجم تدين للخليل بن أحمد بالسبق والريادة كما يقول ابن دريد : "فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعد له تبع أقر بذلك أم جحد"[١] .

فالخليل يعد – بحق – مؤسس علوم العربية ، بما وضع من أسس وأصول كانت ولا تزال المعين الذى اعتمد عليه علماء اللغة فيما بعد[٢] ، فقد حوى كتاب العين الدخيل ، والمعرب والمستعمل ، والمهمل ، والضعيف ، والغريب ، والعالى من الكلام وغير ذلك ، فهو معجم عام ، أضاء الطريق، ومهد السبيل أمام اللغويين ، فاقتفوا آثاره ، واتجه بعضهم إلى بيان ما ذكر وما وضعه من أسس وما جاء به من اصطلاحات فألفوا فى الغريب ، والدخيل والمعرب وجمعوا الألفاظ التى تخص موضوعا واحدا مثل السلاح والمطر والرياح وخلق الإنسان والنبات والوحوش وغير ذلك مما عرف بالرسائل اللغوية[٣] .

---

(١) جمهرة اللغة ١/٣ .

(٢) انظر مقدمة العين ١/٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) معجم المعاجم للشرقاوى .

ومن الملاحظ أنه على كثرة وتنوع الرسائل اللغوية التي اهتم اللغويون فيها بتدوين ألفاظ وموضوعات شملت معظم ما في بيئة العرب من أمكنة ودارات وحيوانات ونبات وسلاح وحشرات ، إلا أننا لا نجد رسالة أشارت إلى الأمراض والعلل، ناهيك بأن كتب اللغة أو التراجم لا تشير من قريب أو بعيد لرسالة اهتمت وتناولت تدوين ألفاظ العلل والأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان ، ولا ندرى ما السبب الذى أضاع مثل هذه الرسائل ضمن ما فقد من المكتبة العربية أم أن العلماء صرفوا النظر عن جمع مثل هذه الرسائل ؟

مواد كتاب العين:

يمتاز كتاب العين بحسن النظام ، والترتيب المبنى على الوعى والمعرفة بلغة العرب ، ونسج بناء الألفاظ ، قد انتهج المصنف أسسا وابتدع طريقة سار عليها في إدخال مواد معجمه وذلك بإبتكار أبجدية أصواتية ، وتقليب مادة الكلمة عند الترتيب[1].

هذا النظام التقليبي والأصواتي لم يكن مألوفا ومرضيا عنهما ، ووجهت إليهما انتقادات ووصفا بأنهما صعبا المنال

---

(١) د. عبد الله درويش ، المعاجم العربية ، صـ ١٩ ، ٢٠ .

ويستغرقان وقتا وجهدا للحصول على ما يراد من معانى الألفاظ[١] .

على الرغم من هذه الإنتقادات إلا أن النظام حقق ما يطمح إليه الخليل ، ووضح وأبان ما يسمى من اللغة (الموجود بالقوة)، و (الموجود بالفعل) ، يقول د. محمد رشاد الحمزاوى : "فاعتمد اللغة والرياضيات وركزهما على منهج (التقليب) ليبين أن اللغة (مهمل) أو موجود بالقوة يشمل مستعملا أو موجود بالفعل ، وهما عنصران متكاملان لهما صلة بالماضى والحاضر والمستقبل ويكونان رصيد اللغة المثالى"[٢] .

فكثير من الألفاظ التى قال الخليل بأنها مهملة ولا تأتلف موجودة بالقوة لأن ألفاظ اللغة لا يحاط بها بدليل أن من جاء بعد الخليل أثبت استعمالها ووجودها ، فالخليل يذكر أن (عه) ليست موجودة ومستعملة لأن العين لا تأتلف مع الهاء[٣] ، فجاء الأزهرى وأثبت عن الفراء أن (عهعهت بالضأن عهعهة إذا قلت لها (عه) وهو زجر لها)[٤] ، كما أن أبا على القالى جعل

---

[١] د. حسين نصار ، المعجم العربى نشأته وتطوره ، ١/٣٩٥ .

[٢] من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ، صـ ١٧١ .

[٣] كتاب العين ١/٦٠ .

[٤] تهذيب اللغة ١/٥٥ .

كثيرا مما قال عنه الخليل مـــهملا مســـتعملا[١] .

إن مسألة الموجود بالقوة والموجود بـــالفعل مـــن اللغـــة تشـــكل هاجسا يجب أن يوعى ويوظف ، فاللغة تصـــدر عـــن قـــوة وقـــدرة أودعها الله في الخلق وعن استعمال لهذه القـــدرة ، وهمـــا مـــا عـــبر عنـــهما تشومســـكي بــــ Comptance مقـــدرة ، و Perfomance أداء[٢] ، وهذا ما حاول الخليل تطبيقه عنـــد تصنيـــف العيـــن حيـــث رأى أن كلام العب لا يخرج فـــي تأليفـــه عـــن الأبجديـــة العربيـــة فأعاد ترتيبها على أساس صوتي ، وأدرك أن كــــلام العـــرب مبنـــي على : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماســـي ثـــم قلـــب مـــواد الأبنية المذكورة ليحصل على ألفاظ كـــلام العـــرب .

فجاء المعجـــم يحمـــل أصنافـــا شـــتى مـــن الألفـــاظ صنفـــها : بالمستعمل والمهمل ، والغريب ، والنـــادر ، والدخيـــل ، والمولـــد ، والمعرب ، فكثير من الألفاظ نستعملها الآن ولم تســـتعمل مـــن قبـــل عرب الجاهليـــة ، ولا العصـــور الإســـلامية ، وهـــي مـــن صميـــم اللغة، وتمثل الرصيد الفعلي للغة وهـــذا يظـــهر أن اللغـــة العربيـــة لغة واسعة لا يحاط بها وقد كان الأصمعي عندما يســـأل عـــن شـــئ

---

[١] البارع صـــ ٧٢ ، وانظر المعجم العربي نشأته وتطوره ٢٧٨/١ .

[٢] Nell . Smith and D. Willson.. Modern Linguisties P. 44 .

من اللغة لا يعرفها يقرن لا نعرفها لـــم تبلغنـــى(١) .

لذا جاء كتاب العين يشتمل على ألفاظ تجعلك تحـــس أنــك تقــرأ معجمًا معاصرًا مع أنه ألف في القرن الثــــاني الــهجرى .

يقارن ما ذكره العين من الألفـــاظ الآتيــة مــع مــا جــاء فـــى المعجم الوســيط :

البارجـــــــة	سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال	١١٥/١
الجــــــوار	صك المسافر	١٦٥/١
الحضانــــــة	مصدر الحاضنة والحاضن وهمــا اللذان يربيان الصبى	١٠٥/٣
الدرجــات	شبه الدبابات تتخذ فـــى الحــرب يدخل فيها الرجال	٧٨/٦
السفيــــــــر	رسول بعض القوم إلى قوم	٢٤٧/٧
الشبكـــــــة	المصيدة فى الماء وغيره	٢٩٩/٥
شحنت السفينة	ملأتها فهى مشحونة	٩٥/٣
الضاحيــــة		٢٦٥/٣
الخصلـــــة	تتخذها المرأة فى مقدمـــة رأســها تقص ناصيتها عدا جبينها	١٠/٥

(١) مراتب النحويين ، صـــ ٨٣ .

القـــــارب	سفينة صغيرة تكون مع أصحـــاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم	١٥٣/٥
اللّحـــــام	ما يلحم به صدع ذهب أو حديد	٢٤٦/٣
المجلـــــة	الصحيفة يكتب فيها	١٤١/٦
الملاحـــة	منبت الملح	٢٤٤/٣

ما جاء فى المعجم الوسيط :

البارجــــــة	سفينة من سفن الأسطول الحربى	٤٦/١
الجــــــواز	ما يعطاه المسافر من كتاب يجــوز به ولا يمنع مانع	١٤٧/١
الحضانـــــة	الولاية على الطفل لتربينه وتدبـــر شئونه	١٨١/١
الدراجــــة	الدبابة ــ مركبة مــن حديــد ذات علتين تسير بتحريك القدميـــن أو الوقود	٢٧٧/١
السفيـــــر	الرسول ــ والمصلح بين قومين ، وفى القانون الدولى : مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعــوث إليها	٤٣٥/١

الشبكـــــة	شركة الصياد فى البر والبحر	٤٧٣/١
شحنت السفينة	السفينة وغيرها : حملها وملأها	٤٧٧/١
الضاحيـــــة	الناحية الظاهر خارج البلد	٥٣٧/١
القصـــــة	الخصلة من الشعر ، والقصة شعر مقدم الرأس	٧٣٠/٢
القـــــارب	الزورق	٧٤٦/١
اللّحـــــام	المادة يلحم بها	٨٢٥/١
المَجَلَّـــــة	الصحيفة تجمع طرائف الحكمـــة ، ويقال فى عصرنا هذا لكل صحيفة عامة أو متخصصة فى فـــن مـــن الفنون تظهر فى فـــترات معينـــة بخلاف الصحف اليومية	١٣٢/١
الملاحـــــة	مكان تَكَوُّن الملح أو بيعه	٨٩٠/٢

ما سبق يطلعنا على أن أصحاب المعاجم دونوا ما سمعوا وما ثبـت عندهم من اللغة ، وما لم يبلغهم لم يدونوه ، وهذا لا يعنى أن الذى لـم يبلغهم غير موجود إنه موجود وكامن فى القدرة التى جعلها تشومسكى أحد عناصر نظريته اللغوية وعن طريق العنصر الآخر من نظريتـــه الأداء يظهر وينشأ[1] ويستعمل من خلال الاتســـاع والتصـــرف فـــى

[1] Aspects of theory of syntax , p. 4 , 5 , 6 .

اللغة والابتكار .

فالألفاظ الحديثة فى اللغة العربية المعاصرة فـــى مثــل ســيارة ، وطائرة ، ومجهر ، وصاروخ ، وقذيفة كامنة فى القدرة العقلية التـــى يتساوى فيها البشر وموجودة عبر المواد (سار ، طار ، جهر ، صرخ، قذف) ولكن لم تظهر إلا فيما بعد .

وهنا تكمن مسألة الإبداع فى اللغة التى بها ينشأ عدد غير محـــدود من الألفاظ والكلمات والجمل عن طريق عدد محـــدود مـــن القواعـــد والأصول ، وهذا ما طمح إليه الخليل فى كتاب العين كما أشرنا فـــى ص٨ وما أكمله اللغويون من بعد بالتوسع فـــى القيـــاس والإشـــتقاق والوضع والنحت والنقل ، وغير ذلك من وسائل نمو اللغة ، لذا فألفـــاظ اللغة أكبر من أن يحاط بها وقد عبر الإمام الشافعى عن ذلك بقولـــه : "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شئ على عامتـــها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرف"[١] ، وهذا ما ردده ابن فـــارس بقوله : "قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلى نبى"[٢] فـــالعلل والأمراض التى سيذكرها البحث هى ما وجد فى زمان الخليـــل ومـــا

---

[١] الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى ، صـــ ٤٢ .

[٢] الصاحبى ، صـــ ٣٤ .

عرفه من الذين سبقوه أما ما لم يكن معروفا أتمه من جاء بعد .

المعاجم المتخصصة :

عرف العرب هذا النوع من المعاجم منذ وقت مبكر أطلقوا عليه رسائل لغوية (معاجم على الألفاظ)[١] .

وأحسب أن كتاب العين المعجم الإمام هو الذى لفت الأنظار ، ووجه همم اللغويين إلى مواصلة جمع وتدوين ألفاظ اللغة ، فتسارع القوم إلى جميع الألفاظ وتصنيفها سواء ما جاء على هيئة معاجم عامة مثل الجمهرة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهرى والصحاح للجوهرى ، أم ما صنف من رسائل لموضوعات معينة كألفاظ المطر ، والحيوان والنبات ، والسلاح ، والحشرات وغيرها[٢] .

هذا الجهد المتنوع أسفر عن ظهور (معاجم الموضوعات) مثل الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام والمخصص لابن سيده ، ولا غرابة فى أن يعتمد مصنفا الغريب والمخصص على من سبقهم من أئمة اللغة ، فقد نقل أبو عبيد فى الغريب نقولا عن أبى عمرو الشيبانى وعن الأصمعى وعن أبى زيد الأنصارى ، فكتاب الأمراض فى الغريب المصنف لا يحمل إلاَّ عددًا متواضعًا من أسماء الأمراض

---

[١] د. حسين نصار ، معاجم على الموضوعات ، صـ ٥ .

[٢] انظر معجم المعاجم ، الشرقاوى .

مثل أوجاع الحلق ، والبطن ، والجسد ، والعين نقلها عن من سبقه ، يقول : "سمعت الأصمعى يقول : أول ما يجد الإنسان مس الحمى قبل أن تأخذه وتظهر فذلك (الرس)" .

وينقل عن أبى زيد : الحقوة وجع يكون فى البطن من أن يأكل الرجل اللحم بحتًا فيقع عليه المشى ، ويذكر عن أبى عمرو أن (العلّوص) والعلوز جميعًا الوجع الذى يقال له اللّوى[١] .

هذه الأسماء لا تذكر عند المقارنة بما جاء فى العين ، أما المخصص لابن سيده فقد ضم ما ألف من رسائل لغوية قبله وأخذ من كتب كثيرة كالغريب المصنف وغريب الحديث لأبى عبيد وجميع كتب يعقوب وكتابا ثعلب الفصيح والنوادر وكتابا أبى حنيفة فى الأنواء والنبات ومن كتب الفراء والأصمعى ومن العين ومن الجمهرة ومن البارع ومن كتاب الزاهر لمحمد بن القاسم الأنبارى[٢] .

كما أنه استوحى ترتيب المخصص من الغريب فسار على منواله يقول محمد الطالبى : "... لكن أهم منوال نسج عليه ، منوال آخر : هو الغريب المصنف لأبى عبيد الهروى"[٣] .

---

(١) الغريب المصنف ، صـ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) المخصص ، المجلد الأول ، صـ ١٢ ، ١٣ .

(٣) المخصص لابن سيده ، دراسة ـ دليل ، صـ ٢٤ .

لقد حفظ لنا المخصص مادة لغوية عن الأمراض أكثر مما نجــــده في الغريب المصنف ، هذه المادة اللغوية نقلها ابن سيده عن لغوييـــن أمثال الخليل ، وابن دريد ، وابن السكيت[١] وغيرهم ، لذا فكتاب العين وإن كان يعد معجما من معاجم الألفاظ إلا أنه مع ذلك يحتــوى علـــى عدد كبير من الألفاظ المتخصصة التي بعضها يخص النبات وبعضـــها تنتمي إلى الحيوان وأخرى إلى السلاح وغير ذلك ، هذه الألفاظ وردت متناثرة في العين حسب ترتيبها في المداخل ، ولو أنها جمعــت علـــى حدة لكونت رسائل لغوية تشبه (ألفاظ الموضوعـــات) فبالإمكـان أن تجمع رسالة عن النبات وأخرى عن الطيور وثالثة عن الألوان ورابعة عن العلل والأمراض وهكذا .

العلة والمرض :

تفسر المعاجم العلة بأنها المرض وتوضح بأن العلة هي : (الحـدث الذي يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانيًا منعــه عن شغله الأول)[٢].

والعلة تأتي أولاً ثم السقم ثم المرض وقد رتب الثعــالبي أحــوال العلل كالآتي : عليل ، ثم سقيم ، ومريض ، ثم وقيذ ثم دنف ثم حرض

---

[١] المخصص ، المجلد الأول ، السفر الخامس ، صـ ٦٤ ـ ١٣٨ .

[٢] اللسان (علل) .

ومُحرض[١] ، وقد جاء ذكر السقم والمرض والحرض فـــي القـــرآن الكريم قال عز وجل : (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)[٢] ، والسقم طول المـوض[٣] ، وقال تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[٤] ، والمرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة[٥] ، وقال عز وجل : (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَـؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[٦] ، والحــرض هو الذى لا حى فيرجى ولا ميت فينسى[٧] .

وقيل الحرض من إذابة هم أو مرض ، والعلة غالبا ما تكون سـببا للمرض[٨] .

والعلل والأمراض التى استخلصناها من (كتاب العيـــن) بعضـــها خاص بالإنسان وبعضها يصيب الحيوان ، ولقد ذكر الخليـــل زهـــاء مئتين وأربعة وعشرين لفظة من أسماء الأمراض يوردهـــا الـــدارس

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ، صـــ ١٤٣ .

(٢) الصافات ، آية ٨٩ .

(٣) المصباح المنير ، صـــ ٢٨٠ .

(٤) الشعراء ، آية ٨٠ .

(٥) المصباح المنير ، صـــ ٥٦٨ .

(٦) يوسف آية ٨٥ .

(٧) فقه اللغة وسر العربية ، صـــ ١٤٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ١٨٢/٣ .

مصنفة حسب أسماء الأمراض ، وأغلب أوزان هذه الأمـراض جـاء على وزن (فُعَال) ، و (فعل) وهذا ما أشار إليه علماء العربية (أكـثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على فُعَال)(١) .

أمـراض الأذن والأنـف :

الخُشَام	داء يأخذ فيه	١٧٣/٤
الخَبْطَة	كالزكمة في قبل الشتاء	٢٢٣/٤
الرُّعَام	داء يأخف في الأنف فيسيل منـه شئ	١٣٨/٢
الرُّعَاف	دم يسيل من الأنف	١٢٤/٢
الرُّغَام	سيلان الأنف من داء	٤١٧/٤
الزُّكَام	معروف	٧/٢
السُّدَاد	السدة داء يأخذ في الأنف بالكضم ويمنع نسيم الريح	١٨٤/٧
السَّلَائل	لحمات في الخيشوم	١٩٣/٧
السَّكَك	صغر قوف الأذن وضيق الصماخ	٢٧٢/٥
الشَّخير	رفع الصوت أثناء النوم	١٦٨/٤
الصَّمَم	ذهاب السمع	٩١/٧

(١) فقه اللغة وسر العربية ، صـ ١٤٢ .

الضُّنَـــاك	الزكام	٣٠٢/٥
الطِّنيـــن	صوت الأذن من وجع	٦٠٤/٧
العُطَـــاس	للإنسان	٣١٩/١
الكَـــزَم	قصر فى الأنف قبيح	٣٢٤/٥
الوَقْــــر	ثقل فى الأذن	٢٠٦/٥

للحيــوان :

الخُنَـــان	فى الإبل كالزكام فى النـــاس	١٤٢/٤
القُعَـــاص	داء يأخذ الــــدواب فيسـيل مــن أنوفها شــئ	١٢٧/١
الكُـــدَاس	العطاس للبــهام	٣١٩/١

أمـراض البطــن :

البَجَيـــد	وجع فى البطن (الْجُسَــاد)	٤٨/٦
البَشَـــم	تخمة على الدســم	٢٧٢/٦
التَّقْطيـــع	مغص تجده الأمعـــاء	١٢٦/١
الجُحَـــاف	داء يعترى الإنســان مــن كــثرة الأكــل أو مــن شــئ لا يلائمــه فيأخذ البطن اســتطلاقًا	٨٥/٣
الجُسَـــاد	وجع فى البطــن	٤٨/٦
الجَـــوَى	كــل داء يــأخذ فـــى البطـــن لا	

	يستمرأ معه الطعام	١٩٧/٦
الْحُضْر	اعتقال البطن	١١٣/٣
الحَقْوة	داء يأخذ البطن يورث نفخة في الحقوين	٢٥٥/٣
الـذَّرب	داء المعدة	٢٧/٨
السَّر والسَّوار	داء يأخذ السرة	١٨٨/٧
القضع والقضاع	وجع يصيب الإنسان في المعدة[1]	
العلّوص	من التخمة والبشم واللوى	٣٠١/١
الفتق	يصيب الإنسان في حراق بطنه	١٣٠/٥
اللوى	وجع البطن	٣٠١/١
المُشَاء	استطلاق البطن	٢٩٤/٦
المَغَص	غلظ في المعي وتقطيع	٣٧٥/٤
مَمْعود	دويت معدته فلم يستمرئ ما يأكل واشتكاها	٦١/٢
النُّفاخ	نفخة الورم من داء	٢٧٧/٤

(١) المخصص ، المجلد الأول ، صـ ٧٧ ، السفر الخامس ، صـ ٧٧ .

للحيوان :

الْحَبَط	وجع يأخذ البعير فى بطنه	١٧٤/٣
الحَمَر	داء يعترى الدابة من كثرة الشعير	٢٧٧/٣

أمراض الجلد :

الأز	ضربان عرق يأتز أو وجع فى خراج	٣٩٧/٧
الأكال	أن يتآكل كل عود أو شئ (الأكيلة) داء يأكل الجلد	٤٠٨/٥
البَاسُور	كالناسور أعجمى داء معروف	٢٥١/٧
البرسام	معرب الجدرى	٤٢٢/٨
الْبَرَص	بياض يقع فى الجسد	٣٧١/٣
الْبَهَق	بياض دون البرص	٣٧١/٣
الْبَثْر	خراج صغار	٢٢٢/٨
التصوح	تشقق الشعر وتناثره	٢٦٩/٣
التهيج	شبه الورم[1]	
الثؤْلول	خراج	٢٤١/٨
الجُدرى	معروف	٧٤/٦

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ . ٢٢٧/٣

الجُذَام	تجذم الأصابع وتقطعها	٩٧/٦
الجَرَب	معروف	١١٢/٦
الحبن	داء يعترى الجسد فيقيح منه ويرم[(١)]	
الحَصْبَة	معروف تخرج بالجنب	١٢٣/٣
الحصف	بثر صغار يقيح ولا يعظم وربما	
	خرج فى مراق البطن أيام الحر	١٢٠/٣
الحَطَاطَة	بثرة تخرج فى الوجة صغيرة	
	تقبح اللون ولا تقرح	١٨/٣
الحماق	الجدرى	٥٦/٣
الحُمْرَة	داء يعترى الناس فتحمر	
	مواضعها يعالج بالرقية	٢٢٧/٣
المُوم	الجدرى بالفارسية يكون كله	
	قرحة واحدة	٤٢٢/٨
الخُرَّاج	ورم وقرح يخرج من ذاته	١٥٨/٤
الخَزَب	ورم أو كهيئته فى الجلد من غير	
	ألم	٢١٠/٤
الدُّمَّل	يجمع دمامل	٤٧/٨
الرَّنح	قطع صغار فى الجلد خاصة	٢٣٧/٤

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ ، ٤٢٢/٨

الزَّامِح	الدمل[1]	
الزَّلَع	شقاق فى القدم وباطنه	٣٥٦/١
السَّرَطان	داء يظهر بقائمة الدابة	٢١٣/٧
السَّعْفَة	قروح تخرج على رأس الصبى وفى وجهه	٣٤٠/١
السُّلَاق	بثر يخرج على اللسان	٧٧/٥
السَّلْعة	خراج كهيئة الغدد فى العنق وغيره	٣٥٥/١
الشَّرى	داء يأخذ فى الرجل أحمر كهيئة الدرهم	٢٨٢/٦
الشُّقَاق	تشقق جلد اليد والرجل	٧/٥
الشوكة	حمرة تعلو الجسد فترقى شبيه بالطاعون[2]	
الضَّب	داء يأخذ فى الشفة فترم	١٥/٧
الصَّلَع	ذهاب شعر الرأس من مقدمه إلى مؤخره	٣٠٢/١
الضواة	غدة تحت شحمة الأذن فوق	

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ .

(٢) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٨٥ .

	الكنفة ورم فى حلوق الإبل[1]	
العِدَاد	اهتياج وجع اللديغ	٨٠/١
العَدَس	بثرة تخرج من جنس الطاعون قلما يسلم منها	٣٢١/١
القُدْيَة	لحمة غليظة شبيهة بالغدة[2]	
العَنَبَة	قرحة تعرف بهذا الاسم	١٥٩/٢
الفَلَح	الشق فى الشفه في وسطها	٢٣٣/٣
القَرْحَة	قرحة دامية	٤٣/٣
القَرَع	ذهاب شعر الرأس من داء	١٥٥/١
القُوبَاء	تخرج فى جلد الإنسان	٢٥/٧
		٢٢٨/٥
الاقْورار	تشنج الجلد وإنحناء الصلب هزالاً	٢٠٦/٥
الكَلَف	لون يعلو الجلد فيغير بشرته	٣٧٢/٥
الكَنَب	غلظ يعلو اليد	٣٨٤/٥
اللائطة	خراج يخرج بالإنسان فلا يكاد يبرأ[3]	

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٦ .

(٢) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٦ .

(٣) المخصص ، المجلد الأول ، السفر الخامس ، صـ ٦٩ .

المَهَق والمَقه	بياض فى زرقة (البهق)	٣٧٢/٣
النَّاسُور	العرق الغبر أصابه غبر فى عرقه	٢٤٣/٧
النَّمْل	قروح تخرج فى الجنب	٣٢٩/٨
نتض الجلد	خرج عليه داء كآثار القوباء ثم انتشر اطباقاً وهى قشور كلما قشر جلدا بدا جلد آخر	٢٥/٧
الوَضَح	بياض البرص	٢٦٦/٣

للحيوان:

الجَزَل	دبره تخرج على كاهل البعير	٧٦/٦
الخُمَال	داء يأخذ الفرس فلا يبرأ حتى يقطع منه عرق أو يهلك	٢٧٤/٤
الربغ	داء يأخذ الإبل فترى فساده فى أدبارها	٤٥٤/٤
العَفَل	شئ يخرج فى حياء الناقة شبه أدرة	١٤٥/٢
القَرْح	جرب يأخذ الفصلان لا تكاد تنجو منه	٤٣/٣
القُطْع	بهر يأخذ الفرس فهو مقطوع	١٣٩/١

الكُلْعَــــــة	داء يأخذ البعير فيجرد شعره عــن مؤخره	٢٠٢/١
الميقـــــع	داء يأخذ البعــير مثــل الحصبــة فيقع فلا يقوم فينحــر	١٨٩/١
النَّقْبَــــــة	أول الجرب حين يبـــدو	١٧٩/٥

أمـراض الـرأس :

الــــدُّوار	داء يأخذ الإنسان فى رأســـه	٥٦/٨
الســُّــوار	من الكلاب الذى يأخذ الـــرأس	٢٨٩/٧
الشَّقيقــــــة	وجع نصف الــرأس	٨/٥
الصُّــــدَاع	وجع الــوأس	٢٩٢/١

للحيـوان :

الصُّدَام	داء يأخذ رووس الـــدواب	١٠٣/٧
الضُّوَاة	ورم يصيب البعير فى رأســـه	٧٤/٧

أمـراض الأسـنان :

الثــــــرم	انكسار سن من الأســـنان	٢٢٤/٨
الثُّعْـــــل	دخــول ســن تحــت ســن فــى إختلاف المنبــت	١٠٨/٢
الحَفْــــــر	ما يلزق بالأســـنان مـــن ظـــاهر وباطن	٢١٣/٣

الدَّرَدُ	سقوط الأسنان	٧/٨
الدَّرَمُ	كسر الأسنان وانثلامها	٣٦/٨
اللَّصَصُ	التزاق الأسنان بعضها ببعض	٨٥/٧
الْعَصَل	أعوجاج الناب	٣٠١/١
الْفَلَج	تباعد ما بين الثنايا والرباعيات	١٢٧/٦
الْقَلَح	صفرة الأسنان	٤٦/٣
الْكَسَس	خروج الأسنان السفلى مع الحنك الأسفل	٢٧١/٥
اللَّطَع	ذهاب الأسنان	١٣/٢
البَلَلُ من الأَلَل	قصر الأسنان والتزاقها بالدرد	٣٦٢/٨

أمراض العين:

الْحَول	إقبال الحدقة على الأنف	٢٩٩/٣
الخَزْرَة	انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح من الحول	٢٠٦/٤
الْخَوَص	ضيق العين وغؤدرها	٢٨٥/٤
الرَّمَد	وجع العينى	٣٨/٨
الشَّتَر	انقلاب فى جفن العين الأسفل	٢٤٥/٦
الشَّوص	كأنه ينظر إليك وإلى آخر	٢٧٣/٦
الظَّفْرة	جليدة تغشى العين تنبت من	١٥٨/٨

تلقاء المآقي إن تركـت غشـيت

بصر العين حتى يكـل

الْعَشَى	الأعشى الذى لا يبصر بالليل	١٨٨/٢
الْعَمَى	ذهاب البصر	٢٦٦/٣
الْعَوَر	يكون فى إحدى العينين	٢٣٦/٢
الْغَرَب	خراج يخرج فى العين	٤١٠/٤
الْكُمْنَة	جرب وحمرة تبقى فى العين من رمد يساء علاجه	٣٨٦/٥
النَّكْتَة	شبه وقرة فى العين (الوضح)	٣٣٩/٥
الْهَدِيد	داء يكون فى العين	١٢٦/٤

أمراض العظام :

التَّصَوب	حدب فى حدور	١٦٦/٧
الْجَنَأ	انحناء الكاهل	١٨٣/٦
الْجَنَب	اعوجاج فى الساقين	٢٥٠/٣
الْحَنَف	ميل فى صدر القدم	٢٤٨/٣
الخَزرة	داء فى مستدق الظهر عند فقره	٢٠٧/٤
الْخَلْع	زوال فى المفاصل من غير بينونة	١١٩/١
الخُنَاف	لين فى الأرساغ	٢٧٦/٤

الرَّهَش	اصطكاك اليد عند المشى	٤٠/٣
الرَّقَق	ضعف العظام	٢٥/٥
الشَّلَل	ذهاب اليد	٩١/٦
الشُّفوف	نحول الجسم من الهم	٢٣٢/٦
الصَّاخة	ورم فى العظم من كدمة	٢٨٦/٤
الصَّعَر	ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين	٢٩٨/٣
الفالِج	ريح تأخذ الإنسان يرتعش منها	١٢٧/٦
الفَدَع	عوج فى المفاصل خلقه أو داء	٤٧/٢
الفَأَق	داء يأخذ الإنسان فى عظم عنقه الموصول بدماغه	٢٥٦/٥
الفَكّ الفَكَك	انفراج الحنك عن مفصله ضعفا أو استرخاء	٢٨٤/٥
القَصَر	داء يأخذ فى العنق فتغلظ	٥٩/٥
القُعَاص القُعَاس	داء يأخذ الصدر كأنه يكسر العنق	١٢٧/١
الكَرْبَلة	رخاوه فى القدمين	٤٣١/٥
الكُزاز	داء يأخذ من شدة البرد	٢٧٣/٥
الكَسَح والكُسَاح	شلل فى إحدى الرجلين إذا مشى جرها جرًّا	٥٩/٣

	شدة العطش	
السُّحَاف	السل	١٤٧/٣
السُّعَال	معروف	٣٣٣/١
السُّل السُّلَال	داء يأخذ الإنسان ويقتل	١٩٢/٧
الشَّوْصَة	ريح ينعقد فى الأضلاع	٢٧٣/٦
الصُّفَار	صفرة تعلو اللون والبشرة من داء	١١٣/٧
الصَّفَر	يقع فى الكبد وشراسيف الأضلاع يقال أنه يلحس الإنسان حتى يقتله	١١٣/٧
رجل مطحول	إذ دئ طحاله	١٧٠/٣
الكُبَاد	داء يأخذ الكبد	٣٣٣/٥
الهُلَاس	شبه السلال من الهزال	٧/٤

للحيوان :

الدُّكَاع	داء يأخذ الإبل والدواب فى رئتها	١٩٤/١
الطَّنَى	لزوق الرئة بالأضلاع حتى ربما أسودت	٤٥٦/٧
النُّحَاز	داء يأخذ الإبل والدواب فى رئاتها	١٦٣/٣

أمراض العقل :

الأَرَق	ذهاب النوم بالليل	٢١٠/٥
الْجَنَان	ذهاب العقل	٢١/٦
الْحطأ	شدة الصرع	٢٧٦/٣
الْخَبَال	مس وشر	٢٧٣/٤
الخطفة	من الجن تصيب الإنسان	١٥٥/٨
الْخَوْلَع	فزع يبقى في الفؤاد حتى يكاد يعترى صاحبه الوسواس منه	١١٩/١
الصرع	ورد بدون تفسير علة في الجهاز العصبى المعجم الوسيط	٣٩٩/٧
الْفَرْدَسَة	الصرع القبيح	٣٩٩/٧
الْكَلَب	داء يعوى عواء الكلب	٣٧٥/٥
الْمَسّ	من الجنون	٢٠٨/٧
الموم	البرسام	٤٢٢/٨
النظْرَة	من الجن تصيب الإنسان	١٥٥/٨
الْهَذَيَان	مثل كلام المبرسم والمعتوه	٨١/٤
الْوَسْوَسَة	حديث النفس	٣٣٥/٧

أمراض تناسلية :

الْحسّ	داء يأخذ النفساء في رحمها	١٥/٣

الْحَصَاةُ الْحَصْوة	داء يقع في المثانة	٢٦٨/٣
الأدره	نفخة في الصفن	٦٥/٨
نَاقَةٌ رَحُومٌ	أصابها داء في رحمها فلا تلقح	٢٢٥/٣

مرض خروج الدم :

الْبَيْغ	ثؤور الدم وفورته حتى يظهر في العروق	٤٥٤/٤
نَزِيفٌ	نزيف الدم	٢٧٢/٧
نُعُور	خروج الدم	١١٩/٢

مرض الحمى :

الْحُمَّى	إذا سخن وعرق	٣١٣/٣
حُمَّى رَبْعٍ	تأتي في اليوم الرابع[١]	
الْغِبُّ	تأخذه يوما وتدعه آخر[٢]	
الطَّاعُون	كثرة المرض وقيل هو داء	١٥/٢

المرض الذي لا يبرأ :

دَاءٌ عُضَال	إذا أعيا الأطباء	٢٧٨/١
داء عَيَاءٌ	الذي لا دواء له	٢٧٢/٢

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٧٠

(٢) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٧٠.

نَاجِس ونَجِس	الداء الذى لا يبرأ	٥٦/٦

ما يصيب المريض من آثار المرض :

الْخَدَرْ	امذلال (فتور) يغشى اليد والرجل والجسد	٢٢٩/٤
الرِّعْدَة والارْتِعَاد	من شدة الحمى	٣٣/٢
العَلَـة	خبث النفس والحدة	١٠٦/١
العَلَزُ	شبه رعدة تأخذ المريض كأنه لا يستقر من الوجع	٣٥٥/١
العميد	المريض الذى لا يجلس حتى يعمد جوانبه	
الأفْكَل	رعدة تعلو الإنسان	٣٧٤/٥
الامْذِلاَل	الاسترخاء والفترة	١٨٨/٨
المذيل	المريض الذى لا يتقار وهو فى ذاك ضعيف	١٨٨/٨
النعار	التقلب على الفراش مع سهر وكلام(١)	
انخنع	غشى عليه	

(١) المخصص ، السفر الخامس ، ص ٦٧ ، ٧٢

الخاتمة

وأخيرًا لابد لى أن أوضح أن هنالك ألفاظًا تستعمل عند عيادة وزيارة المريض وأخرى عند القيام عليه من تطبيب ومداواة مثل تضميد الجروح وما يسيل منها كالصديد والنطف لم يذكرها البحث ، كما أن الخليل أحيانًا يستعمل الفعل بدلًا من ذكر اسم المريض مثل قوله : توخمته واستوخمته لذا يرى الباحث ما يلى :

١ ـ أن لكتاب العين أثر كبيرا فى إرساء صناعة المعاجم العربية بشقيها معاجم المعانى ومعاجم الألفاظ .

٢ ـ إن المكتبة العربية خلت من وجود رسالة من الرسائل اللغوية التى تهتم بالأمراض والعلل .

٣ ـ إن المخصص لابن سيده اعتمد على ما ذكره الخليل من أمراض ونقل عنه ، بل إنه أورد ألفاظًا لأمراض نقلها عن الخليل لا نجدها فى كتاب العين .

٤ ـ الأمراض والعلل التى دونها الخليل تمثل ما كان موجودًا فى عصور ما قبل الإسلام حتى القرن الثانى الهجرى .

٥ ـ ألفاظ اللغة منها ما هو موجود بالقوة وهو الذى لم يستعمل بالفعل ومنها ما هو موجود بالفعل هو المستعمل .

٦ ــ ألفاظ اللغة كامنة فى العقل البشرى وهو ما عبر عنـــه العلمـاء بقولهم : "لا يحيط باللغة إلّا النبى".

٧ ــ لا تدعى هذه الدراسة أنها وقفت على جميع ما دون من أمـواض وعلل ولكن تحث المتخصصين إلى إبتكار المعاجم المتخصصـــة وجمع ما فى التراث للإفادة منه فى حاضر اللغـــة ومسـتقبلها ، وبالله التوفيق .

المصادر والمراجع

أولا : العربيـــة :

١ - البارع في اللغة ، أبو على إسماعيل بن القاسم ، تحقيق هاشم الطعان ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢ - تجديد العربية ، إسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة المصرية .

٣ - تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، حققه وقدم له عبد السلام هارون .

٤ - تفسير أبي السعود ، أبي السعود بن محمد العمادي الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٥ - جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، دار صادر بيروت .

٦ - المخصص ، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده ، دار الفكر ، بيروت .

٧ - المخصص ، لابن سيده ، دراسة - دليل محمد الطالبي ، تونس ، ١٩٥٦م .

٨ - الرسالة ، للإمام الطالبي ، محمد بن إدريس الشافعى ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ١٣٠٩هـ .

٩ - الصاحبي ، أبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

١٠ - الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروى ، حققه وقدم له محمد المختار العبيدى ، بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٩٠ .

١١ - فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، حققه ورتبه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبي .

١٢ - من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ، محمد رشاد الحمزاوى ، دار الغرب الإسلامى .

١٣ - كتاب العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، تحقيق د. مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، دار الرشيد ، بغداد .

١٤ - لسان العرب ، ابن منظور .

١٥ - المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، دار المعارف .

١٦ - المعجم العربى ، د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

١٧ - المعاجم العربية ، عبد الله درويش ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٨ ـ معجم المعاجم ، أحمد الشرقاوى اقبال ، دار الغرب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
١٩ ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة بمصر ، المكتبة العلمية ، طهران .
٢٠ ـ المعاجم العربية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 – J. Hay wood , Arabic Lexicograpgy
2 – Nell Smith and Modern Linguictics .
3 – Deirdre Willson Books Pengun .
4 – N. chymsoky Aspects of theory of syntax mltpress , 1965 .

فهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٦٢٧١ لسنة ٢٠٠٣م